١٩٧٩

حركة اليقظة الإسلامية

في مواجهة النفوذ الغربي والصهيونية والشيوعية

١٩٦٧ـ الى الآن

أنور الجندي

دار الاعتصام

حسب ترتيب كتابة البحث

١. مرحلة مواجهة الاستعمار
٢. مرحلة مواجهة التغريب
٣. مرحلة مواجهة الصهيونية والشيوعية
~~٤. من التقليد إلى الصحوة~~
٤. عقبات في طريق النهضة
٥. من التقليد إلى الصحوة

آفاق البحث

صفحة

صفحة

صفحة

مدخل إلى البحث

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

إنبثقت حركة اليقظة الإسلامية إنبثاقاً طبيعياً من خلال ظلام الجمود والجبرية والتخاذل حين ارتفعت الصيحة فى الجزيرة العربية وفى الأزهر فى مصر فى وقت متقارب داعية إلى إلتماس جوهر الإسلام ومنابعه الأصيلة القائمة على التوحيد وكان العالم الإسلامى قد بلغ مرحلة عجز فيها عن الحركة الصحيحة وقد أصاب المجتمع الإسلامى ذلك الإحساس بالإجهاد والضعف بعد دورة كاملة من الحركة والحيوية أمتدت أكثر من ألف عام .

وقد اندفعت حركة اليقظة إندفاعاً ذاتياً من قلب الفكر الإسلامى نفسه الذى كان دائماً قادراً على تصحيح طريقه كلما انحرف عنه ، وكان له تلك المقدرة الفائقة على إلتماس المنابع عندما تكرثه الأزمات والأحداث .

وتشكلت الدعوة إلى اليقظة فى صورة حركة حين نجح الإمام محمد بن عبد الوهاب فى عقد أواصر العمل السياسى والاجتماعى مع الأمير محمد بن سعود وبذلك انطلقت هذه الدعوة إلى التوحيد وامتدت وأثمرت ثمارها العديدة فى الهند وفى ليبيا وفى السودان واستجاشت مستمدة مفاهيمها من القران والسنة ، لتكون مصدر لما أطلق عليه من بعد الحركة السلفية التى قادها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده .

والتى وصلت إلى تونس والجزائر ومراكش وكان لها دعاتها وحمله لوائها .

ولقد بدأت حركة اليقظة أول الأمر مجددة للعقيدة ملتمسه لمفهوم التوحيد فلما واجهت الاحتلال والغزو السياسى الغربى إتسعت مهمتها لحملت لواء مقاومة الاستعمار ورفع راية الجامعة الإسلامية فى مواجهة أوروبا وغزوها الاستعمارى .

ودخلت حركة اليقظة مرحلة بعد مرحلة حتى كان امتحانها الشديد بعد سقوط الخلافة التى كانت تجمع بين العنصرين العربى والتركى فى دولة واحدة ، وكانت بمثابة القيادة العامة للمسلمين جميعاً خارج الدولة العثمانية .

سقطت الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى وتوالت لقاءات المسلمين فى سبيل التجمع لم يتوقف وحاولت الدول العربيـــة التى مزقها الاستعمار إلى أقليميات أن تتجمع حـــول محور العروبة الإسلامية وأن تربط نفسها بالدول الإسلامية فى مؤتمرات عديدة عقدت، فى كراتشى ومصر ومكة وكان التجاوب واضحاً بين أجزاء العالم الإسلامى دون ان يفقده سقوط الخلافة ذلك الشعور القوى القائم على الاخاء والتضامن وتبادل المنافع والخيرات والتجمع فى مواجهة الأحداث والأزمات .

غير أن الجديد الذى شهدته حركة اليقظة قبيل الحرب العالمية الثانية هو محاولة قيام جبهة شابه مؤمنة تدعو إلى العودة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وكان ذلك علامة على الانتقال من مجال الفكر إلى مجال الدعوة ومن مجال الدعوة إلى مجال الحركة فقد ظهرت جماعات عديدة تحمل لواء الإسلام والدعوة إليه والدفاع عنه ومطالبة أهل الحل والعقد باستعادة الإسلام لمكانه الطبيعى فى المجتمع الإسلامى قبل أن ينتزع الاستعمار منه قيادة المجتمع فى مجال السياسة والقانون والاقتصاد والتربية والتعلم . وبذلك تكون حركة اليقظة قد تطورت تطوراً طبيعياً فى سبيل تحقيق غايتها وهى تجديد مفهوم الإسلام إلتماساً للمنابع الاصيلة وتطبيق الإسلام كنظام مجتمع واعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً للقوانين والنظم تحقيقا لمفهوم أن دين الدولة هو الإسلام .

ولقد تشكلت هذه الجماعات حاملة لواء التربية الإسلامية للشباب فى مصر وسوريا والعراق والمغرب وفى بلاد الإسلام المختلفة وخاصة فى باكستان والهند .

غير ان الاستعمار أحس بخطر انتقال الفكرة الإسلامية إلى المجال العملى ،

وكانت معركة فلسطين هى التى أعطت الصورة التى هزت دوائر الاستعمار حين تقدمت هذه الجماعات الملتزمة إلى ميدان القتال وأعادت مفهوم الإسلام الأول فى الجهاد والموت فى سبيل الله والدفاع عن الأرض والعرض على نحو حطم مخططات الاستعمار التى عاش يغرسها من خلال سيطرته على مناهج التربية والتعليم لإحتواء المجتمع الإسلامى وتفريغه من مفهوم الجهاد والقوة والإيمان بالله.

ومن هنا كانت حركة الاحتواء قد استطاعت أن تدمر هذا التيار النابض من حركة اليقظة وتسوقه سوقاً إلى ساحات التعذيب والاتهام والسجن حتى تثير حول الفكرة الإسلامية كلها غباراً كثيفاً.

غير أن حركة اليقظة قد اتخذت لها من مواقع مختلفة فى العالم الإسلامى مقرا وملتمساً للحياة والنماء بحيث استطاعت أن تصبغ الفكر الإسلامى كله بطابعها وأن تستصفى تحت لوائها جميع العاملين فى الحقل الإسلامى وأن تندفع فى العمل لمقاومــــة التغريب والغزو الثقافى ومعارضة تيارات الالحاد والإباحة والعلمانيه والشعوبية والماركسية جميعاً فى قوة وصلابة.

ولا ريب أن حركة الاحتواء كانت بسلطانها المادى ونفوذها الاستعمارى وما مكن لها من قوى ومال، كانت قادرة على ضرب حركة اليقظة وكان لها منابرها القوية فى واجهات عديد من الصحف الكبرى بالأسماء اللامعة والدعوات ذات البريق الخادع فى محاولة للسيطرة على حركة اليقظة والإدالة منها وبالرغم من أن حركة اليقظة لم تمكن تملك فى أغلب أقطار العالم الإسلامى صحافة قوية أو أعلاماً قادراً فإنها استطاعت بوسائلها القليلة أن تجعل صوتها مستمراً وإن لم يكن مرتفعاً، وإن تواجه كل التحديات والسموم التى كانت تطرح آنا بعد آن بالتفنيد وكشف الزيف وتصحيح المفاهيم وتحرير القيم على نحو يشهد لها بالمرابطة على ثغرات الوطن الإســلامى فى يقظة تامة.

ولعل أبرز ما تقسم به حركة اليقظه فى هـذه المرحلة هى أنها أصبحت « قرآنية الاتجاه » بعد أن مرت بدور الدفاع الـكلامى والفلسفى ، وبأساليب الغرب ، وأساليب الخوف من الإتهام بالجمود وأساليب الموائمة والتبرير والتأويل ، فإنها قد استطاعت خلال هذه المرحلة أن تشـكل مدرسة ضخمـة تقوم على المفهوم القرآنى الخالص تجمد من صفوة رجالها : محمد المبارك ومصطفى السباعى والحسن الندوى ، ومحمد الغـــزالى والمودودى ، ومحب الدين الخطيب ، وعشرات .

وعلى رأس هذه المدرسة فى العصر الحديث الإمام حسن البنا .

مدخل سياسي تاريخي

أن الجولة الثانية لحركة اليقظة فى للرحلة التى تلت الحرب العالمية الثانية حتى نكسة ١٩٦٧ كانت خصبة غاية الخصوبة فقد واجهت تحديات جديدة تختلف عن التحديات القديمة التى واجهتها والتى كانت ما تزال مستمرة فقد قضى النفوذ الأجنبى بعد الحرب العالمية الأولى على الخلافة ووحدة العالم الإسلامية .

أما بعد الحرب العالمية الثانية فقد حقق النفوذ الأجنبى قيام إسرائيل والقضاء على وحدة العالم العربى بإثارة ريح القوميات والإقليمات وفرض مفاهيم القومية الوافدة المفرغ من الأصالة الجامعة بين العروبة والإسلام .

وقد غير النفوذ الأجنبى بعد الحرب العالمية الثانية أسلوبه ومفاهيمه مع رياح التغيير التى حملتها الأنظمة التى جاءت نتيجة الحركات التى قام بها رجال الجيش فى مصر وسوريا والسودان وباكستان والعراق وكان للنظام العسكرى سماته المختلفة عن الأنظمة الديمقراطية الغربية التى كانت تحكم المنطقة كما رافق ذلك التحول من التبعية للغرب إلى التبعية السوفيت وما كان لذلك من أثر واضح فى نكسة ١٩٦٧ .

ولم يكن الغرب قلقاً لهذا التحول بل امله رأى أن الصبغة الماركسية التى فرضت نفوذها على البلاد العربية من شأنها أن تكون عاملا شديد الخطر فى القضاء على الذاتية العربية الإسلامية وقد كان ذلك مما عجل بالهزيمة الساحقة التى حلت بالبلاد العربية عام ١٩٦٧ .

وكانت هذه الهزيمة خاتمة للتجربة الطويلة التى حاولتها البلاد العربية منذ اتصلت بالأنظمة الغربية بعد الحرب العالمية الأولى وقد مرت خلال هذه الفترة بالتجربتين معاً : التجربة الديمقراطية الغربية والتجربة الماركسية الشيوعية وكلتاهما كانت ابتعاداً عن واقع المجتمعات الإسلامية العربية وروحها وذلك

مما عجل بالهزيمة وكانت فلسطين هى علك التجربة كلها منذ سقطت فى رأس الغزو الصهيونى ١٩٤٨ :

وعندما سقطت فلسطين نهائياً عام ١٩٦٧ .

ولقد كانت هزيمة ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧ علامة أكيدة على فساد التخطيط العسكرى والسياسى الذى كان قائماً ، والذى كان بعيـــداً كل البعد عن مفهوم الإسلام .

وقد وقفت حركة اليقظة الإسلامية خلال هـذه التجربة موقف الكاشف عن زيف التجربة الغربية وفساد تطبيقها فى المجتمعات الإسلامية ، كما واجهت دعوات الديمقراطية والشيوعية والإشتراكية والقومية والإقليمية وكلها كانت مذاهب تحاول تمزيق الوحدة الإسلامية التى أقامها الإسلام بعد أن فرضت نظاماً سياسياً غربيا ونظاماً اقتصـادياً ربوياً وفرضت القانون الوضعى بديلا للشريعة الإسلامية .

ومنذ جاء الاستعمار والنفوذ الأجنبى وهدفه صهر الأمة الإسلامية فى فكره الوافد المختلف فى الغـــاية والوجهة والمتباين على طوابع الأمة المستمد من الإسلام وقيمة ومفاهيمه وذلك بجذبه إلى الدائرة الغربية المغلقة مستهدفاً صهره فى بوتقة الأممية والدخول به فى مرحلة الإحتواء .

فكان إن خضعت البلاد العربية للفكر الليرالى فاستهدفت لهزيمة ١٩٤٨ . ولما تحولت إلى الفكر الماركسى استهدفت لهزيمة ١٩٦٧ ولقد مرت التجربة فى المرحلتين المتتابعين فكان من نتيجتها سقوط فلسطين فى يد اليهود تحت اسم القوميات والإقليميات، ثم جاءت التجربة الشيوعية مكملة وكاشفة فى سرعة عجيبة لفسادها ولعجزها عن العطاء .

وكان الهدف من المخطط (الاستعمارى الصهيونى المـاركسى) إحلال مخطط

جديد للسياسة والإجتماع والإقتصاد والتربية فى بلاد المسلمين والعرب يفصل به الأمة عن نظامها وتراثها وعقيدتها وماضيها .

لقد حققت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) القضاء على النازية فى ألمانيا والفاشية فى إيطاليا لحساب الصهيونية العالمية التى استطاعت أن تقيم التحالف بين الرأسمالية والشيوعية فى سبيل القضاء على هذه القوة التى حاولت أن تقضى على النفوذ اليهودى الصهيونى فى أوروبا .

كما استطاعت فى نفس الوقت أن تتخذ من النازية حجة للسيطرة على فلسطين وأقامة دولة إسرائيل بها على حساب الشعب العربى صاحب الأرض الذى أخرج منها فأحكمت إسرائيل بالتآمر وبباطل الدبلوماسية العالمية (أمريكا وروسيا) عام ١٩٤٩ وخرجت إنجلترا من الحرب دولة من الدرجة الثانية وانهزمت فرنسا بفعل الانحلال الاجتماعى فسقطت على قدميها منذ الضربة الأولى ودمرت ألمانيا وقسمت إلى شطرين : شطر شيوعى وشطر غربى . وبذلك سقطت واحدة من القوى السياسية العالمية التى كانت موجودة قبل الحرب وهى النازية ولكن نشأت على أثر ذلك الصهيونية على مثل النازية وأشد عنفاً ، وفى فترة الالتقاء بين الرأسمالية الغربية والبلاشفة استطاعت الشيوعية أن تدخل إلى أقطار العالم الاسلامى وإن تشكل جماعاتها التى كانت فيما بعـــد مصدر ذلك التغيير الكبير .

ولقد كشفت حركة اليقظة الاسلامية منذ اليوم الأول فشل الاستعانة والمتابعة لأى من هذه القوى : سواء أكانت النازية الألمانية التى ظن بعض المسلمين أنها ستعينهم على الاستعمار الغربى أو الشيوعية من بعد التى ظن البعض أنها تساعد العرب على الادالة من الغرب .

ويمكن القول أن الدعوة الاسلامية قد عملت جاهدة طوال هذه السنوات فى سبيل الكشف عن فساد تلك المصطلحات التى طرحها التغريب فى أفق الفكر الاسلامى : القومية ، الاقليمية ، الماركسية ، الديمقراطية ، وأنها عملت لتجديد

الدور الصحيح للوحدة الإسلامية ، وللدفاع عن السنة والتاريخ الإسلامى واللغة العربية . واستطاعت أن تقيم رأياً عاماً يعتمد فى وجوده ومفاهيمه على الأصالة الإسلامية ويستمد مقوماته من المنابع الإسلامية : القرآن والسنة ويواجه موجات الفكر الغربي الوافد ، فى كل ما تطرحه قوى الاستعمار أو الماركسية أو الصهيونية وأن تكشف عن فساد مطروحاتها وتعرى خلفيات تلك المحاولة الخطيرة إلى ترمى إلى احتواء الفكر الإسلامى تحت اسم التغريب والغزو الثقافى بوسائل متعددة منها التبشير والإستشراق .

ولقد وجدت الدعوة الإسلامية فى هذه المرحلة تحديات جديدة تختلف عن التحديات التى واجهتها من قبل ، كما وجدت أن التحديات القديمة ما زالت تتجدد وكأنما قد ألقيت تيارات الفكر البشرى كله فى تحد واضح فى أفق الفكر الإسلامى وكأنما هذه التيارات قد تعاونت على هدم هذا المجتمع .

ولقد تعاونت تلك القوى المتخالفة فى مناهجها على ضرب هذه الأمة فنجد أن القوى الغربية كانت تحتضن الشيوعية وتفسح لها وترضى عن نموها فى عالم الإسلام لأنها تعرف أنها اداة تدمير ، كذلك كانت الشيوعية والصهيونية ترى فى العمل الذى قام به الفكر الغربى الكبير الرأسمالى بسمومه وشبهاته خلال السنوات الطويلة السابقة قد مهد لها الأرض ، وهكذا تلاقت فى هذة الفترة تيارات للغرب وتيارات الشرق فكنت ترى كتاب الوجودية ، بجوار كتاب الفلسفة المادية بجوار الماركسيين بجوار أولياء ثقافة فرنسا وأولياء ثقافة أمريكا وأولياء ثقافة روسيا ملتقين جميعاً على مفاهيم عامة تستمد جذورها من الفلسفة المادية أصلا وإن كانت تختلف فيما بين الرأسمالية والشيوعية من خلاف وكانت الصهيونية تذيع فكرها فى مجالات الفكر الفلسفى والنفسى والإجتماعى ، وكانت كلا القوتين الرأسمالية الغربية والشيوعية تخدمها بالهدم فى الكيان الإسلامى وتمكن لها ، كانت كل القوى تتركز فى خدمة هذا الوجود الفاسد الذى قام على العنف ، يخدمه الغربيون والماركسيون على السواء ، ويؤكدون بقاء إسرائيل وضرب كل مفاهيم التربية الإسلامية والجهاد والتجمع على كلمة الله وفهم

الإسلام فهم صحيحاً . وكان الهدف هو الحد من تلك القوة التى التزمت مفهوم الجهاد وجددت شباب الإسلام على النحو الذى واجهته الصهيونية فى فلسطين والذى كان تتصاعد قوته فى أجزاء كثيرة من البلاد العربية المتاخمة لفلسطين حتى يسقط هذا الجدار ، وكان العمل يهدف إلى سبق الأحداث وإيجاد البديل الزائف القادر على السيطرة على الموقف بمفهوم مضلل وزائف وناقص للإسلام على النحو الذى عرفته التشكيلات التى أقامتها القوى الاستبـــدادية والمسيطرة لقتل الايدلوجية القائمة على التطلع إلى الوحدة الاسلامية باعتبارها سبيلا لمواجهة الخطر الصهيونى والايدلوجية القائمـة على تطبيق الشريعة الاسلامية باعتبارها أساس بناء المجتمع الاسلامى القادر على تقـديم المجاهدين لرد العدوان وحماية البيضة واستعادة الأرض .

وكان البديل هو النظرة الأقليمية والقومية الضيقة القائمة على مفهوم علمانى مفرغ من أصالة الاسلام ورابطة العروبة والاسلام ، والعمل على التأقلم حول الحاجات اليومية العامة وخاصة مشاغل الرزق وحاجات الطعام والشراب ، والتنصل من حمل لواء الجهاد قد دعا هذا إلى إفساح المجال أمام نوعية أخرى من القيادات التى لم تكن ذات جذور أصيلة فى البيئة والتى لم تكن قد رشحتها زعامتها ومقدرتها وكفايتها لتولى تلك المناصب المرموقة ،

وقد أشارت دراسات غربية متعددة إلى ذلك الاحساس الخطير الذى خامر الغرب الاستعمارى ما بين الحرب العالمية الثانية قد تحقق للأقطار العربية والاسلامية الارادة التى تمكنها من حكم نفسها وتقديم كفاياتها المرموقة ذات الماضى المجيد فى الجهاد وأنها تستطيع أن تقيم نظاماً سياسياً إسلامياً قادراً على مواجهة الاستعمار والصهيونية والشيوعية جميعاً وحفظ مقدرات الشعوب لأهلها ، والحد من النفوذ الأجنبى الذى يهدف اعتصار أقوات الامم وثرواتها لنفسه وتأكيد بقائه فى هذه البلاد أطول أمد ممكن، ولذلك فقد كانت القوى الاجنبية قد أعدت البدائل اللازمة للأنظمة القائمة التى كونتها الامم وعملت على التخلص منها ، هذه البدائل التى كانت ترجو بها أن تحول دون تحقيق الامم لأهدافها وامتلاك

إرادتها وإقامة الأنظمة ذات الأصالة فيها وكان من نتيجة هذه الخطط المدبرة إن طرحت فى ساحة المجتمعات الاسلامية أنظمة ماركسية إلى جوار الأنظمة الغربية التى تبين فسادها ، ودخل نفوذ جديد إلى الساحة العربية يقاسم الغرب الاستعمارى نفوذه هو النفوذ السوفيتى إلى جانب وجود إسرائيل فى قلب المنطقة وعملها الدائم المتصل على تأليب القوى والحيلولة دون التقاء العرب على وحده أو اتحاد . وقد أشارت هذه الأبحاث ومنها لعبة الأمم وغيرها إلى أن الهدف كان واضحاً بعد الحرب العالمية الثانية أمام القوى المحتلة وهو تأييد وجود إسرائيل والقضاء على كل المحاولات التى ترمى إلى إعادة التجمع الاسلامى أو إلى إقامة أنظمة إسلامية فى المجتمعات الاسلامية وقد استهدف هذا خلق استراتيجية جديدة تتجه نحو طرح عدد من المفاهيم : كالقومية والاقليمية والاشتراكية وكانت الديمقراطية الرأسمالية موجودة ، وقد جرى خلق جو من التضارب بينها والصراع.

وقد كان من شأن هذا سقوط الأنظمة وظهور أنظمة جديدة وتغيير قيادات بقيادات أخرى تحاول أن تحقق الحرية أو العدل الاجتماعى ثم تجد الطريق أمامها مسدوداً بذلك الصراع الذى نشأ فى المنطقة بين القوى الغربية وبين الشيوعية وكان بريق الشعارات وخداع تلك القوى فى تقديم العون الحقيقى لهذه الأمم ، أو تمكينها من تحرير الأرض أو بناء المجتمعات باطلا وزائفاً فإنها لم تلبث إن كشفت هويتها الحقيقية وهى ترك البلاد العربية تقاسى محنة جديدة هى « النكسة » التى استطاعت إسرائيل من خلالها أن تسيطر على أجزاء من مصر وسوريا والأردن وإن تقضى على وجود فلسطين نهائياً .

لقد كانت فكرة القوى الثلاث المتصارعة على العالم الاسلامى والتى كانت تخطط للإدالة من أرض الاسلام ترمى إلى أن تحول بين هذه الأمة وبين امتلاك إرادتها أو تحقيق النصر أو استعادة الأرض أو بناء المجتمع الاسلامى ، وذلك حالت دون أن تتقدم بتلك النماذج التى حملت لواء النضال فى السنوات السابقة والذين مهدوا للتغيير حاولت دون أن يتقدموا إلى مسرح الأحداث بل كانت الخطة معدة لأن يحجبون تماماً وهذا أمر عرفته الحركات الوطنية فى الماضى

عندما حجب رجال الحزب الوطنى بعد الحرب العالمية الأولى ولم يكن هدف هذه الطلائع إلا أن تصل إلى مكان القيادة الاجتماعية الأمم عن طريقها المشروع ووفق مقررات الأمة نفسها واختيارها ، ولم تتمكن القوى التى سيطرت من أن تحقق أهداف الأمة أو تقدم لها نظاما اجتماعيا أصيلا لأنها سرعان ما غرقت فى الصراع بين مراكز القوى وهكذا جاءت التجربة الجديدة وهى تحمل الآمال وتتطلع إليها الشعوب ولكنها لأسباب كثيرة عجزت أن تصل إلى الغايه التى كنت ترجوها الشعوب ولأنها نحت عنها حضانة تلك الركيزة المؤمنة واستعلت بقدرتها الذاتية ظلما وبغيا فأنها سرعان ما سقطت صريعة الاحتواء وقد فرضت عليها التأثيرات الأجنبية والضغوط الخارجية مزيداً من السيطرة والاحتواء ، ولقد تابعت هذه التجربة النفوذ الغربى والغزو التغريبى فى تقدير قيمة الفكرة الاسلامية وأهمية تحريك الشعور الدينى للوقوف فى وجه الغزو الصهيونى والمد الشيوعى ، وأوحى إليهم أنها فكرة غير مضمونة النتائج غير أنه تبين من بعد عندما حلت النكسة أن الخسارة التى لحقت بالأمة نتيجة تجاهلها هـــذا الرافد القوى كانت كبيرة .

الباب الأول

الوحدة الإسلامية

أولا : الوحـــدة الإسلامية

ثانياً : القومية : البديل الزائف

ثالثاً : التجربة الغربية (الديمقراطية)

رابعا : التجربة الماركسية (الشيوعية)

خامسا : مواجهة الصهيونية

سادسا : قبلة المسلمين

سابعا : الطريق إلى الوحدة

ثامنا : منطلق الوحـــدة

تاسعا : الوحده الإسلامية والشبهات المثارة

عاشرا : لم ينم المسلمون على الضيم

الفصل الأول

الوحدة الاسلامية

هدفان لحركة اليقظة : الوصول إلى الوحـــدة الاسلامية وإقامة المجتمع الاسلامى بتطبيق الشريعة الاسلامية أما فى سبيل الوصول إلى الوحدة الاسلامية

فانه منذ أن سقطت الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٦ والمسلمون يتطلعون إلى الوحدة وقد التمسوا إليها مشاريع عـديدة وأساليب مختلفة استطاعوا بها التعبير عن مطامحهم الاسمى بالرغم من كل محاولات النفوذ الاستعمارى الذى عمل على القضاء على رابطتهم الأساسية (الدولية العثمانية والخلافة) وقد شغل العرب خلال فترة ما بين الحربين بالسعى إلى التحرر من النفوذ الاستعمارى والاحتلال العسكرى والسياسى الذى كان مسيطرا على أجزاء من الوطن العربى قبل الحرب (منذ ١٨٣٠ الجزائر ١٨٨٢ مصر والسودان ١٨٨١ تونس) حتى كانت الحرب العالمية خاتمة المطاف فى السيطرة على الوطن العربى كله (ما عدا : الحجاز واليمن) ولـكن الجماعات والهيئات الاسلامية التى نشأت فى هذه الفترة اتخذت من « إعادة الخلافة » هدفا لها بمثابة استـكمال للتحرر الوطنى والترابط القومى إلى الوحدة الاسلامية الجامعة ونصت مواثيق أغلب هذه الجماعات والهيئات على اعتبار عودة الخلافة هدفا نهائيا وقد اتصل السعى إلى تحقيق هذا الهدف حتى بلغ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية مرحلة يمكن القول بأنها كانت بمثابة منطلق صحيح لابراز هذه الوحدة فى صوره عملية ، غير أن قوى النفوذ الاستعمارى المرتبطة بقوى الغزو الصهيونى عمدت إلى إجهاض هذه الحركة بتحويل اتجاه الرياح نحو القوميات والاقليميات على النحو الذى استعلن بالدعوة إلى القومية العربية المفرغة من مفهومها الأصيل خلال الستينات والسبعينات على النحو الذى عرف بعداء القومية للعروبة والاسلام جميعا .

لقد استطاعت حركة اليقظة أن تعمق مفهوم الوحدة الإسلامية وتعيده إلى الحياة كرة أخرى بعد عقد من الزمان من سقوط الخلافة ، وكانت قضية فلسطين بتعقيداتها التي هزت الوطن العربي (أبان الصراع بين أهل فلسطين والصهيونية والاحتلال البريطاني) عاملا هاما في اتجاه الرأي إلى اتخاذ (الوحدة الاسلامية) طريقا إلى تحقيق غاية اقتلاع هذا الخطر وقد بدأ ذلك باكرا بانعقاد المؤتمر الإسلامي في القدس عام ١٩٣٢ الذي ضم صفوة مفكري وقادة المسلمين في هذه الفترة وكان علامة على الطريق إلى عودة المسلمين إلى التجمع مرة أخرى في إطار جديد بعد أن سقط إطار الخلافة الذي تجمع حوله المسلمون من قبل ثم تعددت المشروعات إلى ما يسمى بالكتلة الإسلامية أو الرابطة الاسلامية ثم توالت المؤتمرات حتى كان المؤتمر العالمي الاسلامي في كراتشي (باكستان) فبراير ١٩٥١ علامة واضحة على الطريق

وقد جاء هذا بعد أن تبين مدى التبعية الواضحة في بناء الجامعة العربية التي قامت بعد تصريح وزير خارجية بريطانيا ١٩٤٤ والتي لم تستطع أن تحقق الهدف الذي كان يملأ نفوس العرب والمسلمين نحو الوحدة والترابط السياسي والاجتماعي وكان ذلك واحداً مخططات الاستعمار لما بعد الحرب العالمية الثانية ثم طرح في باريس (نوفمبر ١٩٤٨) مشروعا يرمى الى انشاء جامعة دول إسلامية على الأساس الذي نشأت عليه جامعة الدول العربية على أن تضم جميع الشعوب الاسلامية سواء أكانت مستقلة أم غير مستقلة

وقد أعلن أن الهدف الأول من إنشاء هـــذه الجامعة هو مواجهة الحركة الشيوعية .

وتصدرت باكستان الدعوة إلى الوحدة الاسلامية . وجرت تصريحات للرابطة الاسلامية بها (١٩٤٩) عن دعوة الدول الاسلامية إلى تشكيل هيئة سياسية عالمية كمقدمة لاقامة دولة إسلامية . وأشار مراسل رويتر إلى ما يسمى إقامة دولة قرآنية تحتضن الدول الإسلامية المستقلة .

ودعت باكستان إلى انشاء ما اسمته « اسلامستان » أى أدماج الدول الاسلامية تحت لواء واحد وصرح وزير خارجية تركيا (يوليو ١٩٤٩) الى أنه اذا كونت البلاد الاسلامية وحده دولية فان تركيا لاتتردد فى الانضمام لها وأن موقف تركيا تجاه الخطر الشيوعى هو الموقف الذى يحمل الدول الاسلامية إلى الترابط فى سبيل وحدة تتآزر فى سبيل التخلص من الخطر الشيوعى الذى يهدد الاسلام والمدنية الاسلامية والثقافة الاسلامية وجاءت برقيات من اندونيسيا أن هناك تفكيرا جديد لانشاء كتلة اسيوية تضم الهند والباكستان واندونيسيا وسيام وإيران وتركيا والبلاد العربية ومصر .

وقال رئيس وزراء إيران السابق : أن قيام كتلة إسلامية فى الوقت الحاضر يعود بالخير على الشعوب الاسلامية ويقوى مركزها الدولى .

وقال فارس الخورى أحد السياسين العرب : أنه استناداً إلى تجاربى خلال الاعوام الثلاثين الأخيرة أقرر أن جميع بلدان الكتلة الاسلامية أو الشرق لاتستطيع الصمود منفردة أمام أى عدوان شيوعى ومن ثم يتعين لها أن تمهد السبيل لتعاون وثيق فيما بينها وأن تنشىء جبهة متحدة وأعلنت كراتشى (باكستان) يناير ١٩٥١ برنامجا لتوحيد البلاد الإسلامية من اربع نقاط :

(١) استخدام اللغة العربية كاحدى اللغات الرسمية لجميع البلاد العربية .

(٢) إقامة كتلة اسلامية مستقلة فى هيئة الامم أو اقامة هيئة اسلامية منفصلة .

(٣) استخدام عمله مركزية منفصلة تتخذ وسيلة لتبادل العملة بين البلاد الاسلامية .

(٤) رفع القيود والحواجز على حركة النقل والانتقال بين البلدان الاسلامية كذلك فقد جرى البحث حول انشاء مجلس أعلى يضم رجال الهيئات الاسلامية فى اندونيسيا والباكستان بما يفتح الطريق الى انشاء هيئة اسلامية

موحدة وقالت برقيات كراتشى . أن العالم الاسلامى اذا اتحد أمكن أن يتحول الى قوة فعالة قد تجعله القوة الثالثة التى يسعى العالم اليها وستعمل الباكستان فى سبيل هذا الاتحاد .

وعلى أثر ذلك افتتح المؤتمر العالمى الاسلامى فى كراتشى (٩ فبراير ١٩٥١) الذى ضم ٢٦ دولة من انحاء العالم الاسلامى من فنلندا الى سنغافوره .

وأعلن المؤتمر أنه يهدف الى توثيق الروابط الروحية والثقافية والاقتصادية بين الشعوب الاسلامية على وجه البسيطة وتجدد فيه القول بأن الوحدة العربية ماهى الا جزء صغير من الرأى الاسلامى الأكبر وقد عرض اقتراح يؤدى الى وحدة عالمية كوسيلة لتحقيق هذه الغاية كما أعلن المؤتمر ان المسلمين فى جميع انحاء العالم يستطيعون المساهمة فى قضية السلم وتقدم البشرية على هدى من مبادىء الاسلام وتعاليه وأن المسلمين يؤمنون بمبادىء وقيم انسانية رفيعة ظلت على مدى العصور رائد محبى الانسانية .

وأعلن المؤتمر الدعوة الى انشاء كتلة اسلامية للمحافظة على السلام الدولى وأمن العالم . وصرح مصطفى السباعى أن أوربا تتحد والشيوعون يتكتلون فلماذا لايفعل المسلمون مثلهم . ان الكتلة الاسلامية يمكنها الوقوف بين الكتلتين اللتين تشطران العالم إلى شطرين للمحافظة على السلام .

ودعا أغا خان إلى التعاضد وأعلن أن هناك حاجة إلى قيام تماسك تام بين المسلمين .

على هذا النحو كانت صورة الأهداف فى هذه الفتره منذ ١٩٤٦ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى ١٩٥١ تقريبا .

(٢)

وكانت الصحف الاسلامية فى هذه الفترة تولى هذه القضية إهتماما شديداً وتتساءل صحيفة الاخوان المسلمين (مايو ١٩٤٨) فتقول :

[آن الأوان لقيام جامعة الدول الاسلامية]

حاولت أن تشير الى مراحل التاريخ الحديث حين سقطت البلاد العربية بعد الحرب الأولى فريسة الدعوات الاقليمية : الفرعونية والأشورية والفينيقية ، حين ارتفع صوت حركة اليقظة الاسلامية إلى الدعوة إلى التماس الاصالة بأن الاسلام هو دعوة الوحـــدة الحقيقية وأنه لا يعترف بهذه التقسيمات السياسية ولا يقف أمام الحدود الجغرافية بل يتخطاها ليوحد بين اتباعه ويجمع بين ابنائه فإذا بهم اخوه متحابون وبنيان مرصوص يشد بعضه بعضا والاسلام دين وجنسية فكل أرض مسلمة فهى للمسلم وطن وكل شـــبر أرض قد بقى يردد (لا اله الا الله . محمد رسول الله) هو قطعة من الوطن الاسلامى الأكبر وجزء عزيز من أرض الاسلام .

ثم كانت ظاهرة الترابط بين اجزاء من أرض الوطن العربى التى ولدت جامعة الدول العربية . وإذا كانت الجامعة العربية قد قامت على أساس اللغة والجوار فإن هذه المجموعة التى يبلغ مائة مليون إنما تربطها بالبلاد الاسلامية رابطة الأخوة الاسلامية والرسالة المحمدية .

فهذه « الكتلة الاسلامية » التى تمتد من مراكش عند المحيط الاطلنطى إلى الباكستان وأندونيسيا فى الشرق الأقصى لهـــا من التماسك والانسجام بل والاندماج ماليس لاية كتلة أخرى فى العالم وما بالك بكتلة تضم أكثر من ٥٠٠ مليون نسمة (الآن ألف مليون) يعبدون ربا واحداً ويتجهون خمس مرات فى كل يوم نحو قبلة واحدة ، ويؤمنون بقيادة وزعامة رجل واحد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحكمون فيما بينهم دستوراً واحداً وقانوناً واحـــداً هو القرآن الكريم. إن هذه الرقعـــة من الأرض التى تشمل ارض اندونيسيا والباكستان وافغانستان وإيران وتركيا والعراق وسوريا ولبنـــان وفلسطين والحجاز واليمن ومصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، هى الرقعة الكبرى والساحة العظمى ، هى كبد العالم وهى اخصب الأرض إنتاجا وأعدلها

هواء واوفرها خيرات وأكثرها خامات ومعادن وفيها مفاتيح البحار وفى أرضهاأهم الموقع الاستراتيجية واخطر المراكزالحربية وهى تكون خطامتصلا بل بناءاً متسقا وصفا موحداً لاثغرة منه ولا ثلمة بين اجزائه ، هذه الكتلة التى وحدت بين اجزائها الآلام والآمال بأى حق يغفلون عنها ويتجاهلون أثرها وحظها ، أنها دعوة عالمية وليست حياداً بين المعسكرات . تعتز بالاسلام وتؤمن به إيماناً جديداً فى قوته وروعته : ثم تقول لهؤلاء جميعا : لا شرقية ولا غربية ، لاشيوعية ولا رأسمالية ولكن اسلامية قرآنية .

وقالت صحيفة الاخوان المسلمين : لقد أصبح قيام جامعة الدول الاسلامية رغبه تنبعث من أعماق كل قطر عربى اسلامى وحاجه يشعر بها وترنو اليها أبصار كل عربى ومسلم وقد آن الأوان لتحقيقها والاسراع فى ابرازها الى عالم الوجود ولا منقـــذ للمسلمين وبلادهم بغير الاتحاد وقيـــام هذه الكتلة الاسلاميه » .

كانت حركة اليقظة الاسلامية قد أستطاعت أن تبلغ قريبا من هذه الغاية ، وقد حاول هكـذا خصوم الاسلام اشاعة السوء بهذه الدعوة والقـول بان نفوذ الاستعمار من وراءها ، بينما الحقيقة هى أن النفوذ الاستعمارى والصهيونى كان حريصا على ان يهدم هذه المحاولة ويدمر هذا الاتجاه ، ويعيد المسلمين والعرب إلى الاقليميات والقوميات الضيقة ليثير الصراع من جديد على نحو آخر بين البلاد الأسلامية وحتى لا يلتقى على الوحدة أو الاتحاد ولسنا فى حاجة الى معرفه الهدف من وراء ضرب هذه الوحدة النامية والقضاء عليها فقد كان المخطط الصهيونى مازال لم يكمل هدفه باقامة إسرائيل ودعمها . لقد ولدت اسرائيل بالتآمر الدولى على نحو لم يعرف له التاريخ مثيلا ، وكانت القوة الوحيدة التى تخشاها الصهيونية العالمية هى قوة حركة اليقظة التى حملت السلاح وحاربت فى فلسطين واستطاعت أن تواجه الصهيونية على نحو لم يألفه الاستعمار الغربى منذ ركز وجوده وأنشأ أنظمته السياسة والعسكرية

ولقد هزمت الجيوش العربية النبعة بالحيلة والتآمر ونقص المدة والكفاية ولأنها لم تكن معدة للعمل ، وبرز ذلك اللون الاسلامى المتجدد على الزمن المؤمن بالجهـــاد والموت فى سبيل الله فكان لابد من القضاء على هذه القوة وتدميرها حتى لا تكون شوكة فى جنب اسرائيل تحـول بينها وبين التوسع أو الاستقرار ولذلك كان الهدف هو القضاء على هذا التيار الاسلامى ، كلية وتحويل الاهتمام الاسلامى والعربى الموجه نحو اسرائيل باعتبارها أخطر المحاذير فى وجه الوحدة الاسلامية الى الداخل لمعالجة قضايا محلية واقليمية وبذلك ينقطع التحدى نحو أسرائيل والصيهونية ثم يفرض أسلوب لمعالجة هذه القضية على أنها قضية عربية قومية وليست قضية اسلامية وبذلك تتبدد الجهود فى طريق ضال سنوات طويلة تكون اسرائيل قد مكنت لنفسها وتلك هى غاية التغريب : معالجة التحديات علاجا جزئياً أو فاسداً حتى لاتتحقق الغـــاية وحتى ينصرف المسلمون عن الوجه الصحيحه المستمدة من اصالتهم ومصادرهم الحقيقية .

ومنذ ذلك الوقت تقهقرت فكرة الرابطة الاسلامية أو الكتلة الاسلامية حيث غلبت عليها الفكرة القومية والاقليمية فى اجزاء كثيرة من الوطن العربى وحملت مصر وسوريا لواء الفكرة القومية ممثلة فى محاولة اقامة وحدة عربية على أساس علمانى الاتجاه وغربى الفكرة استبعد كثيراً تلك الاصالة الاسلامية المتصلة بمفهوم العروبة . واتكأت كثيراً على مفاهيم غربيه حول القوميه والاشتراكية وغيرها مما عجل بهزيمة هذا التجمع الذى نشأ عليها وأثار روحا من الخلاف والخصومة استمر وقتا طويلا .

ولقد كان بروز فكرة القومية بمضمونها الغربى ، منطلقا لدعوات أخرى حيث انطلقت قوميات واقليميات متعددة فى البلاد العربية منها (الفينيقية) التى علا صوتها فى لبنان ، كذلك ارتفعت دعوات الاكراد وغيرهم .

ولقد كان لتظاهر التيارين المصرى الناصرى والسورى البعثى القائم على مفهوم علمانى وبقيادة لاتعترف بالاصالة الاسلامية أبعد الأثر فى خلو دستور مصر لأول مرة من مادة (الاسلام دين الدولة) .

وكان ذلك مؤشراً خطيراً فى الاتجاه نحو مفهوم البعث الذى قام فى أساسه على حرب الفكرة الاسلامية والقيام بدلا منها .

الفصل الثاني

القومية : البديل الزائف

بين الحربين الأولى الثانية : عمد النفوذ الأجنبى إلى فرض الاقليمات بديلا للوحدة الاسلامية وقبل أن تنتهى الحرب العالمية الثانية : أعلن قبوله وتأييده لقيام الجامعة العربيـــة التى احتضنت سقوط فلسطين فى أيدى الصهيونيه ليكون فى اجماع دول العرب السبعه بجيوشهم فى أرض فلسطين علامة على هذا التسليم . فلما انتهت الحرب وكانت حركة اليقظة قد قطعت مراحل طويلة فى سبيل قيام الوحدة الاسلامية حطم النفوذ الاجنبى هذا الاتجاه الاصيل الذى اتخذه المسلمون طريقهم الى أحتواء الصهيونية وسبيلهم الى مواجهة اسرائيل ، فقد فرضت أسلوبا من العمل تحت اسم القومية العربية بدأ فى أول أمره متصلا بالمفهوم الاسلامى الجامع ، الذى عرفه العرب بعـــد سقوط الدوله العثمانيه ولكن سرعان ماعلا صوت القوميـــة بمفهومها الوافد المفرغ من القيم الاصيلة .

لقد تعالت تلك الأصوات الداعية إلى القومية سواء فى نطاق حزب البعث أو عن طريق ساطع الحصرى أو دعوة سوريا الكبرى أو سوريا التامة مما حمل لواء ،أنطون سعادة فى نفس الوقت الذى دعا فيه اللبنانيون إلى الفينيقية المسيحية ،وكان هدف هذه الدعوات المتعارضه العالية النبرة تفريغ مفهوم العروبة الأصيل المرتبط بالاسلام من محتواه واحلال فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل عقيدته واستبدال رابطة أخرى برابطة لعزل الشعوب الاســـلامية بعضها عن بعض عزلا نهائيا بحيث تكون صـــلة بعضها ببعض كصلتها بأى شعب من الشعوب الأخرى التى تدين بالوثنيه والماركسية وغيرها .

وكان الهدف هو نسف الجسور التى تصل أجزاء الأمة الاسلامية، وتخلق بين العرب

وبين الترك والفرس صراعاً قاسيا يحول دون وحدة الفكر الاسلامى ، فضلا عن اشاعة روح الخصومة وخلق التناقض بين اجزاء الأمة العربية نفسها تحت عناوين وحدة الصف ووحدة الهدف .

كانت المحاوله هى خلق « القومية المجردة » واعطائها طابعا عقائديا واحلالها محل الاسلام بمحاولة إعطائها بعداً روحيا وجدانيا رومانسيا على النحو الذى حاوله ميشيل عفلق فى كتاباته الشاعرية ولا ريب أن محاولة فرض القومية القائمة على التفسير المادى للتاريخ ، والتى تجعل من الواقع الاقتصادى دعامة لها من شأنها أن تخلق الصراع الطبيعى الذى تدعو اليه الماركسية وتخلق العدائية للجبهة الاسلامية التى تربطها بالعرب عقيدة وكتاب وثقافة وتراث .

ويصدق فى هذا قول ولفرد كانتول سميث حيث يقول :

« إن القومية المجردة ليست هى القاعدة الملائمة للنهوض والبناء وما لم يكن المثل الأعلى إسلاميا على وجه من الوجوه فلن تثمر الجهود وتاريخ الشرق الادنى الحديث يدل على ذلك .

والواقع أن (القومية) ليست نظاما فكريا متكاملا ، ولكنها — كما يقول البرت حورانى — نقطة بداية فى تنظيم المجتمعات وان الشرق العربى قد وصل الآدنى إلى مرحل ما بعد القومية .

ولقد سارت البلاد العربية شوطا طويلا وراء فكرة القومية الوافدة ظنا منها أنه سبيل إلى النهضة والتقدم ، ثم تبين بعد التجربة المريرة فساد هذا المنطلق الذى لم يكن الا كسبا للصهيونية واسرائيل ، وتأخيراً لمرحلة من مراحل القوة وامتلاك الارادة .

ولقد كشف كتاب حركة اليقظة ومفكريها زيف هذا الاتجاه وخطره واظهروا فساد ماقامت به القوميات الغربية وما حاكته من نظريات تبرر به نضالها الدامى وكفاحها الدائم فى سبيل السيطرة على العالم حتى فشلت المنظمات العالمية فى

كبح جماحها وتحرر العالم من سيطرتها ، ذلك ان واضعو دساتير المنظمات العالمية هم أنفسهم قواد القوميات المتنازعة وطلاب السيطرة على العـــالم وذلك سر ما اصطبغت به القوميات الغربية من أنانية زجت بها طوال العصور الماضية فى حروب مدمرة وانتهت بها فى القرون الاخـــيرة إلى هذا التنافس الاستعمارى المستمر » .

أما الاسلام فانه ينزع من فكرة القومية : تلك الانانية الطاغية التى من شأنها أن تخلق منافسة مدمرة بين القوميات المتباينة حيث تجد كل أمة تريد أن تستأثر دون سائر الأمم بخيرات الأرض فالاسلام يصف المسلمين بانهم أولئك :

[الذين أن مكناهم فى الأرض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر] فطهر بذلك قلوب المسلمين من كل نزعة عدوانية ومن كل بغضاء طائفية فالمسلمون لايعتدون ما دامت الشعوب الأخرى لا تبدأهم بالعـــدوان .

كذلك كشف قادة اليقظة مفهوم القومية فى الاسلام وكيف أن تعاليم الاسلام الخلقية فى الاخاء الانسانى والمساواة بين البشر الذين خلقهم الله من نفس واحده تأبى عليه أن يتخذ من القومية المحلية تبريراً لعدوان قوم على قوم وتنفى عنه فكرة التمييز العنصرى واستغلال رقعه من الأرض لحساب رقعة أخرى هذه التعاليم تقضى بأن الله تبارك وتعـــالى قد استخلف الجنس البشرى كله هذه الأرض لعمارتها واستغلالها بلا تمييز قطرى بين قوم وقوم .

فالناس فى جميع الأقوام اخوة فى الانسانية بحكم استخلاف الله أياهم فى الارض ، وأن القوميات سبيل الى التعارف ومنطلق إلى الاتصال والالتقاء وليس إلى الصراع والخلاف .

ولقد أمكن بعد أن استعلت تلك المفاهيم الباطلة ودقت لها الطبول العالية أن يكشف زيفها وأن تكون واحدة من عوامل الهزيمة والنكسه حتى جاء الوقت الذى استطاع فيه واحد من قادة اليقظة هو الدكتور محمد البهى أن يعلن سقوط هذه

الدعوى المبطله فى مؤتمر علماء المسلمين بالجامع الأزهر حين قال . القومية التى يحاول بعض مدعى التفكير الاجتماعى من الأجانب من أمثال ساطع الحصرى وجورج حبش وميشيل عفلق ، أن يجعل كل منها بديلا عن الاسلام فى الترابط . أن هى الا وعاء لايحتوى الا الحقد على الاسلام بعد جهل بمبادئه ، وفى الوقت نفسه بعد وعى باثاره الايجابية فى تجميع الأمة وفى نهضتها بعد استقلالها السياسى .

أن القومية التى يعنيها ساطع الحصرى هى قومية الفاظ لغوية وقومية تاريخ لاتصور أحداث أمة كانت لها رساله وقيم عليا وعاشت من أجل هذه الرسالة والقيم وتريد أن تعيش لها فى اجيالها المستقبله .

فهى قومية جسم لاروح فيه . وقومية جورج حبش وميشل عفلق قومية الحاد بدين الله وقومية استيراد لفكر متعثر يقوم على الدعوى لتنمية الحقد فى النفوس ويضع الغدر والانانية فى ضروبها المختلفة أساساً للسلوك كما يضع الأفراد فى متاهة الخصومات ودوامة النزاع وسوء العلاقات .

هى قومية تحيل مجتمع القوم المطمئن الآمن على نفسه وعلى رزقه إلى مجتمع يكفر نعم الله فيقع فى اضطراب الجوع والخوف ويمحق عليه أمر الحياة وهذه سنة لا تتغير فى حياة المجتمعات .

[وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنه يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون] وهى قومية تدعو إلى الوثنيه المادية .

[واتخذوا من دون لله الهة يعلهم ينصرون]

ان الاسلام دين الله ورسوله خاتم الانبياء والرسل لايعرف :

(أولا) الفصل بين دولة ودولة : وانما يعرف الحياة الانسانية الفرد وفى علاقته بغيره .

(ثانيا) ولا يعرف قضية للعلم والدين ، وانما تعرف مؤمنا بالله يحكى صفاته .

(ثالثا) ولا يعرف حكومة الهية ولا رفعاً الانسان عن مستواه الانسانى وانما تعرف انسانا يصيب ويخطىء فى تقديره وفى رأيه وفى عمله .

(رابعا) ولا يعرف تفرقة بين الناس على أساس من العنصر أو العرق ، وإنما تعرف ان الناس جميعا سواء فى الاعتبار البشرى وفى المسئوليه أمام الله .

وهكذا نجد أن حركة اليقظة استطاعت ان تكشف زيف مفهوم القوميات الذى بدأ أول الأمر لامعا براقا ، والذى فهمه قادة حركة اليقظة على أنه حلقه من حلقات الوحدة الاسلامية وطريقا إلى التجمع فى سبيل مواجهة الاستعمار .

غير ان الاستعمارية والصهيونية كانت تهـــدف إلى أن تفرغ العروبة من روابطها الاسلامية لتجعلها قومية عدوانية .

(٢)

ولقد ذكرت حركة اليقظة ما قاله الدكتور زويمر زعيم التبشير فى العالم العربى قبل الحرب العالمية الأولى حين قال : (أول ما يجب عمـــله للقضاء على الاسلام هو ايجاد القوميات) .

ولقد تحدث قادة اليقظة عن الوطنيـــة الاسلامية والقومية الاسلامية فى مواجهة دعوة القوميات الوافدة : يقول الأمير شكيب إرسلان .

حملت اليهم أوربا الفكرة القومية المحدوده ، فبعثت افاعيها ينادون بذلك ووضع زويمر هذا المبدأ العام ان أول ما يجب عمله للقضاء على الاسلام هو إيجاد القوميات ، وجعلت الأمم المستعمرة هذا المبدأ نصب عينيها تحاول تطبيقه فنجحت أكبر نجاح بل كان من بين أبناء الأمة الاسلامية من نشروا هذه الأفكار وتقبلوا بها وعملوا على تثقيف شعوبهم تثقيفاً قوميا محدوداً ، وكانت الحرب الكبرى هى

الفصل الأخير فى تلك المأساة التى دكت كيان الاسلام دكا عنيفا ، وفى اعقاب الحرب نادى بعض المصريين فى ثورة ١٩١٩ بالوطنية المصرية الفرعونيـــة وهؤلاء لم يكونوا اسلاميين بل كانوا عبيدا للغرب فى كل شىء واصبحت الوطنية الاسلامية العامة تلاق أشد المقاومة من الأحزاب المصريه كافة ذلك أن دعوة زويمر لاقت رواجا كبيراً لدى كثير من المنافقين وفى هذا خروج على الاسلام ينبغى التخلى عنه مهما كلف الأمة الاسلامية من أثمان ، وفى ثنايا تلك الثورة المصرية كان التحويل الأعجب فى تركيا بدعوة القومية الطورانيـــة : عبادة « الذئب الاغبر » .

وهكذا نجحت فكرة زويمر فى تركيا ، أما شمال أفريقيا فقـــد نشأ فيها ما يعرف بالظهير البربرى وهى دعوة إلى الحياة البربرية الى كان يحياها أهل شمال أفريقيا قبل الاسلام » .

وكشفت ابحاث دعاة حركة اليقظة عن ان الدعوتين القومية : العربيـــة والتركية إنما كانتا من صنع المخططات الصهيونية ومن ثم فقد قامتا على أساس خلق التناقض بين الوحدة العربية والوحدة الاسلامية ، وأن أصحاب الدعوة القوميـة أكثرهم من غير المسلمين وأن بعضهم من أصحاب المذاهب الهدامه ، الذين يهدفون إلى أثارة الخصومة ضد الاسلامية باسم القومية .

وأن دعاة القومية قد تأثروا بالتعريفات التى سادت الحياة الأدبية فى تلك الحقبة والتى ابتكرت فى الأصل لتبرير الدعوات الاقليمية التى ظهـرت فى أوربا إذ ذاك على أيدى بعض الأمراء الاوربيين الذين حققوا وحدة بلادهم بقـــوة السيف . ومثال ذلك :

الوحدة الايطالية والوحدة الالمانية والوحدة الفرنسية .

وكانت الصهيونية التلموديه تعمل من خلال أهداف هذه الوحدات التى هدمت الوحدات الكبرى التى كانت قائمه على أساس الفكرة المسيحية الجامعة .

ولقد كان مقنن القومية العربية « ساطع الحصرى » هو ربيب ايدلوجية الدعوة الطورانية فى تركيا ودعاة تتريك العرب ومحو صفة العروبة وقد تبين أن كلا الدعويين القوميتين العربية والتركية إنما كانتا من صنع التواطئ الصهيونى والاستعمارى .

وأن دعاة القومية التركية كانوا من يهود (الدونما) الذى كانوا قادة المؤامرة الصهيونية ضد السلطان عبد الحميد والدولة العثمانية والخلافة الإسلامية لفتح الطريق اليهود إلى فلسطين .

أما الدعوة القومية فى بعض البلاد العربية فكانت من صنع الاستعمارين الفرنسى والبريطانى . وأن ظهور الدعوتين فى وقتين متقارنين ليس صدفه وانما هو من تدبير المتآمرين على الاسلام ، وقد تبين أن هذه هى الوسيلة الوحيدة لتفريق كلمة القوتين الاسلامين الرئيستين : العرب والترك .

وقد أدرك الحلفاء خلال الحرب العالميه الأولى حقيقة أرتباط الشعوب الإسلامية ببعضها البعض بغض النظر عن قوتها وعانوا كثيراً من المصاعب لاذكاء الثورة التى كانوا فى أشد الحاجة اليها لضرب السيطرة التركية . فقد أبى كثير من العرب التعاون مع الحلفاء غير المسلمين ضد تركيا المسلمة فكان السلاح هو النغمة القومية .

واقد ظلت الدعوة القومية بابعادها المشبوهة تدور فى نطاق ضيق لم يتعد سوريا ولبنان بشكل خاص ، أما فى مصر فكانت الدعوة إلى قومية مصرية تمتد جذورها من أصول فرعونية ، حيث كانت علاقة مصر بالشعوب العربية علاقة اسلامية الاساس والجوهر أكثر منها علاقة عربية .

واقد جد دور فى موقف التحدى القوى بعد الخمسينات حيث حمل إتباع المذاهب الماركسية،محاولات تخريب العلاقة بين العروبة والاسلام وذلك ما غلف الدعوة القومية بالأسلوب الماركسى وهى تنصب أساسا على محاربة جوهر العقيدة .

كذلك كشفت دراسات رجال اليقظة عن ما أطلق عليه « اسلام العروبة » من حيث أن الاسلام يمكنه أن يظل حيا دون العروبة ولكن العروبة وحدها بدون الاسلام تصبح عاجزة من إثبات وجودها .

ومعنى هذا أن الإسلام قوة دافعة للعروبة وليس خصما لها . بل هو سبب قوتها وتماسكها وبقائها وليس حربا عليها وأن أى محاولة للفصل بين الطرفين تسيء إلى العروبة أكثر مما تسيء إلى الاسلام ، وقد شرف الله أرض العروبة بجعلها مقرا لوحيه وخاتم رسله وقرآنه .

وقد كشفت تجربة حرب التحرير الجزائرية : فضل الاسلام على القومية فلأول مرة تدخل دولة عربية معركة الجهاد مع الاستعمار تحت اسم الاسلام . ولقد ضاعت اللغة العربية من الجزائر ولكن الاسلام استطاع أن يرد للأمة ذاتيتها وهويتها . حتى قال قائلهم : « لولا القرآن ما كانت هناك قوة فى الأرض تستطيع أن تحمى اللغة العربية فى الأرض الجزائرية بعد ان ظلت تتعرض لحرب منظمة حوالى اثنين وثلاثين ومائة سنة » .

ومعنى هذا أن العروبة قد امتزجت بالاسلام امتزاجا قويا جعل غير العرب ينظرون اليهما على انهما شيء واحد وأن مشروعات تبسيط اللغة العربية إنما كانت تستهدف القضاء على القرآن. وأن القرآن وقف سدا منيعا متعصيا على التحريف والتصحيف .

(٣)

كذلك كشف دعاة حركة اليقظة أن أخطر ما هنالك من محاولات ، هى محاولة دعاة القومية إلى إيجاد منهج اشبه بالدين يحل محل الاسلام ، وتلك دعوتهم إلى إيجاد نظام نظرى شامل يستوعب الحياة الإنسانية باكملها فلا يخرج عن دائرته قطاع ما من قطاعات الوجود البشرى ومحاولة صياغه عقيدة قومية كلية تضاهى فى كليتها وشمولها الاسلام وهى محاولة يراد بها وضع الفكر الاسلامى بين

القومية والشيوعية كان معدان الصراع قد اصبح حقا مباحالهما معا ، وأن صاحب الحق الأصيل قد أبعد تماما . وهو الإسلام الذى يحمل حقيقة المنهج الأصيل والذى يقاوم الشيوعية والذى تفجر القومية مهما ارتديت من براعـــة خادعة ، أن تحققة وهى تركيب مفتعل ليس من الفطرة الإنسانية .

واقد أشار الباحثون إلى أن العربى لن يستطيع أن يحرر نفسه ويجد ذاته الضائعة الا بعد أن ينطلق من تراثه الإسلامى متحرراً من نفوذ الروح الغربية وقيمها وطريقتها فى معالجة مشكلات الوجود الإنسانى وأنه من الخطأ والزيف أن توصف القومية بأنها عقيـــد كلية وذلك أن العرب والمسلمين لايعرفون عقيدة كلية وافية بمطامحهم غير الإسلام وأنه من المستحيل أن تقوم عقيدة قومية كلية تضاهى الإسلام فى شموله ووسطيته وتكامله وأن الطبقة القائدة لهذه الدعوة اليوم ماتزال امتداداً فكريا للغرب فالحلول التى تصنعها هى حلول غربية والقيم التى تدين بها قيم غربية والمناهج التى تتوسل بها مناهج غربية أيضا .

وقد أشار قادة اليقظة إلى أن الهدف الذى يرمى إليه النفوذ الأجنبى هو تقديم البديل للقضاء على الأصيل وأن القومية هى محاولة مضللة فى وجه الإتجاه الطبيعى القائم على وحده الفكر الإسلامى ووحدة الأمة الاسلامية مهما تعددت قومياتها وأن الغزو التغريبى يعمل دائما على أيجاد حركات مصطنعة ظاهرها الدعوة إلى النهضة وما هى فى حقيقتها الا العوبة ذكية دخيلة فى يد الاستعمار وهى تهدف إلى عدم اعطاء الأمة الإسلامية فكراً زائفا بدلا من الفكر الإسلامى خوفا من نهوض المسلمين ، لذلك قصر تفريغها نهائيا من كل فكر مبدى . والاكتفاء باعطائها أفكاراً فرعية متناقضة لاتتيح الا اضطراب الأمة واستمرار انحطاطها .

وقد رد الباحثون فكرة القومية العربية إلى ما قبل الحرب العالمية الاولى ، إلى نابليون الذى كان أول من نادى بها فى مصر فى محاولة لابعاد مصر والشام

عن الدولة العثمانية وإشعار العرب بانهم مختلفون عن الأتراك ، وجاء محمد على وإبراهيم حاملا نفس الشعار ، واستخدمت الدعوة بعد ذلك فى سبيل تقويض الخلافة تحت شعارات ماكرة وكان للمدارس التبشيرية أكبر الأثر فى ذلك .

وأن أول من دعا إلى رابطة الوطن العربى نجيب عازورى بالاشتراك مع يوجين يونج أحد العاملين فى ادارة الاستعمار الفرنسى ، وكان هدف عازورى أنشاء دولتان : دولة على غرار الفاتيكان عربية اسلامية مستقلة تقوم فى الحجاز زعامتها فى مكة ويلقب حاكمها بالخليفة وتباشر سلطات روحيه .

والأخرى غربية علمانية (تضم سورية ولبنان وفلسطين (أى الشام) وتسير على النظم الغربية وكان عازورى يرمى الى اطفاء رغبة العرب فى وجود الخلافة الاسلامية فابتدع لهم ذلك . وأتى بفكرة ثانية هى الدول العلمانية حتى لايخضع العناصر اليهودية والمسيحية للنظم الاسلامية فى الدولة العربية الحديثة ، وحتى لاتكون اغلبيه اسلامية ويتحول مسلمو الشام إلى مكة .

ويصور الأستاذ ادريس الكتانى هذا التحول الخطير فى مفهوم القومية على النحو الذى وصلت به القوى الاستعمارية والصهيونية لتفريغــه من محتواه الاسلامى فيقول :

أن علينا دراسة وتحليل تجربة مرة عاشها العرب منذ الحرب العالمية الاولى وتمثلت فى اتجاه كثير من الزعماء والاحزاب لدوافع وأسباب مختلفه لخلق أطار موحد للعمل يكون أساساً للنهضة العربية ويجمع شمل الامة العربية أصبح يسمى « القومية العربية » وقد قبل العرب هذا الاطار باعتبار أنه مجرد غطاء خارجى لمحتوى أساسى هو « الاسلام » ولكن هذا الاتجاه تطور فيما بعد ليجعل «الغطاء» يحل محل المحتوى ، وبدا الناس يبحثون عن فلسفة خاصة للقومية العربية وثورة نابعة من القومية العربية وهكذا اصبحنا نحن الذين ايدنا القومية العربية « الاطار » نراها ستتحول الى (المذهب) رغم ذلك أنها تتمتع بالتأييد لزمن أطول لوانها استطاعت أن تحقق أقل قدر من النجاح فاثبتت أصالة بنائها وأنها

قامت حقا على أرض صلبه لا على كثبان من الرمال ، مذهب القومية لم يستطع أن يخلق فى نفوس أصحابه شيئاً من هذا الايمان أو قليلا من التضحية .

هذه الوحدة العربية لم تتحقق حتى بين دعاتها وأنصارها الذين اتخذوها شعاراً لهم - هل حقق مذهب القومية العربية شيئاً من ذلك للعرب المؤمنين به ، أن تجربة هذا المذهب تكون قد استنفذت غرضها بعد أن أدى العرب ثمن فشلها غالياً ويتفتح الباب أمام الاسلام من جديد برجال جدد من العرب أنفسهم ويمضى العرب إلى تحقيق وحدتهم ، ولكن بأسم العقيدة التى وحدتهم أول مرة وباسم العقيدة سيواصلون معركتهم أول مرة وبأسم هذه العقيدة سيواصلون معركتهم على وجهين ضد التخلف بجميع صوره داخل الوطن الكبير ، وضد الاستعمار والصهيونية فى كل مكان فى الارض ، وعندئذ يكون عمر اليقظة الاسلامية قد انتهى ويبدأ فجر النهضة وتشرق شمس الاسلام من جديد على العالم .

ونحن نرى أن فكرة القومية بمفهوم العروبة حين بدأت وجدت من بعض رجال اليقظة قبولا على أنها حلقة من حلقات الوحدة الاسلامية أو طريقا إليها ، بل أن العروبة فى ظرف من الظروف كانت هى المنطلق الوحيد للفكرة الاسلامية ، والسبيل المفتوح إلى التعبير عنها ، وقد أشار إلى ذلك السيد محب الدين الخطيب وهو من دعاه الوحده العربية الاول : يقول أن مفهوم العروبة ومفهوم الاسلام لم يكونا منفصلين فى أول الأمر انفصالا شاملا ، كان مفهوم العروبة أنها وليدة الاسلام وربيبته فهى لاتنفك عنه ومفهوم الاسلام أنه قام فى طلائعه بالعرب ، ولذلك فان الحركة العربية التى قامت بعد سقوط الخلافة الاسلامية كوسيلة للتجمع لم تكن منفصلة عن أرضية الفكر الاسلامى وانما كانت منطلقا من منطلقاته واذا كان كل رعاة الفكر الاسلامى قد عملوا فى جانب العروبة فى هذه الفتره بعد الحرب العالمية الأولى فمعنى هذا أنها قد أصبحت هى القلعة التى اعتصم بها العاملو لمقاومة الاستعمار والنفوذ العربى وحركة التعزيب كمنطلق إلى الوحده الاسلامية .

ويقول : ولقد كان هذا مفهومنا عندما ايدنا القومية العربية ثم مالبثنا أن اعتصمنا بالوحده الاسلامية عندما تبينت لنا عملية تفريغ العروبة من محتو

الاسلامى . ويتردد على الآلسنة . سؤال . لماذا لايتحد العرب وهم فى محنة ، والاجابة على هذا السؤال : أن اللقاء فى افق العالم الاسلامى لايتم على مستوى العروق والاجناس وانما يتم على مستوى الفكر والعقيده والثقافة الجامعة فهى وحدها القادرة على اقامة الوحدة الصحيحة الثابتة الاركان ، ذلك أن الامة العربية لن تستطيع أن تقيم وحدتها خارج اطار الاسلام ولن تكون تلك الايدلوجيات قادره على تحقيق هدفهم ، ذلك لان أصحابها الذين وصفوها وطرحوها فى افق العالم الاسلامى هم أعلم الناس بأنها لاتوصل إلى غاية ما ، ولوكانت توصل ماطرحوها ، انهم ارادوا بها خلق البديل عندما وصل الاصيل إلى مرحله النضج والاكمال فى محاوله قاسية لاجهاضه وفى مؤامرة ضخمه واسعه لتدميرة .

واعتقد أننا نستطيع بعد أن نجيب على السؤال :

هل نجحت الفكرة القوميه الغربية فى احتواء مفهوم العروبه والاسلام والاجابة أنها لم تنجح لان الفكر الاسلامى كان قادراً دائما على التماس منابعه وعلى تصحيح مساره كلما انحرف .

أن اصدق الباحثين الغربيين يقول أن فكرة القوميه كانت عند امم الغرب على الدوام مقترنه بفكرة التنافس والصراع واحتكار الامم الآخرى. ويقول توينبى: أن الشيوعيه والقومية هما العدوين اللدودين ، أوهما شكلان مختلفان لموضوع فاسد الا وهو عبادة الانسان لنفسة .

الفصل الثالث

التجربة الغربية

إتخذت حركات الاستقلال فى البلاد العربية والإسلامية الاسلوب الغربى « الديمقراطى الليبرالى » منطلقالها فى بناء الأنظمة السياسية والاجتماعية فى ظل الاحتلال الغربى ودعمت هذا الاتجاه بعد الاستقلال وخاصة فى مجالات النظام السياسى الغربى والتعليم والقانون الوضعى وكان الاستعمار قد كون اجيالا من القادة على مفهوم الولاء للنفوذ الأجنبى فآمنت بأسلوب العيش الغربى منطلقا لبناء المجتمع الإسلامى الجديد ، ولذلك فقد اتخذ الحكام والقادة والسياسيون ورؤساء الاحزاب وجهة الفكر العربى وتجاهلوا مفاهيم الإسلام ومنهجه فى الإجتماع والسياسة والاقتصاد وأنكروا وتغاضوا عن مفهوم العقائد والإخلاق فى أسلوب الحياة والتعامل بين الحاكم والمحكوم وبين الناس فى المجتمع وكان أشد حرص القادة والحكام على أرضاء الأجنبى وتقبل اسلوبه فى التعامل باعتباره تحضرا والاغضاء عن الأسلوب الإسلامى : وإخلاقيات الإسلام باعتبارها علامة من علامات

التأخر والبداوه ، لقد جاء الأجنبى فوجد الطريق ممهدة إمامه ذلك أنه لم يجد الإسلام بكامل حيويته ولم يواجه القرآن بكل ابعاده بل وجد أمامه عقولا تعلى من شأن المفهوم الأجنبى وتكبر من شأن التقاليد الغربية المضادة للفطرة الاسلامية والطبائع العربية .

كان قادة الجولة الأولى من تلاميذ المدرسة الغربية التى ترى أن حل القضية الوطنية فى يد الغرب نفسه ولايتم إلا بالتفاهم معه ، وذلك بعد أن صفى الاستعمار تلك المدرسة الوطنية ذات الرصانة والاصالة التى كان تقيم أسلوب عملها الوطنى فى مواجهة الاستعمار وفق مفهوم إسلامى أصيل فقد رفض الاحتلال الغربى التعاون مع هذه المدرسة وأبعدها عن مكان الصدارة والنفوذ وأنشأ مدرسة أخرى ذات

ولاء أساسى له واعجاب به وأيمان بأنه لاطريق للوصـــول إلى الحرية والاستقلال الاعن طريق التمام مع الاحتلال نفسه ومن إتخاذ أسلوب الغرب فى الحكم والسياسة والاقتصاد والاجتماع .

ولم تكن الجولة الثانية لتصدر عن منبع مختلف فقد كان الغرب والاعجاب به هو منطلقها الأول ومثلها الأعلى وهى لم تكن تستهدف الاصالة كما ظن البعض لأول وهلة . ولكنها كانت تستهدف خلق طبقة جديدة بعد القضاء على الطبقة القديمة .

ولقد كانت نكبه ١٩٤٨ هى هزيمة لما اطلق عليه الفكر الليبرالى العربى وإعلان صارخ بخطأ هذا الاتجاه كما كانت نكسه ١٩٦٧ هى هزيمة لما أطلق عليه الفكر الماركسى أو التجربة الماركسية .

وهكذا يكون العالم الاسلامى والبلاد العربية قد وصلت إلى آخر الشوط فى التجربة مع النظامين الغربيين ، اللذين تولد ثانيهما من أولهما تحت ضغط ظروف الغرب نفسه ولم تكن لها الصلاحية للتطبيق فى عالم الاسلام ، واللذين واجها قدراً كثيراً من المقاومة وعجزا عن الاستجابة للنفس العربية الاسلامية .

لقد تابعنا مع التبعية الغربية ابان الاحتلال وبعده ذلك الأسلوب الغربى إلى غاية الشوط فلم تكن له من نتائج ايجـــابية بل كانت نتائجة خسائر متصلة وهزائم مستمره ذلك لأنه استطاع أن يحطم القيم الأساسية للشخصية الاسلامية ممثلة فى :

(١) تدميره للشريعة الاسلامية واحلال القانون الوضعى بديلا منها

(٢) تدميره للتعليم الاسلامى وفرض الاسلوب الغربى للتعليم .

(٣) إخراج المجتمع الاسلامى من قيمة المعنوية والروحية والاخلاقية وإذاعة روح السلبيات والاباحيات والتحلل فى جوانبه وكان أسوأ ماصدر إلينا إسقاط الالتزام الخلق .

ولقد واجهت حركة اليقظة الإسلامية هذا الانحراف الاجتماعى والسياسى الذى استشرى بعد الحرب العالمية الأولى ونددت به وانذرت بأنه سيكون مصدر خطر عظيم ، فأشارت إلى أن أوربا قدمت إلى مصر والشرق أســـوأ جوانب الحضارة مما يتصل بالغرائز والشهوات والالحاد والاباحيه رغبة فى القضاء على الكيان الروحى الشرقى الإسلامى وأنه مما زاد فى استفحال نزعة التغريب : تلك النظريات الباطلة التى قذفنا بها الغرب والتى سماها ظلما وعدوانا (المذاهب العلمية) وأن كانت فى مظاهرها علمية وعقلانية ومنطقية ، ولكن العيب فى تطبيقها وباسم هذه المذاهب حوربت الأديان وحورب الأنبياء وقدمت المطاعن والشكوك فى الكتب السماوية وأمجاد التاريخ الاسلامى وتبلبلت تبعا لذلك الاذهان بالشك والالحاد واذيعت إلى جانب ذلك مذاهب الغرائز والتحرر من الخلق والفضيلة والتقاليد .

وقد أشارت هذه الكتابات التى حملتها حركة اليقظة كيف أن قوات الاحتلال ظلت تقسو على الواطنين والاحرار حتى ابعدتهم عن ميدان العمل واسلمت هذه المقاليد إلى طوائف من المترعمين الذين قبلوا التفاهم مع المحتلين وجلسوا إلى موائدهم واسموهم الشرفاء والاصدقاء والحلفاء وكيف استطاعت قيادات ما بعد الحرب الاولى أن تنقل تفكير الشعوب من الوطنية الاسلامية إلى السياسية المداورة المتآمره .

وبدا أن الحزبية واحتراف السياسة هما أول عوامل الانحلال وأن خطرهما قد أمتد إلى كل شىء فلم يدع أديما صحيحا .

وكيف أن قوى المحتلين قد اسلمت الامور إلى طائفة من الزعماء الذين لم يكن لهم سابقة فى الوطنية أو الجهاد وكيف لم تغش الثورات الوطنية عن الواقع فقد إستطاع هؤلاء الزعماء أن يضعوا على نار هذه الثورات الماء وأن يخدروا الشعب وأن يعينوا الاستعمار على البقاء والسيطرة بالمغنم القليل وبالمنصب والدنيار وزخرف الحياة وترفها .

ثم كيف اختفت يد الاستعمار ظاهر [illegible] رك دمى المسرح من وراء ستار

وتسيطر بين الانصار والاذناب على قلب الوطن عسكريا وسياسيا واجتماعيا واقتصادياً . وكيف نشأت الحزبية فى أن تؤدى شيئا فى أن تحقق أمراً لهـــذه الأوطان .

وقد كشف قادة اليقظة عن حقيقة العلاقة بين عالم الاسلام والغرب وكيف ان خصومة الغرب له هى خصومة لارضه ولدينه وحريته وامجاده وأن للغرب فى سبيل ذلك محاولات فهو الذى حاصر الاسلام فجعله مقصوراً فى المساجد والمقابر وهو الذى حاول التشكيك فى الألوهية ورسالات السماء وهو الذى حرف نصوص التاريخ وأصول النظام الاسلامى وفصل بين الدين والدولة واعتبر علماء الدين كهنة تقتصر مهمتهم على التبرك والدعوات والصلوات ، وهو الذى نادى بالعلمانية وهو الذى اذاع الفاحشة فى الشرق فى الملبس والمرقص والخمر ليقتل بها كيان الأسرة ويمزق بها البيت ، حصن الوطنية الحصين ، وهو الذى صنع الحزبية ودعمها ليقتل بها وحدة الأمـــة ويفرق جمعها وينقلها من الجهاد إلى الرخاوة فلا يستقيم لها أمر ولا تتجمع على غاية وهو الذى فصل الدين عن الدولة وفصل الوطنية عن السياسة وهو الذى أشاع الترف وأسباب المتاع التافة ففتك بالثروات ورهن الاملاك واستولى على الأموال والأطيان ونقلها من أيدى أصحابها المسلمين إلى أيدى اليهود والخواجات .

وكذلك كشف دعاة اليقظة عن أن المستعمرين هم الذين وعدوا العرب وعاهدوا الشريف حسين واخلفوا وتنكروا وغدروا ، وعاهدوا مصر ونقضوا عهدهم ، وهم الذين فصلوا السودان عن مصر وفرقوا الشام إلى اربع دويلات واعطوا وعد بلفور لليهود وذبحوا المسلمين فى المغرب واعلنوا الظهير البربرى فى المغرب وفعلوا بعمر المختار الافاعيل فى ليبيا وأثاروا المذابح بين العرب واليهود فى فلسطين وبين المسلمين والهندوس ، واعانوا الهولنديين على الأندونسيين وهم الذين استذلوا الاحرار وسجنوا المخلصين ونفوا الأبطال وشردوا المجاهدين .

(٣)

ولقد اعلنت حركة اليقظة أن السر فى تأخر المسلمين هو ابتعادهم عن دينهم وأن أساس الإصلاح هو العودة إلى تعـــاليم الاسلام واحكامه وأن المسلمون جميعاً أمة واحدة تربطها العقيدة الإسلامية وان واجب المسلم احياء مجد الاسلام بانهاض شعوبه وإعادة تشريعه وان مهمة كل مسلم تربية العالم على قواعد الاسلام وأن القرآن كتاب الله والاسلام قانون شامل لنظام الدنيا والآخرة .

كما دعت حركة اليقظة كل أمـــة تريد النهوض أن تعرف إعـــدائهم لتحذرهم وأن تهتدى إلى احبائها لتستخلصهم وأن تضع المنهج الحازم الحكيم للنهضة لتسير عليه فلا يلتوى بهـــا الطريق وأن الأمة التى لا تضع منهج نهضة تتخبط فى سيرها فلا تتقدم خطوة واحدة وأن عناية الزعماء فى الشرق يجب أن تتوجه إلى : العلم والإقتصاد والحقوق السياسية . أما العادات وأما العقـــائد والاديان وأما الآداب فهـــذه لاسبيل إلى تعلمها من أمـــة أخـــرى وأن الأوامر والمراسيم والنظم والقوانين والقهر والجـــبروت فكل ذلك لايفيد الاهياج الخواطر وثوران النفوس ولايغنى عن الاصلاح الحقيقى شيئاً . ثم تدرس هذه النظم القاهرة أمام جبروت الشعب وسلطان الزمن ، وأنه يجب أن نفرق بين مايؤخذ ومايترك . فليست مظاهر الحياة الاوربية صالحة كلها ملائمة لمزاج الشرق ، فلتكن القاعدة فى الاختيار : المنفعة وصالح المجموع لا الهوى والشهوة . ويجب أن نجعل لتاريخنا وحضارتنا وماضينا نصيباً من التقـــدير والاجلال فلا نفنى فى غيرنا من الامم ولا ننكر فضلا سجله التاريخ لاسلافنا ولهج الزمان بذكره وعرفته لهم الامم جميعاً . وكان من دعائم المدنيـــة الحالية وأن نلاحظ نفسيات الشعوب والأمم وضرورة التدرج فى ادخال ما يجب ان ندخله من النظم والاصلاحات وأن نلاحظ أن المدنيات لاتؤخذ من نهاياتها وإنما تنقل من أصولها ومبادئها . وأن تستند النهضه إلى الاســـلام فى نظمه وروحه

(٤)

كذلك اعلنت حركة اليقظة رغبة هذه الأمة فى أن يترك لها الحرية فى داخل بلادها فى إقامة الحكم فيها على قواعد صالحة من دينها وفضائلها واخلاقها وأن يرتكز الاصلاح الاجتماعى فيها على هذه الدعائم الروحية التى ورثتها من إديانها وفلسفاتها وروحانياتها .

يقول أحد قادة اليقظه : من حقنا الحرية : الحرية الكاملة فى ديارنا واقطارنا ومن حقنا الوحدة فنحن فى عرف التاريخ وفى تقييم الكرة الأرضية وفى جغرافية الزمن وفى منطق الحوادث الاجتماعية والمظاهرة الحيوية أمة واحدة ، وحدتها الأوضاع والحوادث واللغه والعقائد والدين والمصالح والالام والآمل فلن يفصلها شىء ، وحقنا الثالث الاسلام فهو أرقى نظام عرفته الدنيا .

فقد أخذ خير مافى الديمقراطية من حرية وشورى واعتداد بالفرد واعلاء لقيمه كما أخذ خير مافى الاشتراكية من تقريب بين الطبقات ومساواة بين الناس وتقرير لسلطة الدولة على المصالح العامة وصاغ ذلك كله صياغة حكيمه ووصل به إلى أعماق القلوب فقرره فى النفوس شعورا ووجدانا وعقيدة وايمانا كما وصل به إلى حياة الناس العملية فجعله عبادة لله ومحبة للخلق ومظاهر للحياة اليومية تثبت هذه المعانى العالية فى النفوس وتقضى على ما يخالفها من الشبهات والاهام والشكوك . وليس وراء ذلك مطمح للمصلحين . ومن هنا بنى الاسلام الأمة النموذجية التى إستحقت أو توصف بانها « خير أمة اخرجت للناس » . ذلك هو ديننا الذى آمنا به نظاما اجتماعيا لحياتنا وصله بيننا وبين الله تارة وبين الدنيا تارة أخرى . ولهذا الدين شعائره العملية ورأية الواضح فى كل الشئون الحيوية : فى الحكم وفى القضاء وفى التعليم وفى البيوت والشوارع وفى الفنون وفى الحياة كلها .

ونحن نريد أن نعيش كما يأمر هذا الدين . .

« لقد جاء الاسلام الحنيف يقرر للدنيا عدل المبادىء وأقوم الشرائع الربانيه ويسمو بالنفس الانسانية ويقدس الاخوة العالمية ويضع عقيدة الخلود والجزاء دافعا إلى الأعمال الصالحة ومانعاً من الفساد فى الأرض ويرسم الطريق العملى لذلك كله فى حياة الناس اليومية ثم فى أوضاعهم المدنية ويحى على ذلك القلوب ويجمع عليه الأمه ويقيم على أساسه الدولة ويوجب الدعوة إليه فى الناس كلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » .

(٥)

وهكذا استطاعت حركة اليقظه أن تكشف زيف النظام الغربى وفساده وأن تظهر عيوبه ونواقصه وعدم ملائمته للفطرة الاسلامية والقيم القرانيـــة ، وكيف أنه ان يؤدى إلى قيام الأمة الإسلامية التى حاول الاستعمار القضاء عليها بالسيطرة على نظامها السياسى والاقتصادى وأزاح شريعتها الاسلامية وأقام بديلا منها القانون الوضعى .

ولذلك فقد تعالت صيحة اليقظه لمواجهة الحكومات والأحزاب بالمطالبة بالعمل بالشريعه الاسلامية .

فقد توالت الرسائل والمذكرات إلى الحاكمين بتعديل نظام التعليم وأقامته على منهج الاسلام وتطبيق الشريعة الاسلامية : بل أن حركة اليقظه أنذرت بخطر هذا التحول الخطير نحو الأسلوب الغربى فى القضاء والقانون فقال أحد القادة الأبرار فى رسالة موجهة إلى وزير الحقانيه :

« إن صدور الأمة حرجة أشد الحرج لشعورها بأنها تحكم بغير كتاب الله وقانونه وشريعته وأن الشعوب تعودت ان الصبر حيناً فان الانفجار نتيجه طبيعيه»

لهذا الصبر فى كثير من الأحيان وليس يحرج النفس شىء أكثر من الاصطدام بالعقيدة الراسخة الثابته ، وأن قوانيننا الحالية تنافى الاسلام وتصدمه وتحطمه فى نفوس المؤمنين به وهم كل هذا الشعب وقد تفتحت أذهان الأمة وأدركت بعد ما بينها وبين دينها فى هذه الناحية فشعرت بالحرج الشديد أن بقيت الحال على ما هى عليه فلا تلجئـــوا الناس إلى عصيان القوانين واحتقار الشرائع والتبرم بالقضاة والأحكام .

ثم إشارت حركة اليقظة إلى أن القرآن قد بين كثيراً من الأحكام فى كثير من الشئون الحديثة والجنائية والدولية والتجارية وأكدت الأحاديث الصحيحة كل ذلك وايدته وأن هذه الشريعة ماأنزلها الله وقدرها إلا ليعمل بها المسلمون وينهبوا إلى حكمه فيها ويستمدون منها ويطبقونها .

، فإذا كانت قوانيننا وشرائعنا والدستور نفسه مستمدة من معين غير هذا المعين مستقاه من مصادر أوربية بحته : بلجيكية وفرنسية ورومانيه ، وهى فى كثير من كلياتها . وجزئياتها تتناقض تناقضا صارخا مع التعاليم الاسلامية الصريحة فكيف يكون موقف المسلم الذى يؤمن بالله وكتاب الله فيما إذا عرضت له قضيه حكم فيها بغير ما أنزال الله ، وكان الحكم مناقضاً لدين الله وكيف يستحيل القاضى هذه المخالفة وكيف يستسيغها .

وكيف يتحمل تبعتها شيخ القضاه ووزير العدل والتشريع بين يدى أحكم الحاكمين . أن التبعة كبيرة ، ولئن كان هذا الحساب شديداً فإن حساب الله أشد ولاننسى فى هذا الشأن أن الشريعة الاسلامية من اخصب منابع التشريع وأزكاها وأدقها وأسلمها ولم ننس ما جاءت به تقارير مؤتمر لاهاى فى الاشادة بالشريعة الاسلامية وامتداح نظرياتها القانونية وفنها بالبحوث القيمة وكمايتها فى التشريع العام والبحث العلمى اعدل شاهد على صحة النظريات وقال هؤلاء وما قالوا إلا بعد دراسات طويلة وبحوث عميقة خلدوا وبعضها بكتاباتهم وبقى بعضها مستقرا فى نفوسهم إلى الوقت المناسب ومن الوجهة العملية فقد عاشرتنا هذه القوانين خمسين عاماً ونيفا فما افادت منها الأمة إلا كثرة الجرائم وتزايدها عاماً بعد عام

ويوماً بعد يوم وانتشار الموبقات وارتكاب الجنايات وذلك لأنها لا تتفق مع طبيعتنا ولا تصلح فى بيئتنا ولا تجدى فى علاج ادوائنا ولا دليل أصدق من الواقع المشاهد ، وذلك فى الوقت الذى نرى فيه البلاد الاسلامية التى أخذت بتشريع الاسلام قد إستتب فيها الأمن وتوطدت السلطة وعمت السكينة وساد احترام القانون واطمأن الناس على الدماء والأموال والاعراض .

كذلك فندت حركة اليقظة تلك الشبهات التى أحاطت بالشريعة الاسلامية مما يوردة خصوم النظام الاسلامى . وخاصة ما يتعلق بمعاملة الذميين وقضية الربا .

(٦)

وحاولت حركة اليقظة أن تكشف عن الفوارق الدقيقة بين النظام الديمقراطى وبين النظام الاسلامى . . إذا كان المراد بالنظام الديمقراطى هو ذلك النظام الذى يدافع عن القواعد الاساسية للمجتمع وهى الدين والأسرة وحرية التعاقد وحقوق الأفراد على أن تكون القوانين متجهة إلى مساعدة الضعفاء والنهوض بهم وللحكومة أن تتدخل فى الشئون العامة بالدرجة التى تساعدها على الوصول إلى الاصلاحات الاجتماعية اللازمة وإذا كان المراد بالحكومة الديمقراطية أن يكون للشعب فيها نصيب من الحكم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على أساس أن لكل فرد شريف بالغ من الحقوق ما لأى فرد آخر فى الاشتراك فى شئون بلادة العام إذا كان المراد بالنظام الديمقراطى . هذه المعانى فاننا نرحب بالديمقراطية على أنها بعض ماجاء به الاسلام الحنيف فقد جاء الاسلام الحنيف ليقيم المجتمعات الاسلامية على أصلح القواعد وأقربها إلى السعادة والطمانينة والسلام وجاء يدافع عن العقيدة الحقة ، وعن الاسرة الصالحة ويضع لها أحكم النظم و أكفلها للمودة والرحمة وجميل المعاش ويضمن حرية التعاقد . وحقوق الافراد الشخصية وحقوقهم فى الملك والرأى والتعليم والعمل وخص الفقراء والضعفاء من الناس بعناية لم تتوفر فى أى نظام آخر ، وفى القرآن

الكريم وهو أساس النظام الاسلامى إيات لاحصر لها فى العناية بالضعفاء والفقراء ووجوب العمل على رفع مستواهم وتحسين أحوالهم والعناية بهم والتقريب بينهم وبين غيرهم حتى تسود العدالة الاجتماعية كل أفراد الامة ، كما أن الحكومة فى الاسلام راعية فهى مسئولة عن الشئون العامة والخاصة ولها أن . تتدخل كلما كان تدخلها هذا أجدى على المجتمع وانفع للناس وقد قرر الاسلام مبدا الشورى والتعليم والنصيحة وأشرك بذلك الأمة فى حكم نفسها .

وزاد الحكم على هذه المعانى بأن أشعر الحاكم بعظم التبعة حتى كان الخلفاء الراشدون يكادون يذوبون أشفاقا من هول ما حملوا وأشعر المحكومين فضل الطاعة بما جعل الأمة تستنصر بدعاء أمرائها ، وتتقرب إلى الله تبارك وتعـــالى بمحبتهم وجميل طاعتهم وأقام على ذلك حارسا من الضمائر الحية التى تخاف الله وتذكر اليوم الآخر ، فلم تكن لديمقراطية الإسلام الفاظا جوفاء ولانظما جامدة تتحكم فيها الظروف والأهواء وليس بعد ذلك مطمع لطامع.

وهكذا كشفت حركة اليقظة للاجيال حقيقة الموقف :

(أن العالم الان تتجاذبه شيوعية روسيا من جانب وديمقراطية أمريكا من جانب آخر وهو بينهما مذبذب حائر ولن يصل عن طريق أحداهما إلى ما يريد من إستقرار وسلام ، وفى أيديكم أنتم قارورة الدواء من وحى السماء فــــن الواجب إعلان هــــذه الحقيقة فى وضـــوح ، وأن ندعو إلى منهاجنا الاسلامى فى قوة وأن واجبنا فى القضاء على الاستعمار الغربى واليهودية العالمية) .

كانت دعوة اليقظة إلى الوحدة الاسلامية وإلى تطبيق الشريعة الاسلامية

فى المجتمع العربى وإعلان الجهاد فى مواجهة الصهيونية وكشف زيف الاستعمار وفساد النظام الديمقراطى الليبرالى هو الذى عجل بالقضاء عليها فقد تألبت عليها القوى الاستعمارية والصهيونية وقوى الاحزاب التى كانت ترى نمو هذه الفكرة خطراً على وجودها ، ولذلك فقد عجلت هذه القوى بضرب حركة اليقظة بعد الهزيمة فى فلسطين سنة ١٩٤٨ وكان ذلك أيه على سقوط النظا كله وانهياره .

الفصل الرابع

التجربة الماركسية

حاول الاستعمار إحلال مخطط جديد فى العالم الإسلامى بعد الاحتلال يمكن له من السيطرة ولذلك فقد استوعب المخطط مختلف أساليب الغزو والاحتواء والسيطرة فى جميع ميادين السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية فى بلاد المسلمين على نحو يفصل الأمة عن نظامها الإسلامى وتراثها وعقيدتها وماضيها ، وكان الاحتلال غربياً قامت به دول أوربا (فرنسا وانجلترا وإيطاليا وأسبانيا وهولندا) .

ولما قامت الثورة الشيوعية ١٩١٧ بدأت محاولات من جانب بعض المسلمين والعرب للاستعانة بالبولشفيك لمواجهة الاحتلال الغربى دون تقدير من العرب والمسلمين للمخططات المشتركة بين الديمقراطية الغربية والماركسية الشيوعية : هذه المخططات التى لم تستكشف إلا بعد وقت طويل .

واستطاع الغرب الاستعمارى زرع إسرائيل فى قلب الوطن العربى والبلاد الإسلامية بتأييد من النظامين معاوفى الحرب العالمية الثانية اتفق الغرب الرأسمالى الديمقراطى مع الشرق الشيوعى الماركسى على مواجهة النازية الألمانية ومن ثم بدأت تتسرب إلى البلاد العربية الإسلامية خلايا الشيوعية التى حاولت خداع الشعوب بدعوى مقاومتها للفقر ومؤازرتها للمسلمين والعرب فى معارضة الإحتلال الغربى والتخلص منه .

ثم فتح الباب أمام النفوذ الشيوعى ليكون مدخلا للتخلص من سيطرة الإقطاع والسيطرة الاقتصادية والفردية ثم للدعم العسكرى وجرت محاولات للاستفادة من الأنظمة الماركسية والاشتراكية فى مجال الاقتصاد

وتحولت اقتصاديات بعض البلاد العربيـــة من النظام الرأسمالى الغربى إلى النظام الاشتراكى الماركسى غير أن النفوذ الشيوعى حاول السيطرة على أنظمة الحكم العربية والإسلامية والتأثير فيها وفرض خطط وشروط وأفراد على نحو يوحى بالمؤامرة ، ويومىء بالرغبة فى الانقضاض على استقلال البـــلاد التى حاولت الاستفادة به .

ولقـــد كانت التجربة مريرة ثم كانت عاملا هاماً من عوامل النكسة عام ١٩٦٧ .

وبذلك مر العالم الإسلامى بالتجربتين : التجربة الغربيه التى أدت إلى نكسة ١٩٤٨ والتجربة الماركسية التى أدت إلى هزيمة ١٩٦٧ .

(٢)

لقد فتحت الاشتراكية الماركسية الطريق إلى هدم القيم الاجتماعية والأخلاقية فقد أعلت من شأن المادة وأثارت الصراع حول لقمة العيش والتنافس على المطامع والرغبات والشهوات وكسرت كل القيود والضوابط رغبا فى تحقيقها من أى طريق وبأى وسيلة ، وصعدت عمليه التنافس بين الناس فى سبيل العيش والمال وأثارت روح الترف والدعة فأحلت فى المجتمع روح التحلل والصراع وأعلت من شأن الأهواء وظهرت بوادر فى الشباب تسأل أين الله وتطالب بالتجربة قبل الزواج وتعلى من شأن التطلع إلى الحرية والانطلاق بعد قيود وأثر ذلك فى أمور الملابس والأزياء مما خفف من عوامل الوضوح بين الجنسين .

لقد كان المجتمع فى الجولة الأولى — بتأثير النظام الغربى — قد دخل مرحلة من مراحل التحلل والضعف والفساد الاجتماعى . ولقد كانت حركة اليقظة عاملا هاما فى تنبيه المجتمع للعودة إلى الأسلوب الربانى غير أن موجة الماركسيه التى تفشت فإنها قد كسرت كثيراً من القيود ودفعت إلى كثير من الاضطراب

خاصة عندما أثيرت الشبهات حول الدعاة إلى الإسلام فاجتاح الخوف كثيراً من القلوب فانقطعت رسالة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر خـــوف الوقوع فى المحظور حيث كان الشيوعيون يستطيعون اتهام أى داعية إلى الله بأنه من أعداء المجتمع .

(٣)

فى ظل التحول الذى وقع فى العالم الإسلامى من الأنظمة الغربية إلى الأنظمة الماركسية بقى جوهر التخطيط الداخلى غريباً ، لم يتغير إلى المطابقة مع طبيعة الأمة أو جوهر فكرها الأصيل سواء فى ميــدان السياسة أو الاقتصاد أو الإجتماع أو التربية . كانت التجربة الغربية قائمة بكل أخطاءها وأخطارها ، ثم جاء التحول إلى الأنظمة الاشتركية أو الماركسية التى دعمت الأخطاء الأولى ولم تستطع تحرير المجتمع منها .

لقد تبين فساد النظام الغربى الليبرالى بعد تطبيقه منذ بدأ الاحتلال الغربى فلما أوشكت البلاد الإسلامية أن تتحرر من النفوذ الغربى وقعت تحت سطوة النظام الماركسى ، الذى سرعان ما أثبت فشله وفساده . وفى ظل هذا التحول ازداد الاتجاه إلى جانب للاسلام نظامه وثقافته، كذلك كانت الدعوة إلى القومية مخاصمة صريحة لفكرة العروبة الإسلامية بعد أن كانت من نتاجها وتبين أن الغرض هو فرض مفهوم قومى مفرغ من إسلاميته ومن محتواه الأصيل .

ولقد استطاع الاستعمار بعد الاحتلال خلق التناقض بين المصرية العربية وبين الإسلام وأدخل الاستعمار فكرة الجامعة العربية والخلافة العربية فى مواجهة الجامعة الإسلامية والخلافة الإسلاميـــة ثم جاءت الأفكار الماركسية لتضع هذه القضايا فى زاويه مهجورة ليقوم بدلا منها « الصراع الطبقى » التى حاولت الماركسية ان توجه نارة فى أفق قائم على الترابط والرحمة والاخاء .

وقد استطاعت حركة اليقظة أن تواجه تلك الأخطار التى غزت المجتمع الإسلامى نتيجة تسرب الفكر الماركسى إليها وتغلغله فى حنايا العلاقات الاجتماعية وتأثيره على مجريات الأمور ، وأن تكشف زيف هذا الفكر وأخطاره .

(٤)

كان أكبر مواقف الدفاع الذى قادته حركة اليقظة الإسلامية أزاء الشيوعية ينطلق من التجربة المريرة التى مرت بها المجتمعات الشيوعية ذاتها وفشلها فى أن تحقق شيئاً يمكن أن يغرى الآخرين بخداع ما أسموه الجنة الموعودة وكذلك فإن الإسلام لا يمكن أن يوضع فى مجال المقارنة مع الشيوعية أو الرأسمالية ، فالإسلام يختلف عن أى نظام آخر ، فقد سبق القرآن هذين النظامين فهو ليس واحداً منهما وهو غير قابل للتجزئة بأن يؤخذ منه ما يسمى ديمقراطية الإسلام أو اشتراكية الإسلام فالاسلام نظام قائم بنفسه مستقل بذاته .

وتقول حركة اليقظة إن الرأسمالية تضع الفرد فى بؤرة اهتمامها وتضع الاشتراكية المجتمع فى بؤرة الاهتمام والاقتصاد حر فى النظام الرأسمالى وهو موجه النظام الاشتراكى ، والحكم فى النظام الرأسمالى ديمقراطى الوجهه وإن حكمت المؤسسات ورءوس الأموال ، بينما الحكم فى النظم الاشتراكية يقوم على دكتاتورية الطبقة العاملة . وعلى حين يضحى النظام الرأسمالى بالعدالة الاجتماعية من أجل الفرد فإن النظام الاشتراكية تضحى بالفرد من أجل عظمة الدولة وهكذا يتنازل كل نظام من النظامين عن شىء فى مقابل شىء آخر ، أما الإسلام فهو دين متكامل لا يضحى بالفرد من أجل الجماعة ولا الجماعة من أجل الفرد ، وهو دين إلهى ونظام وضعه خالق الإنسان ويقوم على التوازن الذى تصلح به حياة الإنسان وميزته الأساسية أنه يربط الفرد بالله ويجعل "ولاء لله تعالى" يسبق ولاء الإنسان لنفسه أو أهله أو ماله : ويجعل الصله بالله والرسول والجهاد فى سبيله هى معيار التقوى فهو نظام يربط الفرد بالله ، ويتلقى منه

التشريع والحكم والقواعد العامة فى السلوك ويتدخل فى كل شىء، حتى أنه ينظم العبادة وينظم علاقة الأسرة والمواريث والوصية كما يضع القواعد العامة للحكم ويقوم الحكم فى الإسلام على الشورى، كما يقوم الاقتصاد فى الأساس على ان المال مال الله والمسلمون خلفاء فيه مسئولون عن الامانة التى وكلت إليهم وعلى ضوء هذا يقر الإسلام الملكية الفردية ومظهرها التصرف والانتفاع، فى ضـــوء الصلاحية للتصرف فاذا حدث خلل أو سفه كان للجماعة استرداد هذا الحق.

وحين يقرر الإسلام مبدأ ملكية المال فانه يرفضه حبسه فى أيدى طائفة خاصة من الناس يتداول بينهم ولا يجده الآخرون ويرفض الإســلام جريمة الكنز ويقوم الاقتصاد الإسلامى على أساس البيع وليس على أساس الربا وليس معنى هذا ان الإسلام مع الرأسمالية أو مع الاشتراكية أو ضدهما وإنما الاسلام نظام مستقبل له خلفيته الفكرية التى تصل الانسان بالله وله أسلوبه فى الحكم والسياسة والاقتصاد وله طابعة المميز الذى قد يتشابه مع بعض المـــذاهب أو يختلف.

(٥)

وأشارت حركة اليقظة إلى أخطر تزييف تقوم به الشيوعية وهو التخفى تحت أسماء كثيرة منها الاشتراكية. أو دعواهم بأن المسلم يستطيع أن يجمع بين الإسلام والشيوعية.

فالشيوعية لاتعترف بوجود الله، بينما يعترف الإسلام بوجود الله تبارك وتعالى وكتبه ورسله وانكار وجود الله فى الشيوعية ليس أمراً سطحيا ولكنه جذر أساسى فى الفكر الشيوعى والنظرية الماركسية لايمكن تحريفه أو الغاؤه وانكار وجود الإله والاديان جزء من النظام الماركسى. ولاريب أن هذا الاختلاف فى الأصول يؤدى إلى اختلاف واسع فى جميع مفاهيم الاجتماع والسياسة والأخلاق والدين والاقتصاد، ولاوجه للمقارنة بين الإسلام كدين

والشيوعية كمذهب فالدين عقيدة وشريعة ونظام أما المذهب فهو ما يستخلصه العقل الإنساني من التجربة : وقد قام الإسلام كنظام كامل يغني المسلم بل الإنسان عن كل التجارب والمذاهب حيث يشتمل على قوانين العلاقات بين العامل وصاحب العمل والزراع ومالك الأرض .

وكذلك كشفت اليقظة عن استحالة الالتقاء بين الإسلام والماركسية .

ذلك أن منطلق الماركسية الفكرى ، هو المادية الجدلية ، أنها المادية التي وضعتها الماركسية بدلا عن الروح وأن ما تقرره الماركسية في شأن المادة ليس بدعاً جديدة بل هي ردة إلى اتجاهات المادية القديمة إلى نشأت مع بداية الفكر البشرى حيث ترى المادية أن العالم لم يخلقه إله وأنه سيظل شعلة خالدة حية حسب قوانين معينه وهذا فهم يخالف فهم الإسلام .

وقد قامت الماركسية على الإلحاد الذى يرى أن الأديان لاتلبى أى من الحاجات الإنسانية وإنما هي إنعكاس لشقاء الإنسان وضعفه وهكذا نرى أن الأسس الفلسفية للماركسية لا يمكن أبداً بأى حال من الأحوال أن تلتقى مع الدين الحق .

ولقد حلل كثير من قادة اليقظة مفهوم النظرية الماركسية التي تقرر أن الانتاج الجماعي لوسائل العيش يربط الأفراد بعلاقات محددة ضرورية ومستقلة عن إرادتهم وأن هذه العلاقات تشكل الهيكل الاقتصادى للمجتمع . ومعنى ذلك أن طريقه الانتاج هي التي تحدد النشاط الاجتماعي والسياسي والعقلي لحياة جماهير النـاس .

وهنا نقطة الخلل في مفهوم الماركسية والخط الواضح ، فتفسير الوجود الإنساني كله على أساس أحداث مادية فقط يكشف جانباً من الحقيقة ويخفى سائر جوانبها فما لاشك فيه أن هناك قوى أخرى غير مادية تؤثر في حياة النـاس

وعلاقاتهم الإجتماعية والأخلاقية ، بل لعل هذه القوى الأخيرة تأتى فى المقام الأول قبل القوى المادية البحتة التى ركزت على نظرية التفسير المادى للتاريخ .

كذلك فقد كشفت حركة اليقظة زيف التفسير المادى للتاريخ وأبانت نقصه وعواره ذلك أن للقيم الدينية والمعنوية والأخلاقية وزنها وأهميتها فى المجتمع ومن الخطأ الظن بأن مجتمعاما يمكن أن ينهض نهضة أو يقوم أو يتقدم بدون القيم الأخلاقية وليس ثمة ريب أن تعاليم الانبياء والرسل كانت وحيا من الله ولم يكن نتاجا من البيئة نفسها .

ولعل أقوى ما يدحض مفهوم التفسير المادى للتاريخ هو انتشار الحضارة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها .

ذلك أن الاسلام لم يأت نتيجة إنقلاب فى نظم الإنتاج أو فى علاقات الانتاج فى قريش وإنما جاء ظاهرة الهية مستقلة عن فعل البيئة . لقد جاء الإسلام من البداية مقرراً المساواة فى الفرص وضمان حد الكفاية للفرد وتحقيق التوازن الإقتصادى بين الفرد والمجتمع ، وجاء بمبدأ الملكية الخاصة والملكية العامة : جاء بكل ذلك فى الجزيرة العربية فى وقت لم تكن ظروف الإنتاج وعلاقات الإنتاج تدعو إليه بحيث يمكن أن نقول أن ما حدث كان انبثاقا من واقع اقتصادى . وتحدى بذلك منطق نظرية التفسير المادى للتاريخ التى تحتم انبثاق كل إنقلاب سياسى من إنقلاب مناظر فى نظام الإنتاج وعلاقاته .

(٧)

لقد رفعت حركة اليقظة الحجاب عن أبعاد المخطط الذى أقامته التلمودية الصهيونية بانشاء الشيوعية . فالشيوعية هى إحـــدى فرق الماسونية ويتكون أعضاؤها من أعضاء الماسونية الملوكية الذين وصلوا إلى درجة رفيق (لينين — ستالين — تروتسكى) ولهذه الفرقة محفل واحد فى نيويورك لا يدخله من اليهود إلا قليل . وأن هدف الماسونية الحمراء إقامة دولة شيوعية كخطوة لإعلان الدولة اليهودية العالمية لأن إعلانها عن هدفها صراحة يؤلب عليها العالم ، ولكنها

تدخل إلى العالم بأسلوب مغر براق . وقد جاء فى بيان المشرق الأعظم الفرنسى الماسونى عام ١٩٠٤ أن الماركسية اللاقومية هما وليدتا الماسونية لأن مؤسسها ماركس وإنجلز يهوديان وأن محفل الماسونية الحمراء كان وراء الثورة البلشفية فى روسيا وقد عقد حاييم وايزمان ١٩١٦ محادثات مع لينين قبل نجاح الثورة الروسية تهدف إلى القضاء على روسيا القيصرية وإقامة الدولة الشيوعية مكانها وكان القرار الثانى فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية وكان أول عمل للثورة الشيوعية فى روسيا اعتبار العداء لليهود جريمة يعاقب عليها القانون، وإعلان أن الحكومة السوفياتية تؤيد الحق الكامل لليهود فى إنشاء وطن قومى لهم فى فلسطين وكانت أول حكومة شيوعية تضم ٠ وزيراً منهم ١٧ وزيراً يهودياً .

كذلك وقد تكشفت الحقائق الخطيرة لنتائج تطبيق التجربة الشيوعية فى روسيا خلال نصف قرن حيث مات مئات الالوف نفياً وتشريداً وسجناً . وكيف أن التجربة لم تحقق المجتمع الأمثل الذى ظنت الماركسية أن تحققه، وفقدان القاعدة الشعبية لهذا النظام وخاصة من العمال والفلاحين والاقتصار على عدد أفراد الحزب والعجز عن إقامة الإنسان العقائدى فى الدول الاشتراكية مما حمل تلك النظم على الاعتماد كلياً على القوات المسلحة ورجال المليشيا وإتباع العنف الثورى لتثبيت الحكام ودعم الحكم واضطرت التجربة إلى تغيير النظرية وتعديلها مرات ومرات لأنها كانت فى كل مرة تجافى الواقع البشرى .

ولقد أثبتت الماركسية فشل نبوءاتها فى أكثر من موقع فقد كان ماركس وانجلز يتوقعان اشتعال ثورة اشتراكية فى أوربا كلها بعد انهيار اقتصادى ثم ظهرت الشيوعية فى أبعد البلاد عن التقديرات الماركسية .

وقد نكشف ان الماركسية تتخذ من الواسطة مبرراً للغاية فكل وسيلة يمكن الاستعانة بها لهـــدم المجتمع أو إثارة الطبقات على الصراع فيما بينها مشروعة ، ويرى ماركس أن النظم الخلقية ليست إلا خداعاً وبهتاناً وتستهدف الماركسية القضاء على الأسرة باعتبارها دعامة المجتمع البرجوازى ولذلك فيجب تحطيمها

والقضاء عليها كما ترى أن الدين بما يعتمد عليه من اعتقاد وخلق وتشريعات يراها ماركس بناءاً زائفاً وأن والقانون والأخلاق والدين أوهام لا وجود لها .

ولقد تدافعت الشيوعية لغزو البلاد العربية فى ظل الوفاق التى تم بين الديمقراطية الغربية وبين البلشفية فى الحرب العالمية الثانية ، وقد حملت لواءبراقا خادعاً هو شعار التحرير ومحاربة الاستعمار والإقطاع وذلك عن طريق عناصر شيوعية ألبست لباس الوطنية المحلية وجاءت بعد ذلك مرحلة إشاعة الفساد الاجتماعى ودعوة الشباب إلى نبذ العادات والتقاليد ومحاربة القيم الاجتماعية على انها من عوامل التأخر .

وفى خلال هذه الفترة لم تتوقف موسكو عن أن تقذف البلاد الإسلامية بالكتب التى تسخر بالإسلام وتهاجم قيمه ، وابرز ذلك « الكراسة الرمادية » التى نشرت منذ بضع سنين فى البلاد العربية وهاجمت الأديان عامة والإسلام خاصة

ولقد استطاعت الفكرة الإسلامية ان تواجه هذه المخططات الزائفة وان تكشف للناس أخطارها ، ولم تستطع الشيوعية أن تؤثر فى حركة اليقظة الاسلامية إلا عن طريق المؤامرات والدس والخداع.

وظلت الشيوعية تشن على الإسلام فى معاقله حملات عنيفة ، وكان أخطر محاولاتهم إقامة تنظيم سياسى شيوعى فى البلاد العربية ولكنهم أخذوا يفقدون مواقعهم ويتساقطون تساقط أوراق الخريف حينما انكشفت حقيقة دعواهم.

وقد ارتكزت الشيوعية فى محاولاتها داخل العالم الإسلامى على كبار الرأسماليين اليهود : أمثال هنرى كوريل المليونير اليهودى الذى كان يمول النشاط اليهودى فى مصر خلال الخمسينات والذى نقل نشاطه بعد ذلك إلى الجزائر

ومع هذا فإن الشيوعية لم تستطع السيطرة إلا حين سمحت لها الظروف بالتسلل إلى مواقع السلطة فى صورة أو أخرى وقد اتيحت لها الفرصة للسيطرة على الصحافة والمسرح وبعض أجهزة الإعلام فاستغلوها استغلالا واسعاً لنشر مبادئهم ومحاربة الإسلام، الذى كانت حركته قد حوصرت فى موقف خلاف مع الجهات الرسمية نتيجة اخبار مشوهة حملت إليها وقد اعترف بذلك أحد كبار المسئولين فى الفترة الأخيرة على نحو يكشف عن أن عمليات التعذيب والاعتقال التى جرت بشأن بعض دعاة الفكرة الإسلامية كانت بناء على بلاغ كاذب لم تثبت حقيقته بل تبين العكس منها بعد ذلك .

ولقد انكشفت حقيقة الشيوعيه خلال موقفها من حرب ١٩٦٧ بعد أن مارست عدة تجارب للاستيلاء على مقدرات البلاد التى ارتبطت بهم ارتباطاً وثيقا، فقد حاول الروس ربط اقتصاد هذه البلاد بخططهم الرامية الى الاستيلاء على المواد الخام ومنافسة الغرب فى احتكارها وكان هدفهم ربط عجلة الإنتاج فى بعض البلاد الإسلامية بعجلة الإقتصاد الشيوعى وبذلك تمكنوا من إملاء شروطهم فى قسوة وعنف .

وكانت أقسى محاولاتهم هى العمل على هزيمة الدول التى اعتمدت عليهم من داخل مخطط يرمى الى نصرة الصهيونية واذلال المسلمين والعرب .

وفى خلال ذلك كانوا ينشرون كتبهم المسمومة، التى جمعوا فيها مختلف المفتريات التى لفقها الزنادقة والمستشرقون من أعداء الإسلام، واستهدف نشر هذه الكتب القيام بعملية اختبار للحس الاسلامى لدى جماهير المسلمين ظنا منهم أن خصومة البلاد العربية والإسلامية مع الغرب ستلقى بهم فى احضان الشيوعية وبذلك يتمكنون من ضرب الاسلام فى نفوس أبنائه ومحاولة إثارة موجة جديدة من الجدل والبلبلة.

وقد كشفت حركة اليقظة هذه المؤامرة وأبانت بكل دليل أن الحركة

الشيوعية ضالعة مع الاستعمار الغربى والصهيونية العالمية فى محاولة الإجهاز على العالم الإسلامى تمهيداً لتقسيمه بين الشيوعية والرأسمالية وذلك بعد أن أسهم المعسكر الشيوعى فى دعم الحركة الصهيونية فى إسرائيل وتعقيد إرسال الأسلحة الى البلاد العربية ، وإرسال الأفواج المتزايدة من اليهود وجلهم من الخبراء والعلماء .

كذلك فقد كان للشيوعية دورها الرئيسى فى خطة ضرب المنظمات الإسلامية التى نفذت على أوسع نطاق وكمت الإسلام سنوات طويلة عن الكلمة الأصيلة مع العمل على نشر المفهوم الزائف .

الفصل الخامس

مواجهة الصهيونية

منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجرى كانت إرهاصات الصهيونية توشك أن تلقى بظلها على المجتمع الإسلامى والفكر الإسلامى من طرق مختلفة كان أبرزها محاولات الصهيونية فى الاستيلاء على أرض فلسطين ووسيلتها إلى ذلك اغراء الدولة العثمانية أو تدميرها حين ترقفت عن تحقيق مطامع الصهيونية العالمية وكانت تلك المحاولات الخطيرة التى ساقتها الصهيونية بالاشتراك مع الاستعمار بسبيل تمزيق الوحدة الإسلامية وتحطيم تلك الرابطة السياسية القائمة باتحاد عنصرى الترك والعرب تحت لواء دولة إسلامية هى نواة لتجمع جميع المسلمين فى العالم ، وكانت الخطة هى بعث القوميات على ذلك النحو العاصف العنيف الذى استعلت به الحركة الطورانية فى قلب الدولة العثمانية وما حاوله حزب الاتحاد والترقى من السيطرة على الحكم وتتريك العناصر وما أدى إلى ظهور الحركة العربية فى مواجهة أخطار الإستعلاء بالعنصر والدم التى اجتاحت الدولة العثمانية وما كان لليهود الدونمة من أثر جد خطير فى ذلك عن طريق المحافل الماسونية التى كانت تستهدف ضرب الدولة العثمانية وتدمير الخلافة الإسلامية والوصول إلى مايسمونه أرض الميعاد بعد أن أغلق السلطان عبد الحميد باب الحوار الذى حاول خلاله مبعوث الصهيونية العالمية [هرتزل] إغراء الخليفة بالقروض وكان هذا هو أخطر التحديات التى واجهت حركة اليقظة الإسلامية التى كانت تتطلع إلى الجامعة الاسلامية وتعمل على دعم دول الخلافة حتى تصبح مظلة كبرى للعالم الإسلامى خارج الدولة العثمانيه نفسها .

ولقد تعالت بعد ذلك صيحة القوميات تدعمها الصهيونية والاستعمار فى سبيل إقامة القومية اليهودية بالقوة فى أرض فلسطين : هذه التى حاول وعد بلفور ان يكون منطلقا لها والتى استطاعت بالغدر والحيلة إقامة إسرائيل بعد ثلاثين سنة من هذا الوعد . ثم سقطت القدس فى أيدى الصهيونية بعد ذلك بعشرين عاماً.

وقد حاول الفكر الصهيونى أن يطرح فى افق الفكر الإسلامى عديدا من الشبهات والسموم والزيوف التى كانت بالاضافة الى حركة التغريب : [القائمة على التبشير والاستشراق) من أخطر ما واجه حركة اليقظة الاسلامية فى هذه المرحلة .

لقد كان للصهيونية اثارها المباشرة فى الفكر الاسلامى عن طريق تلك المحاولات التى جرت من أجل ابتعاث دور زائف لليهود فى الجزيرة العربية قبل الاسلام وبعده على النحو الذى قام بالدعوة اليه الدكتور طه حسين وتلميذه اليهودى اسرائيل ولفنسون ؛ وفى تلك المحاولة الخطـــيرة التى حاولت ان تفرض فى الجامعات مفهوم « السامية » لغة وحضارة . وهو مفهوم زائف يستهدف القضاء على الدور الحقيقى الذى سجله التاريخ للحقيقة الأبراهيمية التى قام عليها ابراهيم واسماعيل .

ولقد كان من أكبر أهداف الصهيونية العالمية تشويه تاريخ العرب وتزييف شخصيتهم ومقوماتهم وذلك باعتبار أن « العرب » هم القوة المواجهة للصهيونية وباعتبارهم حملة الفكرة الاسلامية التى تمثل حقيقتهم وباعتبارهم اصحاب التاريخ البطولى ومن ثم قد حرصت اقلام اليهود فى مجال الاستشراق وخارجه النيل من حضارة الاسلام ودور العرب وانجازاتهم العالمية والانسانية وذلك من منطلق حملة ضاريه على العرب ووصفهم بالبداوة والجمود والتخلف التكنولوجى والعلمى وفى حقد شديد قديم متجدد من حيث ان العرب يملكون حضارة ودينا وبيتاً قائماً آمنا تجبى اليه ثمرات كل شىء ، بينما هم مازالوا مشردون فى العالم منذ الفى عام منذ هدمت تجمعاتهم المرة الأخيرة فى فلسطين عام ٨٠ ميلادية ولاريب أن الصهيونية العالمية قد استطاعت عن طريق السيطرة على الفكر الغربى ان تسيطر على دوائر المعارف فى مادة فلسطين وعرب وإسلام وابراهيم وغيرها وأن تدخل اليها سمومها وزيوفها وأن تفرض على المسيحية البروتستانتية مفهومها عن وعد ابراهيم عليه السلام الذى زيفه اليهود فى التوراة وجعلوه قاصرا على بنى اسرائيل حين عملوا على حجب رحلة ابراهيم عليه السلام الى الحجاز ودور ابنه الاكبر

أسماعيل فى بناء الكعبة وفى ميراث هذا الوعد الذى جعله الله تبارك وتعالى للصالحين من ذرية ابراهيم وليس لها على إطلاقها

[وإذا ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال : لاينال عهدى الظالمين]

واقد استطاعت الصهيونية منذ وقت باكر أن تدمج التوراة والإنجيل فى كتاب واحد وأن تطبع منه ملايين النسخ وتترجمه إلى مئات اللغات فى سبيل نشر دعوتهم والتمهيد لإخضاع المسيحية لمفهومهم ودعواهم فى فلسطين وقد استطاعوا أن يفرضوا هذا المفهوم على كتب التاريخ ودوائر المعارف والجامعات وعلى مناهج المدارس حتى استطاعوا احتواء الفكر المسيحى كله كما أستطاعوا فى السنوات الأخيره أن يرغموا مجمعات الكنيسة على إعلان تبرئه اليهود من محاوله قتل المسيح ، هذه المؤامرة التى يقرر القرآن أنها لم تتم فلما تآمروا عليه رفعه الله اليه ونجاه من تآمرهم وقتل شبيه به .

وإذا كان الفكر اليهودى قد حاول احتواء الفكر الغربى فإن الفكر الغربى قد طرح مفاهيمه فى أفق الفكر الإسلامى منذ وقت بعيد حين عرض لنظرية النشوء والارتقاء لدارون ونظرية فرويد فى التحليل النفسى ونظرية دور كايم فى الاجتماع ونظرية ماركس فى الاقتصاد وكلها نظريات صاغها الفكر اليهودى التلمودى ليستهدف بها هزيمة الفكر الإنسانى والسيطرة عليه واحتوائه وقد استهدف الذين حملوا لواء نظرية دارون أن يحرزوا نصراً خطيراً للتلمودية وهو الدعوة الى التطور المطلق فى المجتمع وذلك أكبر ما يعارض مفهوم الأصالة الذى جاء به الحق والذى يقول بالثوابت والمتغيرات وقد حاولت التلمودية الصهيونية أن تبث فى الفكر الغربى الذى مازال مطروحاً بشدة فى أفق الفكر الإسلامى وفى الجامعات والمعاهد معلمات خطيره منها :

١ — هدم الأسرة عن طريق نظرية دوركايم الذى فى أثر الفرد فى الحياة الاجتماعية

٢ — هدم الأخلاق عن طريق نظرية فرويد الذى حاول أن يجعل الجنس أساساً لدوافع الحياة

٣ — هدم الاقتصاد عن طريق نظرية ماركس التى ترمى إلى تفسير الحياة تفسيرا ماديا وتصور أحداث العالم وتاريخه من خلال المطامع المادية والاقتصادية التى تقوم على أساس الصراع من أجل لقمة العيش .

كذلك فقد انبثت سموم الفكر التلمودى اليهودى عن طريق النصارى إلى آثارها أمثال جرجى زيدان ويعقوب صروف وسلامه موسى عن الأخلاق والمجتمع والحضارة وكلها تستهدف هدم القيم الاجتماعيه والأخلاقية ودفع المجمـــوعات البشرية إلى طريق التحلل وكسر الضوابط والحدود التى جاءت بها الأديان

ولقد استغلت الصهيونية كل محاولات العلمانية فى مجال القانون والتعليم والحكم فى سبيل دحر القوة الإسلامية الكامنة فى النظام الإسلامى من أجل تدعيم المفاهيم الوافدة التى من شانها أن تحول بين المسلمين وبين القدرة على امتلاك إرادتهم أو مواجهة الأخطار المحدقة بهم وخاصة مفاهيم الجهاد الإسلامى وتطبيق الشريعة الإسلامية وقيام نظام تربوى إسلامى .

كما استطاعت عن طريق سيطرتها على جميع وسائل الإعلام والأخبار أن توجه الأحداث نحو الوجهة التى تخدم أغراضها فضلا عن تأثير مفاهيم الاباحية التلمودية فى القصة والمسرحية والأغنية وكل وسائل البث التى تستوعب فكر الجماهير ومشاعرهم

ولقد كشفت حركة اليقظة مخططات الصهيونية العالمية وأظهرت بوضوح فى عشرات من الدراسات الجادة عن فساد الخطة التى فرضتها الصهيونية والاستعمار وهى حصر قضية فلسطين فى النطاق العربى وحده والحيلولة دون جعلها قضية إسلامية عقائدية مبرزين أنه لا سبيل إلى حل هذه القضية إلا بالجهاد المقدس وأن كل هذه المحاولات والمفاوضات باطلة ولا تؤدى إلى شىء ما وأن السبيل فى هذا هو نفس السبيل الذى اختطه المسلمون بالنسبة للحملات الصليبية ، كذلك

كشفت حركة اليقظة عن الدور الذى قام به الاستعمار الغربى فى تمكين الصهيونية من السيطرة على فلسطين ، وأن الحركة الصهيونية فى ذاتها لم تكن قادرة على اغتصاب فلسطين لولا مؤازرة بريطانيا وامريكا وروسيا لها فى هذا الشأن ، وأن الدول العالمية أغمضت عينيها عن الجرائم البشعة التى قام بها اليهود فى فلسطين .

كذلك كشفت حركة اليقظة عن مخططات الصهيونية فى السيطرة على ثروة العالم عن طريق انشاء الاحتكارات العالميـــة الضخمة التى استطاعت بها أن تستوعب ثروات العالم كله بحيث أصبحت بمثابة خزائن لكل كنوز العالم ، وأن اليهودية هى التى شجعت أعمال المضاربة حتى يتحول ميدان الربح الى البورصة عن طريق الاسهم والسندات بدلا من الأراضى والعقارات وأن اليهودية العالمية هى اقرضت الحكومات المختلفة فى حروبها وصراعاتها وكان الكسب لها وحدها دون الحكومات غالبة أو مغلوبة وأن اليهودية العالمية هى التى اغرقت حكومات العالم بالديون عن طريق تشجيعها على الاقتراض فى سبيل الترف والأهواء والمبازل الشخصية .

كما كشفت حركة اليقظة عن أبعاد المخطط الصهيونى بترجمة بروتوكولات صهيون والكشف عن أبعادها الحقيقية والتعرف إلى الأبعاد الخطيرة التى صاحبت خطط هرتزل وماركس وفرويد واستطاعت أن تصل إلى الخطوط العامة التى تجمع هذه التيارات كلها . بمخططات الصهيونية التلمودية وكيف روجت كليات الآداب لهذه الآراء وكان طه حسين وسلامه موسى ومحمود عزمى وغيرهم أبواقا مدوية لترويج آراء دوركايم ومفاهيم التوراة والتلمود فى ابرهم واسماعيل

وكيف كانت خطط الماركسية على لسان دعاتها وكتابها تستهدف دعم مفاهيم الماسونية والصهيونية عن طريق قولها بالفصل بين اليهودية والصهيونية وفى دعواها التى تهدم الثقة فى النفس العربيه المسلمة بالقول بأن اسرائيل تمتلك أحدث الاسلحة الحربية والذرية وانها حضارياً متفرقة على العرب وقد كذبت حرب رمضان هذه المقولات ودحضتها وكذلك فى خدمة الصهيونيه كانت كتابات الشيوعيين فى الدعوة

الى الدولة العصرية التى تستغنى عن القيم والدين والأخلاق والتراث جميعاً ومحاولة القول بأن هذه هى الوسيلة الوحيدة إلى مواجهة الصهيونية. وقد دحضت حركة اليقظة الإسلامية هذه المقولات الباطلة وأبانت بحق أن عوامل النصر والقوة لا تتحقق للمسلمين إلا بالتماس قيمهم الأصيلة وأن القوة العسكرية والحربية لاقيمة لها فى الحقيقه إلا اذا كانت فى خدمة عقيدة صحيحه تؤمن بالجهاد وبحق تحرير الأرض الإسلامية من الغزاة والمعتدين .

كذلك فقد كشفت حركة اليقظة عن ضرورة التضامن الاسلامى فى مواجهة الصهيونية واتخاذ أسلوب الإسلام فى مفاهيم الوحدة والتكامل الاقتصادى والاجتماعى ودحض كل الأساليب الباطلة والزائفة التى خدعت المسلمين اكثر من مائة عام وهى أسلوب العلمانية والتغريب التى لم تحقق لهم الا الهزائم المتوالية منذ عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٦٧ حين أخذ المسلمون فى الجهاد والمواجهة فتحقق النصر فى رمضان

ولا ريب أن هذه المحاولات المستمرة التى قامت بها حركة اليقظة فى سبيل كشف الزيوف الباطلة للصهيونية التلموديه كانت بعيدة الأثر فى هدم تلك الأكاذيب والأباطيل والأساطير التى حاولت الصهيونيه التلمودية بها خداع الشعوب والأمم .

الفصل السادس

قبلة المسلمين هي الكعبة

هناك محاولات تفرض تفسيرات معينة على المفـــاهيم الإسلامية ، وهناك محاولات لفرض مفاهيم أساسية بدلا من المفاهيم التي تعارف عليها المسلمون إقراراً بما قدمه إليهم دينهم وكتابهم ، ولقد تمر عبارات مسمومة في كتاب أو بحث تحاول أن توحي باتجاه زائف فلا يتعرض لها أحد ، فيظن بعض الناس أنها من المسلمات أو من الأمور الواقعة فعلا ، ومن هذه المحاولات التي يرمي إليها الاستعمار والتبشير والتغريب : التشكيك في وجهة هذه الأمة الاسلامية في محاولة ترمي إلى القول بأنها تتطلع إلى الغرب أو البحر المتوسط وأن هذا التطلع الذي يتصل بالحضارة أو بالعلم أو بروابط الاقتصاد والسياسة من شأنه أن يصرف المسلمين عن وجهتهم الأصيلة وقبلتهم التي يتوجهون إليها خمس مرات في اليوم .

وهناك عبارة مشوهة يرددها تلاميذ المستشرقين من المبشرين في الإرساليات تقول بأن العرب منذ أن خرجوا من الصحراء قبل ثلاثة عشر قرنا ووجوههم مصوبة نحو الغرب لا الشرق . ولم يدخلوا التاريخ العالمي إلا عندما خرجوا من الصحراء ودخلوا في حوض البحر المتوسط .

وقد ترى بعض الفئات — خطأ — أن للعرب اليوم قبلتين : الصحراء والشرق قبلة والمتوسط والغرب قبلة أخرى وتخشى هذه الفئات أن يولي العرب وجوههم شطر الصحراء .

ويدافع هذا المستشرق الذي يكتب بالعربية (نبيه أمين فارس) عن العرب ويهدئ شكوك التغريب فيقول : « أن العرب لم يولوا وجوههم شطر الصحراء البتة وجميع الدلائل تشير إلى أنهم لن يفعلوا ذلك في المستقبل القريب أو البعيد »

وتلك قضية خطيرة فالعرب لا يولون وجوههم شطر الصحراء وإنما يولون وجوههم شطر الكعبة قبلتهم ونقطة التقائهم ومبدأ فكرهم ومنطلق عقيدتهم ، ومن هذه الصحراء التي يدفعون عنها العرب نشأت كل الحضارات ومنها انبعث ذلك الرعيل الضخم من قادة البشرية الحقيقيين : هؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسلهم ا تبارك وتعالى الى الامم ، ومنها خرجت الجيوش وبرزت العبقريات والبطولات ومن أعماق الصحراء نشأت القوى النقية المفطورة على الإيمان بالله ، القادرة على تقديم أرواحها مستشهدة فى سبيل الحق الذى حمل لواءه النبيون ، ولم يكن لهذه النماذج من الأبطال والقادة أن تنبعث من الحضر ومن المدن حيث تفسد الحضارة القيم ، وتصيب أهلها بالانحلال والفساد وتشغلهم بالترف والمتاع حتى لا تكون لهم إرادة قادرة على دفع العدوان أو حماية الأمانة .

هذه الصحراء التى تجد فى كل كتابات المستشرقين والمبشرين وتلاميذهم إشارات بالغمز والانتقاص لها هى المصدر الأول للقوى البشرية التى صنعت الحضارة ، وأقامت المدنية ، وحملت رسالة الحق تبارك وتعالى من خلف الأنبياء والرسل إلى كل مكان ، واحتملت فى سبيل ذلك شظف العيش وقسوة الهاجرة وحر الظهيرة ونفرت فى الحر لأنها آمنت بأن جهنم أشد حرا ، أما المترفون فكانوا أعجز عن حمل هذا اللواء .

ولقد نقل الإسلام البشرية من البداوة إلى الحضارة ، وأقام مفهوم الإيمان بالله قوة فاعلة لتدفع ضياء التوحيد إلى كل أرض ، دون أن تفقد أرض التوحيد نفسها أو مكانتها أو تتحول القلوب والنفوس والوجوه عنها فكان المسلمون الذين انتقلوا من الجزيرة العربية إلى الصين أو إلى فرنسا يولون وجوههم شطر بيت الله الحرام فى مكة وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره .

وعندما وصل المسلمون إلى سؤدد الملك وعمارة القصور وبناء أمجاد العلم ، كان ارتباطهم بالقبلة أشد قوة ، وأن الناظر إلى التاريخ خلال هـــذه السنوات الاربع والتسعين بعد ألف والثلاثمائة ليجد أنه بعددها رحل المسلمون من أقطار الأرض عاما بعد عام صوب قبلتهم وكعبتهم ولم يتوقف أمرهم عند الإتجاه إليها

فى الصلاة ، فقد احتملوا كل مضنيات السفر والرحلة ليصلوا إلى هذا البيت الحرام وليتصلوا بغيرهم من المسلمين من كل أنحاء الارض فى فريضة الحج الاكبر حيث تجمعهم ساحة عرفات الرحيبة ، ويتلاقون فى منى لقاء التعارف والاخاء والتجارة وتبادل المنافع .

فالقول بأن العرب منذ خرجوا من الصحراء قبل ثلاثة عشر قرنا ، وجوههم مصوبة إلى الغرب هو قول يعوزه الدليل ، وهو فضول يحاول به مستشرق أن يرضى النفوس التى يزعجها رحلة المسلمين عاما بعد عام إلى منزل الوحى ، بعد أن يلتقوا يوما بعد يوم بقبلتهم فى كل صلاة ، بل أن بعضهم والكثير منهم يحرص على أن يوجه مقعده ساعة بعد ساعة كل يوم ليكون فى اتجاه القبلة .

ولتطمئن نفوس هؤلاء الذين يزعجهم اتجاه المسلمين إلى القبلة ، فإن ذلك ليس اتجاه عبادة وصلاة فحسب ، وإنما هو اتجاه فكر وضمير وعقل ويقين كامل ، حيث ابتعث محمد بن عبد الله فى هذه الأرض ، وحيث نزل القرآن فى هذه الارض ، وحيث بزغ ضوء الإسلام فى هذه الأرض ، بل يمتد فى نفس المسلم وعقله إلى أبعد من ذلك ، إلى يوم أن أقام إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل حيث بدأت فى هذه البقعة أمة التوحيد منفصلة عن كل من حرف وبدل وغير ، أمة بدأت برجل وامرأة وطفل ، فى أرض فلاة لتتشكل من جديد هذه الأمة التى قامت فى الصحراء (ربنا ليقيموا الصلاة) ، هذه أمة التوحيد والعربية ، التى امتدت جذورها حتى أخرجت محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين ، وقد أوحى إليه القرآن خاتم الرسالات والكتب ، ومهيمنا عليها ، وحيث جاء بالإسلام دعوة الرسل جميعا من لدن نوح إلى محمد ، إلى « لا اله إلا الله » .

ومن حول هذا البيت الحرام فى مكة انطلقت قافلة البشرية إلى كل مكان على وجه الأرض ، ذلك أن الكعبة فى أبحاث القدامى والمحدثين هى « سرة الأرض » وهى نقطة البدء فى أمر البشرية كلها .

وحين نراجع ما كتب القدماء نجد ذلك واضحا جليا ، فهم يجمعون على أن مكة هى أم القرى جميعا .

وإن الله عز وجل قد خلق موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض، وأنه قد أعطى موثقا لهذه القرية بالأمن من الخوف والإطعام من الجوع ، وأنها منذ ذلك اليوم وإلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فهي « الحرم الآمن »

« أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ».

ولقد أشار رسول الله ﷺ إلى مكانة مكة في كلمته التي ودع بها مكة عند الهجرة :

« أما والله أني لأخرج منك وأني لأعلم أنك أحب البلاد إلى الله وأكرمها على الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ماخرجت .

يا بني عبد مناف إن كنتم ولاة هذا الأمر من بعدي فلا تمنعن طائفا يطوف ببيت الله عز وجل أي ساعة شاء من ليل أو نهار »

وعبارة رسول الله عند الفتح أيضا تكشف عن مكانة مكة :

وقف رسول الله عند الحجون وقال :

« إن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى يوم القيامة لاتحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها دما ولا يعضد فيها شجراً وأنها لم تحل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد كائن بعدي وما أحلت لي إلا ساعة من نهار ، ثم أنها من ساعتي هذه حرام لا يعضد شجرها ولا تلتقط ضالتها إلا لمنشد » .

وحين استعمل رسول الله (عتاب بن أسيد) واليا على مكة قال له : هل تدري على من استعملتك ، استعملتك على أهل الله » .

هذه مكة : قبلة أهل الأرض جميعاً .

وهذه صورتها كما روتها كتب السيرة والتاريخ .

واليوم تجىء أبحاث العلماء وكتاب العصر ورجال الآثار والحفريات لتؤكد هذا كله وتصدقه ، فهى فى تقدير العلماء أنها الأرض التى إذا عاد اليها أى انسان شفته من أمراض النفس وأمراض الجسم ، فان فى جوها وهوائها ومائها ما يعطى الجسم الإنسانى حاجته ويرد إلى النفس الإنسانية شجاها ، وإن كل إنسان له مكان تستروح فيه نفسه ، ليس على وجه الأرض مكان غيره ولكل الناس مكان آخر يستروحون فيه هو « مكة » أرض الله حيث الكعبة المشرفة والبيت الحرام .

وفى نظر علماء الجغرافيا أن مكة نقطة التقاء عالمية وأن بها يمر خط يقسم العالم كله والكرة الأرضية إلى قسمين . وأنها نقطة التقاء لكل خطوط الطول والعرض .

وسوف تكشف أبحاث العلماء والجيولجيين فى القريب حقائق أخرى تؤكد ما ذهبت اليه كلمات النبوة وما أثر عن مكانة مكة فى العالم كله .

فكيف يمكن إزاء ذلك كله أن يقال أن العرب قبلتين ، أو أن العرب والمسلمين لايولون وجوههم شطر الصحراء ، وكيف يصدق الناس وأمامهم حقائق التاريخ العالمى بأن العرب لم يدخلوا التاريخ العالمى إلا عندما خرجوا من الصحراء ودخلوا فى حوض المتوسط .

لقد كانت للعرب آثارهم الواضحة بالإسلام فهو الذى كونهم وشكلهم وهداهم وأنشأ منهم أمة وهو الذى أعطاهم مجد الرسالة التى حملوها وهم الذين غيروا الخريطة الجغرافية للعالم كله ، وقسموا البحر الابيض قسمين ، وأزاحوا مخلفات حضارة ألف سنة للرومان فى سنوات قليلة ، فبـــدا كأن لم يكن هناك بقية لسان أو دين أو عقيدة . .

ذلك هو الاسلام : الفكر ، والعقيدة ، التى أزالت وثنية الفرس وعبودية الرومان وألقت إلى البشرية مفهوم الحرية : حرية النفس والعقل والجسم ، فقد حرر الاسلام البشرية من العبودية والوثنية والبداوة وانشأ مجتمعا وحضارة جديدين لم يكن البشرية قبل منهما شيئا ، وكفى به أنه أطلق العقل البشرى والنفس البشرية من قيودهما حول الأوثان حين دعاهما إلى توحيد الله والإيمان بحياة أخرى وراء الحياة .

وبعد فإن الحقائق كلها تدل على أنه قد جانب المستشرق العربى الصواب فيما قال ، فان المسلمين لن يتخذوا من الغرب قبلتهم . ولا من البحر المتوسط وجهتهم وهم يعلمون إن الوجهة لله الحق وحده ، وأن الغرب اليوم الذى يعود الى وثنية أشد فتكا من وثنية الجاهلية حين يؤمن بالعجل الذهبى ويصطرع حول الأهواء والشهوات ويعيش تلك الحياة المدمرة بالصراع والتمزق . هذا الغرب لن يكون قبله ما ، لأى انسان بشرى فى عقله قدر ولو قليل من الذكاء أو فى قلبه شطر ولو ضعيف من الإيمان ، ذلك لأن الغرب المارق اليوم فى أزمته فى حاجة الى أن يهدى إلى قبلة أخرى غير الوثنية ، والمادية ، والاباحية ، وليس هناك قبلة يمكن أن يهتدى اليها إلى قبلة التوحيد الخالص : قبلة الإسلام ، حيث يولى الكثيرون فى الغرب الآن وجوههم نحو الكعبة ، بعد أن سقطت الأقنعـــة وظهر الزيف وانكشف الخداع .

الفصل السابع

الطريق إلى وحدة إسلامية شاملة

في سبيل تحقيق هذا الهدف الكبير يجب كسر الحواجز الآتية : —

التبشير — الاستشراق — التغريب — الشعوبية — مخططات الصهيونية والماركسية والوجودية التي ما تزال تسيطر على بعض المناهج التعليمية . وإذا لم يكن في الإمكان كسر هـــذه الحواجز فلا أقل من كشف أخطارها ودفع شبهاتها وزيوفها الذي يتحرك الآن في أفق الفكر الإسلامي على أنه حقائق ومسلمات

• اللغة العربية في مواجهة التحدي .

هناك ما يوجه إلى اللغة العربية من شبهات ومحاولات لإعلاء العاميات في البلاد العربية وما يوجه إلى الشريعة الإسلامية من تحديات القانون الوضعي والإيدلوجيات الغربية في نظم الحكم .

وهناك ما يطرح في أفق الفكر الإسلامي من فلسفات توصف بأنها علوم مع اختلاف العلم عن الفلسفة واتصال العلم بالمعامل والتجربة ، دون اتصال الفلسفات بذلك واعتمادها على الفروض والنظريات التي تخطىء وتصيب .

وهناك ما يقدم للمسلمين باسم « الانتروبولوجيا » (دراسة الأجناس البشرية) ومقارنات الأديان وغيرهما مما يراد به أعلاء شأن العنصريات أو أعادة طرح مفاهيم الوثنية والتعدد والإلحاد من جديد في أفق الفكر الإسلامي .

• وهناك ما يتصل بالعلمانية وإيقاع الصراع بين الدين والعلم من ناحية وبين الدين والمجتمع من ناحية أخرى .

وهناك دعوى التطور المطلق الذى لا يتحرك فى أطار ثابت وهو ما يتعارض مع مفهوم الإسلام الذى يقوم على مجموعه أساسية من الثوابت مع الحركة والتحول فى الأطراف والفروع .

وهناك محـــاولة وضع العروبة فى مقابل القوميات الغربية وفرض مناهج القوميات الغربية ونظرياتها على العروبة فى علاقاتها بالإسلام والعالم الإسلامى، من أجل زلزلة الوحدة الفكرية القائمة بين المسلمين جميعاً والتى يربطهم بها سناد لا يمكن تجاهله أو عزله وهو القرآن الكريم العربى اللغة . ومع أن المسلمين يؤمنون تماما بأنهم أمة واحدة وأن الاسلام وعاء العروبة وأن العرب مادة الإسلام وأن العرب لم يكونوا أمة ألا بالإسلام ومن قبله كانوا قبائل متفرقة .

هذه كلها هى الصخور التى نجدها فى الطريق إلى الوحدة الإسلامية الشاملة وهى صخور تجمعت فى فـــترة ليست بقصيرة ، جمعها الإستعمار والصهيونية والمذاهب الهدامة جميعا . حتى لا تقوم الوحدة الإسلامية بعد أن ظن الاستعمار أن عقدها قد انفرط بالمؤامرة الكبرى التى قام بها حين أسقط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤ م وكان الظن أن أسقاط الخـــلافة من شأنه أن يقضى على الوحدة الإسلامية ويجعل من العرب والفرس والترك والهنود المسلمين قوميات متصارعة متعادية ، بل لقد حاول الاستعمار ذلك ودعا إليه وأعاد صياغة تاريخ الفكر الإسلامى والأدب العربى على أساس الأجناس فأعاد الغزالى إلى ايران والفارابى إلى تركيا ، هكذا .

● ولقد نشأت فى هذه السنوات الخمسين مدارس وفلسفات ومذاهب تحاول أن تقيم (قوميات) فى كل البلاد الإسلامية تعلى من شأن تاريخها القديم السابق للإسلام ولقد سارت هذه الدعوات بقوة النفوذ الاجنبى ولكنها عجزت أن تحقق شيئاً ، ومن أجل تمزيق وحدة الإسلام كان لا بد من تمزيق وحدة العرب وقد جرت الدعوة إلى الفرعونية والفينيقية والاشورية والبربرية وغيرها فى مختلف الأقطار ظنـــا أن ذلك سوف يرد المسلمين والعرب إلى ماضيهم البعيد متجاوزين حاضرهم وماضيهم القريب ، ولكن الامر لم يحقق شيئا فقد تبين

أن الإسلام قد جب التاريخ القديم كله وجعله فى عداد الأثريات والمتاحف فلم تبق لغة ولم يبق أدب ولم تبق أى قيم يمكن أن تشكل فلسفة تقوم عليها دعوة أقليمية أو ابتعاث انحلة قديمة .

بل لقد ظهر ما هو أبعد من هذا من الدلائل التى تدحض الأهداف القائمة وراء هذه الدعوات: ظهر أن الفراعنة والآشوريين والبابليين والفينيقيين انما هم عرب خرجوا من قلب الجزيرة العربية فى موجات وانبثوا فى البلاد وقد أكد هذه الحقائق عشرات من المؤرخين وكشف عنها عديد من الباحثين وبذلك تحطمت تلك المؤامرات التى أريد بها تمزيق هذه الأمة إلى قوميات متعادية وظهر أن الإسلام بعد أربعة عشر قرنا (تكتمل بعد سنوات قليلة) قد شكل نفسية ومزاج وعقل وروح وذاتية هذه الأمة تشكيلا لم يعد فى الإمكان اخراجها منه وأن ما سبق الإسلام من دعوات واديان وفكر وثقافة انما كان أصلح ما فيه وأجود ما يستفاد منه هو ما صيغ فى الاسلام : الدين الخاتم ، وأن ذلك الجيد كله أنما هو من نتاج الأديان السماوية المنزلة التى هى واحدة فى أصولها ومصادرها ، وهدفها يتركز فى دفع الإنسان إلى الخير والنور وبنائه على الخلق والنبل ولذلك فقد استوعب الإسلام كل ما فى الإديان السماويه التى سبقته من قيم الحرية والعدل والبر والاخاء وأعاد صياغتها من جديد فى دين الإنسانية الأخير .

ومن هنا فقد كان لابد أن تخطو الأمة الإسلامية خطواتها مرة أخرى إلى الوحدة والالتقاء والتقارب والتضامن فذلك أمر هو من طبيعة الأشياء ومن سنن السكون ، فهذه أمة واحدة جمعتها إرادة الله باسم القرآن وتحت لواء الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ثم جاء الاستعمار الحديث موجة من موجات الصراع الذى عرفه الإسلام منذ فجره ؛ وقد سبقته موجات الصليبيين ، والفرنجة ، والتتار ، وغيرها من موجات ، جاء الاستعمار الحديث ليحاول تمزيق هذه الامة إلى أمم ودول وأقاليم يقيم بينها الحواجز ويجعل فى كل قطر دعوات تختلف وتتعارض ، ويعلى من شأن التاريخ الاقليمى ، ويذكر بالآثار القديمة والحفريات ، ويحاول أن يثير الخلافات المذهبية ويبعث النحل ، ويحاول أن يقيم الاعراف القديمة

ويحييها ليجعلها شرائع وقوانين ، كل ذلك جرى وأعانه التغريب بنفوذه فى محاولة تمزيق جبهة هذه الأمة ، تمزيقا أفقيا بالعنصرية ورأسيا بالنحل وجعل من داخل كل تمزيق تمزيقا آخر . وتمكن من تحقيق ذلك كله وترك آثاره فى واقع الحياة الاجتماعية والسياسية ولكنه لم يعد موضع اقتناع من أحد، لقد كذبت الحقائق الشبهات ، وزيفت الأصالة الاوهام ، وكشف ضوء النهار عن دسائس الليل، لقد وعت الأمة الاسلامية نفسها وعرفت أعداءها وعرفت من أين تأتى الاهواء والرياح السموم وبقى عليها أمر واحد : هو الارادة ، فبناء الارادة هو القادر على أن يزيح بقايا التبشير والاستشراق والتغريب والشعوبية وأن يواصل كشف زيوف المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية والماركسية .

لقد قضى الاستعمار على الوحدة الاسلامية التى كانت تمثلها الخلافة تحت لواء الدولة العثمانية من أجـــل تحقيق المطامع الكبرى التى كانت تجيش بها حركة الاستعمار والحركة الصهيونية معا ، كان الهدف القضاء على الوحدة العربية التركية المتمثلة فى الدولة العثمانية من أجل توزيع هذه الاجزاء العربيـــة على الدول المنتصرة فى الحرب العالمية الأولى (فرنسا وانجلترا) ولكن كان هناك هدف آخر هو تسليم فلسطين لليهود ولم يتحقق ذلك كله الا باسقاط الوحدة الاسلامية الممثلة فى دولة الخلافة ولذلك تاريخ يجب أن يروى ويعرفه شبابنا ولكن المسلمين بعد سقوط الخلافة وزوال الوحدة الرسمية لم يتوقفوا عن العمل ، ولم يتوقفوا عن التنادى إلى اللقاء ، وقد شغلهم الاحتلال بأنفسهم سنوات قليلة ولكنهم ما أن تنبهوا حتى أعادوا اتصالاتهم على المستويين العربى كأمة ولغـــة والاسلامى كفكر ودين ومن يراجع وقائع التاريخ يجد أنه فى الفترة ما بين عامى ١٩٣٠ و ١٩٥٠ عقدت عشرات المؤتمرات وتمت عشرات اللقاءات وكانت فلسطين فى الحقيقة هى محور هذا التحرك كله ولكنه كان تحركا واعيا عارفا بأبعاد الخطر وأن القوة المضروبة هى الوحدة الاسلامية وأن كل محاولات الدعوات الاقليمية والقومية ودعوات التجزئة أنما تستهدف غياب ، هذا الهدف وحجبه ونسيانه

ولكن هل خلا منهج جمعية إسلامية أو منظمة أو دعوة من الدعوات من الإشارة إلى الوحدة الإسلامية . ذلك ما لم يحدث ، ولقد عاش المسلمون يتطلعون إلى الوحدة مرة أخرى حتى عندما اشتدت تيارات القوميات الاقليمية لتجرف كل شيء في هذه الساعات الحالكة ظل بريق الوحدة الاسلامية ينفذ من ثنايا الغرف المظلمة ، ويعلن عن نفسه وعن وجوده وعن أنه حي لا يموت ، ذلك لأنه مساير لسنن الحياة وأن محاولة هدمه هي في ذاتها معارضة لهذه السنن .

الفصل الثامن

منطق الوحدة الاسلامية الشاملة

كان من أخطر توصيات الندوة الإسلامية العالمية التي عقدت في مكة المكرمة غرة ذي الحجة ١٣٩٢ وحضرها أكثر من أربعمائة من أعلام الفكر في العالم الإسلامي كله: تلك التوصية التي دعت إلى العمل على تحقيق وحدة الفكر الاسلامي كله: كمقدمة للوحدة الإسلامية الشاملة.

وقد صيغت هذه التوصية على نحو دقيق عميق على النحو التالي:

«توصي الندوة الاسلامية العالمية بضرورة الاسراع في العمل لتوحيد الأمة الاسلامية وإتخاذ الوسائل الكفيلة بتحقيق هذه الوحدة بكل أشكالها الثقافية والاقتصادية والسياسية على أن يكون الفكر الاسلامي هو الدعامة الاساسية التي تقوم عليها هذه الوحدة»

وقد فصلت التوصيه منطلق العمل حين أشارت: إلى ضرورة الانطلاق من وحدة الفكر والثقافة بين المسلمين إلى وحدتهم الشاملة وفي هذا المجال يجب إعادة النظر في جميع مناهج التربية والتعليم بما يحقق وحدة هذا الفكر ويجعل كل مواد الدراسة في خدمة العقيدة الاسلامية وأهدافها.

ومن الحق أن يقال منطلقنا الأول اليوم في مواجهة كل الأخطار والتحديات التي يعيشها مجتمعنا الاسلامي اليوم إنما يبدأ من نقطة التعليم والتربية والثقافة: التعليم للطلاب والتربية للشباب والثقافة للاباء والأبناء جميعاً، ذلك أنه لاسبيل إلى مواجهة الأخطار الا ببناء أجيال جديدة تفهم أبعاد هذه الأخطار وتقدر مدى اثرها، وتعرف أعماق أوضاعها وتلمس أغوار نتائجها.

ويكفينا فى تقدير أهمية ذلك مانعرفه جميعاً من أن الاستعمار نفسه حين بدأ فى محاولة الاحاطة بنا والسيطرة علينا واجتياحنا واحتواء فكرنا وعقائدنا وأمتنا فانما بدأ من عمل الارساليات التى بثها فى أبرز أجزاء العالم الإسلامى على هيئة مدارس ثم كليات ثم جامعات وحرص على الدخول فيها بالمجانية وجذب اليها بعض الكبار والأعيان بالنظام والنظافة والاغراء فاستطاع أن يغرى كثيراً من كبار الناس على إدخال أبنائهم وبناتهم فى هذه المعاهد .

ومن ثم استطاع أن يحتوى الطبقة الحاكمة والمسيطرة وجماعة ، النخبة من القوم فى أغلب الأماكن فاخرج أبناءهم وهم المؤهلون لوراثة السلطان والحكم أخرجهم على مناهج جديدة لاتؤمن بالفكر الاسلامى ولاتستمد منه ، بل ربما كانت قد تشكلت على نحو يجعلها تكره الاسلام وربما تحتقره وتنقصه .

وذلك أخطر ماواجهنا ، ثم كانت المدارس الوطنية التى نشأت فى كثير من أجزاء العالم الاسلامى مع الأسف تابعة لهذه المدارس التبشيرية فاستعارت أغلب مناهجها وخطت وراءها وكان ذلك هو الشر الذى بيت لهذه الأمة الكبير الذى دبر لها .

وهو الذى انشأ برج بابل الجديد ، وأقام أتباعا لكل ثقافة فكل من ورد بلدا غربياً فهو تابع ليس للثقافة الغربية وحدها ولكنه تابع للثقافة الإقليمية لهذا البلد ، المانيا ، او فرنسا ، أو إنجلترا ، أو هولندا ، وكندا .

وأصبحت هناك ثقافات ماركسية ديمقراطية وشرقية وغربية وقد تصارعت كل هذه الثقافات المتعددة مع الثقافة الأصلية التى حرص الاستعمار على إبعادها وتجنيبها وتجميدها والحيلولة دون امتدادها إلى مجالات النفوذ والسلطان .

ومن هنا كان ذلك الصراع ، وكانت تلك الاتجاهات المختلفة إلى وجوه الرأى والفكر حتى لو أن أنسانا قدم موضوعا ما على بساط البحث على مائدة يطالب بالرأى فيه لوجد وجهات متباينة قومية النظر فيه: أدبية وعلمية وفقهية وماركسية ووجودية ، وديمقراطية ، وقومية ، واقليمية .

وكل منها يحاول أن يدافع عن وجهة نظره وفق ما علمته أياه ارسالياته وكل يحاول أن ينطلق من تخصصه المجزأ ، ذلك لأن الفكر الغربي بانشطاريته المعروفة قد خلق لكل دارس وجهة نظر منطلقة من تخصصه ، ولقد حالت مناهج التعليم الغربية دون إقرار وحدة الفكر الإسلامي ، والانطلاق من مفهوم متكامل جامع يكون الأدب فيه جزء من الفكر ، ويكون العلم واحدا من منطلقات الفكر ويكون الترابط فيه واضحا بين القلب والعقل والروح والمادة والدنيا والآخرة .

ولقد يعرف المثقفون الباحثون جميعاً أن الحملة التغريبية انطلقت من منطلق مدارس الارساليات ومعاهدها ، هذه التي رسمت مناهجها على أساس إبعاد الإسلام عن مجاله الحقيقي في المجتمع والنظر إليه على أنه دين عبادي وذلك في محاولة لقص أجنحته من مجالات التأثير الاقتصادي والاجتماعي والتربوي والقانوني وخلق اجيال تؤمن بأن « الدين لله » وهي عبارة مسمومة باطلة ، فالإسلام منهج حياة ونظام مجتمع ، والدين في مفهومنا الصحيح جزء من الإسلام .

كذلك انطلقت مناهج الارساليات تفرض مفهومها معارضا تماما لما يعرف المسلمون ولما كانت عليه معاهدهم ومناهجهم ولما تلقوه من قرآنهم وعقيدتهم، ومن خلال هذه النقطة انطلقت الدعوة إلى أشياء كثيرة :

(أولا) إلى التشكيك في القرآن والوحي والنبوة .

(ثانياً) إلى محاولة افتعال الشبهات حول التاريخ الإسلامي وانتقاص بطولاته .

(ثالثاً) إلى إيجاد الخلافات وتعميقها بين المفاهيم المتكاملة المترابطة .

(الإسلام والعروبة ، الدين والدولة ، العقل والقلب ، العلم والدين) .

لقد صيغت مناهج مدارس الارساليات على نحو دقيق يستهدف اخراج المتعلمين فيها من المسلمين من دينهم وذلك بالدعوة إلى طرح مجموعة ضخمة من

الأساطير والخرافات والقصص القديمه والوثنيات ومفاهيم الهلينية والغنوصية والباطنية ومحاولة النظر إلى الإسلام من خلال مفاهيم مقارنة الأديان ليست ترمى إلى فهم الأديان على حقيقتها بقدر ما تحاول أن تقدمه تفسيرات الاديان البشرية وخاصة فى مجال اليهودية والمسيحية وهو فى مجموعه لا يصلح للمقارنة مع أصول الإسلام الأصلية الثابتة التى لم تتغير ونصه القرآنى الموثق .

* * *

ولقد كانت المرحلة التالية الخطيرة هى : أن مناهج الإرساليات هذه بكل سمومها وصياغتها الهادفة إلى معارضة الإسلام قد استقدمت إلى المدارس الوطنية فى أغلب البلاد التى سيطر عليها الاستعمار واتخذت مناهج لها ومن ثم انحسر مفهوم الإسلام انحساراً كبيراً عن هذه المناهج وبرزت مفاهيم أخرى تحاول أن تصور الإسلام بأنه دين عبادة معزول عن تيارات الفكر .

وكان أخطر ما تمثل فى هذه المرحلة أن علوم الطب والقانون والسياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية مما يدرس فى مختلف الكليات الجامعية قد قدم على أنه نتاج غربى خالص .

حدث هذا فى نفس الوقت الذى تشهد كل الأبحاث العلمية الجارية على أن المسلمين الذين قدموا أوليات المسلمين هذه الدراسات والعلوم جميعاً .

وإذا كان الغرب قد تجاهل دور المسلمين فى أوليات هذه العلوم ، فقد كان خليقاً بمدارس العرب والمسلمين أن لا تتجاهلها وأن تورد فى صلب مناهجها أن المسلمين هم الذين كان لهم القدح المعلى فى المنهج التجريبى وفى علوم الطب والفلك والقانون وغيرها .

وأنهم قدموا أصولا عامه لا تزال هى الأساس لكل ما قدمت البشرية من بعد من دراسات فى هذه المجالات .

ولقد كان من شأن تجاهل هذه الصفحة وانكار هذه القضية أن خرج

الشباب المسلم من مداره الوطنية وهو مؤمن كل الإيمان بأنه وقومه عالة على الفكر الغربي ولم يكن الأمر كذلك مطلقاً ولن يكون .

ذلك أن قومه كانوا هم أصحاب السبق والقدح المعلى فى هذه المجالات وأن الدراسات الانسانية المعروفة اليوم إنما بدأت بالقرآن الكريم وأن المسلمين هم الذين صاغوا أصولها على النحو الذى بدأت به ربانية المصدر واتجهت بإنسانية البشرية .

غير أن الغربيين لم يلبثوا أن ترجموا هذه العلوم والآثار وحولوها إلى اطرهم وحركوها داخل طوابعهم الوثنية المادية المستمدة من الهلينية ومن ثم أخذوا ما وافقهم وطرحوا ما لم يجدوه متمشيا مع روحهم العام .

فلما جاءت اليقظة الإسلامية وارادت أن تراجع المعطيات الغربية وجدتها خالية أن الانتماء الإسلامى فضلا عن تجاهل أهلها لاصولها التى أخذوها من المسلمين .

كل هذا كان له أثره الواضح القوى فى مناهج المدارس الوطنية فى العالم الإسلامى وبالتالى كان له أثره فى تشكيل أجيال ليس لها انتماء إسلامى عميق صادق ، ومن ثم فقد كان ذلك منطلقاً إلى افساح الطريق إلى الغزو الفكرى الغربى .

ذلك أن النفس الإسلامية وجـــدت نفسها فى فراغ أزاء هجوم الحضارة الغربية ولم تجد لديها من الحصانة والحماية ما يحول بينها وبين الاحتواء الغربى .

كانت منطقة الفراغ ولا تزال تجعل النفس الإسلامية التى لم تلقن فى مدارسها ذلك العطاء الإسلامى القرآنى معرضة للغزو قابلة للاستهواء إذا ما واجهتها المناهج الغربية وأغلبها متصل بالهوى والرغبة والمطامع الذاتى وتطلعات الحس .

صادف هذا الفراغ النفسى ذلك الغريب المتقبل، دون أن يجد حصانة أو حماية ترد الغث والشر والضلال .

فكان ذلك التقبل الخطير للغزو الثقافى . ولذلك فأن وحدة الفكر الإسلامى الذى يجمع المسلمين اليوم على أصول عامة واضحة هو العامل الحقيقى الفعال فى دفع هـــذا الشر المطروح بقوة فى افق الفكر الإسلامى وفى نطاق المجتمع الإسلامى .

وتنطلق وحدة الفكر الإسلامى من مناهج المدرسة التى يجب أن تصدر أساساً من القرآن وتمتد إلى فروعها المختلفة ، اقتصاداً وقانوناً وسياسة ، وتربية ، فلا يكون الاسلام مادة تسمى « مادة الدين » وإنما هى روح عامة تنتظم كل الدراسات وتشهد منها هذه الدراسات منطلقها وهدفها .

وهكذا تبدو توصية وحـــدة الفكر الاسلامى كمنطلق للوحدة الاسلامية الشاملة هامة وخطيرة وعلامة على طريق نرجو أن يلتقى عليه المسلمون فى هذه المرحلة كمقدمة لكل نصر وثبات ، وكاداة لتحقيق رسالة الاسلام بتقديمها إلى العالمين .

الفصل السادس

الوحدة الإسلامية والشبهات المثارة حولها

من أبرز الأهداف التى عملت لها قوى الاستعمار فى العالم الإسلامى بعد سيطرتها على مقدرات هذه الأمة : الحيلولة دون التقاء أجزائها فى وحدة ، سواء وحدة جزئية أو وحدة شاملة . . ولقد حرصت على القاء بذور الخلاف والشك بين الأقاليم المتجاورة ، وأثارة أسباب البغضاء والشحناء حتى لا يجد هذا الكيان الواحد أسباب الالتقاء مرة أخرى بين عناصره المتكاملة . .

ولقد بدأ العمل أولا فى المجال السياسى عن طريق سيطرة الاستعمار على أنظمة الحكم وتوجيهها هذه الوجهة ، ثم بالسيطرة على برامج التعليم ومحاولة خلق صورة اقليمية خاصة قائمة على الجغرافيا وبث روح الاستعلاء المتصل بالوطن والأرض ثم من ناحية أخرى أعلاء التاريخ القديم السابق للاسلام فى كل أقليم عن طريق تشجيع بعثات الآثار على التنقيب عن الحضارات القديمة ففى مصر الفرعونية وفى الأردن البتراء وفى الشام الفينيقية وفى العراق الاشوريه ، ثم العمل على أحياء العنصريات والأعراق والدماء والتنافر بها بين عربية وبربرية وكردية وزنجية ، والاتجاه بعد ذلك إلى أثارة الخلافات القديمة بين المذاهب الإسلامية .

ولم يكن هذا العمل نظرياً محضا ، أو جاريا فى طريق التعليم والثقافة وحدها بل كان يذهب إلى أبعد من ذلك ، ففى المغرب كان العمل يقتضى احياء المحاكم القديمة التى كان يحتكم إليها أخواننا البربر قبل الإسلام ، وإحياء اللهجات العامية وربطها بالفرق فنجد العامية ترتبط إلى حد كبير بترجمات الكتب المقدسة ، ونجد اللهجات المختلفة فى البلاد العربية ترتبط بالدعوات القديمة : كل هذا كان من خطط الاستعمار للحيلولة دون التقاء العالم الإسلامى مرة أخرى على وحدته الأولى ، التى هى من طبيعته ، ووضع الحواجز المتعددة دون هذا اللقاء ، وقد جند لذلك كل قوى الاستشراق والتبشير ومناهج التغريب والشعوبية ، ومن

هنا نعرف أن تطور الفكر الاسلامي في العصر الحديث لم تكن له الإرادة الخاصة في الانطلاق نحو غايته منذ ظهرت حركة اليقظة في الجزيرة العربية في منتصف القرن الثامن عشر ، ذلك أن الاستعمار عمل في الجانب السياسي من ناحية إيجاد الخلاف بين الدول ، كما عمل في الجانب الثقافي من ناحية تربية أجيال تؤمن بالاقليمية وتعلي من شأن الوطنيات ، ولقد كان الاستعمار نفسه الذي سيطر على العالم الاسلامي منذ وقت بعيد واتم سيطرته في نهاية الحرب العالمية الأولى (والى عام ١٩١٨ يضع في تقديره كأساس فكرة التقسيم والتمزيق حتى أن أحدى الدول الغربية وقد كانت تحتل أربعة أقطار عربية في وقت واحد ، كانت تتخذ في كل قطر سياسة مختلفة في مناهج التعليم والثقافة والتاريخ على نحــو من شأنه أن يقيم أسباب الخلاف والخصومة بين الأجزاء المتجاورة التي لم تكن قبل الاحتلال الا عالما واحداً لا سبيل الى الفصل بين أقسامه .

ولقد سجل كثير من المستشرقين وكتاب الغرب ذلك الخوف البالغ من التقاء اجزاء العالم الاسلامي في وحدة جامعة ، وذلك أمر طبيعي بالنسبة لمستعمر يريد أن يستنزف مقدرات هذه الامم دون أن يعاون بعضها البعض على مقاومته غير أن الاستعمار وجد من العالم الاسلامي مقاومة لم تهدأ ، ومجالدة لم تتوقف ، بالرغم من عجز المسلمين عن مواجهة القوة العسكرية التي كان يفرض بها المستعمر نفوذه وسلطانه ولكنهم قدموا أرواحهم شهداء في سبيل تأكيد هذا الحق ، حتى تراجع الاستعمار عن مخططه ، وأخذ في التماس سبل أخرى من الأغراء والخداع ، لاستمرار بقائه ، ولكن ما كدت بعض الاقطار تجد حريتها حتى التفتت إلى جيرانها وأخذت سبيل الاتصال بها .

وقد أشد أوقات المحن وأقامة الحواجز الصفيقه بين أقطار المسلمين (وأقطار البلاد العربية بالذات) كانت الاستجابات للأحداث قوية مدوية بالرغم من كل حجر أو معارضة ، وكان الشعر والأدب يحطم السدود وينفذ من وراء الأسلاك الشائكة مقرراً أن هذه القيود ليست ألا وسائل مصطنعة لا تستطيع أن تحجب

الحقيقة التى تملا المشاعر ، ولقد ظـــل المغرب العربى بأقطاره الثلاثة (تونس والجزائر والمغرب) مقفلا على المسلمين والعرب من جيرانه إلى أوائل الخمسينات ومع ذلك فقد كانت الصحف الممنوعة تصل بين أحمال الابل إلى أقصى مكان فيه ، وكان رجاله الراغبون فى الحج أو طلب العلم بالازهر يقطعون مفازة الصحراء فى الشمس الحارقة أياماً طويلة وذلك بالرغم من كل حدود وسدود .

وكان من الطبيعى أن يعود المسلمون إلى الالتقاء بالروح والفكر بالرغم من كل ما حاول الاستعمار أن يغذية فى النفس الاسلاميه والعقل الاسلامى من أسباب الاقليمية الوطنية الضيقة، ذلك لان ما اراده الاستعمار مخالف لطبيعة الاشياء معارض للفطرة ولكن الاستعمار لا ييأس فى سبيل تمزيق هذه الوحدة ومن شأن تداخلاته أن تحول دائماً دون السير الطبيعى للامة إلى هدفها فهو ما يزال عن طريق قواه وادواته الفكرية مسيطراً على الثقافه والتعليم والصحافه فى بعض أجزاء العالم الاسلامى يعمل من جديد على أثارة الشبهات وتزييف الحقائق .

ولقد حاولت قوى اليقظة أن تصحح كل ما يلقى إلى أفق الفكر الاسلامى من شبهات وزيوف ولكن جعبة التغريب لا تفرغ أبداً ، وهى قادرة على اعادة تشكيل شبهات قديمة فى صورة جديدة ولكن قوى الحق قادرة دائماً على كشف خداعها والحق أقوى حجه وأبين دليلا .

وفى مجال أثارة الدعوات القديمة السابقة للاسلام فى محـــاولة لرد البلاد الاسلامية إلى تاريخها الوثنى الجاهلى القديم باحياء الفرعونية والفينيقية والبربرية والاشورية وغيرها كشفت وقائع التاريخ أن هذه الامم التى عاشت فى مصر وشواطىء سوريا وغيرها لم تكن الا موجات هاجرت من جزيرة العرب وأن الرابطة بينها وبين العرب قوية وعميقة فى لغاتها التى لم تكن الا فروعاً من اللغة العربية القديمة ، كذلك فان هذه العناصر لم تكن ألا عربيه الأصل ، تلك العروبة القديمة التى يحفظها وعاء دعوة ابراهيم عليه السلام حين تشكلت فى ارض مكة أمة التوحيـــد من ابراهيم وهاجر وأسماعيل ثم أصهرت إلى جرهم واتصلت

القحطانية بالعدنانية ومضت تنشىء تلك الامه التى توزعت بالهجرة فنقلت اللسان إلى هذه المناطق الواسعة إلى ما بين النهرين وسواحل الشام وأفريقيا حيث كانت توسد ركيزة لحركة الاسلام الواسعة التى جاءت من بعد، فقد جاء الاسلام مجدداً الحنيفية دين ابراهيم ، وقد كشف الكثير من الباحثين فى اللغات ذلك التقارب الواضح والعميق بين اللغة العربية وبين اللغة الفرعونية القديمة واللغات الفينيقية وغيرها .

ولما تكشف هـــذا المعنى ، زال ذلك الزيف الذى اثاره الاستشراق ودمر ذلك الركام الطويل العريض من الدعوة إلى الفرعونية على أنها معارضة للاسلام وكذلك الدعوة إلى الفينيقية والبربرية ، ذلك أن هذه الامم قد ذابت فى الاسلام عقيدة وفكرا ولغة ولم تعد لها صلة ما بماضيها ، لقد جب الاسلام ماقبله وأقام منهجا جديداً أنسى الامم تاريخها السابق وصحح مفاهيمها وعقائدها وحررها من الوثنية القديمة وعبادة الفرد وعبادة الاوثان وحررها من العبودية عامة ، وأقامها على شرعة العدل والحق ، فما عادت تتطلع إلى ظلام الماضى ولقد وجد الذين حملوا لواء هذه الدعوات فى حماسة فى أول الامر انه ليس فى أيديهم شىء مايمكن أن يقدم « منهاجا يجمع حوله الناس فلم يبق من الفرعونية فى أيديهم ثقافة ولا لغة ولا عاطفة ولا تراثا من اى نوع يمكن أن يكون خيطاً موصلا لمثل هذه الدعوات، ومن هنا فقد تراجع هؤلاء الدعاة تحت تاثير الفشل الذريع وكشف الدكتور محمد حسين هيكل وكان فى مقدمة الدعاة إلى الفرعونية عن هذا المعنى حين قال « كنت كن يضع البذر فى الارض والارض لا تنتبه ! »..

وقال : أنه وجد أن هذا الاتجاه لا يحقق شيئاً لمصر ولا ينهض بها وأنه بعد تجربته الاخرى بترجمة الفكر الاوربى وفشلها يجـــد أنه لا سبيل لاحياء هذه الامة والنهوض بها الا عن طريق واحد : هو طريق الاسلام وفكره ووحدته ولقد عاش ما بقى من حياته داعيا إلى ذلك المعنى مؤمنا به .

• • •

كذلك فيما يتعلق باعلاء شان (الوطنية) وهى صيحـــة ما تزال عالية فى بعض أجزاء البلاد الإسلامية والعالم العربى والإسلام لا ينكر الوطنيه ولا ينكر صلة الأرض ويدعو إلى الدفاع عن الأرض لأنها مركز الدعوة ولكنه ينكر المبالغة والجزئية وينكر أن تكون الأرض وحدها هى الهدف مع انها جزء من مفهوم كامل واسع قوامه : (الأرض — الأمة — الفكرة)

ولقد تعالت بعد صيحة الوطنية فى العالم الإسلامى صيحة القومية وكما نقلت مفاهيم الوطنية الغربية وهى خاصه ببلادها كذلك نقلت نظريات القوميات الغربية ، وقد دافع عنها الكثيرون وحاولوا اقناع الناس بها ، ثم تبين أنها ليست البذر الذى ينبت فى ارضنا ، ذلك لأن لكل قوم مفهوم للامة ، والمسلمون أقدم من الأمم الغربية نظراً فى هذه الأمور ، وقد رسم لهم منهجهم الخالد الذى لا يفنى ولا يزول : « القرآن » مفهوم الأمة والقوم ، ومفهوم اللقاء بين الشعوب للتعارف والترابط وجعل روح ذلك اللقاء بين الأمم والشعوب هو « التوحيد » هـــو اعلى ما فى عناصر اللقاء فلا بأس من الوطنية كجزء والأمة كجزء ولكن الفكرة هى الإطار الأكبر ، فاذا أصاب الأمم داء الاحتلال ونفوذ الغير فلتتشبث بالارض والوطن ، فاذا تحررت فعليها ان تلتقى فى كيان الامه ، مقدمة لتكامل وجودها بالفكرة والعقيدة وهى روح الوجود السياسى والاجتماعى للامة .

ولقـد كان مفهوم « العروبة » فى مجال الفكر الإسلامى مخالفاً كل المخالفة لمفهوم القومية الغربية ، ذلك أن العروبة هى فى العالم الإسلامى مصدر قوة موجهة ، وطليعة للعالم الإسلامى ، وهى فكراً كثر منها عنصر وعرق ، فكل من تعلم بالعربية فهو عربى ، والعربية كما أشار الرسول صلى الله علية وسلم هى اللسان ، وعلى المسلمين ان يدخلوا فيها اى أن يدخلوا فى « عقلية القرآن » التى هى اللغة الفصحى والقرآن دستور الاسلام واساس العبادة والطاعة .

ولقد كانت العروبة مخالفة للقوميات بانها ليست حدوداً مغلقة ولا صراعا

ولاعدوانا ولا تطماً إلى استغلال من نوع ما ، بل هى نقطة انطلاق إلى وحدة الامة الاسلامية فكراً وثقافة واجتماعا وشريعة .

ولقد حاول التغريب أن يلقى إلى الفكر الاسلامى شبهات حول هذه المعانى فى محاولة لتزييفها واثارة الاضراب حولهـــا وعلى كتاب المسلمين تجلية هذه الحقائق باعتبارها الوسيلة الاولى والاساسية فى قيام وحدة اسلامية جامعة :

الفصل السابع

لم ينم المسلمون على الضيم منذ خمسين عاما

منذ أسقطت الخلافة الإسلامية والمسلمون لا يستنيمون إلى هذا الحدث الضخم ولا ينسونه ولا يفرطون فى أمره ، ولا يغيب عنهم مدى خطره وجلال شأنه والآثار البعيدة التى ترتبت على وقوعه .

وقد جاء ترتيب الأحداث التاريخية مترابطاً ، ففى نفس العام الذى سقطت فيه الخلافة الاسلامية فى استانبول قامت الدوله العربية السعودية فى بلاد الحجاز باسم الله وعلى دعوة التوحيد الخالص واعطت بلاد القبلة مكان الصدارة مرة أخرى فى قلب الجزيرة العربية التى منها نبعت دعوة الإسلام الأولى .

ولقد كان سقوط الخلافة الإسلامية عملا بعيد المدى من أعمال المكر السياسى والدهاء الاستعمارى والتآمر الصهيونى البالغ القسوة والعنف ، والقادر فى ذلك الوقت، على تحريك الأحداث حينما كان المسلمون والعرب يمرون بفترة من أقصى فترات ضعفهم وتخلفهم .

كان سقوط الخلافة أملا يراود القوى الاستعمارية وعملا يجرى الترتيب له والاعداد منذ أعوام ، من أجل القضاء على هذه القوة السياسية والاجتماعية الجامعة للمسلمين القائمة برباط — مهما بدا واهنا من الناحية السياسية — فأنه كان من الناحية الفكرية والمعنوية بعيد الأثر عميق الشأن .

كان ترتيب اسقاط الخلافة الاسلامية وتمزيق الدولة الاسلامية التركية الجامعة للعرب والمسلمين ، عملا ، يجرى التخطيط له بين مختلف القوى الطامعة فى

المنطقة : « انجلترا وفرنسا وروسيا » وكانت الصهيونية العالمية من وراء ذلك كله تعد نفسها للسيطرة على فلسطين .

وكانت مواقف السلطان عبد الحميد الحاسمة وتصرفاته السياسية البارعة قد ارهقت القوى الأجنبية وصارعتها ووضعت الخلف بين صفوفها ؛ حتى نجحت خطتها الجامعة على التخلص من السلطان ومن الخلافة ، وجاءت الصهيونية العالمية فدعمت هذا الاتجاه وعملت على تحقيقه بعد أن تبين لها موقف السلطان من أهدافها فى الوصول إلى فلسطين وموقفه الحاسم فى معارضته ذلك بخطابه التاريخى المشهور الذى رد به على العرض الخطير الذى تقدم به اليهود بدفع خمسين مليونا من الجنيهات إلى خزينة الدولة وتسديد ديونها حيث قال رحمه الله :

« أن ديون الدولة ليست عاراً فغيرها من الدول مثل فرنسا مدين ، ليحتفظ اليهود بأموالهم فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمى وراء حصون بنيت بأموال اعداء الاسلام .

« أن بيت المقدس قـــد افتتحها الاسلام عمر بن الخطاب ولست مستعداً لأن اتحمل فى التاريخ وصمة بيعها اليهود ولا خيانة الأمانة التى كلفنى المسلمون بحملها » .

من خلال هذا الخطر الصهيونى كانت محاولة إسقاط الخلافة الاسلامية التى بدت حجر عثرة فى وجه التوسع الاستعمارى والمؤامرة الصهيونية معا ، ذلك أن السلطان عبد الحميد كان قد رفع لواء الدعوة إلى الجـــامعة الإسلاميه كسلاح فكرى وسياسى للتجمع الإسلامى العام خارج نطاق الدولة العثمانية وبزعامة خليفة المسلمين ، ولذلك فقد اشتعلت نيران الحملة على فكرة الجامعة الإسلامية وأصبحت من الأهداف الاستعمارية التى جرى ضربها فى كل مكان وخاصة فى مصر عن طريق الصحافة التى قادها الموارنة من خريجى مدارس الأرساليات وأعوان الاستعمار والصهيونية جميعاً .

كانت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية أساسا هى فكرة السلطان عبد الحميد وكان جمال الدين الأفغانى قد حمل لهذه الفكرة من منطلق آخر هو منطلق الدعوة الحرة ،وكان عمل السلطان له خططه وإمكانياته السياسية والعسكرية ، فقد انطلق الدعاة إلى مختلف أجزاء العالم الإسلامى يحملون فكرة الجامعة الإسلامية ويدعون إلى اتحاد المسلمين فى وجه الخطر المتربص والمندفع فى نفس الوقت لتمزيق العالم الإسلامى ، وهدم الدولة الإسلامية العثمانية واسقاط الخلافة .

وكانت أعمال السلطان عبد الحميد تجرى فى مختلف المجالات لدعم الروابط بين أجزاء العالم الإسلامى وتقريب وحدته ، وكانت عملية إنشاء سكة حديد الحجاز فى مقدمة هذه الاتجاهات العصرية الرائعة لأهمية المواصلات فى الربط بين أجزاء العالم الإسلامى . ولقد كان الاستعمار واعيا لمدى الخطر من تحقيق مثل هذا المشروع الذى كان سقوط السلطان عبد الحميد مرتبطاً باتمامه فى عام واحد.

وكانت الدعوة إلى الأقليميات والعصبيات وأحياء الأجناس والأعراق والدماء فى مقدمة الخطط التى أثيرت لمواجهة دعوة الجامعة الإسلامية ، وقد بدأها مستشرقون ورجال مشبوهون من أجناس غريبة عن العرب والمسلمين وحملوا لواء هذه الدعوات إلى قلب الدولة العثمانية واستعانوا من اجلها بالفرق الضالة وفى مقدمتها « الدونمة » المجتمعة فى سالونيك والتى دخلت فى الإسلام زيفا لتحقق من وراء ذلك مؤامرة هدم الإسلام واسقاط الخلافة .

ومن ثم تأججت الدعوة إلى الطورانية وذهبت إلى أبعد الحدود فى مجافاة الإسلام وكراهية العرب والقضاء على التاريخ الطويل ؛ وكان التأييد الأجنبى الغريب من وراء محافل الماسونية وركائز الارساليات قد قام بدور كبير فى الاعداد لهذا العمل الذى ظهر بعد اسقاط السلطان عبد الحميد على نحو واضح الهدف والاتجاه فى خدمة الصهيونية والاستعمار والاجهاز على الدولة العثمانية الإسلامية وإلغاء الخلافة .

أن ما وقع عام ١٩٢٤ من اسقاط الخلافة الإسلامية لم يكن وليد الساعة ولا ابن اللحظة ولكنه كان نتيجة تخطيط طويل المدى جرى فى أبعاد مختلفة . وايدته قوى كبرى حتى حقق غايته فى ذلك العام .

كان اسقاط الخلافة الإســلامية هو خاتمة حلقات متتابعة من معارضة الجامعة الإسلامية وتمزيق الدولة العثمانية الإسلامية والوقيعة بين الترك والعرب ثم كانت النهاية هى اسقاط الخلافة .

ولقد أحس المسلمون بمدى الخطر العظيم لهذا الحـــدث ، وعرف مفكرو المسلمين كيف كانت قوة الحدث نفسه فى تنظيم يجمع المسلمين فى المجـال الفكرى بعد أن ضرب تجمعهم السياسى .

ولكن رد الفعل كان بعيد المدى وأقوى مما التقطته عيون المراقبين السياسيين .

ذلك أن الخلافة الإسلامية لم تلبث أن أصبحت ركنا أسياسيا فى كل حركة إسلامية ودعوة إسلامية وكانت ثالثة العقائد على حد تعبير أحد الائمة المسلمين ، فلم يغفل عنها المسلمون لحظة وما وهنوا فى سبيل الدعوة اليها على نحو من الأنحاء .

ولكنهم كانوا دائمـــا يذكرون تلك اللحظة التى يتاح لهم فيها العودة إلى الحديث عنها والعمل لهـا ، وظلت الخلافة الإسلامية — عنواناً على التضامن الاسلامى والرابطة الاسلامية والأخوة الاسلامية الجامعة — أملا كبيراً تجرى فى سبيل تحقيقه عقول كثيرة وتدور ابحاثه فى عـــدد من المؤتمرات العالمية الاسلامية .

واليوم والأمل يتجدد فى التقاء المسلمين على وحدة الهدف والصف وقد بدأت ترتفع على أقلام الكتاب وعلى ألسنة الزعماء كلمة الخلافة الاسلامية متجددة كأمل يهز المسلمين ويربط بينهم ، فاننا نجد أن ذلك قـــد جاء باسرع مما كان يتصور المتشائمون من أعداء هذه الأمة ومن أمثال الكتاب التابعين للغزو الفكرى

والتغريب الذي كتبوا تحت عناوين من أمثال قولهم « غروب الخلافة الاسلامية وقد بلغ ببعضهم التعصب والحقد وكراهية هذه الأمة إلى حد أن يقول في آخر كتابه:

(وهكذا غربت الخلافة الاسلامية إلى الأبد) .

وهي عبــارة حاقدة ، وليست علمية ، وبعيدة عن التقدير الصحيح للامور ، الذي يتسم به المؤرخون القادرون على دراسة احداث تاريخ الاسلام وأطوارة ، والحركات الاسلامية التي تظهر فجأة دون أن تكون مقدماتها قد عرفت ، إلى غير ذلك وقائع من تاريخ الاسلام التي تجعل هؤلاء مثلا للسذاجة وموضوعا للسخرية . وتدل على قصر نظرهم التاريخي وتكشف عما تشوبه قلوبهم من أحقاد على امتهم ، وما يحــرون وراءه ارضاء المستشرقين وعملاء التغريب بمثل هذه العبارة الساذجة .

ومن عجب أن يرون ذلك كله ولا يصيبهم الخزي ولا يطأطئون رؤوسهم ذلة وخسة على عجزهم العلمي والفكري فضلا عن عـــدم قدرتهم على التمسك بسلامة نفوسهم ازاء أمر هو شرف لها ورفعة .

نعم لقد جاء اليوم الذي عادت فيه الاحاديث مرة أخرى - ليس بين كتاب المسلمين وحدهم ولا بين دعاتهم ، ولكن بين القادة إلى طرح فكرة الخلافة مرة أخرى ! بينما نجد عديداً من المشروعات البديلة للخلافة من امثال فكرة كومنولث اسلامي إلى فكر جامعة إسلامية إلى فكرة تضامن عام .

وكلها تستهدف تحقيق الغاية الكبرى في جمع كلمة المسلمين وقيام ذلك الرباط القوي بينهم مرة اخرى بعـــد ان تراخى قليلا في السنوات الخمسين : هذه السنوات التي شهدت عشرات من الابحاث والمشروعات والدعوات إلى وحدة المسلمين، والتي حملت عملا ضخما واضح الحدود والدلالة ، يجرى الان في طريقه إلى الغاية البعيدة يلتقي في منبعه اغلب دول العـــالم الاسلامي . وتمضى خطط العمل فيه إلى الغاية الكبرى .

نعم ، لم يستلم المسلمين منذ سقطت الخلافة الاسلامية الى تقبل هذا الحدث الضخم ولكنهم عملوا منذ اليوم الاول ومازالوا يعملون حتى امكن القول بانهم بعد خمسين عاما يجدون انفسهم على الطريق .

الباب الثانى

الدعوة الإسلامية

الفصل الأول

الدعوة الإسلامية

تتمثل الدعوة الإسلامية فى ثلاث دعائم : الجماعة الإسلامية والأزهر وكتاب] الإسلام ولم تتوقف الدعوة الاسلامية عن العمل يوماً واحداً خـــلال تاريخ الاسلام كله ، وفى العصر الحديث وبعد أن دخل العالم الاسلامى فى مرحلة الضعف والتخاف كانت الدعوة إلى تجديد الاسلام وتحريره من التقليد والجمود تنطلق فى كل مصر وعلى أيدى أعلام الاسلام ودعاته ، وإذا كانت الدعوة إلى التوحيد التى قادها محمد بن عبد الوهاب قد اصبحت بمثابة العلامة الحقيقة اليقظة فى العصر الحديث فإن هذه الدعوة قد انطلقت على السنة كثير من الدعاة فى جامع المؤيد فى القاهرة وفى اليمن وفى إجزاء كثيرة من عالم الإسلام ، غير أن الدعوة الوهابية ما لبثت أن أصبحت (أما) للدعوات لأن قيامها قريباً من مسقط رأس الدعوة الاولى عرف بها الكثيرين ممن وردوا مكة فى موسم الحج فكانت حركة احمد بن عرفان فى الهند الاسلامية وحركات السنوسية والمهدوية فى أفريقيا وكانت بعد ذلك حركات جمال الدين ومحمد عبدة والدعوات إلى أطلق عليها اسم السلفية فى سوريا والعراق والجزائر وتونس ومراكش .

غير أن هذه الدعوات جميعاً وقد قامت بدور مزدوج فى تحرير الاسلام من من الزيوف والتقليد والبدع والخرافات والعمل فى نفس الوقت على مقاومة النفوذ الاستعمارى الذى كان قد سيطر فعلا على إجزاء كثيرة من العالم الاسلامى وألغى حكم الشريعة الاسلامية ونظام التربية الاسلامية وأقام نظاماً غربيا قائماً على القانون الوضعى والانظمة الغربية السياسية والاقتصادية .

غير أنه بعد ان سقطت الخلافة الاسلامية فى تركيا وانتهت الدولة العثمانية ،

أبلغت الدعوة الإسلامية عن إنجازين كبيرين : احدهما قيام الدولة الوهابية الجديدة فى الحجاز والاستيلاء على الأراضى المقدسة وبذلك أصبحت دعوة التوحيد هى المفهوم الأصيل للمسلمين جميعاً الذين يعتبر البيت الحرام قبلتهم وكان ذلك عملا بعيد الأثر فى تحرير عقيدة الإســـلام من جبرية الصوفية ومن الانحرافات التى كانت سائدة فى بعض أقطار الإسلام .

أما الانجاز الآخر : فهو دخول الدعوة الإسلاميــة مرحلة الحركة فقد ظهرت فى مختلف الأقطار العربية والإسلامية الجماعات والهيئات الإسلامية التى قامت على أساس التربية الإسلامية وبناء الأجيال وكان إبرز معالم هذه الظاهرة فى الهند وأندونيسيا وفى العالم العربى وخاصة العراق وسوريا ومصر والسودان. وكانت أبرز هذه الجماعات الشبان والإخوان المسلمين وشباب محمد .

وقد نمت هذه الظاهرة واستوعبت شباب المسلمين فى أجيال متعددة إمتدت من ١٩٢٦ إلى ١٩٤٩ تقريباً عندما أصطدمت هذه الحركة بالخصومة الشديدة للاستعمار والنفوذ الأجنبى والاحزاب ثم بدأت مرحـــلة من أقصى مراحل التصفية والاضطهاد التى واجهتها هذه الحركة فقد أثيرت حولها بمجموعة ضخمة من الاتهامات التى ظن الذين بيدهم مقاليد الحكم أنها أصبحت من الخطورة بحيث يخشى أن تفرض على الأنظمة الليبرالية الغربية نظام الإسلامية فى السياسة والاقتصاد والقانون والتربيه .

ولذلك فقد تآزرت القوى المختلفة فى سبيل تصفيتها والقضاء عليها ويعد تقرير كيفهاير : المستشرق الألمانى وثيقة تاريخية فى تحديد دور هذه الظاهرة فقد تساءل يقول : هل جمعية الشبان المسلمين تعمل وحيدة فى الميـدان أم هناك اتجاهات أخرى وهل هذه الحركات من الكثرة والقوة بحيث تسمح لنا أن نتكلم عن اتجاه عام للفكر الإسلامى فى مصر .

ويقول: أننا نجد الإسلام يتبوأ مكانته السامية فى مظاهر الحياة العامة فى مصر فى دستورها وحياتها النيابية وفى تشريعها وتعليمها العام ، فى كل مظاهر الحياة

الاجتماعية وأن مما يميز سيرها فى سبيل الرقى بالاجمال وجود عاملين متضامنين أولهما الميل إلى قواعد الإسلام الرئيسية ، وثانيهما سعة النظر بحيث تقبل ما فى الحياة الحديثة من مستحدثات مما يدل على الاستعداد للتجديد المعقول .

فالدستور المصرى يقول أن دين الدولة الاسلام وقد غير دستور ١٩٢٣ وحل محله دستور أكتوبر ١٩٣٠ ولكن تلك المادة لم تتغير . ولقد تناقش أعضاء مجلس النواب فى تعديل بعض تفاصيل الشريعة الاسلامية فيما يختص بالاوقاف والقضاء طبقا لأحكام الدين مازال قائما والقسم الدينى الذى يعزى أصله إلى الوحى السماوى ما برح قائماً أيضاً وفى مناقشات البرلمان للقوانين الدينية يظهر الأعضاء عظيم احترامهم لمبادىء الاسلام وقد قام مدافعون شديدوا الحماسة عن تلك المبادىء كلما سنحت الفرصة .

وقد وجهت جمعية الشبان المسلمين احتجاجا فى ديسمبر ١٩٣٠ لما وجدت أن النظام العام للتعليم قليل الاهتمام بالتعليم الدينى . ولا أظن والحركة العامة فى مصر كما وصفنا أن نرى وزارة تستطيع أن تقرر طرح المبادىء الصحيحة التى تسود مناهج التعليم التى وضعتها .

وقال : نرى أن المنشئات الدينية توسع نطاق نشاطها بالتدريج فهناك الجامع الأزهر ، وهناك المجلة التى تأسست منذ سنين : مجلة نور الاسلام وهى التى تحوى دراسة جدية لتعاليم الاسلام والمعضلات العلمية والخلقية والتاريخية والفلسفية التى تتصل بتلك التعاليم لكى نصل إلى رأى عنها صحيح متين .

وأشار كيفماير إلى مشروع تقوية التضامن الاسلامى الذى أعدته جمعية الشبان المسلمين ، ومشروع تأسيس بنك إسلامى ، وجمعيات تعاونية اسلامية وتأسيس صحيفة اسلامية يوميه ، وماتضمنه برنامجها من العمل على تعميم اللغة العربية فى البلاد الشرقيه وتكوين عصبة امم اسلامية لحل المنازعات الاسلامية وتشجيع المسلمين على اعادة الخلافة وانشاء مدرسه تعلم القرآن فى كل جمعية وايجاد الكشافة الإسلامية ، والدعوة إلى جمع أحاديث النبى الصحيحة بوضع

التثقيف الدينى وجعل التعليم ودراسة التاريخ الاسلامى ماهـــين فى المدارس ، والدعوة إلى سن تشريع يمنع البغاء والخمر والميسر ومنع التبرج وغشيان الأماكن المفسدة للاخلاق واتخاذ الروايات التمثيلية الإسلامية وتفسير القرآن عن طريق لجنة من رجال ذوى جدارة ، قيام علماء المسلمين بكتابة موسوعة اسلامية وتأسيس لجنه علمية لمقاومة الالحاد وأرسل مثلين لاقحام ودحض شبه المبشرين فى إجتماعاتهم ، مع التمييز فى القانون بين الطعن فى الدين وحرية التفكير .

وأشار كيفماير إلى أن الجمعية بحثت موضوع أعادة الخلافة الاسلامية، وقررت أتفاق الأعضاء على أن احياء الخلافة الإسلامية بحيث يجب أن يكون امنية كل عضو من جمعيات الشبان المسلمين وأن عليه أن يعمل على تحقيقها متى سنحت الفرصة وأدخل الى ميثاق الجمعية مايختص بعودة الخلافة وهو ما أقترحه السيد محب الدين الخطيب .

و (المادة — ٢) من الميثاق تتكلم بشـــكل عام عن الرئاسة العظمى (الأمامة) فى الأسلام والتى يجب على اعضاء الجمعية توجية هممهم لاحيائها .

قال : ان الموقف الذى اتخذته الجمعية حيال مسالة الخـــلافه يدل على حالة الرأى العام للشرق الادنى فى هذه الحالة التى حركت الشرق حركة قوية بسبب الغاء الأتراك الخلافة العثمانية رسمياً (نوفمبر ١٩٢٣) ونهائيا (مارس ١٩٢٤).

ولقد كان هذا المعنى واضحا فى تشكيل الأخوان المسلمين وفى مختلف الهيئات الاسلامية فى هذه الفترة وظل من الأهداف الأساسية لها جميعا يتمثل فى الدعوات المختلفة والمتعددة إلى الوحدة والأتحاد والتجمع والتضامن التى برزت من بعد وإمتدت إلى اليوم.

وغاية مايمكن أن يقال بالنسبة للدعوة الأسلامية التى بدأت فى هذه المرحلة (مرحلة مابين الحربين) إنها نمت واستحصدت بعد الحرب العالمية الثـــانية وبرزت واضحة فى أكثر من موقف وخاصة فى قضية فلسطين الذى شاركت فيها كتائب الدعوة الاسلامية وكشفت عن قدرة واضحة عميقة كان لهـــا أبعد

الأثر فى العمل على احتوائها والقضاء عليها .

لقد كانت الدعوة الاسلامية فى هذه التجمعات تختلف إختلافا واضحا عن تجمعات الأحزاب إذ كانت تقوم على أساس التربية والتكوين النفسى والاجتماعى الذى يعد بمثابة مرحلة جديدة تختلف عما كانت عليه من قبل او أصبحت هناك تجمعات مؤمنة تستعد للجهاد فى سبيل دفع الغزاة عن الوطن الاسلامى وتفهم واجبها فى أعادة بناء المجتمع وفق شريعة الله وفى مواجهة الصهيونية والصيوعية والاستعمار وتقديم نموذج عملى للجماعة السياسية تختلف كثيراً عن نظام الأحزاب التى عرفت بالفساد والاضطراب .

يقول دكتور حسن حنفى : كانت جماعـــة الاخوان فى وسط الصورة التى كانت فى إذهان الشعب عن الأحزاب من فساد ومصالح ذاتية وأطماع شخصية ومعارك جانبية ، تمثل صورة أخرى هى الحزب النظيف وقد بقيت الجماعة لهذا حتى بعد حل الأحزاب لانها ليست حزب ككـــل الاحزاب (الا أن حزب الله هم الغالبون) .

وكان الحزب الأسلامى الذى مثلته الجماعة اكبر رد فعل تاريخى على اللامبالاة عند المسلمين الذى عرض لها الـــكواكبى فى أم القرى فقد تحول الدين من عقيدة إلى حركة جماهيرية وأصبح الإسلام غذاء الجماهـــير اليومى ، ولاول مرة جند الإسلام الجماهير بهذه القوة وهذا الاتساع ، حتى انعد الجماعة جزءاً من الحركات الشعبية التى ذخر بها العالم الاسلامى .

وبهذا إمتازت على غيرها من الدعوات التى لم تخرج عن دائرة المثقفين الضيقة أو نطاق الكتب والنظريات حيث أصبح الدين لمصلحة الجماهير وقد أثبتت الجماعة وجودها فى معاركنا الوطنيـــة وعلى رأسها معارك القناة ١٩٥١ (ونقول أن هذا هو العمل التاريخى الثانى بعـــد معركة فلسطين ١٩٤٨) فقـــد كان متطوعوها فى الصفوف الأولى ، وكان شهداؤهم يودعون إلى مثواهم الأخير من الجماعة والشعب وكان الاستعمار بهذا

الجند المسلح الذى يسترخص الموت وقد كان شعارهم (الموت فى سبيل الله اسمى أمانينا) ومن عاشر الجماعة فى فلسطين ١٩٤٨ يذكر أيضا فدائى الجماعة وكيف كانوا يقذفون أنفسهم فى المعارك وفى قلب المستعمرات الصهيونية على خلاف مقررات الجيوش [1] .

والواقع أن صورة الاستشهاد فى فلسطين هى التى هزت دوائر الاستعمار ودفعت القوى الصهيونية والاستعمارية والشيوعية على التكتل فى سبيل القضاء على هذه التجمعات فى ثلاث ضربات كبرى (١٩٤٨ ، ١٩٥٤ ، ١٩٦٤)وجهت إلى الدعوة الإسلامية وحجبت كلمه الله سنوات طويلة وأفسحت المجال للفكر المادى والوثنى والاباحى الذى حمل لوائه دعاة التغريب والشعوبيون والماركسيون .

كان مفهوم الدعوة الاسلامية بوصفها تحقيق أقامه المجتمع الربانى فى الأرض والسعى لبناء الحياة من أجل أن تكون منطلقا إلى الآخرة وأقامة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والعمل والتكسب بالامانه والخلق وأداء حق الله وعمل الخير والبر وبث تعاليم الاسلام فى أفراد أسرة المسلم وفى أهله وفى كل من يلقاه والجهاد فى سبيل تبليغ رسالة الله والتضحية فى سبيلها هو الطابع الغالب الذى انتشر فى كل أرض الاسلام وقامت من أجله جماعات مختلفه وتشكيلات متنوعة وخاصة فى أنحاء البلاد العربية كلها ومن ثم نشأ جيل جديد غذى مختلف جوانب الحياة الاجتماعية بالاخلاص والايمان والرحمة ونشرت بذلك الدعوة أصدق مفهوم للاسلام بوصفه دينا ونظام مجتمع ومنهج حياة وأن ظل التطبيق الاجتماعى قاصراً على جماعات قليلة غير أن الدعوة إلى تطبيق الشريعة الاسلامية وأقامة الحدود وتوجيه العمل الاجتماعى وجهه خالصه لله والعمل على أقامة نظام التربية الاسلامية والتصدى لكل الدعوات الضالة والمنحرفة والهدامه، ومقاومتها وكشف زيفها وخاصة دعوة الشيوعية والصهيونية وبث روح الجهاد فى سبيل تخليص

---

(١) جريدة الجمهورية ١٠ مايو ١٩٧٦ .

الأرض الاسلامية من الغزو الصهيونى والشيوعى وقد أعان على إتساع رقعة الدعوة أنها كشفت زيف النظامين الرأسمالى والماركسى وأبانت فسادهما وعجزهما عن خلق مجتمع جديد ومن هنا كانت حملة القوى الاستعمارية والغاضبة عليهما شديدة ومستمرة فقد كانت هذه القوى تؤلب الحكومات على أهل الدعوة الاسلامية وتدفعها إلى مقاومتهم.

هذا وشأن كل الدعوات نشأت فصائل غالية ومنحرفة لا تمثل مفهوم الاسلام الأصيل وكانت فى وجهتها وما تدعو إليه لا تمثل العمل الإسلامى الكريم القائم على التعبير بالحكمة والموعظة الحسنة وتقدير الزمن فى التعبير والتماس الاسلوب المشروع فى الدعوة إلى الله والعمل على تطبيق النظام الاسلامى فى مجال التشريع الاسلامى بديلا للقانون الوضعى وفى مجال التربية بديلا عن أنظمة التعليم الوافدة وفى مجال الاقتصاد والاجماع .

ولقد كان للازهر (والمؤسسات التعليمية الاسلامية فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى كالرابطة الاسلامية والقرويين ومراكز تجميع العلماء فى البـــلاد العربية) اثراً واضحا فى كشف زيوف الفكر الغربى الوافد تحت اسم الاستشراق والتغريب وكان لجماعة من كتاب المسلمين دورهم الواضح فى حمل لواء حركة تصحيح المفاهيم التى مكنت الدعوة الاسلامية من مواجهة الفكر الليبرالى الغربى والفكر القومى والاقليمى والفكر الماركسى ، فقد نشأت أجيال جديدة من العلماء درسوا الفكر الغربى وقارنوا بينه وبين الفكر الاسلامى وكشفوا فساد الأخذ به فى المجتمعات الاسلامية وفى هذه الفترة وقف كثير منهم وقفات صامدة فى وجه النفوذ الاجنبى والتغريب والشيوعية وقدموا دراسات حية قوية تكشف عن منهج الاسلام فى الحكم والسياسة والاجتماعيه والاقتصاد والتربية .

وكان من مقدمة من رفعوا صوتهم عاليا بمواجهة الفكر الماركسى والغربى محمد أبو زهرة ومحمد الغزالى وعبد الوهاب فايد ومحمد المبارك وسيد قطب ومحمد قطب ومحمد محمد حسين ومحمد البهى ولقد تكشف فى هــــذه الفترة زيوف

كثير قـــدمها طه حسن وعلى عبد الرازق واشار كثير من الباحثين الغربيين إلى هذه الدور الذى قام به الأزهر فى مواجهه تحديات التغريب ، فقال أحدهم أن الأزهر فى نظر علماء الشعوب والاجتماع هو المدرسة الوطنية التى تربط الأمة بماضيها وان كان ينقصها ربط الحاضر بالمـــاضى وتلقين جيل اليوم ما كان خلفه من دين ولغة وعادات قومية وخلقيه ، وهو لهذا كان ولم يزل مكمن الخطر على الاستعمار الغربى وعلى سياسته فى حكم الشعوب الاسلامية كما يراه الغربيون أنفسهم الذين تخصصوا فى السياسة وفى فلسفتها .

وقد بحث ارنسب كريك الاستاذ بجامعة هيدبرج فى المجلة العلمية السياسية الالمـــانية عن بيان صلة الازهر بالاسلام وعلى الخصوص بالحركات الوطنية فى الشرق .

ويرد الكاتب الحركة الوطنية التى قامت ضـــد السيادة الفرنسية فى تونس ومراكش والجزائر الى الإفراد الذين غلبت عليهم الدراسة الوطنية الإسلامية وعلى الاخص أولئك الذين تلقوا علومهم فى الازهر فى رأى الكاتب وفى رأى كثير من أمثاله أن الازهر هو منبع الخطر على السيادة الاجنبية وفى الشرق كله.

ولقد كشفت ابحاث علماء الإسلام الذين نشأو على فهم الدعوة الإسلامية دينا ودوله ومنهج حياة عن دعوة صادقة إلى أعادة صياغة المناهج التعليمية من جديد وفق روح الإسلام والتخلص من المناهج التقليدية الحالية المشوبة بروح الإرساليات الاجنبية وسيطرة النفوذ الآجنبى منذ أيام الإحتلال الغربى وما تبعه من استشراء أساليب الغرب فى الفترة الاخيرة .

وقد أرتفعت الاصوات معلنه ان الإزمة الحقيقية الحاضرة فى الاسلام هى ازمة التعليم كما دعت إلى أسلمة الإعلام واجهزته وإلى اعادة المجتمع العربى إلى أصوله الاسلامية وكشف الدكتور عبد الحليم محمود عن التحدى الذى يواجهة الازهر فيحول بينه وبين اداء رسالته كان وذلك نتيجة لعجزه عن إمتلاك إرادته فى الاوقاف الخاصة به .

يقول : (١) لقد كان موقوفا على الأزهر ما لايكاد يحصى من اموال وكان الأزهر يعيش فى حدود اوقافه كريم النفس رافع الرأس وكان صدر الحاكين يضيق أحيانا فما كان لهم فى أخضاع الأزهر من سبيل من ناحية الرزق ، وقد اخذ الحاكمون فى عصر دولة محمد على يحتالون الامر حتى امكنهم بالمكر والخديعة ان يستولوا على اوقاف الأزهر ويعطوه مالا من خزانة الدولة يضيق عليه سنويا ولا يساير الدولة نحو الأزهر وتطوره واصبح الأزهر فى ضيق يزداد ضيقاً كل عام .

« أما اوقاف الأزهر التى أخذت منه بالمكر والخديعة فأنها شرعا. مازالت له لأن اوقاف البر لاتؤخذ هكذا ، ولا يغير مصرفها وكل هؤلاء الذين استولوا عليها إنما يأكلون حراما ومن ياكل حراما لايقبل الله منه عملا وان الرجل ليقذف باللقمة الحرام فى جوفه مايتقبل منه عمله اربعين يوما كما يقول الرسول ولا يتقبل الله ممن ياكل اوقاف الأزهر ولابد من رد مال الأزهر إليه حتى يكون البركة ويكون النماء وهذه الاوقاف ثابته فى حجج ومازالت هذه الحجج محفوظة .

وكما أغتصبت دولة محمد على هذه الاوقاف فانها يجب ان ترد ثانية واشار إلى دور الأزهر فقال انه حين حدث ماحدث فى تركيا بازالة الخلافة تطلعت العيون إلى الازهر اذ كان لابد للناس من أب روحى ونظروا الى شيخ الإزهر على أنه شيخ الإسلام واحتلت مصر منذ ذلك الحين مركز الزعامة فى العالم الاسلامى ، ولقد قام الازهر طيلـــه قرون فى وجه الزحف الفـــكرى ليعلن للناس رسالة الله آخر الرسالات صافيه نقية وهذه المكانه للأزهر يعترف بها المستعمرون والمبشرون يقول أحدهم ان العمامه البيضاء فى أفريقيا أخطر علينا من القنبلة الذرية .

ويقول : أن هناك عوامل كثيرة تكاتفت على النزول بالأزهر عن مكانته وأهمها الإستعمار والتبشير اذ كان لابد فى نظر أعداء الإسلام من هدم الأزهر وبدأت عوامل الهدم : بدأت السخرية بعلماء الأزهر فى

---

(١) عن بحث نشر فى أغسطس ١٩٧٤

التعليم ، بدأ ذلك فى التمثيليات وفى الأفلام وفى الصحف وفى المجـــلات ، وكان المثل الصارخ تلك القصة التى كتبها أحد كبار الكتاب بفرنسا واتخذ من قس فيها مجالا لسخريته وتهكمه فإذا التليفزيون يخرجها أياما متوالية متخذا منها شيخا مجالا لتهكمه وسخريته ولم يجد المخرج من يقول له : أن هـذا انحراف ولم يعاقبه أحد ولم يسىء إليه إنسان .

وهذه الأفلام المأجورة التى تكتب هنا وهناك عن التشكيك فى الدين وفى القيم الاخلاقية وفى الهجوم على التشريع الالهى . أنها لا تجد من يقول لها : انك أقلام ماجورة ، أقل ما يمكن أن يزجوا فى السجن لتخرس منهم الالسن ، أن لكل بلد مقدسات ومن مقدسات أمريكا مثلا النظام الرأسمالى ومن مقدسات روسيا النظام الشيوعى ، وهـذه المقدسات لا تمس. اليست العقيدة من المقدسات التى لا تمس .

أن المنحرفين عقيديا والمنحرفين أخلاقيا والمنحرفين أجتماعيا على أختلاف الوانهم يسرحون ويمرحون كيفما شاءوا فى الإقطار العربية فلا يجدون من يردعهم وتتكاتف الاقلام المأجورة والاقلام المستوردة أو المنحرفة ووسائل الاعلام فى العمل على التشكيك فى العقيدة والقيم والاخلاق والتشريع الربانى ونشر التحلل الاخلاقى بكل الطرق .

وهـــذه الآراء المستوردة التى تتنافى مع الدين ومع الفضيله والتى يروجها اليهود فى كل مكان: هل تجد من يقف فى وجهها .

لقد تنبؤا انجاح كارل ماركس ، ولما قيل له أن الناس لا يعيشون بغير عقيدة قال ان البديل للدين هو المسرح ، الوهم بالمسرح ، انشروا المسرح فى كل مكان فيجد فيه الناس البديل عن الدين ثم أن الشيوعية عقيدة ومعاول الشيوعية تنال من الدين فى كل مكان تسود فيه الشيوعية ولقد رتب اليهود نجاح كل مفسد : نيتشه وفرويد وداروين ووقف الازهر فى وجه كل ذلك .

أن تكاتف المبطلون على النيل من الازهر فى الاذاعة والتليفزيون والصحف هو المحنة التى يواجهها الازهر .

ماهو الأزهر : أنه الممثل الإسلام القائم على نشره ، أنه رمز الإسلام فإذا أهين الأزهر رمز الإسلام أهين الإسلام نفسه ، أهـ.

(٣)

ولقد واجه الأزهر حملات ضخمة من الاستعمار والاستشراق ومن كتاب التغريب بل أنه واجه حملات عنيفة من متخرجيه أمثال طه حسين وعلى عبد الرازق وقد أشار كثير من الباحثين تحت عنوان الغارة على الأزهر لماذا قال أن الغارة عليه هى جزء من الغارة على مراكز القيادة السياسية للمسلمين وقد بدأت بالحملة على الخلافة التى اسقطها مصطفى كمال اتاتورك الذى وصف بأنه يهودى ماسونى أو على الاقل من الدونمة وبعد إلغاء الخلافه الاسلامية فى تركيا كانت المحاولة موجهة نحو الازهر ، لقد سقطت الوحدة السياسية فى العالم الأسلامى حيث كانت القوميات كلها متجمعة فى دولة واحدة هى دولة الاسلام ثم أصبح المسلمون دولا متعددة وشعوبا متفرقه ، ثم كان بعد ذلك العمل على تفرقة الوحدة الفكرية الاسلامية وهى الازهر لقد تفرغ إعداء الاسلام لحرب القيادات الشعبية الاسلامية بهدف (١) العمل على منع قيام أية وحدة بين أجزاء العالم الاسلامى ومحاربة قيام اى دولة اسلامية فى اى بقعة فى العالم (٢) القضاء على كل حركه أو جماعة تعمل على بث العقيدة .

ولقد شن المستعمرون على العقيدة الاسلامية حربا شعواء : بسلاح التشكيك والتزوير والالحاد .

ولقد قاد رجال الأزهر معظم الثورات الشعبية ضد المستبدين والغزاه والمستعمرين . ثورة الفلاحين ١٧٩٤ ضد نابليون ١٧٩٨ ، ضد محمد على ١٨٣٠، ثورة عرابى ١٨٨٢ ثورة ١٩١٩.

وقد رأى محمد على فى الأزهر عقبة قويه تعترض سبيل عمله فى القضاء على القيادة الشعبية وقد نفى عمر مكرم ومزق وحدة العلماء وانشأ المدارس المدنية فى مصر من غير الأزهر بعد أن أهمله فقل أقبال الطلاب عليه وبدأت الدراسات فى

الجامعات الأوروبية التى عملت عملها فى تعبير عقلية الوافدين إليها .

ثم كان الدور الذى قام به الانجليز فى فصل التعليم المدنى عن الأزهر وأقامة نظام تعليمى علمانى فى المدارس والجامعات زود بمناهج معاهد الارساليات واستقدام المبشرين أمثال دنلوب وغيره وتقديم خريجى هذه المدارس إلى مناصب الدولة وحرمان طلاب الأزهر منها وفى مرحلة الغزو الشيوعى فى أوائل الستينات علت صيحة الامتهان للشريعة الأسلامية وتصدر الشيوعيون العرب المراكز الحساسة والقيادية وشنت حملة شعواء على الإسلام والمسلمين والأزهر وهنا جاء قرار تغيير الازهر تحت إسم تطوير الازهر بمثابة تحويل للأزهر بالتدريج إلى جامعة علمانية تهتم بشكل رئيسى بالعلوم الدنيوية وبشكل فرعى وثانوى بالعلوم الاسلامية ، وكان هذا تحقيقا للخطة التى رسمها الاستشراق والغزو الاستعمارى وكتب عنها طه حسين فى كتابه مستقبل الثقافة ومقالاته الخطوة الثانية ، وكانت الخطوة الأولى فى نظره هى إلغاء المحاكم الشرعية .

وقد عزى هذا المشروع إلى المخطط الشيوعى الذى كان قد فرض على العالم الإسلامى والذى استهدف القضاء على وحدة العالم الإسلامى واحلال الشيوعية مكانه فقد كان الشيوعيون ينظرون إلى الدين ـ والاسلام خاصة ـ على أنه العدو الأول للاشتراكيه العلمية ، ولذا فإن الصراع بين الدين والشيوعية كان مستمراً والشيوعية ترى أن فى العقيدة الدينية خطراً على مخططاتها لان فى هذه العقيدة من القوى المعنوية مايعطل المخططات الشيوعية .

وقد لاحظ الشيوعيون بان للاديان شعارات قومية هى شعارات السلام والأخوة والمحبة والجماعات الدينية قوة تعادل قوتهم على الأقل فى العمل والدعوة إذا أتيح لها مجال العمل وان للدين مقدرة عجيبة على التطور والصمود ولذا فقد عمل الشيوعيون للقضاء على الدين بطرق غير مباشرة منها أحتواء الجماعات الإسلامية والتحريض على القضاء عليها وتمزيق جبهة الأزهر الشريف والحيلوله دون تمكين كتاب الأسلام أصحاب العقيدة والألتزام من الكتابة

— أما تلك الكتابات التي لا تحمل هدفاً فانها متروكة لانه لاخوف منها ولا أثر لها — .

ولذلك كان الشيوعيون يعملون للقضاء على الدين بطرق غير مباشرة تهدف إلى زعزعة العقيدة في النفوس كخطوة أولى نحو أبعادهم عن دينهم كليـــة. وهي حين تدعى تعايشا مع الدين فان ذلك من قبيل التدبير المؤقت .

ولقد كانت عملية تطوير الآزهر من الضربات القوية التي نجحت فيها القوة المعادية للإسلام: ماركسية: وغربية وهي مايسمى تنقيح الدين وعبارتهم في هذا القول : أنه لانفع في هذه الدعوة (الإسلام دين الأشتراكية) إذا لم يصاحبها تحطيم المنظمات الدينية وصهرها في بوتقه التحويل فالتنقيح للأديان كما أوصى به لينين يجب أن يصاحبة الهدم لكل قاعدة يمكن أن يتخذها الدين سبيلا إلى الانبعاث والتضامن والتماسك) .

ومن هنا دعوتهم إلى أخضاع المعاقل الدينية في الجامعات والمؤسسات والجمعيات والمساجد والكنائس لسيادة الشيوعية .

وقد جرت المحاولات لتسخير الأزهر والمساجد الأسلامية لهذه المفاهيم تحت إسم إعداد الفرد الصالح الذي يشارك في بناء مأأسموه النهضة الثورية التقدمية الجديدة(قانون ٤٤ سنة ١٩٦٢) وذلك في ظل الدعوى الزائفة التي إنتشرت تحت اسم ان الإسلام دين الأشتراكية وأن محمـــد (صلى الله عليه وسلم) هو إمام الاشتراكية وان أبا ذر الغفارى هو أول الأشتراكيين وكل هذه مفاهيم باطـــلة كشف زيفها العلماء الأجلاء (وقد كتب الدكتور عبد الحليم محمود في هذا بحثا مطولا) .

وقـــد اشترك بعض الأزهريين الذين يلون مناصب معينة في هذه الجائحة التي إنهزمت وانسحقت ومنهم بعض وزراء الاوقاف والإرشاد .

(٤)

كان هدم الوحدة الفكرية الإسلامية هو هدف الاستعمار منذ أيام اللورد كرومر للوصول إلى قلب الأزهر بالتأثير فى البيان الاسلامى واللغة العربية فى مواجهة حجج أصحاب الديانات ، وقد جرت المحاولات للتأثير فى مناهج الدراسة فى الأزهر بالنقص والتقليص حتى لايستطيع الباحث الأزهرى النظر فى كتب السلف الكبرى ، وذلك للقضاء على القدرة الذهنيه النامية فى التمييز بين الصواب والخطأ فى المناظرة .

ومن ذلك ماجرى فى تلخيص كتب المجادلة والحجاج والدفاع عن الإسلام مثل كتاب الآمدى الذى يرصد الشبهة فى سطر واحـــد ثم يتعقبها فى أربعين صفحة ، هذه الخاصية التى يخافها المستشرقون والمبشرون ويرون أنها تحول دون وصول شبهاتهم إلى صدور المسلمين ، ومن هنا جرت المحاولة لاعدام روح الأزهر وإستبقاء قشرة الأزهر وذلك بإعطائهم مذكرات وملخصات تحول بينهم وبين كتب التراث ذات الاصالة .

وقد وضعت خطه التطوير بهدف هدم القدرة الأزهرية فى الدفاع عن الإسلام بتعليم قاصر يحاول دون الاتصال بمناهج السلف مما يعجز الناس عن النظر الاسلامى ويرى البعض أن التطوير كان عملا صليبياً مقصوداً وأنه جاء بعد أن فقد المسلمون إرادة العمل وأنه لم ينجح فى إبقاء اللون الازهرى ولم ينجح فى الجمع بين اللونين الإسلامى والعصرى .

ويرى بعض الباحثين أن الازهر قد أخضع منذ عام ١٩٣٦ لتنظيمات عامة أنعكست على تطور مراكز التعليم الدينى فى العالم العربى منذ العدوان على الزيتونة فى تونس والقرويين فى فاس وأن لائحة الازهر نظمت وفق منهج مستوحى به من الغرب وكانت تستهدف أن يخرج الأزهر من طريقة التعليم القديمة المبنية على الحفظ والاستيعاب إلى ثقافة تهتم بالمضمون ، ومن الجدير بالذكر أن تعليم اللغة والشريعة والفقه تميزت منذ حينئذ بتمزيق ماكان يحيط هذا التعليم من تكامل وإن خطوة

تطوير الأزهر جاءت بعـــد أربعين عاما على نفس الخط الذى طالبت به القوى التغريبية .

ويرى الباحثون أن حركة اليقظة الاسلامية قد مرت بعدة أدوار فى مقدمتها الحركة الوهابية بالجزيرة العربية والحركة الدهلوية بالقارة الهندية وهما حركتان متعاصرتان وأن لم يلتقيا ثم تمثلت فى حركات المقاومة : السنوسية فى ليبيا والمهدية بالسودان ومحمد شامل الداغستانى بآسيا الوسطى وعبـــد القادر فى الجزائر وعبد الكريم فى المغرب وسعيد الكردى فى تركيا وقـد باءت هـذه الحركة بالفشل والانهزام ثم دخلت الدعوة الاسلامية مرحلة الكفاح ممثلة فى الجماعة الاسلاميـة بباكستان والشبان والاخوان فى مصر وحركة النورسى فى تركيا ودار السلام باندونيسيا وندوه العلماء وجماعة الدعوة والتبليغ فى الهند .

وقد صدرت مناهج العمل الاسلامى فى حدود فهم (لا إله إلا الله) كمنهج حياة بمعنى الخروج من مفاهيم الغزو والوثنية والتغريب (لا إله) والخضوع لمفهوم الاسلام الأصيل الجامع بين الدين والدولة (إلا الله) وتحرير المجتمع الاسلامى الواقع من أخطائه وانحرافاته عن طريق الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتكوين أجيال جديدة تحت رايه الاســـلام على أساس العبودية الخالصه لله وتطبيق الشريعة الاسلامية .

وقد ظهرت روافد من الدعوة الإسلامية حاولت أن تأخذ طريق التطرف أو الانحراف رغب أصحابها إلى التعجل بتحقيق المجتمع الاسلامى بالقوة أو تقبل الواقع القائم فى ظل التنظيمات الغربية ونظام الربا وقد اعتبر هؤلاء وهؤلاء أن الطريق الطبيعى للدعوة الاسلامية القائم على بناء الافراد بالتربية وإعتبار الزمن جزء من الاصلاح ، معوق أو مؤخر ولهذا إختطوا خططا مندفعه أو منحرفة واستعانوا ببعض التفسيرات والتاو لات ؟ راوه موافقا لوجهتهم .

ويرى بعض الدعاة المتمرسين أن طريق التربية الاسلاميـــه هو الطريق

الوحيد وأن محاولة استبطاء هذا الطريق قد حققت أضراراً كثيرة ، وأن قيام المجتمع الاسلامى يجب أن يهيئوله فكريا وخلقيا ، تهيئة صالحة تمكن من احتضان الاسلام والحياة من أجله ، وأن أى اسـلوب من أساليب العنف أو التأويل لاتستطيع أن تحقق الهدف المقصود وأنه إلى جوار التربية الاسلامية التى تقوم بها الجماعات الاسلامية فان على الحكومات الاسلامية أن تعين على تحقيق هذا الهدف بأقرار تطبيق الشريعة الاسلامية والتحرر من نظام الربا الغربى ومن النظام التربوى الوافد وأن ذلك من شأنه أن يعطى دفعة لبناء المجتمع الاسلامى الصالح .

على أن يتلاقى العملين فى أطار واحد : (أن الله ليذع بالسلطان ما لايذع بالقرآن) .

الفصل الثانى

فى مواجهة الغزو المثلث

النفوذ الغربى والصهيونية والشيوعية

كشفت حركة اليقظة الاسلامية عن الازمة التى كان العالم الاسلامى والبلاد العربية تمر بها بعد الحرب العالمية الثانية وأنها أزمة الاحتواء والنفوذ الغربى ، وأبانت بأن المناهج السياسية والاجتماعية التى فرضها الاستعمار على البلاد الاسلامية فى ظل مفاهيم الديمقراطية والليبراليه والاقليمية والوطنية والقومية كل هذه المفاهيم التى فرضت تطبيق نظام مشابه للنظام الغربى سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وتربوياً وما كان من حجب الشريعة الإسلامية واستعلاء القانون الوضعى ونظام الربا ونظم التعليم الغربية ؛ كل هذا كان يسوق البلاد الاسلامية سوقا إلى الازمة وكانت الدعوة الإسلامية تنادى بالتماس المنابع والكشف عن فساد هذا الاتجاه وأخطاره المدفونة التى من شأنها ان تضع البلاد وثرواتها وقيمها فى بوتقة النفوذ الاجنبي، وكانت بوادر كارثة فلسطين تبدو من خلال الرماد وميض نار وهى تتحول إلى ما وقع عام ١٩٤٨ بقيام اسرائيل ووقوع فلسطين وأهلها فى موقع اللاجئين .

غير أن صيحة الإسلام قد نحيت بعيداً وتجوهلت ، وجرت الحملة عليها وجرى العمل على تقليصها وحجبها والقضاء على أوضاعها القائمة ، ذلك لأن القوى الأجنبية التى كانت تعرف أن مصير العالم الاسلامى لابد أن يرجع إلى أصالته ، لو أنه ترك لارادته ، كانت هذه القوى قد أعدت مخطط بديلا يرمى إلى مزيد من إلقاء العالم الاسلامى فى أحضان القوى الأجنبية ومن ثم كانت المرحلة التالية من نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٦ إلى النكسة ١٩٦٧ تجربة أشد عنفا فقد سيطر النفوذ الشيوعى فى جهات كثيرة وتقاسمت العالم الاسلامى التجربتين وبان فشلها وعجزهما عن العطاء .

وكانت حركة اليقظة قد كشفت عن أعماق هذا الخطر وصولا إلى الأبعاد الحقيقية للأزمة ، ذلك أن الثقافة : وهى التكوين العقلى والروحى للعالم الاسلامى قد تحول تحولا خطيرا عما كان عليه منذ أوائل هذا القرن على الأقل ، فقد كان لدعوتى التغريب والشعوبية أثرهما البالغ فى الاخطار التى نجمت عن التحول ، فقد كان ممكنا أن يتطور فكر هذه الأمة دون أن يخرج عن مقوماته الأساسية وان يستفيد من الفكر الغربى الوافد شيئاً ما يعينه على التجدد والتطور لو أنه إمتلك ارادته فى التمسك بالاصالة غير أن عوامل ضغط النفوذ الاجنبى لم تلبث أن حولته عن قيمه وادخلت إليه قيما جديدة ليست منه أصلا .

بدأ ذلك فى صورة التعليم فى المعاهد الاجنبية والبعثات ، وفى بث روح الالحاد وفلسفات المادية والاستهانة بالقيم الروحية ، واشاعة روح الاباحية . وتغليب ثقافات الغرائز والجنس ونقلها وأذاعتها والتحول من روح الفكر الاسلامى وطوابعه إلى طوابع الفكر الغربى وكذلك إتخاذ المقاييس الغربية أساسا لفهم القيم الاسلامية والاعتماد على مصادر الغرب فى فهم تاريخ الاسلام أو أعتناق نظريات الغرب فى التربية والنفس والاجتماع والادب .

والواضح أن الغرب حين أجلى قواته العسكرية ونفوذه السياسى كان قد تأكد من إحكام السيطرة الفكرية والادبية فكأنما كان تحرير الاوطان من النفوذ السياسى مقدمة لاحتلال جديد فى مجال الفكر والمجتمع والاخلاق .

وكان لابد من جهاد ضخم للتحرر من هذا النفوذ الادبى والاجتماعى ، بالعودة إلى المنابع الاسلامية ، غير ان القوى الغازية لم تترك المسلمين والعرب هذه الفرصة إذ سرعان ما أدخلتهم بعد الحرب العالمية الثانية فى شراك مؤامرة ضخمة ، قوامها الفكر الماركسى ، والفكر الصهيونى ، اللذين كانا وليدا الفكر الذى كان تمهيداً لهما وكانت كل ما قطعته قوى التبشير والاستشراق من مراحل العمل بمثابة إعداد له وخلق الجو الصالح لحضانة هذه الدعوات الهدامة .

وكانت كل السموم التى قدمت فى المرحلة الاستعمارية تمهيداً لما جاء بعدها

ومسيرة بقبول ما طرح فى الساحة من مفاهيم الفلسفه المادية ، والاشتراكية والماركسية وهى فى مجموعها تقوم على أساس الفصل بين الدين والفكر وبين العروبة والاسلام وبين الروح والمادة .

وكان الخطأ خلال المرحلة التى سبقت أن مدرسة التغريب التى قاومتها حركة اليقظه تهدف أن تلقى الينا ونحن نحارب معركة الحريه ومقاومه الاستعمار عسكريا ان تؤمن باساليبها فى الفكر ومفاهيمها فى الاجماع وترى أساليبها وسيلة التحرر وكان الاستعمار قد أسقط مدرسه الاصالة القديمة ، وحجبها تماما ، واخذ يحاضر مدرسة الاصاله الجديدة ويحول بينها وبين تثبيت قواعدها ، وكان ابرز كتاب الوطنية فى هذه المرحلة غربيون فكراً تابعون للغرب فى مفاهيم الديمقراطية والادب والاجتماع . واتخاذ اسلحه الغرب ومقاييسه مقاييس لنا فى مراجهتنا مع الغرب ، ولذلك غلبت علينا النظرة المادية القائمة على الاحصاء العددى دون أن نضع الى جانبها القوة المعنوية التى انتصر بها المسلمون دوما فى معاركهم مع خصومهم ، فقد كان المسلمون دائما فى مختلف المعارك الفاصلة مع أعدائهم اقل عدداً وعدة ولكن كان معهم إيمانهم بأنهم على الحق وانهم يحملون لواء كلمة التوحيد وكانت هذه وحدها قوة ترجح كفة العدد والعدد، غير أن العرب والمسلمون فقدوا هذه الخاصية وأصبحت مقاييسهم فى مواجهه عدوهم هى مقاييس الكم والعدد والقوى الماديه وحدها ومن ثم ضعفت نفسياتهم عن المواجهه وخذلهم مفهومهم هذا ازاء حقهم وأزاء ايمانهم بأنفسهم وبدينهم وأصبحوا تابعين للفكر الغربى فى مقاييسه فى نفس الوقت الذى كانوا يحاولون الخروج من سيطرته والانتصار عليه .

لقد مضت حركه المقاومه والتحرر سواء من الاستعمار الغربى او من الاستعمار الصهيونى من بعد منفصلة عن القيم الاساسيه الاسلامية ، كانت السياسه بزيفها وأهوائها ومطامعها تغلب الوطنيه ، كانت الوطنية صيغة أقليميه .

وكانت هناك مذاهب غربية وشرقية وأقليمية وأسلامية تتصارع بتوجيه النفوذ الأجنبي وتتقسم الناس وراءها حتى لا يصلوا إلى وحدة فكر تمكنهم من مواجهة عدوهم وكانت معاهد التعليم التى يسيطر عليها النفوذ الغربى تخرج الحكام والقادة مؤمنين بالغرب معجبين به منكرين للفكر الاسلامى والتاريخ الاسـلامى، والتراث الاسلامى تملأ نفوسهم نحوه الشكوك والريب. فهم منصرفون عنه إلى مظاهر الحضارة وبريقها باعتبارها المثل الأعلى، ومن هنا ظهرت المدرسة السياسية التى كانت تؤمن بلا أخلاقية الساسيه وبعـدها من القيم الفكرية والروحية الإسلامية مع أرتباطها بالفكر الغربى وقد فهمت هذه المدرسة خطأ أن الاسلام دين، فطبقت عليه مفاهيم الغرب التى طبقها على المسيحية مع أن الاسلام ليس دينا فحسب ولكنه دين عبادة ومنهج حياة ونظام مجتمع، وقد حمل معه حصارة الحضارات والأديان والثقافات، واستصفاها جميعاً فى حضارة حديثة قائمة على التوحيد والعبودية لله مع تحطيم عبودية الفرد وعبودية الوثن.

كان هذا طابع الفكر السياسى الوافد من الغرب والذى يتخذ الديمقراطية الغربية نموذجا له وكان لهذا أثره فى المرحلة التالية بعد الحرب العالمية الثانية فقد كان هناك الاعجاب بالغاصب والولاء لأساليبه وتقاليده.

وقد تعمقت مفاهيم الغرب الوثافة فى مختلف مجالات الصحافة والتعليم والتربية والثقافة وتوضيح الخط الفكرى ذى الطابع الغربى فأنعزل الفكر الاسلامى عن مجال التوجيه الاجتماعى والحكم وبناء الثقافة والتعليم والاسرة وحلت مفاهيم غربية محل القيم الإسلامية الاصيلة وبذلك تعمقت الهوه التى تفصل بين العرب والمسلمين ومفاهيمهم وقيمهم وأضطرب الخط المستقل وبذلك إنحرفت الشخصية العامة عن مقوماتها ومفاهيمها وفى صلتها بالله تبارك وتعالى وصلتها بالمجتمع وفى صلة العرب بالمسلمين وصلة المسلمين بالعرب وأختفت مفاهيم الاخوة الإسلامية وروابط العرب والفرس والترك العميقة التى أقامها الإسلام وحلت محلها خصومات ذات طابع عنصرى حاد بتحريض النفوذ الاجنبى.

واستطاع التغريب أن يتحرك بقوة فى كل مكان عن طريق أتباعه وأعوانه

خافسح الطريق للشعوبية الكارهه لكل مقومات الفكر الإسلامى من دين وتراث وفكر ولغة .

وفى خلال مرحلة الاحتلال استطاع الاستعمار أن يعمق خططه الرامية أساساً إلى هـــدم مقومات الأمة وشخصيتها وفكرها والتى جرب عن طريق قوى الاستشراق والتبشير ، على مرحل متعددة ووفق مخطط دقيق .

وهكذا فأن الاستعمار الغربى لم يخرج من البلاد العربية الا بعد أن اطمأن إلى ركائزه القوية التى عرف أنها سوف تحقق له غايات وجوده والتى لم تتحول معه بعد إلا من دولة إلى دولة أخرى ولكنها ظلت فى أطار الاحتواء العالمى وجاءت الشيوعية فصارعت النفوذ الغربى واستطاعت أن تتقاسم معه المناطق وعندما بدأت الأقطار العربية مرحلة البناء الاقتصادى والحضارى لما بعد الاستقلال لم تجد الأمر يسيرا فقـــد كانت الدول الكبرى لا تقدم خبراتها وقروضها ألا فى ظل سيطرة وتسهيلات أشبه بنفوذ الاستعمار القديم وكانت ما تزال مسيطرة على الموارد والخامات ويمكن القول بأن البلاد الإسلامية ماتزال واقعة تحت سلطان النفوذ الغربى والماركسى فى مجال الاقتصاد مع محاولات فرض النفوذ الفكرى والايدلوجى فى مجال الثقافة ومن هنا كان الموقف غاية فى الدقة والخطورة . ولم يكن من اليسير التخلص من نفوذ الرأسمالية والشيوعية على السواء . وما يزال العالم الإسلامى فى حاجة إلى صيغة تمكنه من التعامل الإقتصادى مـــع الدول الكبرى دون أن يفرض ذلك عليه نفوذاً ثقافياً أوفكرياً معيناً ولن يتحقق هذا الا إذا أعلن العالم الإسلامى تبعيته لمنهجه الاسلامى الاصيل وقيام شريعة الإسلام بالحكم •"...ين فى مجال السياسة ـه والاجتماع .

وأهم من ذلك أن يتحرر العالم الإ..لا ى من سلطان أسلوب العيش الغربى وان يكون قادراً على أقامة تـــ...جية اسلامية خاصة به من خلال الفكر الإسلامى العربى اللغة .

(٢)

سقطت البلاد العربية والإسلامية حثيثا تحت سيطرة النفوذ الماركسى والصهيونى بالاضافة إلى النفوذ الغربى ، وأن بدأ أن هناك خلافا بين الاتجاهات الرأسمالية والاتجاهات الاشتراكية فى بعض الأقطار ، وقامت معارك ومساجلات من جانب القوى الشيوعية التى سيطرت على الصحافة والثقافة والسينما والاذاعة والمسرح وبين جـــذور الأصالة الإسلامية القائمة فى المجتمعات الإسلامية والعربية فى محاولة لاجتثاثها بوصفها رجعيـــة وتأخراً وجمودا واهتزت كثيراً من القيم وقد وصلت هذه المحاولة إلى ما وصفت فيه بعد بأنها عملت على (هدم المقومات الاساسية للمجتمع على نحو مخالف للنظام العام والآداب وذلك بغية تغيير الأعراف الأساسية وقلب النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية من اخلاق ودين وما ترتب على ذلك من مخالفة أحكام الشريعة الإسلامية وخروج على التقاليد).

غير أن الخلافات الظـاهرة بين الرأسمالية والشيوعية لم تـكن الا القشرة الخارجية لمحاولات فى الأعماق غاية فى الخطر فقد كان مصدر الفكر كله سواء أكان تابعاً للفكر الماركسى أو محتوى من الفـكر التلمودى الصهيونى الا نتيجة واضحة لمـا أشار إليه هاملتون جب : فى كتابه وجهة الإسلام حين قال :

لقد استطاع نشاطنا التعليمى والثقافى عن طريق المدارس المصرية والصحافة أن يترك فى المسلمين ولو من غير وعى منهم أثراً يجعلهم فى مظهرهم العام لادينيين إلى حد بعيد ولا ريب أن ذلك خاصة هو اللب المثمر فى كل ماتركت محاولات الغرب لحمل العالم الإسلامى على حضارته من أثار » .

كانت سيطرة التبعية الفـــكرية الشيوعية واضحة فى بعض أقطار العالم الإسلامى وكانت السيطرة العربية فى أقطار أخرى وكلها محاولات السيطرة على الفـكر والايدلوجية لإفساد الوجدان وخلق تطلعات لمظاهر الحضارة سعياً وراء احتواء الاقتصاد والمجتمع جميعـــاً . وكانت كلا القوتين تعترف بتلك المطبوعات والافلام التى أصبحت لا تتوقف فى الأسواق العربية وكذلك كانت وكلها ترمى إلى افساد عقول الأجيال الصاعدة من خلال أفلام الأطفال وقصص الأطفال وفى مجال التعليم نجد النظريات الرأسمالية والماركسية والغربية كلها

تدرس على أنها حقائق علمية وليس على أنها نظريات مطروحة وتتركز اخطر التيارات الوافدة فى القصة والمسرحية فقد وجد اصحاب التيارات الوافدة أن أصلح طريق الوصول بسمومهم إلى قلوب الناس وعقولهم أنما يتحقق عن طريق القصة والأغنية .

وظهر الفكر المسموم فى كتابات العناصر التى تحتمى بالفكر المادى كله : الماركسيون والوجوديون والليبراليون ودعاة تحرير المرأة ،وقال مستر كليفورد المعلق الأذاعى البريطانى :

إذا ما أراد العرب أن ينجحوا فما عليهم إلا أن يبعدوا الإسلام من طريقهم فهو عقبتهم الوحيدة فى سبيل القوة والوحدة والتقدم وضرب المثل بالاحزاب العلمانية التى ظهرت فى البلاد العربية لمواجهه الدعوة الإسلامية وضربها والمقاومة لكل أصاله أو فكر يستمد من التراث والمنابع .

وهكذا كانت هذه المرحلة التى جاءت بعد الحرب العالمية الثانية وبعد إتصال البلاد العربيه بالسوفييت شديدة الخطر، فقد قذفت الماركسية الفكر الإسلامى بقدر ضخم من ركام الفكر البشرى مما هو أشد قسوة وعنفاً من الدور الاول، كان الدور الأول هو الفكر البشرى الغربى أما فى المرحلة الثانية فكان الفكر الوافد ممثلا فى الفكر التلمودى المبثوث فى نظريات العلوم الاجتماعية والنفس والاخلاق والتفسير المادى للتاريخ الذى يقوم عليه الفكر البشرى الماركسى ، وأختلط الفكران : الليبرالى والشيوعى وتحـــاورا لانهما كانا من معين واحد ومصدر واحد ، وتصارعا لأن كل منهما كان يطمع فى أحتواء الفكر الاسلامى والمجتمع ، ومن خلال صراعهما أستطاع الفكر الصهيونى التلمودى أن يسيطر ويتمكن .

وكان أخطر تلك الدعوات محاولة تطبيق مناهج العلوم العلوم الطبيعية على المجتمع الاسلامى الذى يقوم على الأخوة والرحمة .

وكان أخطر ما فى ذلك كله أن أصبح هناك صوت واحد ، وقد حيل بين

الفكرة الاسلامية وبين مواجهة هذه الأخطار أو الرد عليها فقد حجبت تماما وصودرت مصادرة كاملة بينما سمح لهـــذا الفكر المسموم أن ينطلق بأقصى قوته وأن يكسب بعض الاتباع من الشباب الذى لم تكن له خلفيات روحيه أو أخلاقية فى مجتمعه .

وفى هـــذا الخضم ظهر عديد من المدارس : العلمانية والمادية والماركسية والوضعيه المنطقيه وكانت أغلب هذه المدارس أنما تستهدف الاسلام فى حقد بالغ حيث ترى القوى المعادية للإسلام والراغبة فى النيل منه أنها تستطيع أن يتجمع فى خلايا الشيوعية لأداء هذا العمل دون أن يقال عنها أنها متعصبه أو تجهر بخصومتها الطائفية .

وإذا كانت الماركسية قد وجدت حريتها فى الانطلاق وتدمير القيم وأثارة السموم فانها كانت أعجز عن أن تواجه الأصالة أو تظهر فى أفق الحرية لأنها لاتستطيع أن تقوى على المواجهة والنقد ويكفيها وصمة أنها عملت فى ظل الاستبداد والجبر وأن القوى القادرة على دحضها كانت مكبلة ولقد جرت فى هذه المرحلة محاولات باءت كلها بالفشل :

الأولى : ترمى إلى أقامة جسور وقناطر بين الفكرة الاسلامية والغربية: ماركسيه وديمقراطيه وفرويديه و و

الثانية : محاولة تفسير الاسلام تفسيرا ماديا ماركسياً يحاول أن يتبع العوامل الاقتصادية ليجعل منها نقطا لتحرك التاريخ الاسلامى أو إتخاذ التفسير المادى المنكر للغيب والنبوة وما وراء المادة أساسا للتفسير .

الثالثة : محاولة وضع الشريعة الاسلامية فى مجال تبرير الواقع المعاصر فى الامم والحضارة المعاصرة وذلك بالقول بأن الشريعة الاسلامية مرنة وأنها تقوم على أساس قواعد عامة يمكن أن ترتضى القوانين الوضعية مع تعديلات يسيرة وكل هذا باطل وزيف .

الفصل الثالث

تيار الاصالة وتيار التبعية

طرحت الايدلوجيات التى اتيحت لها حرية الانطلاق خلال هذه الفترة بعد حجب الفكرة الاسلامية مفاهيم مسمومة ، حاولت ان تصبغ بها مختلف مفاهيم الفكر والمجتمع وخاصة مفهوم العقيدة والاخلاق والتاريخ والعلاقة بين العرب والمسلمين وقد اتيحت لها فرصة خطيرة إذ القيت الى هذه القوى مقاليد الصحافة والثقافة والمسرح والاذاعة وجميع القنوات التى تقدم الرأى بينما حجبت مختلف القوى وخاصة القوى التى تحمل لواء الفكر الإسلامى الأصيل من المواجهة والدحض سنوات عشر من أخطر سنوات هذه الإمة ١٩٥٧ — ١٩٦٧ .

كان الهدف هو خلق جو من الانحلال والتمزق وأثارة روح الصراع الطبقى وأيقاد نار الخلاف والحقد والخصومة تمهيداً لتدمير المجتمع وكانت روح الشيوعيه الخطير قد أستعلى بالدعوة الى تقديم بريق الماديات والإندفاعات الخطيرة الى المطامع والاهواء والرغبة فى الحصول على المتاع الدنيوى باى الوسائل وبكل الوسائل غير المشروعة فظهرت روح السرقه والغش والخديعة وأعلت الشيوعية شان فكرة الحتمية التى هى جزء من مفهوم المذهب المادى يدفع إلى افساد المجتمع وتحطيم الارادة الفردية ويدمر المسئولية الاخلاقية وذلك بالقول بان الظروف الإقتصادية هى التى تقود المجتمعات ..

وكان أول من رفع شعار القوميات والاشتراكية هم اليهود والنصارى العرب ولقد كانت هذه الشعارات تهدف ضرب الإسلام من الحاقدين عليه وقد فشل الحل الإشتراكى منفصلا عن الاصالة فى البلاد الاسلامية . وقد أرتبطت الايدلوجيات والمذاهب الإشتراكية بالحكم الاستبدادى العسكرى الذى أدى الى هزيمة ١٩٦٧ كما ساقت الليبرالية الغربيه الديمقراطيه الشعب العربى المسلم الى هزيمة ١٩٤٨ .

ولقد عمدت هذه القوى الى خلق جو من الحقد والكراهية وفى نفس الوقت خلق جو من الفكر الانحلالى المتشائم ولذلك فقد تلاقت دعوات الماركسين مع الموجودين (سارتر ، مورافيا ، كافكا ، كامى) وهو هدف أساسى من أهداف الغزو الذى يقوم به الفكر الغربى الصيهونى الماركسى حتى لاتستقيم إرادة الحياة فى العالم اعتماداً على نظرة اللاخلاقية التى تقوم فى الغرب مستمدة من فكرة الخطيئة التى لا يقرها الإسلام .

وقد بدت ردة خطيرة بتجديد الخرافة القديمة والأساطير وصياغتها بصورة جديدة . وإعلاء شأن الفلكور على نحو يوحى بانه محاولة لأحياء التراث وهو التراث الزائف بينما يواجهه التراث الإسلامى بحملة عنيفة .

كذلك فقد جرت الدعوة الى خلق جو من الصداقة مع العدو وأشاعه روح من الأعجاب بالمجتمعات الماركسية أو الغربية ؛ وهى محاولة خطيرة مدمرة ، لفرض حضارة الغرب وهو فى مرحلة الازمة والجزر والإنهيار ، بعد أن حطمت الصهيونية حضارة الغرب بعد أن حولتها عن طريقها .

وقد تجمع فى هذه الفترة أعداء الإسلام فى معسكر واحد : صليبيون وصهيونيون وعلمانيون وشيوعيون ووثنيون يزيفون شعارات وأفكار مسمومة .

وإذا كان لهذه المرحلة الخطيرة من نتائج حاسمة فهى قد كشفت للمسلمين عن أبعاد الأخطار التى تواجههم وأبانت عن وجهة عدوهم وأتاحت لهم اكتشاف حقيقة جوهرهم ، وبقى أن تكون لديهم الإرادة القادرة على المواجهة .

وقد عجبت هذه القوى كيف انهزمت أمام أصالة الفكر الاسلامى

ذلك أنهم لايعرفون مدى حيوية الفكر الإسلامى التى مافتئت تفرز مضادات قوية مكنتها من مقاومة تأثير خمائر الفكر البشرى وأن هذه اقوى المذخورة كانت قادرة دائما على الظهور فى أبان الازمة وهى التى واجهت فكرة الانشطارية فى المرحلة الاولى وقاومت التفسرات المادية مع هذه المرحلة . ذلك أن النظرة الإسلامية باصالتها وربانيتها فهى قادرة دائما على مواجهة الزيف الذى يقدمه الفكر البشرى والالحاد منه ، ذلك أن النظرة الإسلامية تقوم على تكامل الحس والفهم والعقل ويتمثل فيها جامعية الروح والمادة والدنيا والاخرة ، وأن هذه التحديات قادره على أن تكشف عن جوهر هذه الامة التى أستطاعت أن تعرف وجهة عدوها وأن تتمسك بروحها وذاتيتها دون أن تنهار أو تنصهر وقد نجحت فى كلا التجربتين : مع الفكر الغربى الليبرالى ثم مع الفكر الماركسى المادى لقد جاء فشل الديمقراطية الغربية فى ديار الإسلام نتيجة طبيعية لتعارض هذا المذهب السياسى مع طبيعة المجتمع الإسلامى وبالتالى مع مقومات الامة التى تقوم على الإسلام وكذلك جاء فشل للماركسية الشيوعية لنفس الهدف .

لقد كانت عملية الاحتواء التى فرضها النفوذ الأجنبى خلال مرحلة الليبرالية قد مهدت الأرض لقتل هذه الامة ثم جاءت الماركسية لتجهز على هذه البقية الباقية تحت لواء التلمودية الصهيونية وهو ما يسمى عملية قتـــل الشعوب بغير أطلاق الرصاص على مراحل منها القضاء على الوحدة الإسلامية والخـــلافة الإسلامية والدعوة إلى الوطنية والقومية والليبرالية والديمقراطية والماركسية وكانت نكسة ١٩٦٧ علامة على مفهوم وأحد : هو أن تكون هذه الامة أو لا تكون وبدا أن العرب والمسلمين قد أحسوا بأنه لاسبيل أمامهم الا أن يلتمسوا منهجهم الاصيل : نظام الإسلام الذى هو منهج الله الذى يستطيع أن يعطى حلولا أصيلة لكل المشاكل والتحديات .

هذه هى الحقيقة الذى عجز عنها بعض القادة ، والتى كان يعرفهـــا الغرب وتعرفها الصهيونية والشيوعية وتحاول أن ترد هذه الامة عنها وهى أن الإسلام هو العقيدة الوحيدة الصالحة للتقدم الجامع بين التقدم المادى والتقدم المعنوى .

لقد كانت المحاولة هي تمزيق جبهة العقيدة الإســلامية بدفعها في أحضان الانشطارية والتفسير المادي ، بينما جاء الإسلام يقدم القانون الاساسي للحركة والتطور وهو قانون مترابط يجمع بين عنصر الثبات وعنصر الحــركة ، بين القيم الاصلية والقيم المكتسبة ، بين الثبات والتغيير ، لقد كشف الإسلام عن فساد صيحة التغيير التي تحمل لواءها الايدلوجيات الوافدة التي تحاول القضاء على الجوهر الثابت أو تصفه بالجمود والمحافظة بينما تقدم الإسلامية مفهوم التعامل بين القوانين والمتغيرات مع الحرص على الجوهر القائم الدائم .

لقد كانت دعوة الصداقة تحمل في أعماقها أكبر قدر من الغش والزيف فهم يدعوننا للتنكر لثقافتنا وفي نفس الوقت يمنعون عنا ما يسمونه عمــاد الدولة العصرية وهي التكنولوجيا، أما مفهومنا الاصيل فهو أننا نريد أن نستوعب التقنية مع المحافظة على قيمنا وثقافتنا ، وأن الاخذ من الغير مقيد بشرط المحافظة على أصالتنا ولذلك فقد طرحوا في مجرى الفكر الاسلامي سموما كثيرة ومترجمات خطيرة أرادوا بها تدمير النفس العربية الإسلامية .

كذلك كشفت حركة اليقظة عن فساد تيار التبعية في عديد من الجوانب في مقدمتها فصل المناهج التعليمية والجامعية عن جذورها الاساسية ودور المسلمين في بنائها ، وقصور النظرة الوطنية والاقليمية وخطأ دراسة العلوم الحديثة خارج وعاء اللغة العربية ، وقصور المناهج الجامعية عن الربط بين وجهة نظر الإسلام وبين القضايا الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والسياسية .

ولقد كان من أخطر أهداف تيار التبعية إشاعة ركام الفلسفات المادية القديمة والحديثة وهي كلها فلسفات مادية تهدف إلى تقويض دعائم الاعتقاد بوجود اله واحد بغض النظر عن البديل المقترح ، ولقد كانت دعوة هــذه المذاهب إلى الوهية المادة أو الوهية الإنسان أو اتخاذ الغريزة محوراً لتفسير الوجود أو اتخاذ لقمة العيش محوراً لتفسير التاريخ وكان لابد لتيار الاصالة أن يكشف عن أن الدين الوحيد الذي صفت فيه عقيدة التوحيد من شوائب الشرك هو الإسلام

فالاله فى عرف اليهود اله قومى لهم وحدهم دون غيرهم من الاميين وفى عرف النصارى واحد فى ثلاثة .

كما كشف تيار الاصالة أنه ليس علينا أن نأخذ مفاهيم الغرب لنطبقها على القيم التى نؤمن بها ولكن علينا أن ندرس مفاهيم الغرب دراسة مقارنة لنعرف أى المفهومين أكثر أصـــالة وتكاملا وأقرب إلى الفطرة والعلم ، والحق ان أى مذهب أو قضية أو نظرية مستحدثه يجب أن تعرض على أصول فكرنا العربى الإسلامى وأن يكون منطلق التجديد والتقدم مستمداً من هذه الجذور .

ولقد جرت محاولة تقديم قيم الإسلام أحيانا من خلال مفهوم فاسد وأعطيت عنه صورة مشوهة ، حتى قيل أنه ديمقراطى وانه اشتراكى وانه وجودى وكانوا كاذبين فى هذه الدعوات الباطلة ، وكانوا عاجزين أو قاصدين ألا يقدموا جوانب الإسلام الأصيلة وقدراته الفائقة فى حل مشاكل العصر ، وكان الهدف من ذلك أن يقال أنه مادام الإسلام ليس قادراً فالايدلوجيات ضرورة ، وإذا كان مايقدمه الإسلام شبيه بالايدلوجيات فيمكن التقائها وكان ذلك كله فاسداً وكاذبا فلم تكن الايدلوجيات التى صنعتها عقليات البشر بمستطيعه أن تواجه أو تقارن أو تقابل منهج الإسلام الربانى، ولم تكن تجربة البشر قادره على العطاء للمسلمين وقد عجزت عن العطاء فى بيئتها ، ولم يكونوا قادرين على أن يكشفوا عن ذخائر الإسلام فى حل تلك المعضلات وقدرته الفائقة بتقديم الحلول ذات الاصالة التى تستطيع أن تسعد البشرية فى مختلف بيئاتها وعصورها .

ومن مثل هذا ذلك الفارق العميق بين مفهوم الشورى ومفهوم الديمقراطية الغربية وسيادة الامة فليس مبدأ الشورى هو ماظنه البعض من أنه ينطوى على الأخذ بمبدأ سيادة الامة إذ أنها نظرية غربية الاصل إذ لايصح القول بان الشورى فى الإسلام هو التعبير عن إرادة الامة التى تجد أغلب أفرادها فى هذا العصر مسلمين أسما فحسب، ذلك أن الشورى فى الإسلام لاتقدم شيئا جديداً وإنما تعبر عن تطبيق احكام القرآن ذاتها ومن ذلك حديثهم عن تجديد الدين ، غافلين عن ان هذا انما يقال بالنسبة للإديان البشرية ، اما العقيدة والشريعة الإسلامية فأنها ربانية

ليست فى حاجة إلى تجـــديد لانها ثابتة ذات أطر واسعة أبدعت بحيث تصلح لكل زمان ومكان ولـكن الذى يحتاج إلى التجديد إنما هى طرق التطبيق ووسائل التنفيذ وسبل التعليم وتفهيم الدين فهذه هى التى تحتاج إلى التجدد - والإسلام صالح لكل زمان ومكان لانه مجموعة صالحة من المعاملات ومكارم الأخلاق .

ولقد بذل المسلمون جهداً ضخما فى أنهاء السيطرة الغربية والحصـــول على الاستقلال ولـكن هل توصلوا إلى هذا الهدف وهل حققوا أحلامهم .

أن واقع الدول الاسـلامية لم يتغير رغم كل التغيرات فنحن رغم انتزاعنا الحرية لم نتمتع بها فى حقيقة الامر وقد وجدنا حركات الاحتواء قد اجتاحتها واستطاع الغرب بفضل جذور التغريب التى رباها فى بيئتنا ونماها أن يسيطر ويحتوى أمتنا وكان يخدعنا بانه يقدم لنا جـــوانب الفساد من حضارته ويحول بيننا وبين استيعاب العلوم والتـكنولوجيا والقوة العسكرية .

ولقد كان الفكر الغربى الليبرالى الذى حاول السيطرة على المجتمع الإسلامى منذ بدأ الاحتلال فكراً مسحياً كنسياً له جذور يونانية ومفاهيم رومانية، ولذلك فأنه طرح منذ اللحظة الأولى محاولة فصل الدين عن السياسة واعلاء شأن العلمانية التى تقرر أتخاذ القانون الوضعى نظاما للمجتمع فى شئون القضاء والاقتصاد والسياسة والتربية والعلم وحجب الشريعة الإسلامية بكل معطياتها ومن ثم فتح القانون الوضعى الباب واسعاً أمام الخمر والربا والزنا وتحطيم الحصانة التى كان يعرفها المجتمع الاسلامى قبل الاحتلال وقد رفض هذا الاتجاه ضمير الامة .

ثم جاءت الاشتراكية الماركسية فكرة مسمومة مفرقة تقوم على العنف وتهييج الأفكار وتحريض الطبقات بالعمـــل الدموى فرفضها ضمير الامة أيضا وبذلك عجزت النظم الغربية والمـــاركسيه عن تحقيـق المطمح الاسمى للمسلمين والعـــرب .

الفصل الرابع

حركة اليقظة وحركة الاحتواء

كانت أخطر محاولات الاحتواء التي واجهتها حركة اليقظة في قوة وصدق خلال هذه المرحلة على الرغم من قصور الوسائل المتاحة وأدوات التبليغ في فترة سيطرت قوى التغريب والنفوذ الغربي والشيوعي على الصحافة والثقافة والكتاب والمسرح : هو وضع البديل في مواجهة الأصيل والعمل على تقديم بدائل سريعة ذات مظهر لامع وتحوطها هالة من البريق الزائف لكل فكرة أصيلة في محاولة لخنقها ولتحويل الرأي عنها في ظل طوابع من الأغراء والتزييف و... البحث العلمي والعبارات الخادعة .

والهدف هو خلق أجيال جديدة من المسلمين والعرب تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية والشرقية وابعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه . ولقد إستشرت في هذه المرحلة الايدلوجيات الفكرية الوافدة والعبارات الهدامة المعادية للاسلام وكان لها تأثيرها على الشباب المسلم الذي كان يعاني فراغا كبيراً من ناحية العقيدة والروح والعاطفة الإسلامية ، فلم يعرفوا مدى صلة ما يقدم اليهم بالاسلام في قبول الإسلام له أو معارضته إياه ؛ خاصة وقد أشاعوا روح التأويل وروح الرخص والدعوة إلى أحتقار الحدود والضوابط التي قدمها الإسلام لحماية شخصية المسلم ومجتمعه وعرضة . ولاشك أن إستشراء مفهوم المطامع والأهواء والاندفاع لتحصيل الأرزاق دون تقدير للحلال أو الحرام وغلبة طابع عبادة الحياة وزخارفها قد خلق أزمه إخلاقية عنيفه ، خاصة وقد شمل العهد روح من التسلط والاستبداد ووصول من لا يستحق إلى اعلى المناصب عن طريق النفاق والتبعية فأنتهكت الحريات وديست الكرامات وكانت كلمة الحق تهوى

بصاحبها أربعين خريفاً فى جحيم الضياع والحرمان والعذاب والهلاك ، فكان من الطبيعى أن تقوم حياة المجتمع على الخـــداع والاحتيال والتدليس

ولقد زحفت المادة إلى مجتمعنا من أوسع أبوابه واحتلت فى النفوس مكانا كبيراً وصار الناس لا يتحدثون الا بها حتى ان الناس أصبحت توزن بميزان ما لديها من تجارة وعقار ولو كان المـــرء لاقيمة له فى مجال الفكر والعقل .

وكان المعنى الذى عملت حركة الاحتواء على اسقاطة من النفس الإنسانيه هو دور الإسلام كعقيدة وتربية حيث لم يكن أبداً فى يوم من الأيام راضيا بالذل ولا مساندا للخضوع ولا معينا على العبودية ، ولقد أمكن تحقيق جانب من ذلك عن طريق الصحافه والثقافه والمسرح والإذاعة فان سيطرة الفكر الماركسى والغربى عليها جميعاً كان خطيرا فقد ظن الشباب المسلم ان هذه هى مفاهيم المجتمع والحياة الطبيعيه المشروعه ، وكان ذلك فى غيبة صوت الاسلام ، لقد كانت مسارب الغزو المبثوثه كلا لغسام فى واقع الفكر والعلم والاعلام كالشراك الخادعة المصوبه فخاخا لاصطياد شباب الامه ، حيث كانت المعامل الدائرة لتجهيز المخدرات المعنوية وأغراق السوق بها وإنشاء الأوكار الخفية لتدريب من اغراهم الشيطان وتزييف شخوصهم بأقنعة التنكر واصطناع التمويه ليتسللوا إلى أمنع الحصون العلمية والفـــكرية ويكيدون منها للإسلام وكأنهم المبعوثون للاصلاح .

لقد أدخلت هذه الادوات مفاهيم وأفكاراً على المسلمين ترددت كثيراً حتى ظن أنها من المسلمات وكان من شأنها أن هزت قواعد الأسرة وقدمت افكاراً زائفة عن اللذة والصور الملفقة فوق الشرر ، ولقد كان طابع الاسلام ومفهومه يقوم على التمييز الواضح بين شخصية الرجل وشخصية المرأة والحيلوله دون امتزاجها أو تحويل أحدهما إلى الاخر .

ولقد حاولت هذه الايدلوجيات (غربية وماركسية) الاستهتار بالالتزام الخلق وخاصة فى شأن اللباس وفى شأن حرية المرأة وعملها .

وكما قدمت مفهوما للحرية يختلف عن مفهوم الإسلام الذى يقيم مفهوم الحرية الملتزمة المنضبطة .

فالحرية فى الإسلام تقوم على التحرير من قيد الجهل والخرافة والتقليد .

وقد أعلت الدعوات والايدلوجيات الوافدة صوت الحداثة والعصرية ، والحداثة والعصرية فى مفهوم الإسلام ليست بذات بال إذا لم تكن مرتبطة بالأصالة وبوجود الامة ورسالتها وأهدافها وأن التطلع إلى التقدم العلمى والتكنولوجى لن تكون له فائدة إيجابية إذا لم يصدر عن إيمان ببناء الأمة ويتحرك داخل إطار فكرها وقيمها ، كذلك فإن الحوار مع الفكر العالمى يجب أن يتم داخل إطار الأمانة التى تحمل لواءها الأمة الإسلامية .

وكذلك فى مفهوم التقدم حاولت حركة الاحتواء أن تقدم مفهوما زائفا ونحن نجد فى الإسلام دعوة رصينة للتقدم تربط ربطا متينا بين الماضى والحاضر والمستقبل فالتقدم ليس حتى مخالفة للقديم أو ضدا له وهو ليس تقدما ماديا وخالصاً ولكن تقدم جامع بين المعنويات والماديات وهو تقدم لا يضحى المعنويات فى سبيل التقدم المادى ولعل الحضارة الإسلامية فى جوهرها أميل إلى الاستقرار والمحافظة منها إلى التجديد والتطوير والتغير ولكن هذا لا يعارض إمكانية الدفع والتغيير .

ولقد رفض الإسلام التطور على حساب الأصالة والقيم الأساسية كما رفض تضحية القيم العليا فى سبيل مفاهيم للحضارات وأهواء الأمم إذ ليس فى المناهج والدعوات والأيدلوجيات المطروحة من شئ إلا وعند المسلمين مثله أو خير منه وهو هنا مقطوع الصلة بالله ولكنه فى الاسلام متصل .

وهكذا حاول الفكر البشرى فى هذه المرحلة السيطرة على الفكر الإسلامى واحتوائه بإشاعة فلسفات سان سيمون وداروين وسبنسر ووضعية أوجست كونت بهدف العمل على تدمير الشخصية الاسلامية والاجهاز عليها وكانت أخطر دعواهم الدعوة إلى نبذ الماضى والتاريخ والتراث القديم،وهى محاولة تدعو إلى

هدم الإسلام من خلال عبارات غامضة رمزية ، وكذلك الدعوة إلى تاريخ ما قبل الإسلام ومهاجمة الشعر العربى والفصاحة العربية والخطابة ، وجاءت محاولة المقارنة لاعلاء شأن الأدب الغربى والفكر الغربى ومحاولة تصوير الأثر الغربى فى الفكرة الإسلامية صورة مبالغة فيها وجعله أساساً بالرغم من أنه ليس كذلك، وخاصة المترجمات اليونانية ومحاولة تصوير الفكر الإسلامى متأثراً بالفكر الهليني والفارسي وأنكار دور الحضارة الإسلامية ومذهب التجريب الاسلامى فى الحضارة الحديثة وقيام مؤامرة الصمت ضد ما أعطاه المسلمون لاوروبا وخاصة منهج التجريب الذى أحياها ، فلما عادت أوروبا إلى الشرق كذلك قد قوا فكرنا الاسلامى بترجمات خطيرة إباحية (إزهار الشر) هكذا تكلم زرادشت وروايات أخرى جنسية مكشوفة ودعوا إلى تعليم اللغات والترجمة من الآداب الاجنبية دون قيد أو شرط .

كذلك حاولت أن تعطى المسلمين المنهج الارسطى الذى رفضوه فى القرن الرابع.

كذلك حاولت كتابات الماركسيين عن الرسول ﷺ أن تحجب المعانى الاساسية التى يقصد إليها القرآن ، وتحجب الوحى وتحاول أن تصور النبى على أنه مصلح ومجدد وليس نبى يوحى إليه .

كذلك اصطنعت حركة الاحتواء استغلال سلاح التأويل والاخذ بالرفض وحجب العزائم ، ولقد كان التأويل من أخطر الاسلحة التى استعملت لتفسير النصوص تفسيراً يخرجها عن مدلولاتها الأصيلة إلى مدلولات ومفاهيم منحرفه .

كذلك حاولت أن تعلى شأن اللغة فى علاقات الامم ; بينما العقيدة لا اللغة هى علاقة بقاء الجماعة فإذا زالت العقيدة زالت الجماعة وانحلت وانقرض وجودها وكان الهدف من إعلاء اللغة هو حرب العقيدة التى إذا زالت زالت الجماعة ولا يوجد عامل من عوامل الفناء فى الامم والجماعات ألا وهو ناشئ من ضعف العقيدة أو زوالها .

وكان ذلك كله فى طريق محاولة إفراغ صدور المسلمين من مضامين القيم

الاسلامية وآثارها الحقيقية وغرس مضامين أخرى لا شأن لها بإسلام ولا تحقق شيئا من مرضاة الله عز وجل .

ولقد كان على حركة اليقظة الاسلامية أن تواجه ذلك كله وأن تدعو المسلمين إلى فهم الاسلام فهما أصيلا كفهم الصدر الاول له ، ولابد أن ينفصل الاسلام فى ذاته عن فهم للإسلام خلال العصور وكشفت حركة النخطية عن أن العودة إلى الجذور والمنابع الأصيلة لا تعنى ابدا التخلف أو العودة إلى الوراء .

وكشفت عن فساد دعواهم بأن يعكس المفكر قيم عصره ، ذلك أن المفكر فى مفهوم الإسلام يجب أن ينقل الناس فى عصره من مفاهيمهم الموروثة التقليدية والباطلة والوافدة الزائفة إلى قيم الأصالة والمنابع الأولى ، هذه التى حرفها دعاة الفكر البشرى .

وكان على مفكرى الإسلام العمل على تحصين أجيالنا الحاضرة والمستقبلة ضد هذه السموم وضد هذه الأحقاد والعمل على بناء أجيالنا المقبلة بناءا سليما ومعالجة الأجيال الحاضرة التى أفسدتها هذه السموم .

ولقد كشفت حركة اليقظة أن الجسم الإسلامى مازال حيا يرفض العضو الغريب وأن الكيان الإسلامى مازال يرفض عمليات الاحتواء . وكان على حركة اليقظة أن تواجه فساد المفاهيم الوافدة: القوميات والعلمانية والإشتراكية والشيوعية والليبرالية وفساد مارسته الماسونية والاستشراق ولذا دعت إلى ضرورة أعادة بناء المقومات الفكرية والثقافية والإجتماعية للانسان المسلم والعربى لكى يقوم بدوره الحضارى مرة أخرى وكذلك مضاعفة قوى الأمة الاسلامية للجهاد والحماية وذلك بعد أن حرصت الدول الكائدة على إضعاف الأمم الإسلامية بتقليل عددها حتى تعجز عن الجهاد فنشرت دعوات تحديد النسل بصور شتى ليتضاءل عدد المسلمين ويصبحوا عاجزين عن الاستعداد بالتفوق البشرى والقوة ، وحماية سينتصر الاسلام من عدوان أعدائه وأخطر ماهنالك هو توهم العجز عن الانفاق عن الأولاد .

كذلك كشفت حركة اليقظة عن خطـــأ النظرة القائلة بالدعوة إلى تطور الشريعة .

ذلك لان الاسلام لايمكن أن يتطور تطور الايدلوجيات الخاضعه لعامل الزمن والمبادىء القطعية والاساسية فى الشريعة الاسلامية وهى إطارات لاتقبل التطور كأداء الامانات والحقوق إلى أصحابها والتزام العدالة فى القضاء والشهادة والتراضى فى العقود وقمع الاجرام وسد الذرائع عن الأعراف والمسئولية الشخصية .

أما القول بأن كل دين قابل للتطور وملائمة العصور فهى فكرة مسمومة مصدرها الدين البشرى الذى صنعه الإنسان والذى يعجز . عن متابعة الحياة إلا بالاضافة والحـــذف .

كذلك كشفت حركة اليقظة عن فساد مصطلح الثورة بالنسبة للإسلام فالاسلام ليس ثورة بالمعنى اللغوى ولاهو ثورة بالمفهوم العصرى الحديث . ولقد كانت دعوة الاسلام إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

والاسلام ليس مذهباً ولانظرية ولا ثورة ومن هنا جاء خطأ محاولة وصف الاسلام بأنه ثورة ضمن الثورات العديدة التى قام بها الإنسان على مر التاريخ ذلك أن الثورة من شأنها أن تمـــر بمراحل عديدة ثم تستقر ثم تنتهى وليس الاسلام كذلك ، فالاسلام نور ربانى متجدد على الزمن إلى أن يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها فهو ليس مرتبطاً بعصر أو بيئة أوأنه جاء رداً على ظروف إجتماعيه وقعت فى القرن السابع الميلادى كما قال أحد الباحثين .

أما الثورة الفرنسيه فقد كانت ثورة لا دينية معادية للدين تحت تأثير الماسونية والصهيونية وهى ثورة أغرقت الجماعة فى سمومها وشككتها فى قيمها وأطلقت الشهوات للناس فليس الإسلام ثورة بهذا المعـــنى وليس قومية ولا إشتراكيه ولا شيوعية ولا وجودية . ان الذين يصفون الاسلام بالثورة لا يعرفون خصائص الاسلام ، إن الثورة تنتهى وتستنفذ أغراضها فإذا قيل أن

الاسلام ثورة فإنه يمكن أن يقال من بعد أنه استنفذ أغراضه ، وليس الاسلام ثوره إجتماعية وأنما هو رسالة السماء بالحق إلى البشريه منـــذ كانت البشرية وإلى يومها الاخير .

ولقد ارتبطت كلمة الثورة فى التاريخ الحـــديث بالعنف والدموية والارهاب .

لقد كشفت حركة اليقظـة عن فساد التطورات والدعوات .

كذلك كشفت حركه اليقظه عن صفحات تقدير المفكرين الغربيين الصادقين لعظمة الإسلام ودحضت شبهات الاستشرق والتزييف فى مختلف المجالات كذلك واجهت اليقظة مختلف الايدلوجيات وكشفت زيفها ، كذلك أصلت حركة اليقظة أصل العلوم والمعارف وكشفت عن دور الإسلام فى بناء جذورها.

وقالت مع محمد إقبال : إن المسلم لم يخلق ليندفع فى التيار ويساير البشرى حيث سار بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية .

ولقد كان مفهوم التوحيد هو نقطة خلافنا مع الفلسفات الوثنية ومفهوم الاخلاق خلافنا مع الفلسفات المادية ، ذلك أن الإسلام لا يقر نظرية تغير الاخـــلاق باختلاف البيئات والعصور كما لا يقر نظرية التطور المطلق الذى يتحرك من فراغ ولا يقر نظرية تقديس العقل أو عبادة البطل .

وكشفت حركه اليقظة خطأ مفهوم الماديين والملاحدة الذى يقـــول بأن الإنسان هو المحور الذى تدور حـــوله معانى الوجـود والواقع أن الله تبارك وتعالى هو وحده أول الامور وآخر قطة البـــدأ ونقطة النهاية لكل أمر الانسان جميعا وحوله تدور المعانى كلها

كذلك أعلنت حركه اليقظة أن الفكر والمادة يتحركان ، فلا يسبق أحدهما الآخر وأن الفرد والمجتمع يتكاملان ولا يعلو أحدهما الآخر .

كذلك واجهت حركة اليقظة مفهوم الاحتواء المـــادى وكشفت عن أن

النظرة البشرية محدودة بما ترى وبالمحسوس بينما النظرة الربانية واسعة شاملة ، تضم عالم النفس والروح وما وراء المادة ، وأن الفكر الإسلامى يمثل النظرة المتكاملة الجامعة فى أبعادها الروحية والمادية . والنفس والبدن ، والدنيا والآخرة ، وأن فهم الإنسان والنفس والمجتمع قاصر فى الديانات الأخرى مكتمل فى الاسلام ، وأنه يفوق مفهوم الأنشطة الروحية فى بعض الأديان والانشطارية المادية فى أديان أخرى وكيف أن الايدلوجيات انطلقت من هذه المفاهيم الجزئية القاصرة على استيعاب تكامل النفس والوجود والحياة وبذلك عجزت حين طرحت فى أفق المسلمين والعرب عن أن تحقق المطمح الاسمى لهم؛ ومن دعائم الفكر المادى والنظرية الشيوعية : هدم الايمان بالغيب . أى كل ما فى الكون هو مادى لا يتعدى أحدى الصور المادية وكيف أن هناك خطراً فى استخدام العقل لتبرير الهوى نتيجة اختلاف أهواء الناس وخطأ النظرية الغربية التى تعتمد على القياس المنطقى وتعتبره أساساً واحداً للنظر مع أن القياس المنطقى ليس وحده كافيا فى إقامة النظريات خاصة إذا تعارضت مع واقع التاريخ كذلك فإن الاستشهاد بوقائع غامضة من التاريخ لتبرير نظرية التفسير المادى للتاريخ هو أيضاً زيف ومحاولة لمعرفة جزء من الحقيقة وتجاهل الباقى وهذا القياس هو القياس الفاسد الذى لا تؤيده حقيقة علمية .

كذلك كشفت اليقظة زيف القول بأن ضعف المسلمين ناتج عن الاسلام ، لقد اعطى الاسلام اجيالا متعددة ، وإنما هو نتيجة ضعف المسلمين وتراخى إرادتهم وإغفالهم لتعاليم ربهم ، لقد عملت العناصر الأجنبية حثيثا دون توقف لتشويه الاسلام وتزييف مقوماته حتى لا يكون قادراً على العطاء .

وواجهت حركة اليقظة الشبهات التى وجهت إلى التاريخ الاسلامى وكشفت عن أن الفتح الاسلامى كان نسيجاً وحده فى تاريخ البشر فقد خرج المسلمون يعلنون كلمة الله وينشرون دينه ويقدمون فى سبيل الله دماءهم وأرواحهم ويفارقون من أجله ديارهم وأولادهم لا يريدون علوا فى الارض ولا فساداً، ذلك أن المسلمين الاول لم ينقلوا الاسلام إلى الامم ولكن نقلوا الأمم إلى الاسلام .

وكذلك كشفت حركة اليقظة حقيقة أساسية هي أن كل نظرية وضعية فيها عوامل قوتها وعوامل ضعفها وإن الحقيقة لابد أن تظهر وأن أخفاها بريق الصياغة وخداع الطابع العلمى الزائف والمعروف أن التلمودية اليهودية قد استطاعت أن تحتوى الفكر الغربى — وأن تخرجه من روحه المسيحية وأن تخرج الفكر البشرى من دينيته — وكانت أولى علامات السيطرة هى إقرار المسيحية بالربا وإحلاله ، واليوم نجد المذهب الفردى ، والمذهب الشيوعى يصدران عن مفهوم واحد هو المادية ومادية التاريخ والعوامل الاقتصادية فهم يرجعون اليها كل التطورات الاجتماعية ولذلك فإن الخلاف بين المذهبين هو خلاف فى الفروع أما فى الاساس فهما يلتقيان فى النظرة المادية ، هذه تعلى من شأن الفرد وتفسح للرأسمالية وهى تعلى شأن القيادة الشيوعية التى تسيطر على كل شيء .

وكان من شأن دعوة الاحتواء الإشادة بالحضارة الحديثة ودعوة المسلمين إلى اعتناق مفهومها المادى ، وفى الوقت الذى تعجز فيه الحضارة الغربية عن مواجهة الخطر الذى يجتاحها وتقف فى ضعف لا تريد أن تصحح موقفها، يدعى المسلمون إليها ، بينما تقف الحضارة الإسلامية موقف الفهم الصحيح والاتجاه السليم نحو تصحيح موقفها وتحرير نفسها وذلك باتجاهها إلى المصدر الاصيل (القرآن) مؤمنة بأنه هو المصدر الاول الذى يلهمها طوق النجاة لمحاولة جديدة نحو النماء والتجدد .

وكذلك شجبت حركة اليقظة دعوة الانفتاح دون تحفظ ولاضابط على الحضارة الغربية وأن تؤخذ الحضارة كلها وكما هى ، ولا ريب أن الانفتاح على الفكر العالمى ضرورة ويجب أن يتم على أساس عرضه على مفهوم الاصالة وأن الانفتاح له محاذيره وأخطاره وأهمها خطر الاحتواء والقضاء على الذاتية الإسلامية المتميزة ومن أجل هذا لابد أن توضع له موا[illegible] ضوابط ؟ للشخصية الإسلامية أصالتها واستقلالها ودورها الحضارى البناء .

وكان من أهم ما قامت به حركة اليقظة هى إعلان طابعها الاستقلالى الممتد على الزمن أربعة عشر قرنا امتداداً لمفهوم القرآن فلا يجوز أن يكون امتداداً

الحضارة منهارة تمر بأسوأ مراحل أزمتها كذلك فإن للأمة الاسلامية نظريتها الخاصة فى التربية وان ما صاغه الغربيون لا يصلح لنـــا أصلا ، وأن للمسلمين نظرة خاصة مستمدة من كتابهم وتراثهم تجمل ولا سيما الاسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً .

وقد تبين بوضوح الاجابة على التساؤل الملح : هل هـــدفنا هو اللحاق بالغرب أم إستعادة ذاتيتنا ومقوماتنا ؟ إذا كان الهـــدف هو الوصول إلى الأمن والعزة والـــكرامة وإمتلاك مقدراتنا فإن اللحاق بالغرب لا يحقق هذا فى ضوء تجربة اتصالنا به على مذهبيه (الرأسمـالية والماركسية) وعلى جميع ايدلوجياته وفلسفاته ، إذا كان الهدف هو الوصول إلى قيمة الحضارة الحقيقية الانسانية من عـــدالة ورحمة وسماحة وقوة فإن اللحاق بالغرب لا يحقق هذا وإنما يحقق هذا كله نور مستمد من داخل فـــكرنا وتاريخنا .

وأن الاخلاقية أساس ودعامة فى حضارتنا وان طابع الحضارة الاسلامية أخلاقى فى أساسة وأن هناك ارتباط حقيقى بين الحضـــارة وبين النظرة إلى الكون وأن التماسك بواسطة الاخلاقية فى المجتمع هو الاداة الصحيحة لصنع التقدم وأن أول علامات أضطراب المجتمع وتفككه إنما تظهر فى تراخى الاخلاق.

وبالنسبة للسياسة فقد كشف الاسلام عن أنها نقطة فى دائرة الفكر وليست لها السيطرة المطلقة التى تجعل الفكر خاضعا لها أو مبددا لاهوائها ، وأن النظرة السياسية نظرة جزئية ، وأنه يجب الا يوظف الفكر فى خدمة السياسة بل على السياسة ان تستمد مقوماتها من أصالة الفكر الاسلامى

كذلك كشفت حركة اليقظه خطأ القول بالتخـــيير الغربى للمسلمين بين الاسلام والعلمانية او القول بان الاسلام لا يستطيع أن يواجه التطورات الاقتصادية والاجتماعية التى يواجهها العرب والمسلمون ولا ريب ان العلمانيه التى يدعون إليها هى فراغ والفراغ لا يمكن أن يحمى المنطقة من الاخطار وأن الاسلام هو الحل الوحيد الذى يحمى الأقطار العربية الاسلامية ، لقد

حمى الاسلام هذه الاقطار فى الماضى وسيحميها فى المستقبل فالاسلام وحده هو السلاح الوحيد .

وكانت هناك محاولة أقصاء الاسلام عن المجتمع عن طريق تشويه معالم الاسلام عن طريق القاء الأضواء على الشبهات المرتبطة بالفكر الاسلامى أو عن طريق إضعاف المؤسسات الاسلامية التى كانت تقود حركة النضال والكفاح أيام الاستعمار كالأزهر والزيتونة والقرويين .

وكان علينا أن نكون متيقظين ازاء خلق مذاهب داخل دائرة الاسلام توصف بالتجديد كالاحمدية والقاديانية ، هذه التى تنظر إلى فـــكرة الجهاد فى الاسلام على أنها فكرة مؤقتة حتى يستقر الاسلام نفسة كدين مع أن فكرة الجهـــاد فريضة ماضية إلى يوم القيامة — هذه التى تدعو إلى سلوك طرق الانسحاب من النضال وعدم مقاومة الأجنبى وهى مفاهيم الغاندية والتولستويه التى ترمى إلى تدمـــير الاسلام من الداخل واخضـــاع المسلمين عن طريق الاعتقـــاد ودعوة الاسلام هى العودة الى المنابع . ولا يمـــكن أن توصف العودة إلى المنابع بأنها عودة إلى التعاليم البدائية فقد يقـــال هذا بالنسبه لأى ملة غير الاسلام .

ولقـــد طرحت الرأسمالية والشيوعية والوجودية مفاهيـــم هى بمثابة عملية تفريغ للعالم الاسلامى من الفكر الأصيل وذلك بتقديم فكر وثنى مادى ألحادى بديلا لفكر الاسلام وعزل الدين عن المدرسة والجامعة آن ثقافة .

ولذلك فقد كانت مهمة المفكر المسلم جد خطيرة ، ذلك أن مهمته هى تحرير البشرية من هذا الفكر الوثنى الجـــاهلى الذى عمد إلى التحكم فى رقاب النـــاس ، وهى نفس المهمة التى حملها الجيل القرآنى الأول على عاتقه وكان على الفـــكر الاسلامى أن يخوض حرباً مريرة لمواجهة هذه السموم واحدة بعد أخرى حفاظا على كيانه وأصالته .

وتريد التلمودية المسيطرة على الفكر الغربي أن تعمل على تغليب فكرة الجبر على حرية الارادة حتى تسيطر على عقول الناس وقلوبهم وتدفعهم إلى الفساد تحت اسم فساد المجتمع واذاعة تصور مسموم كاذب هو عـــدم وجود مايسمى المسئوليه الفردية كذلك دفع الاستعمار والنفوذ الأجنبي التلمودي إلى أرض الاسلام تحت أسماء كثيرة : تحت اسم الفكر الحر وتحت اسم البهائية وتحت اسم الماسونية وتحت اسم العلمانية .

وطريقنا هو إلى نظرية متميزة في الاقتصاد الاسلامي ومفهوم اخلاقي للتنمية الاقتصادية وهم يتحدثون عن معطيات الحضارة المادية ويطالبون بتضحية كل القيم في سبيلها ولكن موقف المسلمين غير ذلك، ذلك أنه إذا خير المسلمون بين معطيات الحضارة المادية وبين فقدان الذاتية لفضلوا سلامة ذاتهم وتأكيدها وبقائها ولو ضحوا في سبيل ذلك بكل معطيات الحضارة .

لقد كشفت حركة اليقظة أن على المسلمين أن يأخذوا تنظيمات ولا يأخذون نظما أو مناهج ، لقد كان هـــدف حركة الاحتواء أن يفرغ الانسان المسلم والعربي من كل عقيدة أو فكرة مسيطرة تستحوذ على طاقاته مواهبه .

وكان هدف الاسلام أن يدفعه لاقتحام الصعاب وتقديم التضحيات في سبيل هدف سام وغاية نبيلة، ولقد استهدفوا من تدمير الشخصية الذاتية المستقلة للفرد أن يدمروا كيان الأسرة حتى ينفصل الابن عن أهـــله فتتحطم تلك العلاقة التي توجه الأبناء وتحميهم من الشطط ؛ ومن ذلك اخراج المرأة من حصنها وحضانتها ودفعها إلى التمرد على الزوج والأسرة والهدف هو تحطيم الأسرة المسلمة وصولا إلى تحطيم الكيان الإسلامي كله .

ولقد كان هدم الاخلاق هدفاً أساسياً في الايدلوجيات الوافدة ولذلك فأن حركة اليقظة دعت المسلم إلى أن يتمسك بأصالته وخاصة في الجانب الأخلاقي ليكون قادراً تجاه عالم الأشياء ، حتى يهيمن عليها ولا تسيطر عليه كما حدث للانسان الغربي الواقع تحت سلطة الأشياء .

ولقد حرص كتاب التغريب والغزو الثقافى على ايقاظ الدعوة عن الفرق القديمة وهو عامل يستهدف تمزيق وحده الجماعة ، والتفرقة بين العناصر والأجناس وعوامل البيئة ، وحاولوا وصف الأخلاق التى هى جزء من الدين بأنها تقاليد ، ولذلك مكان علينا أن نوضح الرؤيا فى التفرقة بين التقاليد والأخـــلاق وبين العقيدة والتاريخ وبين الاصيل والوافد وبين الاصول والفروع .

لقد كأن الاخذ عن الغير مقيداً بشرط المحافظة على اصالتنا .

كذلك فقد عمدوا إلى أبراز دور الزنادقة والشعوبيين القدامى وأحياء سيرهم وتحويلها إلى قصص وتراجم ذات بريق.

وما كان هؤلاء الزنادقة والشعوبيين فى حياتهم ولا بعد مماتهم على هذا القدر من التقدير الذى أعطاه لهم الغربيون بالكتابة عنهم وتأليف المسرحيات واذاعتها بل كانوا موضع المهانة فى قومهم والاحتقار وما كان لهم الا أن يتواروا فى الحانات والاماكن المعزولة .

وقد كشفت حركة اليقظة عن فساد القانون الوضعى وأشارت إلى تلك الحقيقة التى تقول بأنه كيف يملك البعض ارادة البعض ويقيد هذه الإرادات ويسمو عليهم ويعرض عليهم القواعد والنصوص وكيف يمكن أن يكون من البشر للبشر من يعطى حـــق التشريع ، ولابد أن تكون هناك جهة أعلى من البشر هى التى تمنح قوانينها . وليس من الغريب أن يحمى القانون الوضعى الخمر والربا والزنا لأنه بعيد عن روح الدين ولكن الغريب هو أن يقبل المسلمون هذا الاتجاه وقد حذرهم الله تبارك تعالى بفساد الحكم بغير ما أنزل الله .

كما وضعت حركة اليقظة تلك القاعدة التى تقول ليس علينا أن تاخذ مفاهيم الغرب لنطبقها على القيم التى نؤمن بها ولكن علينا أن ندرس مفاهيم الغرب دراسة مقارنة لنقرر مدى الالتقاء ومدى الاختلاف بين مفاهيمها وصولا إلى الإصالة والتماسا للمفهوم المتكامل الجامع فى مواجهة الأنشطارية الغربية وأن نكشف عن وجهة نظر الإسلام فى كل القضايا التى تدرس فى مناهجنا وجامعاتنا

مقطوعة الصلة باصولهـــا التى نشات منها وبأصالة نظرتنا إليها وأن أى مذهب أونظرية يجب أن تعرض على أصول فكرنا الاسلامى ، ذلك أن فكرنا متجدد بطبيعته قابل الاستيعاب المتغيرات ولكنه قائم على أساس ثابت واله جذور وضوابط وعلينا أن نكشف دائما عن الفوارق الدقيقة بين مفاهيم الفكر الاسلامى والفكر الغربى فى مختلف المجالات .

وأبانت أن مفتاح الخلاف بين الفكرين يتمثل فى ظاهرة التوحيد والاخلاق والإيمان بالغيب والبعث والجزاء الاخروى التى يقـــوم عليها بناء الفكر الاسلامى .

كذلك فقد كشفت حركة اليقظة عن فساد القول بان البشرية مهددة بالمجاعة وإنما هى مهددة حقيقة بالظلم لسبب احتكار الاقوات وحرمان الضعفاء منها وكشفت عن فساد الدعوة إلى استلهام الاساطير . أساطير زيوس وباخوس وجوبيتر وتجاهل التاريخ الاسلامى وبطولات خالد وسعد وعمر بن الخطاب .

كما دعت حركة اليقظة إلى القدرة على الاستقلال العقلى والنفسى والتحرر من التقليد والتبعية وأن تعاليم الاسلام ليست حلولا للمشاكل بقدر ما هى وقاية من المشاكل .

الباب الثالث

فى مواجهة التحديات

أولا : النكسة

ثانياً : المواجهة

ثالثا : حرب رمضان

رابعا : الله أكبر

خامسا : ماذا تعنى صيحة العودة إلى الله

سادسا : المدرسة القرآنية

سابعا : التحول من التغريب إلى الاصالة

الفصل الأول

النكسة

عندما وقعت الهزيمة ١٩٤٨ كان ذلك أعلانا بهزيمة الايدلوجية الرأسمالية والليبرالية فى عالم الإسلام وعندما وقعت النكسة ١٩٦٧ كان ذلك تأكيداً بهزيمة الايدلوجية الماركسية الاشتراكية ، فقد كانت الفكرة التى حملتها الانظمة بعد الحرب العالمية وسيطرة الاستعمار الفرنسى والبريطانى على البلاد العربية هى أن طريق الليبرالية الرأسمالية الغربى هو الأسلوب الوحيد الذى يحقق لها الفوز والنجاح والقدرة على امتلاك إرادة الحرية وقد حشدت لهذه الدعوة أقلام التغريبيين والمتابعين للاستعمار والغرب فى الدعوة إلى العيش الغربى خلال ما بين الحربين على أنه الأسلوب الوحيد لمحاربة الاستعمار ، هذه الدعوة التى حجبت حقيقة أساسية هى حتمية الحل الاسلامى لهذه المجتمعات فى أمكان عودتها إلى القوة والحرية وأمتلاك الارادة وكان النفوذ الغربى يعمل جاهداً على شجب هذه الحقيقة وتشويهها وأثارة الشبهات حولها وضرب القوة المتجمعة تحت إسمها دفعا للعرب والمسلمين إلى الدخول فى دائرة الاحتواء الكامل فى إطار الفكر الغربى بماديته وانحلاله على النحو الذى دعا إليه عميدهم حين قال أنه الحل الوحيد هو تقبل الحضارة الغربية حلوها ومرها ، ما يحمد فيها وما يعاب فكانت هزيمة العرب والمسلمين عام ١٩٤٨ هى الصدمة الكبرى التى كشفت عن زيف صلاحية المنهج الغربى أن يكون أسلوبا للحياة السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية فى بلاد العرب والمسلمين .

غير أن التطلعات التى كانت ترى أن تقوم قوى الأصالة الاسلامية بإمتلاك إرادة المجتمع الإسلامى بعد الحرب العالمية الاولى وبعد جلاء الاستعمار الغربى قد تحطمت تماماً ، حين سيطرت بدائل خطيرة حشدتها قوى النفوذ الأجنبى لتوجيه المجتمع الإسلامى من الايدلوجية الرأسمالية الغربية إلى الايدلوجية

الشيوعية الماركسية ، هذه التجربة التى استمرت تلقى سمومها فى أفق الفكر الإسلامى والمجتمع حتى أنهزمت تلك الهزيمة النكراء فى نكسة ١٩٦٧ وانكشفت بها فساد التجربتين معا وحاجة المسلمين والعرب إلى التماس منهج اكثر اصالة وقدرة على تحقيق أهدافهم فى أمتلاك الارادة والحرية.

ومن هنا كانت نكسة ١٩٦٧ علامة خطيرة على طريق العالم الإسلامى والفكر الإسلامى بعد أن حشدت له خلال سنوات ما بعد الحرب الأولى كل الشبهات والسموم وركام الفلسفات والايدلوجيات المتضاربة العنيفة والتى كانت تستهدف شيئا واحداً أسياسياً هو تدمير القوة الفكرية الاسلامية التى ما يزال النفوذ الأجنبى يراها عقبة شديدة فى طريقه دون احتواء هذه الأمة الاسلامية والسيطرة عليها سيطرة كاملة .

ولقد كانت هذه الامة تواجة فى مرحلة مابين المرحلتين : قوة واحده هى قوة الرأسمالية الغربية فانها أصبحت تواجة بعد الحرب العالمية الثانية وصولا إلى نكسة ١٩٦٧ قوى ثلاثة : القوة الغربية الرأسمالية فى بعض الأقطار والقوة الماركسية الشيوعية فى بعض الأقطار ونفوذ الفكر اليهودى الصهيونى ممثلا فى سيطرة إسرائيل على فلسطين وإحتلالها لاجزاء من مصر وسوريا والأردن والسيطرة على بيت القدس وهو ماحدث عام ١٩٦٧ فكان بمثابة حدث ضخم بعيد المدى فى تاريخ العالم الاسلامى يمثل أقصى ماحققة النفوذ الغربى منذ إنطلاقة فى العصر الحديث منذ بدأ فى أحتلال الهند واندونسيا فى القرن الثامن عشر والجزائر ومصر فى القرن التاسع عشر واكمال الحلقة فى الحرب العالمية الاولى ١٩١٨ باحتلال الآجزاء العربية واسقاط الدوله العثمانية ثم إسقاط الخلافة ثم إقامة دوله إسرائيل بعد الحرب العالمية الثانية .

ولم يكن خافيا أن المحاوله كلها تستهدف السيطرة على قلب العالم الاسلامى وضرب الاجزاء العربية منه التى تحمل رسالة الاسلام والتى تحمل أمانة الاسلام نفسه .

لقد انتهى بعد الحرب العالمية الثانية نظام الديمقراطية الغربى وظهرت أنظمة

أخرى تقوم على حركات الجيوش فى عديد من بلاد الإسلام والعرب ، تحاول أن تفرض نظام الحزب الواحد العسكرى ، وتستقطب كل القوى تحت نفوذها ، وتعزل كل القوى التى تحمل لواء الفكرة الإسلامية أو تحاول أن تتميز بطابعها الذاتى ومفهومها الخاص ، وإذا كانت هذه القوى ترى أن هناك فى مواجهتها قوتين : هى قوة الشيوعيين الماركسيين وقوة أصحاب الدعوة الإسلامية فانها قد أصدرت حكمها باعلاء القوة الأولى وتمكينها من السيطرة على مقدرات الفكر والرأى والاعلام والصحافة وصادرت القوة الثانية مصادرة تامة وراء السجون والمعتقلات فى أبشع محاولة لتعذيبها وافنائها .

ولقد كان للاستعمار البريطانى عام ١٩٤٨ دور فى هذه المحاولات وكان للنفوذ الغربى الجديد دور آخر عام ١٩٥٤ وكان للنفوذ الشيوعى دور ثالث عام ١٩٦٥ وكانت الصهيونية من وراء هذه التصفيات الخطيرة وقد كشفت الوثائق التى ظهرت فى السنوات الأخيرة أن المحاولات الثلاثة قـــد قامت على غير دليل أكيد أو أتهام صريح أو مؤامرة واقعة ، وإنما جاء ذلك كله على أساس شبهات وتحريضات وأهواء مصدرها الخـــلاف الشخصى والخصومة الفردية وانها استهدفت تغطية جرائم واتهامات وصرف الازهان عن واقع فاسد إلى ماسوريات عنيفة . لقد كان واضحاً فى باكستان وأندونسيا ومصر واجزاء اخرى أن هناك شبه أتفاق على تصفية الدعوه الإسلامية .

والواقع أنه لم يكن هناك من خطر ابان الاحتلال فقد كانت القوى كلها مجندة للمقاومة ، ولكن بعد الاستقلال وجلاء القوات الاجنبية جاءت مرحلة التراخى والنعومة والاستسلام .

وهناك تضاعفت حركة العدو ، الذى انتقل من مرحلة الغزو السياسى والعسكرى إلى مرحلة الغزو الفكرى والعقائدى ، وقد كان العدو يستعد خلال مرحلة الاستقلال لهذه المرحلة بإعداد قواعده التى ينطلق منها وإعداد رجاله وأتباعه : المدرسة ، الإرساليات ، الصحافة ، فلما جاء الاستقلال كانت هذه القوى على طول العالم الإسلامى وعرضه مذللة فى يديه .

ومن هنا إنحرفت المقاييس وتبدلت الموازين وهجر المسلمون الأساليب الاصيلة التى كانوا يقايسون بها الامور ويحكمون بها على الأحداث ويواجهون بها الأخطاء وفرضت عليهم أساليب أخرى غريبة ودخيلة من شأنها ان تجعل أحكامهم مضطربة ، وتحول مآلهم إلى الهزيمة .

أن النكسة ١٩٦٧ هى النتيجة الطبيعية لاصطناع إسلوب الغرب لمقاومة الغرب أو للماركسية لمواجهة الرسمالية وكلاهما فى عالم الاسلام غاصب طامع ، فكانه التماس منهج أمة غاصبة للانتصار عليها والظن بان الديمقراطية الغربية أو الشيوعية الماركسية تضمر أى قدر من الصدق أو الوفاء لاعطاء هذه الامة اسباب القوة أو العزة أو الحياة التى تلتمسها الأمم الضعيفة من الأمم القوية ، او الامم المغلوبة من الأمم الغالبة ، فقد خدع العرب والمسلمون باكاذيب ما أطلق عليه الصداقات الدولية ، وغفلوا عن الأسلوب الحقيقى لمواجهة أعدائهم الذى كشفه لهم القرآن ، والتمسوا أسباب النصر على العدو من عطاء العدو نفسه سواء أكان الاستعمار الغربى أو النفوذ الشيوعى ؛ فهولاء جميعاً يضمرون الحقد ويهدفون إلى إيقاع المسلمين والعرب فى شراكهم لاحتوائهم وأذلالهم ويخدعونهم ببريق الالفاظ والايدلوجيات ليردوهم عن منهجهم الاصيل وليجعلوهم فى دائرة احتوائهم وليخذلوهم فى ساعة العسرة ويدمرونهم فى الوقت الذى يرونهم قد أوفوا على التسليم لهم ، وهم يعملون ليجعلوهم فى دائرة احتوائهم فى بوتقتهم الاممية حتى يفقدوا ذاتيتهم التى يتميزون بها ويفقدون منهجهم الذى هو سلاحهم فى مواجهة كل غاز أو معتدى ، وقد حق على المسلمين والعرب القول فغفلوا عن مقاييسهم فى مواجهة العدو أو فى التماس النصر أو فى مقاومة الغاصب؛ غفلوا عن تطبيق منهج الله وظنوا أنهم يستطيعون لو التمسوا مناهج الغرب أن يصبحوا مثله أقوياء وأن يتحرروا منه ، وكان قبول ذلك والتصديق به أكبر « مغمز » فى حياتهم وأقوى خنجر صوب إلى صدورهم ، ذلك لأن لكل أمة قيمها وعقيدتها وأساليبها التى تمكنها من النصر واستعادة الحق ؛ وأن مناهج أى أمة لا تنفع أى أمة اخرى ؛ بل تكون وبالا عليها إلا إذا اخذت الأمة المسلمة بالأساليب والوسائل وطبقتها فى إطار ايدلوجيتها الخاصة .

(٢)

لم تكن « النكسة » هى نهاية الهزيمة بل كانت أولها ، كانت منطلق الإطباق على الفريسة والقضاء عليها والاجهاز على وجودها كله . كانت منطلق التصفية النهائية لهذه الوجود الإسلامى الأصيل وصولا بعد تلك المراحل المتصلة خلال اكثر من سبعين سنة إلى ماوصف بأنه [أما ان نكون او لانكون] فقد انطلقت القوى الماركسية والصهيونية والغربية جميعا إلى عملية الاجهاز بما طرحوا من دعوات خطيرة إلى التحلل من التراث العربى والإسلامى والتخلص من طوابع الحياة الاجتماعية والفكرية وقد حمل لواء هذه الدعوة عتاة أقزام حاولوا تدمير ما بقى من وجود هذه الأمة وقد اشار بعض الباحثين إلى ان الخطط الموضوعة كانت تصر على ان الأمة لن تقوم من سقطتها الا إذا (١) تخلت عن عقائدها (٢) وحطمت تقاليدها (٣) وداست على تاريخها (٤) وتنكرت لايمانها .

بل أن الابحاث التى قام بها الدارسون اكدت حقيقة أساسية : هى أن الهزيمة [هزيمة يونيو ١٩٦٧] لم تكن فى حقيقتها الانتيجة محتومة للفساد الذى نشأ والخول الذى ساد والاستعمار الذى سيطر وإلى ذلك التحول الخطير الذى حققته سنوات الولاء للفكر الماركسى والتطبيق الشيوعى الذى حطم قوائم الاصالة والخير والمقاومة، وان هزيمة يونيه كشفت عن أن الامة كانت تسير فى طريق خاطىء وباسلوب خاطىء . وأن الذى جرى فى يونيه هو نتيجة محتومة وطبيعية أفضت اليها كل المقدمات التى سبقتها وليست نكسه خاطفة او مماكسة لخط السير العام ، ولقد تعالت الأصوات بتلك الكلمات المسمومة الخطيرة بأن على العرب أن يفهموا أن عليهم أن يختاروا الغاء الوجود العربى التقليدى وبين بقاء الاحتلال الصهيونى فيدركوا ان الغاء الأول هو شرط لا لغاء الثانى (البيطار == من النكسة إلى الثورة) ولم يكن الوجود العربى التقليدى الذى كنا مطالبين بالغائه الا الإسلام، ولذا فإن محور الدعوة المسمومة بعد النكسة كانت الدعوة إلى حرب الإسلام وإلى القضاء عليه .

والمعروف انه خلال السنوات العشر (١٩٥٦ — ١٩٦٧) لم تكن هناك

فكرة لتكوين قوة عسكرية لمواجهة اسرائيل فأن الهدف لم يكن غير تثبيت الوجود السياسي داخليا ولقد هزم الجيش في ١٩٦٧ بنفس الخطة التي هزم بها ١٩٥٦ وكان الجميع يعرفون أن هناك ضربه من إسرائيل في(٥ يونيو) بل أن النصر الذي أعلن عن تحقيقه ١٩٥٦ كان أكبر عملية تزوير في التاريخ ، وأن تظل أمة عشر سنوات تجهل أنها هزمت هزيمة فادحة وتظل معتقدة أنها انتصرت وأن أحتلال اليهود لسيناء كان عبقرية عسكرية من جانبنا إذ أمرنا بالانسحاب البارع والافلات من الكماشة ، كان هناك التغرير بأمة كاملة واخفاء الحقيقة عن الأمة ، فقد فتح خليج العقبة لأول مره بعد أن ظل ثماني سنوات مغلقا في وجه الملاحة الإسرائيلية بمعاهدة سرية ، ثم جاءت محاولة اغلاق خليج العقبة ١٩٦٧ كأساس لهزيمة ١٩٦٧ التي تمت بنفس مخطط ١٩٥٦ تحت تقدير العدو بان العرب لا يراجعون خططهم وأن ما جرى في الخامس من يونيه يؤكد أن الحقيقة لم يكن يسمح بتداولها على أي مستوى .

وبعد الهزيمة روجت إسرائيل بأن روسيا قدمت للعرب السلاح الذي يكفل فتح إسرائيل ولكن الجيش لم يقاتل وتبين أن روسيا لم تسلح العرب الا تسليحا دفاعيا لا يتجاوز قوى إسرائيل ولا يمكن من النصر عليها بل أن روسيا هي التي نصحت العرب بعدم دخول الحرب في فجر اليوم الذي وجهت في ضحاه إسرائيل الضربة إلى العرب .

وقد برهنت الهزيمة على أن قادتنا وشعوبنا لم يكونوا عالمين بحقيقة اللعبة العالمية وابعادها ، وغير فهمين لعمق الصلة بين الصهيونية والشيوعية والتنسيق بينهما مخدوعين بصداقة السوفييت الذين لم يقدموا السلاح والذين قدموا نصيحة الغش ليجعلوا إسرائيل تسبق العرب بالضـــربة الأولى التي حققت زوال فلسطين كلها واحتلال أجزاء من مصر وسوريا والاردن وتبين أن العرب لم يكونوا قـــد أستعدوا لمعركة حاسمة مع اليهود وكانوا مستهينين بالعدو وأن الفترة بين نكبة ١٩٤٨ إلى ١٩٦٧ (تسعة عشر عاما) قد قضاها العدو في الاستعداد لمعركة جديدة حاسمة يمكن بها لنفسه في الأرض المحتلة ، وقضاها العرب في الاستهانة به

والتقليل من شأنه . وهزمت الدول العربية مرتين ، وفشلوا فى السعى إلى وحدة عربية شاملة .

وقد أشارت أبحاث سياسية وتاريخية الى أن الروس كانوا يعلمون بموعد الضربة الجوية الإسرائيلية التى حسمت نتيجة حرب يونية منذ ساعة اندلاعها الأولى ، ورغم ذلك فأن الحكومة السوفيتية لم تبلغ القاهرة ، بل أن السفير ايقظ مسئول كبير بعد منتصف الليل وقبل حرب ٥ يونيو بساعات ليطلب إليه عدم البدء بالحرب بنتيجة أتفاق تم بين موسكو وشنطون أى أن موسكو لم تخف موعد الضربة الإسرائيلية فحسب وإنما طلبت من مصر ضبط النفس ومنع أى ضربة من جانبها وكأنه كان يراد لحرب ، يونيو أن تبدأ وتنتهى كاخططت إسرائيل بالضبط بهدف هزيمة مصر ونصر إسرائيل وأنه إذا نجحت إسرائيل فأن كبرياء مصر يتبدد وحكومتها تسقط وكان الاتحاد السوفيتى يخطط لإلتهام مصر بواسطة أعوانه الذين باعوا بلادهم للموز بالسلطة .

لقد عجز العرب أن يواجهوا ظاهرة احتلال اليهود لإسرائيل بالاسلوب الإسلامى ، باعلان الجهاد وللرابطة فى الثغور وأنما انصرفو إلى الاهواء والمطامع فتحققت ثلاث هزائم فى فترة اقل من حياة جيل واحد وكان مصدر الهزيمة ان المواجهة لم تكن وفق الأسلوب الإسلامى ؛ كانت هناك تيارات الأقليمية والقومية العربية بالمفهوم الغربى وهناك فكر الراسمالية وفكر الماركسية ومفاهيم الفرويدية، والوجودية، وكلها قتلت روح الإيمان والجهاد والخشونة فى الكيان الإسلامى العربى ولكن اعداء هذه الأمة كانوا أعلى صوتا بعد النكسة فى الدعوة إلى تدمير التراث الإسلامى والدعوة إلى ما اطلق عليه الدولة العصرية ، وإنكار الماضى والتاريخ والتراث والعقائد ، بل ان بعضهم جعل فى هذه المفاصلة ثمنا للحرية ؛ ومنها الدعوة إلى حل قضية فلسطين حلا عربيا ، وفى ظل النكسة اثير ذلك الطوفان الهائل من الأفكار والتيارات وعادت تستيقظ من جديد الفرعونية وترجمة كتاب الموتى ودراسة الخوارج والمعتزلة والقرامطة وكان الشوعيون يسيطرون اذ ذاك على الثقافة والصحافة والمسرح والإعلام فكانوا عاملا هاما فى تدمير الوجود الحقيقى .

ولكن من ناحية أخرى كانت النكسة هى عامل اليقظة الحقيقى للامة من سباتها فكان عليها أن تعيد النظر فى كل جزئيات حياتها السياسية والثقافية والاقتصادية والإجتماعية وأن تعيد النظر فى أنظمة الغرب والانظمة الماركسية وتعرف فسادها وتعرف ولائها للصهيونية وغشها اللامة وعجزها عن العطاء، ووقوفها حاجزاً دون إمتلاك الإمة لأرادتها أو إمتلاك القوة الحقيقية . وكانت دعوة حركة اليقظة الإسلامية إلى تنقية الثقافة والفكر من أثار التغريب والغزو الثقافى .

وقد كان من أكبر الحقائق التى تبينت فساد الدعوة التى حملتها الدعوى (الشيوعية الماركسية الاشتراكية) إلى تحقيق العداله الأجتماعية فى البلاد العربية فان التطبيق استهدف فى الدرجة الأولى المقاصد الماركسية والمبنية على الصراع الطبقى والهادفة إلى تدمير المجتمع العربى وقلبه رأسا على عقب القضاء على اعرافه وانتهاك حرماته ومقدساته واعتبار الاخلاق التى يؤمن بها أخلاقاً رجعية يجب استبدالها بالإخلاق التقدمية .

وتبين أن المجتمعات التى خرجت من نفوذ الاستعمار الغربى قد دخلت فى نفوذ استعمار أشد منه عنفاً، استعمار مغلف بروح الدكتاتورية والسيطرة الفردية وان الإدارة الجديدة تبنت عقائد الاستعمار فى هدم القوى الوطنية وسلكت نفس طريق الاستعمار فى أخلاء الواقع الاجتماعى من الإسلام وتأكدت طوابع العلمانية والمادية فى عزل الإسلام عن الدولة، وأبعاده عن التعليم والتشريع والاقتصاد واضعافه فى معاهدة ومؤسساته وإلغاء المحاكم الشرعية وحاولت الإنظمة الماركسية المطبقة التسوية بين الرجل والمراة فى الميراث والتخفف من ضوابط الزواج والطلاق ومباركة زواج المسلمة بغير المسلم بينما البعض الآخر رفع القرآن كلية ووضع مكانه رأس المال والإشتراكية اللينينية لكارل ماركس وماوتسى تونج ، ومنهم من طرد الإسلام كلية وقد رأى كثير من حكام المجتمعات الاسلامية المعاصرة أن الاسلام قد انتهت صلاحيته فى السياسة وفى الروابط الإجتماعية — كما يقول الدكتور محمد البهى —

من غير مراجعة ومن غير بحث أعتباراً على ما كان يردده المستعمرون الغربيون. ومايروده اليوم المستعمرون الحمر بأقلام عملائهم فى هذه المجتمعات ولم يأت حاكم وطنى بعد الاستقلال يراجع دستور العمل والحكم فى بلده على هدى من تعاليم الإسلام بل من يشير من الحكام الوطنيين لو اشار الى الإسلام فانه يكتفى من الإسلام بأن يكون رسم رئيس الدولة ومجتمعه مسلماً أو بأن يعلن صلاحية الإسلام كمصدر لتشريع القوانين دون أن يطبق مايعلن ، .

(٣)

كانت النكسة نتيجة طبيعة المخططات التى نفذت فى البلاد الإسلامية والعربية والتى تمثلت فى الحملات المستفيضة على الشريعة الإسلامية لا نتقاصها وتصويرها بصورة الجمود أو الصحراوية أو المنقولة من القانون الرومانى ومحاولات أفساد العقيدة باثارة تيارات باطنية وفلسفية وكذلك فى مجال الثقافة بمحاولات الفصل بين الثقافة المدنية والثقافية والإسلامية وايجاد حاجز منذ الحملة الفرنسية ومحاولة تتبيع الثقافة العربية الحديثة الى الفكر اليونانى قديماً ومحاولة اعلاء شأن فلسفات أبن سينا وأدبيات أبن المقفع وشعر إبى نواس وتصوف الحلاج .

وفى مجال الصحافة : كان دحر الاتجاه الأسلامى الذى كان تتميز به الصحافة منـــذ أصدرها على يوسف ومصطفى كامل وعبد العزيز جاويش وردها إلى الاتجاه الذى انشاه المارونيون اللبنانيون وتغذيته برافد تغريبى حمل لوائه الاهرام فى عهديه وروز اليوسف وصباح الخير وأخبار اليوم .

وفى مجـــال التعليم إحيث كانت مناهج التعليم ما تزال خاضعة لمفاهيم دنلوب والتى لاتحتفل بالدين ولا بالتربية النفسية وتلك الحملات المتصلة على اللغة العربية عن طريق الاستشراق ثم عن طريق الاقليميين المتعصبين ضد اللغة العربية من دعاة الفرعونية والفينيقية .

ولقد أشار كثير من الباحثين إلى مدى الخطر الذى لحق الوجدان العربى نتيجة بتلك المرحلة الخطيرة السابقة للنكسة وما بعدها ، ومدى الأثر الذى لحق بالفكر الإسلامى والأدب العربى نتيجة رياح الماركسية . والوجودية والفرويدية المسمومة التى ظلت أقلام التغريبيين تلوكها سنوات عشر ، فى صور من المحاولات القصصية والروائية التى تفيض بالحديث عن الغربة والقلق والعبث والضياع والانخلاع من الواقع ، كما استفاضت الكتابات عن لقمة العيش والجنس وأثرهما ولاريب أن هذه التأثرات كانت تقليدية محضة ؛ ولم تكن تمثل صميم المجتمع ، ولم تكن النماذج التى قدمتها هذه القصص وهذه الكتابات تمثل واقع المجتمع ؛ كانت كلها كتابات مهيجة محرضة داعية للتآمر والانقضاض واثارة الأحقاد وضرب كل سليم وصالح فى المجتمع ومليئة بتحقير العقيدة والأخلاق والقيم الأساسية .

بل أن هناك محاولات كثيرة جرت من أجل مهاجمة العقائد الكبرى للمسلمين والعرب وفى أحدى البلاد العربية هاجمو الألوهية فكتب أحدهم مقالا فى مجلة للجيش يهاجم الألوهية ويسخر من الدين ويحرض الناس على التخلص منه .

يقول محمد يوسف العقيد ؛ أن الأمة العربية قــــد تعرضت قبل وخلال هذه الحروب لحملة من الحروب الفكرية واسعة النطاق ـ سمت هذه الحملة التى درست بوعى كامل إلى محاولة تدمير الأسس النفسية للفكر العربى الإسلامى ، المعاصر ومحاولة تشويهه والأمر الثانى محاولة تقدير الفكر الغربى — المعاصر والقديم على السواء — كبديل حتمى ولابد منه .

وكان لنا نحن المثقفين العرب فضل اكتشاف نوايا هذه الحرب الفكرية وفضح كل ما تقدمه ، كانت هذه الحرب الضارية من دعائم ومسببات النكسة الاخيرة فإن هذه الحقيقة تعد — فى الدرجة الاولى — ادانة لكثير من عناصر البناء الثقافى انتاجا واستهلاكا .

لقد تعرضت الامة العربية خلال السنوات الثلاث الاخيرة (٦٥ — ٦٧) لحرب فكرية ضارية . ويقول باحث آخر : ان الهزيمة التى منى بها العالم الإسلامى

لم تات من الخارج ، لقد جاء الاجنبي فوجـــد الطريق ممهدة أمامه أنه لم يجد الإسلام بكامل حيويته ولم يواجه القرآن بكل أبعاده بل وجد أمامه عقولا منحطة وثقافة راكدة وارادة غائبة وذكاء مصاباً بفقر الدم وأن الذى هزمت هى المناهج الوافدة التى كانت مطبقة والتى ظن أصحابها أنها توصلهم إلى القوة والتقدم . لقد كانت الهزيمة نتيجة لانحراف العقيدة وفساد العبادة وتجميد الشريعة وعدم تطبيقها والتحلل من مفهوم الاخلاق وهجر القرآن واتخاذ بطولات الامم مثلا لنا بينما لدينا المثل الاعلى واتخاذ أساليب للتربية غير إسلامية وقال مالك بن نبى: لا اتصور نهضة لاى شعب من الشعوب العربية والإسلامية ألا بواسطة عقيدة قوية تذلل له الصعوبات وتقوى عزمه فى جميع الاتجاهات ولا يمكن طبعاً أن تستمر هذه العقيدة ككل شعب آخر الا من دين يضع العادات فى بيئاته ويصوغ فى كل نفس اتجاهات عامة وخاصة ما يمكن أن يسمى الضمير العام .

وقد أجمع الكثير من الباحثين المسلمين إلى أن النكسة كانت تعنى فساد نقل تجربة الغرب، القوميات والليبرالية والماركسية ، والاستسلام لاخلاق متحللة كونت طوابع الانحلال وفقدان الإرادة والتحدى فى مواجهة العدو ، وإذا كان الماركسيون قد أعلنوا أن سبب التاخر هــــو فساد نقل تجربة الغرب فلاريب أن التجربة الماركسية قد أدت إلى تلك الهزيمة الساحقة التى اطلق عليها سم (النكسة)

الفصل الثانى

المواجهه

أن كل الذين يحاولون فهم الهزيمة أنما يصدرون عن منطلقات غير إسلامية اصيلة فهم جميعاً من اتباع مناهج الفكر الوافد سواء منهم الماركسيون أم أتباع الفكر الليبرالى أو الفرويدى أو الوجدوى ، وهم جميعاً ماديو التفكير وأغلبهم يخضعون لاهواء نحل وعقائد ودعوات هدامة ، فهم لايفهمون الفكر الإسلامى الأصيل فهما عميقاً ، أو هم أعداء لهذا الدين أو لهذا الفكر ، أو أنهم لا ينظرون إليها بمنظار غربى أو منظار طائفى أو منظار استشراقى وثالثا فأنهم أنما يحاولون خداع أهل هذه الامةعن واقعهم وعن طريقهم الصحيح ، ويلحون على ذلك القول الذى يردده دعاة الاستعمار والصهيونية والتغريب أن منطلق التقدم هو اعتناق مذاهب الفكر الغربى والتحرك من داخله .

ومن الحق أن هذه الهزيمة التى أصيب بها العرب ، انما جاءتهم من الاطمئنان لقوالب الفكر الغربى ومنطلقاته ومذاهبه التى اعتنقوها وظنوا أنها تحقق لهم التقدم أو النجاح ولقد كان أهل الاصالة يعلمون أن هذا الاسلوب ان يؤدى إلى شىء إيجابى ، بل على العكس من ذلك فأنه سوف يستأصل بقية الذاتية العربية الإسلامية وتسقط معه الأمة كلها فى بوتقة الاحتواء الغربى . وقد كشفت الأحداث التاريخية والوقائع منذ تسلم زمامها أولئك المؤمنون بمذهب اتخاذ الايدلوجيات الوافدة ــ غربية أو شرقية ، منطلقا للتقدم ، كشفت عن زيف هذه الدعوة وسقوطها تماما ، فأن التجربة الواحدة سواء فى جانبها الغربى أم الماركسى لم تحقق ألا ثلاث ظواهر خطرة : هى النكبة والهزيمة والنكسة خلال هذه الفترة منذ وقعت الهزيمة عام ١٩٤٧ وامتدت حتى وصلت ذروتها فى نكسة ١٩٦٧

ومن هنا قد كان لابد لحركة اليقظة الإسلامية من الكشف عن زيف هذه الدعوة خاصة وأن عوامل النصر لن تبدأ الا مع تغيير الأسلوب والتماس المنهج الأصيل المستمد من ضمير النفس العربية الإسلامية ومن القيم القرآنية .

وكان لابد بعد تلك الضربات المتوالية وبعد صيحات حركة اليقظة من تعمق فهم الهزيمة ، وفهم هدف الغزو الذى يرمى إلى تحويل الإنسان العربى والمسلم إلى إنسان متهور إلى عبد ، الهدف هو الفقدان التام للثقة فى النفس فى محاولة لقتل الروح الإسلامية فى الإنسان العربى وذلك عن طريق تقديم سمومهم من خلال الفن والأدب والثقافة والتعليم والصحافة .

وهكذا كانت هزيمة حزيران : محاولة هزيمة الإنسان العربى والمسلم فى معركة وجوده الفعلى .

وكانت نصيحة الأصدقاء الشيوعيين واليساريون والماركسيون هى :

انكار الماضى والبدء من الدولة المصرية . واحتقار القيم الاساسية والعروبة واللغة والتاريخ وكل هذه الصفحات الزاخرة التى أمدتنا بالقوة والاستمرار يجب أن تطوى . . ووجهت الاتهامات نحو تفكير العرب وأنهم عاطفيون وذريون وأن مهمتهم قيم سلفية بالية قدرية ، وقال الغربيون فى ذلك ما قالوا رغبة فى الاجهاز على الفريسة .

والحقيقة أن هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ كانت ضخمة ، كانت كل أسباب الهزيمة تسرى فى اوصال المصريين والعرب والمسلمين كما تسرى النار فى الهشيم ، ولم يكن هناك طريق صحيح لمواجهة الموقف : الا التماس منهج الإسلام والقرآن الذى قدم لنا منهج النصر وأسباب الهزيمة فتجاهلنا ذلك كله وجرينا وراء اهواء الأمم وخدعنا الأصدقاء سواء فى الغرب أو فى الشرق .

كان علينا أن نعرف كيف نحول دون الاستسلام لتيار اليأس والقنوط الذى مضى العدو المزروعة فى قلوبنا ، فى النفس العربيـــة الإسلامية ، مستغلا تحديات

النكسة وروافدها المرير ، ومن هنا فقد كانت دعوة اليقظة الإسلامية إلى أن يضع المسلمون تحديات النكسة نصب اعينهم فلاينسونها ويجعلون منها منطلقا إلى تحقيق الذات وتأكيد الوجود النفسي والاجتماعي ، وأن الداعين إلى تجاهل النكسة ونسيانها والاغضاء عنها (كما جرت اقلام كتاب الطاغوت) ليسوا مخلصين في دعواهم وليسوا صادقين في محاولتهم وأن الوسيلة إلى مواجهة الاحداث أنما تكون بتقييم الاحداث واتخاذ المنطلق الصحيح إلى تغيير الواقع ، ويكمن ذلك في حسن اتصال النفس العربية المسلمة بجوهرها وأصولها وتراثها وقيمها التي تشكلت عليها أساساً والتي لم يهزم الناس الا حين خالفوا عنها وفارقوها . وكيف أن العرب والمسلمون ظنوا أن الطريقة المثلى للتحرر من نفوذ الغرب هي تقليده ، وكيف كشفت الأيام زيف دعوى التغريبيين وتبين للعرب والمسلمين بعد أن وقعت الواقعة أن عملية التقليد والتبعية لم تحقق أكثر من احداث اطار مزخرف وهمي لصورة الاحداث العاصفة سرعان ما تحطم ، ذلك أن تقدير الدعاة إلى الاتجاه نحو الغرب (بشقيه) لم يكن صادقاً وأن الدعاة المضللين قدعجزوا عن فهم المعادلة الصعبة التي تحاول أن تنقل فكر مجتمع إلى مجتمع آخر .

ومرت خمسون عاما على التجربة دون أن تحقق شيئا وتبين أن ايقاظ هذه الامة انما يحتاج إلى قارعة ، تحيي النفوس وتجدد العزائم وتدعو الامة إلى أعادة النظر في ذلك الطريق المسدود المظلم الذي ساروا فيه ولذلك فان النكسة كانت عاملا هاما من عوامل التحدي يمكن ان تصحح لنا الطريق وتعطيا عبرة التجربة مع التقليد فتردنا إلى الاصالة .

ولقد كشفت حركة اليقظة كيف أن الهزيمة أنما جاءت حين أتخذ المسلمون والعرب غير منطلق الإسلام فهزيمتهم ليست هزيمة فكرهم الاصيل ولكنها هزيمة الإنحراف عنه وعقوبة التماس مناهج الآخرين واساليبهم ، ومن هنا لقد كان على العرب والمسلمون أن يقاوموا حملة التيئيس التي تراد بهم ، ليلقوا بأنفسهم في احضان عدوهم ، والأسلوب الصحيح هو أن يلتمس المسلمون النصر من قيمهم

واية المواجهة الصحيحة هى ان تدخل فريضة الجهاد مرة اخرى إلى حياة المسلمين وان يؤمن المسلمون بصناعة الموت وان يجيدوها وان يتقدموا مؤمنين بانه من طلب الموت توهب له الحياة وانه لابد من بناء الاجيال الجديدة على الإيمان بالله والإيمان بالقدرة على مواجهة التحدى والخطر ، وان هذه الاجيال يجب ان تفطم عن الشهوات والاهواء والتحلل حتى تكون قادرة على ان تحمل الامانة وان مذاهب الفكر الهدام التى تحاول ان تفرض مفاهيم الترف والاباحية والتحلل من شانها ان تؤخر كثيراً تحقيق النصر وتحول دون بناء الاجيال القادرة على العمل ، وهى تفتح الطريق واسعا امام تقبل النفس العربية الإسلامية لحلة اليأس والقنوط التى تريد ان تقول بان المسلمين والعرب قد انتهوا وان قيمهم وتراثهم ومفاهيمهم قد دمرت وانهم بسبيل الدخول فى مجال الاذابة والانهيار .

كذلك لقد دعت حركة اليقظة إلى الحذر من خطر التبعية والتقليد والتأويل: هذه الدعوة المتجددة دائما فى تاريخ الاسلام وفى مواجهة العدو ، ولو أن المسلمين تمكنوا بالتحذير الذى حذرهم به الإسلام لكفاهم ذلك عن كثير مما وقعوا فيه من محاذير وفى أكثر من موقع فى القرآن الكريم تكشف كلمات الله محاولة الاحتواء :

(يا أيها الذين امنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد يمانكم كافرين) .

(ود كثير من أهل الكتاب لو يردوكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند انفسهم) ولقد كان الخطر أننا قصرنا فى تنبيه أهلنا وأجيالنا الجديدة وتحذيرهم من ذلك الشر واننا لم نكشف لهم من بعد أبعاد المؤامرة التى دبرها خصوم الإسلام فى كل عصر وجيل .

ان اخطر ما يدعونا إليه التغريب هو التبعية وان اخطر ركائز الفكر الإسلامى هو الأصالة والتميز واستحالة الاستغلال ، عاد الذوبان أو الاحتواء فى

الفكر الامى، كذلك كانت الدعوة إلى الوقوف دون ذوبان الشخصية الإسلامية فى الامية العالمية ، تلك المحـــاولة الخطيرة التى حاولتها الشيوعية والصهيونية فى وقت معا ، هذه الدعوة التى تستهدف سحق الكيان واثارة الشبهات حول كل القيم والمقدرات ، وقد وضعت اليوم فى أساليب خطيرة لها طابع براق تحاول ان تتملك مكان الاستسلام من النفس العربية المسلمين ، نظريات الجنس والاباحية والوجودية ونسبية الاخـــلاق والتطور المطلق والحركة التى لا ترتبط بالقيم الثابته ، كل هذه مفاهيم ونظريات يراد بها دفع الشباب إلى الانحلال والتفسخ .

وإذ كشفت حركة اليقظة عن هذه المحاذير أعلنت ان هذه الامة يجب ان تبنى من جديد حول فكرة التوحيد وفريضه الجهـــاد مؤمنة بانها لا تعيش للترف ولا للمتعة ولا للحياة العارضة ولكنها تعيش لتحمى القيم التى جاء بها الدين الحق وتحيا لها وتموت من اجلها على ان تكون مستعدة لتقديم الشهداء وان تحسن صناعة الموت وان تعيد صورة الرعيل الاول ، ليست باغية ولا معتدية ولكنها تحمى نفسها وتطهر ارضها وتسترد مكانتها .

الفصل الثالث

حرب رمضان

لا يزال العاشر من رمضان ، وستظل الى وقت طويل ؛ من الاحداث التى يؤرخ بها فى تاريخ العرب والمسلمين كعلامة على طريق التحرر والتحول والانتقال من حال إلى حال ، ومن وضع إلى وضـــع وهو كذلك بالنسبة للاستراتيجية العالميه والاستعمار والصهيونية ، موقف حاسم ، يتوقف المراقبون والباحثون والمؤرخون عنده طويلا يدرسونه ويحللونه ويستنتجون منه نتائج مختلفة تتركز جميعاً بلا إستثناء على حقيقة أساسية تنقض كل ما كان يقال ويذاع ويكتب عن قدرة العرب القتالية وكفاءة الجندى المصرى واستيعابه لكل المنجزات العصرية والآلات التكنولوجية بكفاية وأقتدار .

لقد صدرت عشرات الكتب والبحوث والدراسات ؛ ونشرت مئات المقالات فى الصحف العالمية ، وفى مصر صدرت مجموعة من الكتب حرصت على استيعاب ذلك الحدث من وجهاته المختلفة ، ومن نواحية المتعددة . وكان أغلب ما كتب انما يمثل محاولة لاستعراض وقائع حرب العاشر من رمضان تفصيلا ، وآثارها العامة وما حققت من نتائج ، وتكاد هذه الدراسات جميعاً تتفق على عدة عناصر أساسية أمكن أن تتحقق بالعمل ، وأن تحدث تغييراً واسعاً فى مجالات السياسة والمجتمع والاستراتيجية العالمية هى :

أولا ــ كانت سبباً فى وحدة عربية شاملة وحققت موقفاً عربياً موحداً لم يشهدة العالم من قبل .

ثانيا ــ عززت الوحدة الوطنية بصورة لم تشهدها مصر سابقاً .

ثالثاً ــ أعادة الى القوات المسلحة المصرية ثقتها بنفسها كما أعادت للشعب

مصر ثقتة بقواتة المسلحة .

رابعاً — قضت على أسطوره جيش إسرائيل الذى لا يقهر .

خامساً — غيرت الأستراتيجية العسكرية فى العالم كله .

سادسا — قلبت الموازين العسكرية فى العالم .

سابعاً — حركت أزمة الشرق الأوسط بدرجة لم تحدث فى أى وقت مضى .
هذه هى أبرز النتائج التى أحدثتها حرب العاشر من رمضان (٦ أكتوبر)
كما تصورها أغلب الدارسين .

١ — كفاءة المقاتل العربى

وكانت أبرز ما تكشفت عنه حرب رمضان فى تقدير الباحثين والكتاب جميعاً هو : « كفاءة المقاتل العربى » . وقد صورها دكتور عبد الكريم درويش فى كتابة : حرب الساعات الست تصويراً ضافيا حين قال :

بعد ست ساعات من القتال بدأ العالم يرى المقاتل المصرى والمقاتل العربى فى صورة أخرى ، وقالت مجلة نيوزويك : أن الاساطير التى قامت منذ أنتصار إسرائيل الخاطف فى حرب ١٩٦٧ قد تداعت يوما بعد يوم ؛ أو على الأقل شوهت بصورة بشعة ، ولقد كانت هناك خرافة تقول : إن العرب ليسوا محاربين على الأطلاق حيث طمست أحداث حرب ١٩٦٧ من ذكريات الناس ، أن المحاربين العرب نشروا يوماً ما دعوة الإسلام فى كل مكان فاتحين وغازين نصف العالم المتحضر حينئذ .

وقالت صحيفة دير شبيجل الألمانية : « إن الجنود العرب قد قاتلوا هذه المرة بصورة لم نعهدها فيهم ، ولم يتوقعها العالم منهم .

لقد عاد العرب فعلا بعد قرون من الكبت والأحتلال واستحالة الاندماج او

العربى إلى أصله وأصالته كمحارب قدير يدافع بإيمانه ، ويؤمن بما يدافع عنه ، وثبت أنه إذا توفرت له الظروف والإمكانيات استبسل وضحى بنفسه بلا تردد وحقق الكثير .

وخرجت قصص بطولات يفوق بعضها الخيال ، وأعادت للأذهان ذكرى غزوة « بدر » وغزوة « أحد » ومعارك القادسية واليرموك وحطين وعين جالوت وفتح العرب لمصر والمغرب والأندلس .

وبدأت صحافة العالم تتذكر فتوحات العرب وقدراتهم العسكرية ، بدأت تتكلم عن المصرى الذى صنع من نفسه قنبلة تنفجر أمام دبابات ليؤخر تقدم العدو أو لينقذ رفاقه . تتحدث عن الجندى السورى الذى غادر المستشفى قبل إتمام علاجه ليعود إلى جبهة القتال .

وقال مراسل مجلة (تايم) : « إن روح المقاتل العربى كانت عالية جداً . وكان المصريون يلوحون لنا فرحين وهم ينادون (الله أكبر) .

ورغم أننا كنا نسمع صوت المعركة الرهيبة التى تدور قريباً منا إلا أن الفرحة والسعادة كانت تغمر القوات المصرية بصورة واضحة ، ولم يبد عليهـا القلق بل كانت تشير بشـكل فخر إلى العلم المصرى وهو يرفرف على خط (بارليف) .

وأمام هذا العـلم ومن أجله ، نسى المقاتل نفسه وأسرته ومصالحه ، لم يفكر إلا فى مصر .

ويروى مراسل (تايم) فى سيناء أن قائد المنطقة المصرى قال له بشـكل فخر واعتزاز : إن أفضل سلاح عندنا هو شجاعة المصرى .

وقال إن الجندى الإسرائيلى يحارب من دبابته . أما نحن فاننا نحارب على أرجلنا . لقد تمكن المقاتل العربى خلال ربع قرن أن يقفز من القرون الوسطى إلى القرن العشرين واستوعب العصر ومعداته بصورة انتزعت اعجاب العالم .

إن المقاتل العربي في هذه الحرب قد استوعب الجوانب التكنولوجية تصاحبها بسالة وفدائية وهو الازدواج الذي لم يتوفر لنا عام ١٩٦٧ لضرورة الانتصـــار . ذلك أن الحرب في جوهرها مادة وروح . قوة وقدرة . إرادة ورغبة . سلاح ودافع .

وعندما يتوفر الجانبان معـــاً يمكن للإنسان أن يحقق المعجزات والعجائب بالآلة ولا يمكن للآلة أن توصل الإنسان إلى تحقيق أهدافه .

إن قصص البطولة التي كتبها العربي المقاتل يمكن أن تملأ مجلدات ومجلدات وهي قصص لم تعرف كلها بعد ، وهي إذا جمعت ستكون أجمل صفحة في كتاب مصر الحديث . إن المقاتل العربي كان مقـــاتلا ورائداً ومحرراً وسفيراً هؤلاء الأبطال الذين خرجوا من هذا الشعب ،من هذه الأمة في فترة حالـكة ساد فيها الظلام ليحملوا مشاعل النور وليضيئوا الطريق حتى تستطيع أمتهم أن تعبر الجسر ما بين اليأس والرجاء .

٢ — صيحة الله أكبر

ولقد وجدت صيحة « الله أكبر » أهتماما كبيراً من الكتاب ذوى الأصالة والقدرة على فهم نفسية المقاتل العربي الذي ينطوي على إيمـان صادق بالله والذي يتقدم وهو مؤمن بأنه يقاتل في سبيل الله حقاً ، وهذا ما يصوره صاحب كتاب (حرب الساعات الست) حين يقول : هناك بوادر عودة الحضارة العربية بجوانبها العلمية : وهذه مؤشرات لعودة الحضـارة في جوانبها الإنسانية والروحية .

لقد كان الإيمان بالله سلاحاً في المعركة . وكانت صيحة الله أكبر التي أطلقها الجنود وهم يعبرون وتردد أصداؤها في جنبات سيناء وتشق عنان السماء أبلغ دليل على تمسك مجتمعنا بالمبادىء والقيم الدينية ، وأقوى برهان على عقم ما أراد العالم أن يصفنا به بأننا شعوب قد تخلت عن العقائد الدينية وتبنت مذاهب

سياسية معروفة بجفائها الروحى محرومة من قوة الإيمان .

لقد أجملت تلك الصيحة المبكرة فى كلمتين عظيمتين . الروح التى سادت المقاتلين خلال قتالهم وأشعت نبضاتها على الجبهة الداخلية ، فردد كل عربى هذا النداء فى وحدة وطنية رائعة : الله أكبر الله أكبر .

ومما يضاف إلى ما أورده الكتاب تلك الأخبار التى تواترت من أن معاهد الاستراتيجية العليا الغربية تدرس الآن « الله أكبر » بوصفها سلاحا كونيا غير مجرى الأحداث .

٣ — الصــــوم

وتحدثت صحيفة الجارديان فيما أشار إليه كتاب (حرب الساعات الست) عن الجوانب الروحية والإنسانية قائلة : « إن المقاتل من المسلم الذى قاتل فى شهر رمضان استمر فى صيامه رغم السماح له بالإفطار ، والأغرب من ذلك أن زميله المقاتل المسيحى قد شاركه بدوره فى هذا الصيام . لقد ارتفعت تماما من ذكرى العرب جميعا أصداء ذلك الشقاق الطائفى . لقد حاولت إذاعة اسرائيل خلال الأيام الأولى من المعركة أن تشعل فتنة بين العرب ، وأن تشعل شقاقاً طائفياً ، ولكن محاولتها هــذه ولدت ميتة وقد حارب عربى المشرق مع عربى المغرب وقاتل العربى الأبيض بجانب العربى الأسمر ، واستشهد العربى المسلم بجانب أخيه المسيحى .

كذلك براءة حرب رمضان من أعمال الإبادة والعدوان ، فلم تصدر أى بادرة تنم على التشفى باليهود .

٤ — استيعاب فنون الحرب الالكترونية

وأشارت دراسات الكتاب الى ما حققته حرب العاشر من رمضان فى دحض

شبهة التخلف الحضارى ، واستعرضت هذه الدراسات صور الحرب النفسية التى شنها العدو بعد حرب ١٩٦٧ مما أطلق عليه (الفجوة الحضارية). ولقد قضت حرب رمضان فيما قضت على تلك الأفكار .

فقد كشفت عن قدرة العرب على استيعاب فنون الحرب الالكترونية . وإحراز التقدم التكنولوجى بأبعاده من المعارف العلمية والأساسية ، والقدرة الإداريه المصرية .

يقول الأستاذ جمال درويش : إن المحارب المصرى قد عبر مسافه التخلف بين معطيات التقدم العلمى التكنولوجى ، وبين القدرة على استيعاب أبعاد هذا التقدم .

ويضيف : أن المقاتل المصرى لم يكن عامر القلب بالإيمان مملوءاً بالثقة بالنفس والإصرار فحسب ، ولم يكن شجاعا وحسب ، وإنما كان أيضاً عند أعلى مستوى من المهارة والحذق والتدريب والقدرة أيضا على مستوى الأداء تحت كل الظروف والتعامل المقتدر مع الأسلحه والعتاد المصرى والالكترونى الذى فى حوزته .

والى جانب هذا كان المقاتل المصرى برغم ظروف الحرب وتحت ضراوتها ووسط أتونها قادرا على إخضاع نفسه للنظام والتحلى بمسلك منضبط استرعى الانتباه .

٥ — بطولة العبور المجيد

وأشار مؤلف كتاب (المفاجأة) إلى أن كلمة السر فى معركة العاشر من رمضان هى (بدر) ومنذ اللحظة الأولى للمعركة حملت جميع أجهزة اللاسلكى وجميع الموجات كلمة ، بدر ، وسمع كل من كان بالقرب من جهاز استقبال هذه الكلمة تتكرر ثلاث مرات بوضوح تام .

وبدأت كل الأسلحة والمدفعية والمدرعات والقاذفات والوحدات البحرية تطلق النار .

٦ — « بدر » كلمة السر

وقد عنى حسن البدرى وطه المجـــدوب وضياء الدين زهدى فى كتابهم (حرب رمضان) أن يرسموا صورة رائعة لبطولة العبور :

لقـــد كانت الساعة الثانية وخمس دقائق هى ساعة البدء بعد الظهر — ١٠ رمضان (٦ أكتوبر) عندما عبرت طائرات سوريا ومصر خطوط المواجهة مع إسرائيل واتجهت نحو أهدافها المحددة ثم هددت مدافع العرب على طول الجبهتين الشمالية والجنوبية فى أقـــوى تمهيد نيرانى شهده الشرق الأوسط ، فعلى الجبهة المصرية إنطلقت مائتا طائرة مصرية تشق عنان السماء فى طريقها المرسوم إلى عمق سيناء لتنفيذ الضربة الجوية المركزة التى كان عليها تحطيم ثلاثة مطارات وقواعد صواريخ هـوك وثلاثة مراكز قيادة وسيطرة وإعاقة الـكترونية بالإضافة إلى عدد من محطات الرادار .

وعندما أشارت عقارب الساعة إلى الثانية والثلث كانت الأفواج الأولى من طائراتنا تعبر القناة عائدة من مهامها الناجحة بعد أن قصفت أهدافها فى عمـــق سيناء حتى حطمتها . وفى نفس اللحظة امتلأ المكان بصيحات ثمانية آلاف من المقاتلين البواسل هم مهجة مصر وفلذة كبدها يصرخون بأعذب الكلمات وأسماها . الله أكبر الله أكبر . وامتـلأت صفحة الماء بقوارب المطـاط واندفعت موجات الاقتحام الأولى والعيون تتحرق فى المقل شوقا إلى الرمال الذهبية الحبيبة التى أمض القلوب لوعة الحنين إليها . وعنـدما وصل الرجال إلى الضفة الشرقيـة كانت اللحظة وكان الحدث اللذان طال إنتظارهما .

٧ — أبرز ما حققته معركة العاشر من رمضان تصحيح المفاهيم وإعادة تأكيد الحقيقة

وهذا ما يجمله الدكـتور جمال حمدان فى سبع نقاط :

أولا — إن المعركة قد أثبتت أول وآخر وأخطر ما أثبتت الروح القتالية

العالية المندفعة والطاقة فى الجندى العربى، وأكدت فدائية المقاتل العربى واستبساله وإقدامه بلا تردد، لا ينكص ولا يتراجع عن تحقيق هدفه مهما كان السلاح الذى يواجهه .

ثانياً — أثبتت المعركة قدرة المقاتل العربى على استيعاب أعقد الأسلحة الحديثة والمتطورة والسيطرة عليها بكل كفاءة واقتدار وتطويع التكنولوجيا وتكييفها والتكيف معها والتعامل بها على كل المستويات .

ثالثاً — التفوق فى كل فنون القتال - التخطيط - التنفيذ - المناورة - الحركة .

رابعاً — أثبتت المعركة خطأ الانطباع الذى روجه العدو عنا من أن العرب لا يجيدون القتال إلا من المواقع الثابتة فأكدت العالم تقدمهم بنجاح تام من القتال الثابت إلى القتال المتحرك .

خامساً — نسخت الحرب ونسفت إلى الأبد كل الأساطير والدعايات الشوهاء الظالمة الكاذبة التى ركز العدو عليها كل جهوده وأبواقه لا لصاقها بالمقاتل العربى ونوعيته أولا ليثبتها فى نفسه هو . ثم ثانياً لترسيخها فى عقلية العالم كما عبر عن ذلك كاتب أوربى كبير حين قال :

« إن ما هو خطير فى تدمير خط بارليف وحصون الجولان ليس تحرير جزء من الجزء العربى المحتل ، وإنما هو فى تدمير صوره ثابتة عن الإنسان العربى كانت رائجة عندنا » .

سادساً — كانت حرب رمضان أول اختبار حقيقى ميدانى حاسم لنوعية المقاتل المصرى والسورى كجندى محارب .

وقد تحطمت خرافة العسكرية الإسرائيلية ، وانكشفت حقيقة المقاتل الصهيونى ، وأثبت الجندى العربى وجوده وتفوقه بلا حدود .

سابعاً — أعاد العدو أكتشاف حقيقة معدن المقاتل والإنسان العربى .

قال الجنرال ميتاهوبليد : من الواضح حتى الآن أن الجندى المصرى يظهر روحا قتالية قوية ولم يفقد إرادته على مواصلة القتال . إننا نعرف هذه الظاهرة جيداً منذ حرب ١٩٤٨ وخلال حرب سيناء ١٩٥٦ .

الفصل الرابع

الله أكبر سلاح كونى

مدرسة المعاهد العليا للاستراتيجية العالمية

أوردت وكالات الأنباء أخباراً متعددة عن دراسات تجرى فى المعاهد العليا للاستراتيجية العالمية فى الحرب بعد معركة العاشر من رمضان حول كلمة « الله أكبر » باعتبارها سلاحاً كونياً أو سلاحاً سرياً حاسماً كان له أثره العجيب فى انتصار المسلمين وهزيمة الصهيونية واندحارها ، وذلك على أثر ما تجمع لدى المراقبين من نتائج خطيرة لصيحة « الله أكبر » وما حدث من فزع وتفرق واندحار فى صفوف الجيش الإسرائيلى ، فى تلك الهزيمة الساحقة لأول مرة فى المعركة التى تمت فيها مواجهة حقيقية بين القوات العربية الإسلامية من ناحية وبين قوات الصهيونية - جهة أخرى . .

لقد ترددت قصص وروايات وأحاديث عن وقائع ربما لا يقبلها العقل المجرد ، ولا تخضع لسلطان التحليل المادى الخالص الذى سيطر على العقلية الإسلامية العربية فى السنوات الخمسين الأخيرة فى محاولة لاستيعابه ضمن الدائرة المغلقة ، التى يريد الغرب أن يفكر بها المسلمون ، خروجا من دائرة فكرهم الحقيقية والأصيلة التى عرفوها وتعاملوا معها خلال أربعة عشر قرناً كاملة دون أن يفقدوا ولو مرة واحدة النتائج الحقيقية للتقدير على النحو الذى رسمه القرآن الكريم فى معادلات واضحة صريحة ، ووفق قوانين وسنن ثابتة لا تتغير ، فتح الله بها على الإنسان طاقة من طاقات النور ، وحقق له بها القدرة على السعى فى الأرض والعمران ، واتقاء بأس الإنسان والطبيعة وتذليلها وتحقيق حكمة الله العليا فى السيطرة على الأرض والتمكين فيها وإقامة المجتمع العامل الناهض الذى

لا يتوقف عن الحركة والدأب جرياً على سنة الله فى العمران . .

وإذا كان الإنسان قد أعطى طاقة من النور بما علمه الله من سنن الكون والحياة ليتمكن منها ويسيطر عليها . فإن الله (تبارك وتعالى) قد أعطى الانسان المؤمن نوراً آخر أشد قوة وأبعد أثراً فى مواجهة الأحداث (نور على نور) ذلك هو اكتناه السر ومعرفة حقيقة المعادلة .

ولقد كانت (الله أكـــبر) سلاحاً كونياً وسلاحاً سرياً فى نفس الوقت بالنسبة المسلمين منذ اليوم الأول وما تزال وستظل إلى أن يرث الله الارض ومن عليها وهى مبثوثة فى عديد من آيات الجهاد وواضحة كل الوضوح فى الآية الكريمة . (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة ، فاثبتوا ، ، واذكروا الله كثيراً ، لعلكم تفلحون) .

الثبـــات والذكر

وهكذا حدد الله سبحانه وتعالى للمؤمن قاعدة النصر فى أمرين ، الثبات ، و ، الذكر ، ولقد دخل العرب ثلاث معارك فى العصر الحـــديث فى مواجهة الصهيونية قبل أن يطبقوا هذا القانون ، دخلوها بمقاييس النصر عند الغربيين فهزموا شر هزيمة ، لأنهم غفلوا عن (قانونهم الاصيل) الذى أنزل لهم ، والسر المدخر الذى أوقف عليهم كمؤمنين ، هزم المسلمون عندما خضعوا الفكر الغربى فى التقدير المادى الخالص لعدد [illegible] والحصون والقلاع ، وهى كلها مطلوبة ، والمسلم مطالب أن يعد لها ، ولكنها ليست هى وحدها التى تكسب الحرب وتهزم العدو ، إنما هى (الإرادة) هى الأخذ بالأسباب الذى أمر المسلمون . أما القوة الحقيقية فهى من وراء ذلك ، هى فى ذلك الإيمان القوى الذى لا يتزعزع بأننا على الحق ، وبأنه هو التقدم فى سبيل نصر الله ونصر دينه والادالة من عدوه ، وبأن الحياة هينة ورخيصة فى سبيل تحقيق هذا الهدف . والمسلم يطلب الموت لتوهب له الحياة فى الدنيا عزيزة غالية ، فقد طولب المسلمون بان يكونوا أعزة فى حياتهم ، أقوياء دون عدوان أو طغيان

على أحد ، أعزة بالله ولله . ولذلك فإنهم يستشهدون باسطى وجوههم فرحاً وسروراً من أجل تحقق هذه العزة فى الدنيا لدينهم ولإخوانهم . أما هم فقد فازوا بالقدح المعلى حين استشهدوا وقدموا أرواحهم رخيصة ، فكسبوا الدرجات العلا من موته هى موتة على أى حال فى وقتها المحدد ، وفى مكانها المقرر وهى موتة عزة من ورائها الجزاء والحياة الأخرى فى جنات النعيم وفى الدرجات العلا مع الأنبياء والشهداء والصالحين .

سلاح رهيب

ثم إن الأمر بعد ذلك ثبات وصمود لا يتزعزع ولا يولى أحداً فيه الأدبار ، ثم ذكر لله هو فى ذات أمره سلاح رهيب مخيف مزعج على النحو الذى روى جنودنا عنه قصصاً تفوق الخيال . وفى هذا الاتجاه كله يتمثل نصر الله بالجنود المسومة التى تنزل لتقاتل مع المسلمين ، وحتى عندما يحاول المسلمين أن يقولوا أنهم انتصروا وقاتلوا ينزل الله سبحانه وتعالى الكلمة الحاسمة (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) هذه هى حقيقة السلاح السرى الرهيب الذى أعطيه المسلمون عندما تخلوا تماماً عن تقديرات الدائرة الغربية المغلقة ، والتمسوا تقديرات الدائرة الإسلامية المرنة عندما انسحبوا تماماً عن المفاهيم الغربية لتفسير أسباب النصر والهزيمة . وعندما سحقوا تحت أقدامهم تقديرات الهزيمة التى فرضت عليهم عن طريق الفكر الغربى الوافد سواء بشقه الليبرالى أو شقه الماركسى وكلاهما يستمد مصادره من المادية الخالصة التى لا تعرف أن هناك قوة قادرة حكيمة تدير أمر هذا الكون وتدين الظالمين وتنصر أصحاب الحق .

واقد كان لابد للمسلمين والعرب من أن يصلوا إلى نقطة الضوء بعد أن تصدعوا خلال ربع قرن ـ منذ احتلت إسرائيل أرض فلسطين ـ فى حساباته خاطئة مضللة استمدوها من الفكر الغربى الذى فرض نفوذه على مدارسهم وعقلياتهم ومناهجهم ، وسيطر على مختلف قيمهم فأحالها إلى مفاهيم مادية بحتة .

نافذة النـــور

ومن هنا فقد جاءت معركة العاشر من رمضان لتفتح هذه النافذة المضيئة مع الحق ومن الإصالة ومع مفاهيم الإسلام وقوانين النصر فيه ، وهى قوانين صدقت المسلمين فى كل معركة قادوها . حين التمسوها وأخـــذوا بها . وهى نفسها التى هزمت المسلمين فى كل معركة تخلوا فيها عن قانونهم ومفاهيمهم ، وأقرب صور الهزيمة كانت أعوام ٤٨ ، ٥٦ ، ٦٧ - وأقرب صور النصر كانت معركه العاشر من رمضان . ومن قبلها كل معارك صلاح الدين ونور الدين والظاهر بيبرس . إنما كانت تستمد قوتها من هذه المعادلة الإسلامية القرآنية .

وإذا كانت صيحة الله أكبر قد فتحت هذا الطريق . فمن حق المسلمين والعرب أن يلجوه إلى غايته وأن يمضوا فيه إلى نهايته ، دون أن تردم أهواء الشيطان ، أو رياح الغزو مرة أخرى عنه فتضيع معالمه ، وتردم الريح السافية علاماته على الأرض . فيعجز المسلمون عن السير فيه ، فليحافظ المسلمون والعرب على هذه العلامة من الطريق وليحموها بالأرواح وليضعوا حولها الأسوار العالية ويرصدوا من فوقها الأضواء الكاشفة وليعلموا أن صيحة الله أكبر قد مكنتهم من عبور القناة بخسائر تقل عما قدره العسكريون بما يوازى (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) . فما أعجب هذا العطاء الربانى فى مقابل كلمة الله أكبر إيماناً واحتساباً .

ومن الحق أن صور التضحية والفداء كانت مذهـــلة ، وكان الإيمان عاملا حاسماً فوق كل سلاح وكل تكنولوجيا . فقد جاء نور الله الذى أعطى للقلوب فأعطى للسلاح الذى فى اليد قوة مضاعفة بلغت عشرات أضعاف قدره المادى .

منطلق الإيمان وحسابات المادة

ولقد تذهب المعاهد الاستراتيجية العليا مذهبها فى البحث عن سلاح الله أكبر ، ولكنها لن تستطيع أن تقدره حق قدره من ناحية ، ولن تستطيع أن

توقف مفعوله بسلاح آخر أبداً ، كما تفعل هذه المعاهد بالنسبة للأسلحة الحديثة التكنولوجية . فهى لاتستطيع أن تقدره لأنها جميعا فى المعسكرين الشرقى والغربى إنما تنطلق من منطلق المادة والحساب والمقاييس والموازين ، وكل هذه لن تجدى شيئاً فى تقويم هذا السلاح . . سوف ترى بعض المعسكرات أنه سلاح الكلمة ، وستقول الأخرى أن الكلمة نفسها من نتاج المـــادة ، وسوف يرى الجميع أنه سلاح غيبي لايخضع لمقاييس القوانين المادية ، فمن اليسير تقييمه وحساب أمره ، ولكنهم سوف يجدوا أن هناك نتائج حتمية حققتها كلمة الله أكبر بالإضافة إلى الساعد القوى وإلى العدة المحاربة ، سوف لايعملون أن هناك نوراً من الله يملأ القلوب فتعرف الطريق الآمن . وأن الله سبحانه قادر على أن يحجب هذا النور عن عقول الأعداء وقلوبهم فيعجزون عن استعمال أشياء أعدوها فعلا فى لحظة الخطر ، أو أن يحاولوا استعمالها فتتوقف عن أداء مهمتها . وتلك آيات الله قد توصف بالغيب أو المعجزة ، ليست كذلك ولكنها تعنى أن التقديرات المادية ليست كافية وحدها وأن هذه التقديرات لاتستوعب كل شىء ، وإنها قد تعجز فى اللحظة المناسبة عن أداء الشىء ، أو أن الشىء نفسه يصيبه التوقف ، وكل مايمكن أن يقال أن عوامل النصر هى عدة عناصر منها ماهو معروف ومكشوف ، ومنها ما هو محسوب ومقدور ، ومنها عوامل أخرى ربما تخفى أو لاتكون فى الحساب ، تنطلق فى الوقت المناسب . وذلك هو الجانب الربانى ، الجانب الخفى ، الجانب الذى لم يستوعبه العقل البشرى والذى يعجز عن استكناه سره أوحسابه وتقديره ، وكل علم الإنسان هذا الذى يصل إلى المعجزات والدهشة هو شىء قليل مع علم الله ، وهو أساساً من عطاء الله للإنسان ، فالله سبحانه وتعالى أوجده منذ أوجد السموات والأرض ولكنه لم يطلع الإنسان عليه إلا أخيراً ، ولو شاء لما فتح أبواب باصرته وعقله لفهمه واستكناهه ، وهناك أيضا الكثير مما يعمل ويؤثر فى حياة الأمم والأفراد ، وفى قيام الحضارات والأمم وسقوطها وفى أمور الكون والوجود مما يقصر العقل البشرى عنه ولايستطيع علم الإنسان أن يستوعبه (وما اوتيتم من العلم إلا قليلا) .

فليحذر المسلمون النظرية المادية فى تقدير الأمور ، ولينظروا من خلال مقومات فكرهم الإسلامى الواسع المستوعب الأبعاد كلها ، دون أن يكونوا فى نظرتهم هذه سلبيين أو متواكلين ، ولكنها نظرة الشمول والتكامل من خلال إرادة الانسان الحرة التى هى مناط مسئوليته وحسابه وجزائه ومع العمل والحركة والتقدم فى إطار إيمان كامل بالله وثقة كاملة بقوانينه ومقدراته ، وعلى أن تكون الوجهه إليه أولا وآخراً (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وليعلم المسلمون فى السنوات السابقة بسبع سنين لختام القرن الرابع عشر الهجرى ، إن الله سبحانه وتعالى قد أمدهم بفتح جديد فى أفق حركتهم مع الاستعمار والحضارة والصهيونية والقوى المعادية ، هذا الفتح بدأ بضوء كالفجر الصادق فى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هو مقدمة لعصر الإيمان والإسلام والقرآن ، الذى سوف ينطلق فى القرن الخامس عشر الهجرى إلى مداه ، بعد أن كان القرن الرابع عشر الهجرى هو قرن الاستعمار والغزو الثقافى والصهيونية العالمية ، وأن نورا جديداً سوف يشرق على العالم مرة أخرى ، هو نور الإسلام هداية وأمنا. وقد كانت الله أكبر بسلاحها السرى الكونى ، هى منطلقة من نصر إلى نصر فى الطريق إلى القدس ، ثم إلى الوحدة الإسلامية الكبرى .

الفصل الخامس

ماذا تعنى صيحة العودة إلى الله

ظاهرة جديدة فى أفق المجتمع أطلق عليها اسم « العودة إلى الله » وهى ظاهرة نابعة من أعماق الفطرة الإنسانية : هذه الفطرة التى تغشيها زيوف الفكر والاهواء والمطامع والرغبات لتدنيها من الأرض ، فإذا صدمتها الاحداث صدمة قوية نفضت عن نفسها غبار الخطر والتمست الأعماق والأصالة . ومدت يدها إلى بارىء الكون تطلب منه العون فيما تحس أنها لا تستطيع أن تخوض فيه أو فيما ترى أنه أكبر من قدرتها . فهى ظاهرة أصيلة حقاً ظهرت بعد احتلال بيت المقدس فيما يشبه اليقظة الفاجعة التى تظل الاحداث تصدعها مرة ، حتى تستيقظ فجأة على الحدث الاكبر الذى يهز الوجدان والعقل معاً . وكذلك نحن المسلمين فى هذه الازمة الحاسمة التى تمر بها أمتنا منذ خطوات الاستعمار الاولى ولاخطار الاحتلال التى واجهتها أمتنا دون توقف ، وقدمت فيها التضحيات الجلى ، ولم تصبر على الضيم يوما ، حتى إذا أوشكت أزمة الاستعمار أن تنجلى إلى ما يشبه الحياة الحرة التى تستعيد فيها الامة إرادتها لتعود مسيرتها الاولى بعد أن مزقتها الاحداث إلى شراذم وحرمتها وحدتها الكبرى ، وحاولت أن تقضى على ذاتيتها الخاصة فى هذه اللحظات الدقيقة ، جاءت مؤامرة السيطرة اليهودية الصهيونية على فلسطين من داخل حركة الاستعمار العالمى ، وامتدت وارتفعت صيحات التحذير من خطرها فى مرحلة امتدت خمسين عاماً منذ وعد بلفور إلى قيام إسرائيل والمسلمون تشغلهم قضاياهم الخاصة ، ويعيشون حياة الإقليم الخالصة ، ويستعلون بالنزعات العنصرية ويبتعثون الحضارات القديمة ، وهم فى دوامة الخطر لم يمدوا أعينهم ليروا أبعاد المؤامرة الضخمة والأزمة الكبرى حتى كانت نكبة ١٩٤٨ باحتلال فلسطين . ثم توالت الاحداث حتى كانت نكبة ١٩٦٨ باحتلال القدس : بيت الله وأولى القبلتين ومسرى الرسول

وخط الدفاع الأول عن الكعبة المشرفة ، هنالك استفاق المسلمون والعرب وأحسوا بعمق الجرح وخطر الأزمة وبشاعة الموقف ، وكانت صيحتهم «العودة إلى الله» تدعوهم إلى إعادة تقييم أمورهم من جديد ، فقد كان تداعى الهزائم خلال فترة امتدت نصف قرن لأن يكون مؤشراً خطيراً يقول للغافلين : « إن هذا الطريق لا يؤدى ، لقد وقعتم فى التيه الذى ليس فيه إلا سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء إذا جاءه لم يجده شيئاً. كانت العبرة هى أن منهج الحياة وأسلوب العيش وطريقة العمل فى مجال السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والقانون أثبتت عدم جدواها ، فهى وافدة ، بعيدة عن المزاج الإسلامى ، وهى غريبة لا تطابق المجتمع الإسلامى ، وهى معقدة لا ترضى النفس الإسلامية العربية . وقد جرت التجربة سنوات طويلة ، وجرت فى الجناح الغربى والشرقى وكل منهما أثبت التعارض والفشل والمخالفة لجوهر فكر هذه الأمة والمعارضة لضمير هذه الأمة وروحها . فلابد من وقفة ومحاسبة للنفس و[illegible] والتماس لأسلوب جديد ، هو فى ذاته مستقر فى أعماق الأمة [illegible] ولأنه عميق الجذور فى تربتها خلال أربعة عشر قرناً ، ولأنها [illegible] لم تكن ذات إرادة تملك ، ولا ذات قدرة على الاختيار ، وإنما سيقت [illegible] الغزو الغربى السياسى والاجتماعى والثقافى لإخراجها من كيانها ولتذويبها فى البوتقة واصهرها فى الأتون الكبير الذى تصهر فيه الأمم وتحتوى .

كانت صيحة « العودة إلى الله » تعنى ذلك كله معارضة نصائح الأعداء الذين يلبسون ثياب الهداة ، البطانة التى هى من غير جلدة هذه الأمة ، هؤلاء الذين هم أعداء البشرية والذين لا يريدون للانسانية خيراً ، والذين عملوا منذ سنوات ابعد من السيطرة على رأس الجسر هذا من قلب الأمة الإسلامية ، عملوا بالمكر والحيلة والخداع لتزييف التاريخ ولإثارة الشبهات ولإذاعة الاسرائيليات ، رغبة فى أن يضل الركب عن الطريق ، وينقطع الخيط الذى يربط الماضى بالحاضر . وقد جاءت التجربة كاملة ، وكان لابد أن تكتمل وأن تمر بكل أدوارها الطبيعية وتستوفى غايتها حتى تظل أمام المسلمين « نبراساً » لخطوهم المقبل ،

ولسيرهم المستأنف ، ولخطاهم القادمة على الطريق فى عالم فقد قدرته على الاتصال بالسماء ومضى فى غروره بالعلم والعقل إلى غاية الاضطراب والتحلل والتمزق النفسى ، وأجرى من التجارب والمذاهب والنظم ما لم يزده خلال أربعمائة عام إلا مزيداً من التمزق والاضطراب ؛ ولم يبق للبشرية غير كلمة (لا إله إلا الله) نوراً وهدى ، وهى فى أيدى هذه المجموعة التى تستيقظ بعد لترى أبعاد الخطر المحدق بها والمسئولية التى بين أيديها وقد وكل إليها الله تبليغ الرسالة إلى الناس جميعاً .

ولقد كان لأعداء الصيحة التى انطلقت من أعماق الفطرة ولم تصنعها قوة ما ، من قوى الأرض التى تصنع الأحداث وتزيف الحقائق ، وتضرب الحق ، كان لهم أن يعلنوا عليها الحرب العدوان: داعين العرب والمسلمين إلى هدف مظلم وغاية مضلة : هى التحرر من الماضى والتاريخ وأمانة الموروث جميعاً ليكون لهم بذلك القدرة على التحرر من النفوذ الغازى وأن عليهم أن ينصهروا فى حضارة الغرب انصهاراً .

وقد كانوا فى ذلك راغبين فى تحقيق آخر مرحلة من مراحل القضاء على هذه الامة وظنوا أن انتصاراتهم التى سبقت على الطريق حين غيروا لهذه الامة مناهج تعليمها وقوانين حكمها ، ونظم مجتمعاتها قد أوفى على الغاية ، وأن تلك ثمرته قد أوشكت أن تجنيها أيديهم ولكن . . .

ولكن الامر لم يكن بمثل هذه البساطة ، ولم تكن خيوط هذه المؤامرة على ما بها من دهاء ومكر بقادرة على أن تنزع (أمة القرآن)لتزيلها من الوجود ، وقد حفظها الله وجعلها فى العالمين شامة بيضاء نقية ، وجاءت اللحظة الحاسمة التى تقرر فيها هذه الأمة بفطرتها وضميرها إيماناً بما رأت من نتائج توالت وأحداث تتالت ، إنه لاسبيل إلى شىء إلا إذا التمسنا الطريق إلى الله ، ولا ريب أن الصيحة صادقة وعميقة ، ولكن علينا أن نواجه محاذيرها وأخطار التغريب فى إفسادها ومحاولات قتلها قبل أن تستوفى نضجها وكمالها ، وعلينا أن نفهم معنى الطريق إلى الله فهماً صحيحاً يبدأ من نقطة أصيلة ثابتة وراسخة هى (القرآن)

منطلق كل نهضة ومصحح كل خطأ ، والمنبع الأول لكل حركة ترمى إلى إعادة بناء هذه الأمة لتكون قادرة أولا على مواجهة أخطاء أعدائها ، ولتكون قادرة ثانياً على أداء رسالتها بتبليغ كلمة (لا إله إلا الله) إلى العالمين .

إن الفهم الحقيقى للعودة إلى الله يتمثل فى ثلاث :

- التماس مناهج التربية الإسلامية والتعليم الإسلامى .
- التماس الشريعة الإسلامية قانوناً كاملا للمجتمع الإسلامى .
- التماس الإصالة الإسلامية فى مجال الثقافة والفكر .

وإعادة المجتمع الإســـلامى إلى طريق الله فى قضايا المرأة والشباب والحياة الاجتماعية والمعاملات على النحو الذى يضع هذه الأمة موضعها الصحيح . آخذه العلم التجريبى لتصهره داخل اللغة العربية ومقومات الإسلام ليكون قوة سلام وأمن ورخاء ورحمة . ولقد بدت مع صيحة « العودة إلى الله » علامات وانفتح الطريق إلى تحقيق النصر بمعركة رمضان التى هى علامة على الطريق الصحيح ؛ ومنها تتابعت إرهاصات الإصالة فى مظاهرها القوية :

١ — التفوق البشرى
٢ — امتلاك الطاقة
٣ — القدرة الاقتصادية
٤ — امتلاك التكنولوجيا

ولابد أن يتحرك ذلك كله فى إطار الشريعة الإسلامية واللغة العربية حتى يصدق الناس طريقهم إلى الله .

الفصل السادس

المدرسة القرآنية

صفحة مشرقة من مرحلة اليقظة

كتب السيد محب الدين الخطيب صاحب الفتح يقول : لما خرج الناس من الحرب العالمية الأولى أخذ المؤمنون بثقافة الغرب من رجالنا وشبابنا يعدون العدة للاستيلاء على الرأى العام وتحويل وجهته عن الكتاب وما أنزل الله فيهما إلى المعاهد القائمة على ضفاف التايمز والسين وما يصدر عنها ورواتها الخط بما أحدثته مدارس الغرب من أحداث وما جنحت له من هوى فتذرعوا بالثناء على جهادها للدعوة إلى مثل نتائجه فى الدولة والدين وتعميم تلك النتائج فى المشرقين والمغربين .

ولم يكن للإسلام فى مصر صحف غير المنار ، ولا جمعيات غير جمعية مكارم الأخلاق ومحليتها ، أما النزعة الأخرى العاملة على تعميم الدعوة الغربية وتقليدها فكانت فى أيدى رجالها أكثر الصحف وكانوا مشرفين على معظم المرافق والجمعيات وكان أنصارهم منبثين فى وزارة المعارف ومعاهدها ونظام الاحتلال يؤيدهم فى أبعاد الشباب عن الإسلام وحيوته جهد الطاقه .

وكان أحمد تيمور باشا هو الوجيه المصرى الوحيد الذى شعر بالخطر على مصر وأشفق من أن يتم ولو بالتدريج ما تم فى تركيا وكان رحمه الله لا ينقطع عن زيارة المطبعة السلفيه يومياً إلا لمرض أو سفر ، وكانت المطبعة السلفيه (١٩٢٤ — ١٩٢٥) فى شارع خيرت فانعقدت فيها إجتماعات حضرها : أحمد تيمور ، وأبو بكر يحيى ، وعبد الرحمن قراعة ، والسيد محمد الخضر حسين وعلى جلال الحسينى ونحو عشرة أخرين من هذه الطبقة تذاكروا موجة الإلحاد

القوية التى طغت على العالم الإسلامى ، وهو على غير استعداد لدفعها لأن أمره ليس فى يده والذين أمرهم فى يدهم من المسلمين فهموا من الإسلام بعض اهدافه وغفلوا عن أهداف جهاده وأسباب حيويته وانتهت تلك الاجتماعات بتقرير تأليف جمعية لمقاومة الإلحاد والتعاون على ذلك كل من يؤلمـــه أمره فى الوطن الإسلامى واختير لسكرتارية الجمعية أحد أصحاب الفضيلة المدرسين بالأزهر .

وبـــذل نشاطاً مذكوراً للاتصال بجميع أصحاب النهرة الإسلامية من العلماء والوجهاء من جميع أنحاء العالم الاسلامى وبعد أشهر من هذه المحاولة تبين لنا أن الخطر أسرع من أن يعالج بمثل هـذه الجمعية وأنه لابد من الاتصال بالرأى العام والشباب المثقف على الخصوص وان الصحافة هى الوسيلة الأولى لذلك . وكنت أصدر فى ذلك الحين (مجله الزهراء) غير أنها كانت شهرية أدبية ولاتصلح منبراً لهذه المعركة فضلا عن أنها مشروطة فى إمتيازها إلا تتعرض للسياسة أو الدين .

وكان الحصول يومئذ على امتياز الصحيفة إسلامية للغرض الذى نريده أشبه بالمستحيل غير ان أحمد تيمور باشا رحمه الله التمس لذلك الاسباب التى لا يقدر عليها غيره وتمكنا من الحصول على إمتياز بإصدار الفتح وصدر العدد الاول منها فى ١٠ يونيه ١٩٢٦ (١٣٤٤ هـ) بعد انتقالنا من خيرت الى شارع الإستئناف ومر على هذه التجربة عام تبين لنـــا فيه أن الخطر أفدح واقوى من أن يعالج بهذه الإدارة الضيقة والامة أعظـــم وأكرم على نفسها من أن تصغى إلى هذا الصوت الخافت ، حينئذ فكرنا فى تأسيس جمعية الشبان المسلمين وكان تأسيسها فى غرفة متواضعة فى دار المطبعة السلفية ومكتبتها وقد استعنا على النجاح فى تأسيسها بإثنى عشر شابا منهم : محمود محمد شاكر ، عبد المنعم خلاف عبد السلام هارون ، محمد الخضيرى ، كمال اللبان ، عبد الفتاح كرشاه ، فانتشروا فى الكليات والمدارس والوزارات والأندية وفى كل مكان وبعد أن صار الجمعية ثلاثمائة عضو يلتقون فيها وتليق بهم اخترنا الدكتور عبد الحميد سعيد والشيخ عبد العزيز جاويش ودعوناهم وأمثالهم للإنضمام للجمعية ثم أعلن عن انتخاب

مجلس إدارتها الأول فى ٢٥ نوفمبر ١٩٢٧ (١٣٤٦هـ) .

بعد أشهر من تأسيس جمعية الشبان وفى نفس الغرفة التى ولدت منها الجمعية سعدت بلقاء بضعة رجال كان المتكلم فيهم يحمل قلبا ولا كالقلوب ونفسا لعلها هى التى تهيبت لأجلها التحدث إلى الناس بهذه الذكريات مع مرور أكثر من عشرين سنه عليها .

إن الأستاذ (حسن البنا) أمة وحده وقوة كنت أنشدها فى نفس مؤمن فلم أجدها إلا يوم عرفته فى تلك الغرفة المتواضعة من دار المطبعة السلفية ١٣٤٦ وكنت ابن صنعة يوم اكتشفت بينى وبين نفسى حاجة الإسلام الى هذا الداعية القوى الصابر المثابر الذى يعطى الدعوة من ذات نفسه ما هى فى حاجة إليه من قوة ومرونة ولين وجلد وصبر وثبات إلى النهاية .

وكان أول ما نشرته ولعله أول شىء نشره هو مقالة : (الدعوة إلى الله) فى خاتمة السنة الثانية من الفتح (٢٥ ذى الحجة ١٣٤٦) ثم رجوته أن يحاضر الشبان المسلمين فى دارهم الأولى التى كانت بشارع مجلس النواب فملأ قلوبهم من قلبه ما شاء الله له من توفيق ومن خـــلال ذلك كانت نواة (الأخوان المسلمين) قد غرست فى الأرض الصالحة ، وبينما كانت الجمعيات الإسلامية الأولى تتحول بالتدريج إلى أندية رياضية كانت هذه النواة تبشر بأنها هى الأمل الذى كان يرجوه شيوخ الملة : أحمد تيمور وأبو بكر يحيى وعبد الرحمن قراعه وأخوانهم يوم اجتمعوا فى دار المطبعة السلفية بشارع خيرت يعانون وجه الرأى فى السلاح الذى يقابلون به موجة الإلحاد التى تحولت بأحداث الغرب وتسلطه من موجة ماء تهدد بالغرق إلى موجة بنزين تهدد بالنار تلتهم الأخضر واليابس - ١٧ هـ .

ذلك ما كتبه السيد محب الدين الخطيب منذ ثلاثين عاما عن الرجل القرآنى حسن البنا ثم دار الزمن دورته وذهب الرجل القرآنى الى ربه شهيدا وبقيت الكلمة التى قالها تدوى فى آفاق الإسلام تدعو الناس من جديد إلى مفهوم الإسلام الصحيح واليوم ننظر فى أى ملتقى إسلامى فنجد الكثرة الكاثرة من الباحثين والمقننين والعاملين فى حقول الشريعة

والاقتصاد والغزو الفكرى هم من أولئك الذين عرفوا هـــذا الوجه الكريم وتعلموا على يديه .

وفى الجزائر نجد الإمام عبد الحميد باديس وجمعية العلماء . ونجد الصلة قائمة بين الرائدين المجاهدين حتى أطلق الاستاذ حسن البنا اسم (الشهاب) على مجلته تيمنا باسم مجلة الشهاب التى أصدرها (ابن باديس) .

وإذا شئت الحقيقة فإنها كلها حركات ومراحل على الطريق الصحيح : طريق منهج التوحيد الخالص الذى بدأه الإمام محمد بن عبد الوهاب والذى وصل إلى أعماق الهند لحمل لوائه الإمام أحمد بن عرفان وسار إلى الجزائر لحمـــل لوائه ابن باديس وكان مفهوم الإسلام الصحيح، هذا الضوء الساطع الذى سار على هديه كل من دعا إلى الله ، وما تزال تلك الكلمات المضيئة تملأ القلوب والنفوس كلمات إقبال : (أنتم لم تخلقوا الا لتكونوا سادة وتكونوا خلفاء وأن الله اصطفاكم على غيركم من الأمم وجعل لكم رتبة الأستاذية على العالم ، والأمة الإسلامية محملة أمانة مكلفة بأن تبلغها إلى العالم وتلكم الامانة هى عقيدة فالله شهيد والرسول شهيد علينا ونحن شهداء على الناس ولذلك كرر الله علينا الأمر بالجهاد فى كثير من سور القرآن فقال : (جاهدوا الله حق جهاده هو اجتباكم) أى اصطفاكم للقيام بهذا الأمر .

إن كانت أوروبا الآن تعتقد أنها عالمة ومخترعة وتدعى السعادة واستحقاقها فهى كاذبة فى دعواها لأنها استخدمت علمها ومخترعاتها وسيادتها فى شر الإنسانية ثبت كذبهم فيما يسمونه الخير للعالم وقد أثبتت التجارب العديدة أن مدنيتهم وقوانينهم وسياستهم كانت شرا على العالم .

لقد أعطاكم كتابه ولم يعطه لأحد من أوربا .

لقد استطاع عدد من كتاب الإسلام من خلال مفهوم الإسلام الأصيل أن يضعوا التاريخ الحديث تفسيرا جديدا مختلفا عن ذلك التاريخ الزائف المسموم الذى كانت تلوكه الألسنة تقديسا لبعض الأشخاص وعبادة وأعلاء أو وصفا

بالبطولة والعظمة وكشف حقائق هذه الأسماء التي لمعت كذبا وخداعا وخدعت الشعوب لقد كانت الدعوة في صميمها دعوة إلى تطبيق شريعة الله وإلى الوحدة الإسلامية.

وإذا كانت بعض الأقطار قد تراجعت في ظاهرها عن الدفعة القوية وغلبت على مفاهيم الإقليات والقوميات الضيقة ، وغلبها القانون الوضعى على الشريعة وتعالت نظريات الفكر الغربي على أصالة الفكر الإسلامي فان في أعماق الأمة الإسلامية إستجابة واضحة وعميقة لدعوة التوحيد : دعوة الحق .

وإن العالم الإسلامي كله تغيرت مفاهيمه الآن استمداداً من منهج القرآن بعد أن فقد الثقة في أيدولوجيات الغرب (شرقية وغربية على السواء) فضلا عن سقوط منهج الفلسفة والمنطق الوضعى ومفاهيم مدارس العلوم الاجتماعية والأخلاق والنفس الواحدة .

ولعل من أعظم معطيات الدعوة الإسلامية كما حملها عدد من المخلصين في هذا القرن هو ذلك المنهج القرآني بعد أن عجزت المناهج الفلسفية أن تعطي شيئاً ورواد المنهج القرآني اليوم كثيرون وهم صفوة المفكرين والباحثين : قطب والمبارك والزرقا والأميرى ومحمد محمد حسين وعماد الدين خليل ومحمد البهى وعبد الحليم محمود والزحيلي والأفغـــاني والبوطي والشاوى والقرضاوى وأبو الحسن الندوى وأبو السعود وعيسى عبده وغيرهم وغيرهم كثير .

الفصل السابع

٢ – المدرسة القرآنيـــة

التحول من التغريب إلى الأصالة

إن هناك ظاهرة عميقة تبدو فى أفق الفكر الإسلامى الحديث جديرة بالرصد والدراسة : تلك هى انطلاقته إلى آفاق الرشد ودخوله مرحلة الأصالة استمداداً من المنابع الأولى وتحررا من زيف المحـــاولة التى أجرتها حركة الاستشراق والتبشير والغزو الثقافى خلال السنوات الخمسين الأخـــيرة ؛ وقد انبعثت هذه الحركة المتجهة إلى التأصيل على يد حركة اليقظة الإسلامية التى حملت لواء الدعوة لالتماس المنابع فى المنهج القرآنى بعيداً عن مناهج الفلسفات أو الاعتزال .

والظاهرة كما يلى :

فى خلال فترة الاستعمار الغربى للعالم الإسلامى كانت المحـــاولة ترمى إلى تفريغ الإسلام من مفاهيمه الأصلية ، وقد جرت هذه المحاولة باستخدام مذاهب ترمى إلى عزل مفهوم الجهاد كما حدث فى القاديانية ، أو إعلاء شأن المفهوم العقلانى أو المفهوم الوجدانى ، اعتماداً على صور قديمة فى الاعتزال أو التصوف الفلسفى أو الباطنية وقد كان لهـــذا الاتجاه الفلسفى أثره الوقتى فى رد عادية الاتهامات التى وجهت إلى الإسلام بأنه ضد العقل أو أنه جبرى ينكر الإرادة الفردية .

وقد حاول كثير من الباحثين الدفاع عن الإسلام بأسلوب الفلسفة أو المنهج الغربى للبحث أمثال محمد عبده ، وإقبال ، والعقاد ، والدكتور هيكل .

ولكن منهج القرآن كالماء لا يستغنى عنه أحد ، ومنهج الفلسفة أو الكلام كالدواء لا يحتاج إليه إلا المريض حسب ما عبر الإمام الغـــزالى فى مثل هذا الموقف إبان هجمة الفلسفة اليونانية .

وقد مرت مثل هذه التجربة من قبل ووقف منها الإمام الغزالى والإمام ابن تيمية مثل هذا الموقف . لقد كان المسلمون يرون أبان هذه المحاولات بأن علماء من المسلمين يدافعون عن الإسلام ، ويردون عادية خصومه ولكننا حين نعاود النظر الآن نجد أن هذا الأسلوب لم يكن أصيلا وأن منهج القرآن هو الأسلوب الوحيد للدفاع عن الإسلام وليس أسلوب الفلسفة أو أسلوب المتكلمين .

وإن محاولة الرد على شبهات موجهة إلى الإسلام بأسلوب الفلسفة أو المنهج الغربى الوافد من شأنه أن يبدو بريقة فترة ما ثم تتجاوزه التغيرات وتعتوره . أما مفهوم القرآن، ومنطقة ومنهجه فإنه خالد وباق لا يعتريه أى تحول أو اضطراب.

عنى محمد عبده بدور العقل فى مراجهة التحـــدى الذى كانت تقدمه آراء الاستشراق من اتهام الإسلام بالجبرية الصوفية أو القدرية فحاول أن يعلى شأن العقل حتى يضع الإسلام فى مستوى مفاهيم الغرب الذى كان يعلى شأن العقل والعلم إذ ذاك ولكن الأستاذ الإمام ذهب بعيداً فأعلى العقل على النص وجعل "العقل حكما على الوحى . وذلك حين قال بتأويل النص حتى يوافق العقل . (وقد تعرض الأستاذ سيد قطب إلى هذا المعنى فى كتابه خصائص التطور الإسلامى) .

ولكن المنهج القرانى يرى غير ما يرى الشيخ محمـــد عبده — وهو مفهوم الاصالة :

وهو ما كشفت عنه مدرسة اليقظة :ذلك هو أن العقل مكانه وحدوده ، وأنه ليس الحكم الاخير ، وما دام النص محكما فالمدلول الصريح للنص من غير تأويل هو الحكم .

وهذه الظاهرة التى اضطر الشيخ محمد عبده أن يواجهها فى سبيل الدفاع عن الإسلام قد اتخذت من بعد مغمزاً ما يزال يستعمله خصوم الإسلام إلى اليوم . كذلك فإن حديث الشيخ محمد عبده عن أن الشريعة تتصل بأمور العباد وأن فيها سعة الاجتهاد قد أخذها دعاة التغريب من بعد وحاولوا أن يقولوا بأن الشريعة الإسلامية تستطيع أن تبرر واقع المجتمعات اليوم وهذا ما لم يقصد إليه الشيخ

محمد عبده ولقد جرت المحاولة فى هذا الاتجاه نحو النظر إلى المعجزات وأحصيت كتابات لفريد وجدى والشيخ المراغى والدكتور هيكل كانت بمثابة تيار خطير من تيارات إنكار المعجزات فى سبيل إعلاء نظرة العقل أو المنهج الغربى الوافد.

وقد أفاض فى كشف هذه الظاهرة ودحضها الإمام العلامة الشيخ مصطفى صبرى شيخ الإسلام فى الدولة العثمانية فى كتابه (موقف العلم والعالم من رب العالمين) . وهو كتاب خطير يكشف مدى خطر ظاهرة إنكار معجزات الرسول فى سبيل إرضاء أصحاب المنهج الغربى .

وحين تقرأ الدكتور هيكل محاولته فى كتابه السيرة تجده يحاول أن يواجه أمرين خطرين: خطر حملة التبشير التى اجتاحت البلاد الإسلامية فى الثلاثينات وخطر الاستشراق .

يقول فى مقاله « كيف ولماذا اكتب حياة محمد » .

إن المستشرقين الذين كتبوا عن محمد وعن الاسلام قد تأثروا فى كتاباتهم بدافع من التعصب المسيحى وإن هم ألقوا على ما كتبوا صبغة البحث العلمى ولا ريب أنهم على الأغلب لم يستطيعوا أن ينفذوا إلى دقائق أسرار الحياة العربية لتأثرهم بالبيئة الغربية التى يعيشون فيها والتى ورثوا من تراثها فى التفكير والبحث ما لا يسهل عليهم معه أن يحسوا بأحساس رجل الصحراء والعائش فى الجو المكشوف وللبيئة الطبيعية كما البيئة الوراثية على التفكير وعلى التصور أثر عميق لا سبيل إلى إنكاره .

ثم يشير إلى أنه يريد أن يرضى العقل الحديث بكتابه السيرة وأن هناك مسائل يرى أنها من وضع بعض الكتاب الذين دسوا عن حسن نية أو سوء نية طائفة من الخرافات .

ولقد واجه الدكتور حسين الهراوى «هيكلا» فى أبان كتابته للسيرة وكشف عن خطأ الاتجاه إلى تقبل وجهة نظر اميل درمنجم التى بنى عليها هيكل كتابه

« حياة محمد » وأشار إلى تلك العبارات الماكرة التى نقلها هيكل عن درمنجم والتى تحاول أن تصور النبى ﷺ وقد تأثر بأهـــل الكتاب فى الجزيرة العربية أو فى ذهابه إلى الشام أو فى إرسال بعض أصحابه إلى الحبشة المسيحية وهذا كله زيف مقصود أعده درمنجم وتابعه فيه هيكل إلى حد ما .

وقد أشار الدكتور الهراوى إلى أن هذا هو الخطر فى الطريق الذى رسمه الاستشراق ، وهذا شبيه بالوقوع فى الفخ الذى نصبه الاستشراق فى اتهام الإسلام بالجبرية مما دفع بعض الكتاب إلى أعلاء ما أسموه عقلانية الإسلام .

ولقد سار اتجـــاه هيكل شوطا ولكنه عجز ؛ لأنه بعيد عن الأصالة واستطاعت حركة اليقظة الإسلامية أن تنمى « منهج القرآن » وأسلوبه فى كتابة السيرة وفى التعريف بالإسلام ومنهج القرآن هو الأصالة ومنهج الفلسفة والأسلوب العلمى الغربى هو « التغريب » .

وقد تصدى لذلك رجل من أجل رجال الفكر الإسلامى فى عصرنا وهو الأستاذ محمد سعيد رمضان البوطى فى كتابه « فقه السيرة » التى كشف بها زيف محاولات كتابة السيرة على غير الفهم القرآنى :

إن الهدف هو تصحيح أغلاط كثيرين ممن كتبوا عن السيرة فى هذا العصر وأن يميط الغشاء عن المغالطات التى كانت ولا تزال تدسها أقـــلام كثير من الكاتبين المستشرقين والمستغربين وهى أغلاط ومغالطات قامت لتغذيتها ورعايتها وترويجها مدرسة فكرية معينة نشأت فى أواخر القرن التاسع عشر وراحت تمد من آثرها وظلالها إلى أيامنا هذه .

إن هذه المدرسة لم تعد تخـــدع إلا قلة من بقايا المفتونين باسمها وباسم مؤسسيها ورعاتها وأن الحقائق الناصعة فى حياة المصطفى ﷺ ستظل هى المشرقة السائدة ويظل العقل الحر نزاعا إليها مرتاحا بها مطمئن إلى أى تأويل أو تحليل يستهدف تحويرها أو التلاعب بها . ولقد علم عامة الباحثين والمفكرين أن أهم أسباب نشأة تلك المدرسة فى حينها : ذلك الانبهار الذى أصيب به كثير من

العقول العربية المسلمة من أبناء النهضه العلمية فى أوربا ، فقد راحت تلك العقول تتوهم تحت تأثير ذلك الانبهار — أنه ليس بين المسلمين وبين أن ينهضوا مثل تلك النهضة إلا أن يفهموا الإسلام هنا كما فهمت أوربا النصرانية هناك ، وأن يضعوا حقائق الإسلام الغيبية من وراء اكتشافات العلوم المادية فلا يؤمنوا بغيب لم يدركه علم ولا يعرجوا على معجزة لم يؤيدها اكتشاف أو اختراع ، فإن فعلوا ذلك نهضوا نهضة أوربا فى علومها ولحقوها فى رقيها وفنونها .

ومن هنا أنشأ أقطاب تلك المدرسة ما زعموه (الإصلاح الدينى) والدين الصحيح ما كان يوما ليفسد حتى يحتاج إلى مصلح أو إصلاح .

وكان من مظاهر هذا الإصلاح ظهور أول تجربة تحاول تحليل حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تحليلا يسير فى خضوع منكسر وراء العقلية الاوربية وتحت لواء ما زعموه (العلم الحديث) أجل فقد كان كتاب حياة محمد حسين هيكل التجربة الرائدة فى هذا المضمار ، أعلن فيه الرجل أنه لا يريد أن يفهم حياة محمد صلى الله عليه وسلم إلا كما يأمر به العلم ولذلك فلا خوارق ولا معجزات فى حياته عليه الصلاة والسلام وإنما هو القرآن فقط . وانبرى الشيخ مصطفى المراغى شيخ الازهر يقرظ الكتاب ويبارك الخطوة الرائدة وأنطلق (محمد فريد وجدى) هو الآخر ينشر سلسلة مقالاته داعيا الناس إلى فهم الإسلام والسيرة النبوية عن طريق العلم ولو اقتضى ذلك لإعراض عن الخبر الصادق الذى ثبت فى الكتاب والسنة وإنما كان يقصد بطريق العلم ألا يستسلم العقل للغيبيات ولا للخوارق والمعجزات وإن جاء بها الخبر الصادق المتواتر ، كأن العلم إنما يتحقق بإنكار كل ما لم يقع تحت حسك وشعورك .

كانت هذه المدرسة رد فعل أثاره الانبهار والشعور بالضعف لدى طائفة من المسلمين تهيأ لهـــا بسبب ظرف خاصة أحاطت بها أن تطلع على الحياة الاوربية فتستهويها زخارفها وملاذها فأتخذوا من نزوات أنفسهم حاكما مسلطا على عقولهم واصطنعوا بذلك مدرسة فكرية ظاهرها الإصلاح الدينى وباطنها الاستخذاء النفسى والانبهار الفكرى بين يدى نهضة الغرب . ولم تكسب هذه المدرسة اى نهضة علمية كالتى نهضتها اوربا كما كانو يوهمون أو يتوهمون

كل ما جنته أيدى ذلك الإصلاح الدينى فقدان الحقيقتين معا فلاهم على حقيقتهم الدينية أبقوا ولا على النهضة العلمية عثروا .

ونقول : أن المسلم لا ينبغى لحظة واحدة أن يحاول فهم حياة رسول الله على أنه عبقرى عظيم أو قائد خطير أو راهب محنك، فمثل هذه المحاولة ليست إلا معاندة أو معاينة للحقائق الكبرى التى تذخر بها حياة محمد ﷺ فقد أثبتت الحقائق أن النبى كان متصفاً بكل صفات السمو والكمال الخلقى والعقلى والنفسى، ولكن كل ذلك كان ينبع من حقيقة واحدة كبرى فى حياته عليه الصلاة والسلام ألا وهى أنه نبى مرسل من قبل الله عز وجل ، ولا ينبغى للمسلم أن يتصور أن المعجزة الوحيدة فى حياته ﷺ إنما هى القرآن ما دام أنه لا ينكر أن له عليه الصلاة والسلام سيرة تحاول أن تفهم حياته من خلالها .

أما أن كان ينكر وجود هذه السيرة فإن عليه أن ينكر معجزة القرآن أيضاً إذ لم تبلغنا معجزات رسول الله المختلفة إلا من حيث بلغنا منه معجزة القرآن.

وقد زال اللبس وأشرقت الحقيقة مرة أخرى حين غاب المنهج القرآنى الذى حملته حركة اليقظة الإسلامية والتى قدمت الآن جيلا أو جيلين على طريق الإصالة: كان رائد هذه المدرسة فى الحقيقة هو الامام حسن البنا ومن حوله نشأ الكثيرون ، مصطفى السباعى وعمر الأميرى ومحمد المبارك ومحمد الغزالى وسيد قطب وتابعه على الطريق أجيال كثيرة .

ولا ريب أن طريق التغريب هو أن ما بثه المستشرقون وحملوا عليه تلاميذهم ومن استهواهم عملهم ومن حول المنهج القرآنى والمنهج الفلسفى نجد ذلك الخلاف الواضح بين ما كتبه عباس محمود العقاد فى كتابه الفلسفة القرآنية ورد عليه فى ذلك الدكتور محمد أحمد الغمراوى يقول ينبغى أن ينبه المسلم الى أن يقرأ للعقاد باحتياط وهو يكتب عن الإسلام فالعقاد إبن العصر الحديث أخذ ثقافته مما قرأ لأدبائه وعلمائه وهو شيء كثير وليس كل ما كتبه المستشرقون عن الإسلام يقبله المسلم ولا كل نظريات علماء الغرب تتفق وما قررة القرآن . لكن العقاد اعتقد من هذه النظريات ما اعتقد فهو ينظر إلى القرآن الكريم من خلال ما اعتقد منها ويبدو أن من بين ما اعتقده العقاد نظرية (فريزر) فى نشوء الأديان فهو عنده ليست سماوية ولكن أرضيه

نشأت بالتطور والترقى الى الأحسن ومن هنا تفضيل العقاد للإسلام على غيره من الأديان فهو آخرها وإذن فهو خيرها ومن هنا تفضيله ما سماه الفلسفة القرآنية على غيرها من الفلسفات . إن لم يكن هذا هو تفسير إطلاق إسميه الغريبين على كتابيه (عبقرية محمد) و (الفلسفة القرآنية) فهذه التسمية خطأ منه ينبغى أن ينبه إليه قارىء الكتابين من المسلمين لينجو ان أمكن مما توحى به التسمية من أن محمداً ﷺ عبقرى من العباقرة لانبى ولا رسول بالمعنى الدينى المعروف فى الأديان المنزلة : يؤكد هذا الاتجاه أن جاء الكتاب واحداً من سلسلة كتب العبقريات الإسلامية وإن يكن أولها فالناشىء الذى يقرأ بعد عبقرية محمد عبقرية أبى بكر وعبقرية عمر مثلا لا يمكن أن يسلم من إيحاء خفى إلى نفسه أن محمداً وأبا بكر وعمر من قبيل واحد .

عبقرى من عباقرة وإن يكن أكبرهم جميعاً ، فالذى سمى النبى ﷺ بطل الأبطال فأوهم أنه واحد من صنف يمتاز من الناس متجدد على العصور . بدلا من صنف أختتم به صلى الله عليه وسلم : صف الأنبياء والمرسلين من عند الله . فالنبى والرسول يأتيه الملك من عند الله بما شاء الله من وحى ومن كتاب ولا كذلك العبقرى ولا البطل فالنبوة والرسالة فوق البطولة والعبقرية بكثير . وكم من الصحابة رضوان الله عليهم من بطل ومن عبقرى وكلهم يدين له صلى الله عليه وسلم بأنه رسول الله إلى الناس كافة فى ذلك العصر وما بعده وأنه خاتم النبيين ، وهذا الذى يشير إليه الدكتور الغمراوى هو نفس ما قصد إليه الأستاذ سيد قطب فى كتابه « خصائص التصور الاسلامى » .

والذى أراد به فى الحق أن يكشف عن الفوارق العميقة بين التفسير الفلسفى للإسلام والقرآن الذى ذهب إليه العقاد والتفسير القرآنى للإسلام والقرآن . ولعل هذا كان سر الاختلاف بينهما وسر الخلاف بعد أن بدآ معاً الطريق إلى فهم الاسلام والكتابة عنه فى أول الأربعينات عندما كتب العقاد عبقرية محمد وكتب سيد قطب التصوير الفنى للقرآن . ثم اختلف الطريق ، أما العقاد فقد اعتصم بمدرسة الفلسفة الغربية وعرض عليها الإسلام فأصاب

وأخطأ ، أما سيد قطب فقد خلع ثوبه تماما وآمن بمفهوم القرآن الأصيل ولا ريب أن ما قاله الغمراوى فى هذا المعنى كبير الدلالة .

أراد العقاد أن يجعل الإسلام فلسفة وكان يعرض العقيدة أحيانا بأسلوب الفلسفة ، ونحن نختلف معه ، لأنه لابد أن تعرض العقيدة بأسلوب العقيدة ، إذ أن عرض العقيدة بأسلوب الفلسفة يقتلها ويطفىء شعاعها ويقصرها على جانب واحد من الكينونة الإنسانية ، وفارق كبير بين التصور الفلسفى والتصور الاعتقادى — ذلك « أن التصور الفلسفى ينشأ فى الفكر البشرى من صنع هذا الفكر لمحاولة تفسير الوجود وعلاقة الإنسان به ولكنه يبقى فى حدود المعرفة الباردة . أما التصور الاعتقادى فهو تصور ينبثق من الضمير ويتفاعل مع المشاعر ويتلبس بالحياة فهو وشيجة حية بين الإنسان والوجود وبين الإنسان وخالق الوجود » .

وفى نفس الطريق من التبعية والتغريب إلى الأصالة والمنابع الأولى نجد تلك الأبحاث الواسعة العميقة عن استقلالية الشريعة الإسلامية عن القانون الوضعى . وإستقلالية التربية الإسلامية عن التربية الغربية وذاتية الإسلام الواضحة فى مناهج الاجتماع والنفس والأخلاق بما يختلف اختلافا واضحاً عن الفلسفة الغربية المادية منها بنوع خاص وإستقلالية الإسلام فى منهجه السياسى والاقتصادى عن الرأسمالية والليبرالية وعن الديمقراطية ، والماركسية والاشتراكية على نحو « مفرد » لأنه ربانى من عند الله ، هذه هى الصورة التى تبدو فى أفق الفكر الإسلامى اليوم لتزيح ركام الفلسفات والمفاهيم التغريبية التى حملها الغزو الثانى من الفكر التلمودى والوثنى والإباحى الغربى وألقى بها فى أفق الفكر الإسلامى وانخدع بعض مفكرى الإسلام فحاولوا أن يتخذوا من الأسلوب الفلسفى مدخلا إلى فهم الإسلام . وهى محاولة لهم فيها أجر واحد ، أما مفهوم حركة اليقظة الإسلامية . فقد لمع فى الأفق أول ما لمع قرآنياً ربانياً خالصاً متحرراً من كل مفاهيم المذاهب والفرق .

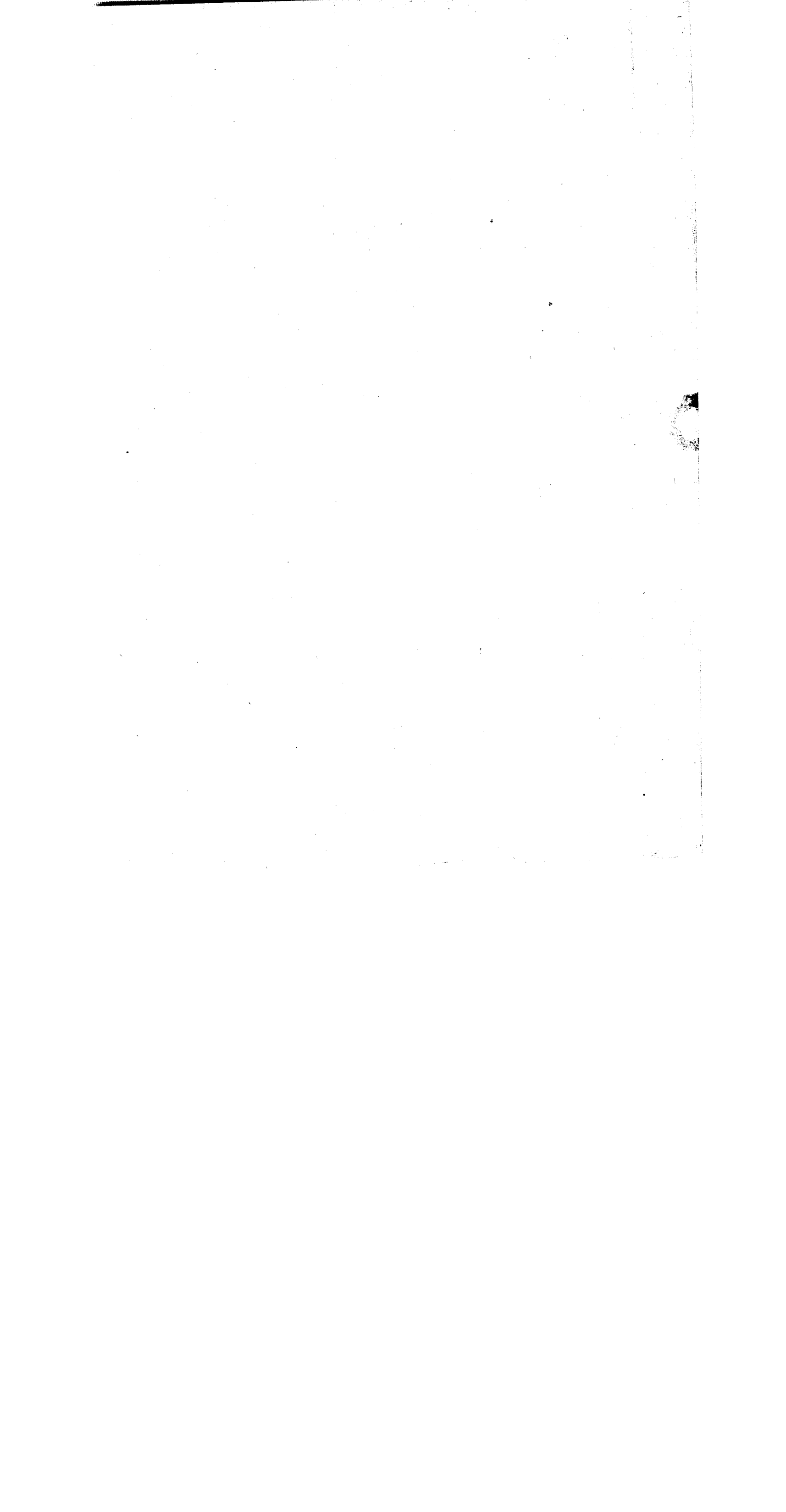
وبعد فتلك أولى المحاولات فى الكشف عن هذه الظاهرة ولعل أهم ما يجب أن أشير إليه هنا أن (الأصالة) قد كسرت ذلك القيد المسموم الذى حاول به دعاة التغريب أن يفصلوا بين الفكر الإسلامى الحديث وبين الفكر الإسلامى فى منابعه الأولى فى عهد رسول الله والصحابة والتابعين . .

وأبانت أن الانطلاقة الحديثة مرتبطة ومدعمة بالسابق لها كحلقة من حلقات متصلة لا انفصام لها .

الباب الرابع

مواجهة التحدى الخطير

[الصهيونية والشيوعية والنفوذ الغربى]



الصهيونية والشيوعية والاستعمار

هل هى فى سبيل خطة لمواجهة الإسلام ؟

كانت القوة الربوية اليهودية ممثلة فى رؤس الأموال موجودة فى إطار الاستعمار الغربى الزاحف على العالم الإسلامى ، وكانت واضحة فى القروض التى قدمت إلى بعض الدول العربية وفى الاغراءات التى وجهت الى الخليفة العثمانى بهدف سيطرة الصهيونية العالمية اقتصاديا على كل ما تحتله الدول الكبرى من أرض وماتستولى عليه من معدات !

وفى أول محاولة للاحتلال الغربى للعالم الإسلامى وهى محاولة نابليون كانت خطة اللقاء والارتباط بين الاستعمار والصهيونية واضحة جلية ولاريب ان قيام اليهودية العالمية باشعال نار الثورة الفرنسية كان مقدمة السيطرة على مخططات المطامع الاستعمارية التى كانت قائمة منذ وقت بعيد وممثلة فى القيام بحفر قناة السويس فلما سيطر نابليون ، تكاتف اليهود على الاستعانة به فى سبيل تحقيق اغراضهم وجددوا عرض مشروع استعمار العالم عن طريق انشاء قناة السويس وقدموا عروضا بأموالهم التى يضعونها تحت تصرف فرنسا مقابل أن تمنحهم فرنسا الأرض الفلسطينية . وقد أعجب نابليون بالخطة وكتب لهم يدعوهم إلى التجمع . وهكذا منذ بدأ الاستعمار خطواته الأولى فى السيطرة على عالم الإسلام كانت الصهيونية هى الإدارة والعون والرفيق بل والشريك : الغرب الاستعمارى المسيحى بخططه واليهود بأموالهم ومؤامراتهم الجاسوسية ليكونوا أداة التخريب والفوضى . لكن نابليون هزم عند أسوار « عكا » ولم يدخل فلسطين وتراجع اليهود عن خطتهم وإن كانوا قد سجلوا هذه الصيحة الباكرة التى

جاءت بعدما خطط عام ١٩٠٧ عندما تقدموا إلى الاستعمار البريطانى على أنهم الجسم الغريب العازل بين المسلمين والعرب بين آسيا وأفريقيا ثم كانت خطتهم الناجحة مع بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى والتى كسبوا بها وعد بلفور بعد أن عجزوا عن السيطرة على السلطان عبد الحميد فعزلوه وسيطروا على حلفائه الاتحاديين الذين فتحوا لهم باب فلسطين. وإذا كان الغرب لم يستعبد العالم الإسلامى إلا عن طريق القروض والربا، فإننا نجد أن الصهيونية كانت وراء كل هذه المحاولات المالية لإقراض أصحاب الثروات حتى إذا سقطوا فى أيديهم انتزعت منهم أراضيهم وأملاكهم وفى السيطرة على أفريقيا كانت الصهيونية وراء الاستعمار، كانت الخطة التى اتخذتها الصهيونية لأن تكون الجسم الغريب الذى يفصل بين آسيا وأفريقيا. وفى الحرب العالمية الأولى كانت قروض اليهود لفرنسا وانجلترا عاملا هاما فى انتصارها على الألمان وكان تصريح بلفور الذى قدمته بريطانيا لهم بمثابة عربون لهذا الدور الذى حقق للحلفاء النصر.

ولقد كانت الصهيونية فى كل مراحل الاستعمار الحديث أداته الفاعلة وقوته الضاربة وخاصة فى المجال الاقتصادى وفتح المصارف وتوظيف ذهب أوربا الذى يملكه اليهود فى القروض وكذلك فتح الأسواق وبيع منتجات الترف الغربية التى تدر قناطير الذهب الرأسمالية هناك.

كانت الصهيونية وراء الاستعمار فى الصراع مع الدولة العثمانية وإسقاط السلطان عبد الحميد وسحق الدولة العثمانية نفسها وهزيمتها وإسقاط الخلافة للوصول إلى فلسطين. وعندما دخل اللورد اللنبي القدس عام ١٩١٧ وأعلن انتهاء الحروب الصليبية كان اليهود يعلمون أنهم سيتسلمون القدس من الاستعمار.

هـــذا عن الاستعمار والصهيونية فماذا عن الشيوعية والاستعمار؟

كان الروس قبل الشيوعية جزءاً من خطة الاستعمار التى شاركت بأكبر ما تستطيع من قوة المطامع فى هدم الدولة العثمانية والسيطرة على أجزاء واسعة منها والقضاء على كل محاولات التحرر والاستعادة التى جاهد المسلمون بها فى سبيل إقصاء نفوذ الروس عن بلادهم، وكانت أروع صور المقاومة هى صورة الشيخ شامل الذى قام بحركته عام ١٨٠٣ فى مقاومة الروس فقد ظل يكافح ويناضل على رأس جيوشه وتابعيه البواسل المجاهدين الذين تجمعوا تحت لوائه من مختلف القبائل والديار الإسلامية. وقد أمضى تسعة وثلاثين عاما متواصلة فى ميدان الجهاد كبد الروس خلالها مئات الألوف من القتلى وغرمهم بإنفاق الملايين الوفيره من الأموال. وكانت مقاومته ترمى إلى تحرير أمة تبلغ أربعين مليون نسمة من المسلمين من يد الاستعمار الروسى الجائر.

وقد جاء هذا الاتجاه من الروس تطبيقا لوصية طامحة من بطرس الأكبر كان يهدف فيها إلى القضاء على الدولة العثمانية والنفوذ الإسلامى. فلما جاءت البلشفية وسيطرت على روسيا أرادت أن تسير فى نفس الطريق: طريق الطموح إلى السيطرة على أجزاء خطيرة من عالم الإسلام وهم له أشد عداوة من القيصرية ولكنهم خدعوا المسلمين بأساليب ادعوا بها انهم يناصرون حركات التحرر من الاستعمار الغربى وكان بيانهم «ديسمبر ١٩١٧» خداعا مثل خداع نابليون حين ادعى الإسلام ثم دخل الأزهر بخيله، ومثل خداع الاتحاديين الأتراك للعرب والسوريين ومثل خداع لورنس للعرب

ولم يكن البلشفيك أقل غدرا وخسة ففى أبريل ١٩١٨ اصدر لينين أمرا بزحف الجيوش الروسية على البلدان الإسلامية فأخذت تحصد المدن والقرى وتفتك بالشعب الأعزل الآمن دون تمييز، ولم ينته عام ١٩١٨ إلا وجمهوريات «ايدل اورل والقوقاز والتركستان» قد غدت تحت حكم البولشفية المباشر.

وفى عام ١٩٢٠ أتمت موسكو احتلال شبه جزيرة القرم وفى عام ١٩٢١ هجم الروس على جمهورية بخارى وشرعوا فى تطبيق أنظمتهم الشيوعية فألغوا الملكيات وصادروا الأموال والثروات وألغوا التعليم الدينى واضطهدوا رجال الدين والزعماء والقادة وحولوا المساجد إلى دور لهو ومكاتب لرجال الحزب الشيوعى، فقد هوجمت شبه جزيرة القرم من البحر بستين ألف مقاتل عام ٩١٨، واجتاز الجيش الشيوعى أراضى القرم لأول مرة . وقد قاومهم السيد جعفر سيد أحمد ورجاله وصمدوا بسقوط رئيس الجمهورية جلبى جهان ووقع المفتى الكبير أسيراً فى يد الأعداء وهو يدافع عن العاصمة بجرأته العظيمة وقد ساقوه إلى الموت ومزقوه إربا ومثلوا بجثته أشنع تمثيل .

وكان الروس يرون أن شبه جزيرة القرم هى مفتاح السيطرة الروسية على البحر الأحمر .

وكانت دعواهم الخادعة إلى تحرير البلاد الإسلامية من الاستعمار ومساعدة الشعوب الإسلامية على تحقيق أهداف الاستقلال هى مدخل الشيوعية إلى العالم الإسلامى .

ولقد كانت روسيا تستهدف ، وهى وليدة الصهيونية — أن تضع العالم الإسلامى بين فكى الكماشة إما إلى الاستعمار الغربى الذى تسيطر عليه الصهيونية أو الشيوعية التى هى جزء من الصهيونية نفسها ، جاءوا بسحر كلمات منمقة وعبارات خادعة ووعود خلابة وقد انحاز إليهم البعض بحكم الضغط الحربى وفريق استهوته الوعود الكاذبة .

وبدأت مرحلة من الصراع بين روسيا البلشفية من جهة والدول الاستعمارية من جهة أخرى ، وقد تبين أن هدف روسيا البلشفية هو السعى لهدم النفوذ الاستعمارى الغربى فى القارة الآسيوية وحرمان الدول الغربية ماكان فى يدها من

منافذ تجارية ومصالح اقتصادية ، وهو فى مواجهة عالم الإسلام ليس إلا استبدال استعمار باستعمار أشد قسوة منه .

ومن هذا الطريق أخذت الشيوعية تنشر أفكارها فى العالم الإسلامى وظهرت الشيوعية فى بعض البلاد العربية فى أحضان الصهيونية وبقيادة اليهود الأثرياء. وكان لتحالف الاستعمار والشيوعية إبان الحرب الثانية أثره فى تمكن الشيوعية من إنشاء خلايا داخل الأحزاب السياسية فى البلاد العربية بما حقق عند انتهاء الحرب العالمية آثارا خطيرة كانت تستهدف إسقاط البلاد العربية كلها فى قبضة الشيوعية الدولية .

ولاريب ان « الماركسية والشيوعية والبلشفية » جميعا قد خدعت العالم الإسلامى كله حين أذاعت انها تستطيع مساعدة البلاد فى كفاح الاستعمار الغربى والصهيونية وذلك بادعائهم مناصرة حركات التحرر . وقد استطاعت روسيا أن تخفى حقيقة صلتها بالاستعمار وصلتها بالصهيونية وتخدع العرب والمسلمين بالتحالف معهم كصديق حميم لهم وعدو لأعدائهم ، وقد احتاج الأمر إلى وقت طويل حتى اكتشف العرب والمسلمون أن الشيوعية أعدى أعداء الإسلام والعالم الإسلامى وأن الاتحاد السوفيتى لايستطيع أن يحارب الصهيونية وهو وليدها .

وحين ينكشف أن الماركسية فى أصلها هى دعوة صهيونية وأن كبار مؤسسيها من اليهود الذين هم أشد عداوة للإسلام وأهلة ، لايكفى هذا إزاء القلوب الغلف والعقول الصم لتحذر ولكنها لم تكتشف الحقائق إلا يوم وقع المحظور .

أما فيما بين الشيوعية والصهيونية فإن الأمر لم يعد فى حاجة إلى جدل كبير بعد أن تسربت فى السنوات الأخيرة عشرات الوثائق التى تكشف هذه الحقيقة وتؤكدها وكان « فرانك برايتون » قد كشف هذه الحقيقة منذ سنوات طويلة فى كتابه « الصهيونية والشيوعية » حيث قال بالحرف :

« إن الحقيقة الراهنة هى أن الصهيونية والشيوعية صنوان منبعهما واحد وغايتهما واحدة وجوهرهما واحد والفئة التى تقوم عليهما من وراء الستار واحدة وما إختلافهما الظاهر سوى ترتيب مؤقت اقتضاه النجاح فى السعى إلى الغاية الواحدة حتى إذا تحققت بالنجاح الكامل اتحدا معاً للسيطرة على العالم ، ولا عبرة بهذا الفارق الظاهر بين الشيوعية والصهيونية فيكون اليهودى شيوعيا أو صهيونيا أو كليهما معا . وكثيرون منهم كذلك ، لاينبغى كونه يهوديا وليست الصهيونية والشيوعية سوى مظهرين لقومية واحدة هى القومية اليهودية التى لاتفتأ تناوىء سائر العالم غير اليهودى ،

وتقول « افريكان هيبرو » — كبرى المجلات اليهودية فى أمريكا بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٢٠ : إن الشيوعية فى روسيا كانت من تصميم اليهود الذين يهدفون إلى خلق نظام جديد للعالم ، وإن ما تحقق فى روسيا كان بفضل القلة اليهودية التى خلقت الشيوعية فى العالم.

وبعد فهل من التقاء للشيوعية والاستعمار فى ظل الصهيونية ؟

يقول كودمين كوهين : إن أسم تروتسكى وروتشلد يمثلان تموجات العقلية اليهودية، تروتسكى علم الشيوعية وروتشلد علم الغرب الرأسمالى وتكشف التحولات الاخيرة إلى تلاق بين الاستعمار والشيوعية تحت ظل الصهيونية ولخدمتها وبدأت تقوم قناطر فى كتابات سارتر وماركوز وغيرهما ، كما جرت محاولات عديدة لربط الفرويدية الغربية بالماركسية قام بها سارتر قبل ماركوز . وهناك محاولات متعددة لهذا اللقاء لعل أخطرها هو أن تكون الفلسفة المادية اليوم التى صنعها اليهود هى الجذر الأصيل للفكرين الماركسى والغربى وأن التفسير المادى للتاريخ الذى قال به ماركس هو أساس من أسس الفكر الغربى اليوم .

وأن هذا التحول إنما يجرى لتحقيق الرؤية المستقبلية التى تعد بروتوكولات صهيون لها لها عن طريق :

١ — الأدب والقصة والشعر الجديد .

٢ — المدرسة الاجتماعية ونظريات النفس ولاأخلاق

٣ — التكامل بين الماركسية والفرويدية والوجودية .

ذلك أن كل دعاة هذه المذاهب من اليهود وهم يحاولون أن يطرحوا هذا الفكر المادى الوثنى فى أفق الفكر الإسلامى كذلك فإن المسيحية الآن تستخدم لخدمة أهداف اليهودية التلمودية وأن القرارات التى أصدرتها المجامع المسيحية سواء الكاثوليكية أو البروتستانتية إنما هى خطوات على نفس الطريق ، وأن كل حركات التبشير المسيحى الآن فى العالم الإسلامى محتواة بالتوراة والوعد المقدس وهو ما تعتنقة البروتستانتية وتقوم به .

بل أن عددا من الجامعات الإرسالية الغربية الموجودة فى العالم الإسلامى وخاصة التابعة منها للبروتستانتية فإنها تعمل فى خدمة الصهيونية ومن أجل الدفاع عنها . والمعروف أن اليهود قد وضعوا آراء التلمود فى نظريات ومناهج ومذاهب عالمية فى إطار العلمانية والمادية وذلك لخداع العالم كله عن هوية هذه المذاهب وافرضها على الجامعات والصحافة والنظم الاجتماعية .

هذا هو الخطر الذى نخشى أن يكون مرتبا لخطة فى مواجهة الإسلام وعالمه عن طريق التبشير والاستشراق والغزو الثقافى .

- ٢ -

الاستشراق

لايزال الاستشراق خادماً للاستعمار والصهيونية والماركسية جميعاً.

لعل أخطر آثار الاستشراق هى أن يجرى من الفكر الإسلامى مجرى الدم، فهو ليس هدفا ظاهراً محسوساً يمكن التحكم فيه وضربه ولكنه شىء خطير يسرى فى النفس العربية الإسلامية عن طريق مخططات محكمة لا تكشف فى ظاهرها عن سرها وهدفها، إنه محاولة خطيرة لزرع اليأس والقنوط فى النفس العربية الإسلامية حتى لا تؤمن بذاتها ولا تثق بكيانها ولا تغار على تراثها أو لغتها أو عقيدتها، ثم إنه لمحاولة خطيرة لزرع الشك والسخرية فى العقل العربى الإسلامى حتى لايرى لأى قيمة من القيم التى يقوم عليها بناء الإنسان فى إرادته الحرة ومسئوليته والتزامه الأخلاقى - لايرى لهذه القيم أهمية فهو يسخر بها ويلهو ويشك ومن ثم لايجد له كياناً قائماً أو رسالة ملتزمه أو أمانة يضع نفسه وجهده فى سبيل الدفاع عنها. وبذلك ينشىء ذلك النوع الخطير من العابثين الممزقين الضائعين وهى أجيال خطيرة أشد الخطر لأنها لاتعرف لها غاية ولا عقيدة والاستشراق يصل إلى هذا كله عن طريق كل مسموع ومقروء عن طريق المدرسة والصحافة والمسرح والإذاعة المسموعة والمرئية من خلال شكوك وشبهات وملابسات توضع هنا وهناك فتحدث ذلك الانحراف الخطير الذى يوشك أن يجتاح المسلمين والعرب فى فكرهم وعقائدهم وقيمهم.

ولقد عكف المستشرقون على التراث القديم للمسلمين وهو فى أغلبه ركام مضطرب من آراء الفلاسفة والمتصوفة والمعتزلة والمتكلمين والزنادقة والباطنية والعنصر الأصيل منه قليل، عكفوا على هذا كله من خلال المعارك التى دارت بعد ترجمة الفلسفة اليونانية وما ترجم من فلسفات الهنود والفرس وآثار المجوسية

والوثنية القديمة الغنوصية وغيرها بماصفاه الفكر الإسلامى كله وكشف عن زيفه ، علقوا على ذلك وأعادوا ابتعاثه وحاولوا أن يجددوه وأن يحيوا شخصياته التى لم تكن فى يوم من الأيام ذات بال فى نظر المسلمين ، فأصبحت تقام المهرجانات وتلقى الأضواء على شخصيات مضطربة ممزقة : [الحلاج - أبو نواس — بشار - السهروردى] بل ويعكف مستشرقون سنوات عمرهم الطويل فى جمع أخبار هؤلاء وأولئك . وفى نفس الوقت يهاجم أعلام لهم مقدراتهم وقيمهم أمثال الغزالى - وابن تيمية والمتنبى وهكذا .

والمستشرقون الذين يعملون فى حقل اللغة لا هم لهم إلا البحث عن الخلافات التى تثير الشبهات حول القراءات السبع والأحرف السبع وحول الكلمات غير المنقوطة ، وحول ما إذا كانت هناك لغة فى جنوب الجزيرة ، وأخرى شمالها وكل هذه محاولات يراد منها إثارة الشبهات حول القرآن .

والمستشرقون العاملون فى حقل الشريعة الإسلامية لا هم لهم إلا دراسة الأعراف فى الجاهلية فى محاولة القول بأن الشريعة الإسلامية لا تعدو أن تكون هذه الأعراف بصورة مهذبة .

ومن أبرز أعمال المستشرقين دراسة الفتن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر الانقسام والتفسخ ودراسة الحركات المضادة ومحاولة اعتبارها حركات إسلامية .

ويحاول المستشرقون تلمس العيوب للبرءاء ، فإذا وجدوا نصا مختلفاً رجحوا النص الذى يحقق أهواءهم ، وإذا وجدوا عبارة تخدم أهدافهم اقتضبوها ، وإذا وجدوا واقعة جزئية هولوا لها حتى يجعلوها قاعدة كلية ، وقضية عامة . وذلك كله فى سبيل هدف مسبق ، وغاية فى النفس لا يبالون فى سبيل ذلك من التحريف أو الكذب . ومن أمثلة ذلك أن مستشرقا له اسم رنان هو (هاملتون جب) ينقل فى كتابه (بنية الفكر الدينى) نصا من كتاب شاه ولى الله الدهلوى المسمى

(حجة الله البالغة) حتى إذا استوفى من النص هواه ترك الجزء الباقي منه وهو مايستكمل به مايريده شاه ولى الله (النص موجود فى ج١ ص ١٢٢ من كتاب حجة الله البالغة) . ومن أمثلة ذلك أن صمويل زويمر المستشرق المعروف وزعيم التبشير فى العالم الإسلامى فى الثلاثينيات يحاول أن يصور الإمام الغزالى على أنه تلميذ للإنجيل والمسيحية فى كتابه (مسلم يفتش عن الحق) يريد زويمر أن يسند هداية الغزالى ورجوعه إلى حظيرة الإيمان إلى تأثير الإنجيل، وعنه يتابع الدكتور زكى مبارك فيقول : إلى الغزالى طالع الإنجيل وتأثر به . . ويقول فؤاد حبيش صاحب مجلة المكشوف أن الغزالى مسيحى الفكر والتصوف . وقد عقد فصلا سماه (يسوع المسيح فى الغزالى) قارن فيه بين عدة مقتبسات من أقوال الغزالى وبين نصوص من الإنجيل محاولا إيجاد وجه شبه بينهما .

كذلك نجد أن برنارد لويس المستشرق اليهودى الإنجليزى يكتب عن المساواة العنصرية فى الإسلام فيعتمد على أقوال من كتاب الأغانى منسوبة إلى الرسول ، ويبطل الأحاديث الصحيحة التى جمعها ثقاة المسلمين ، ثم يلجأ الاستدلال على نظرياته بالأحاديث المكذوبة على الرسول محاولا إلقاء ظل من الشك على المساواة والقول بالتمييز العنصرى ، ومن أجل ذلك كافأته الصهيونية بلقب دكتوراه من إسرائيل فى العام الماضى .

أما رودنسون المستشرق اليهودى الفرنسى فإنه يكتب عن الإسلام فى مجال الاقتصاد كتابات غاية فى التعصب والحقد والكراهية للإسلام ، وهو يحاول مبطلا أن ينفى العلاقة بين الإسلام والحياة الاقتصادية للمسلمين .

وكان بروكلمان الذى يدين كل الحركات الإسلامية الصحيحة ويصور التاريخ الإسلامى مليئاً بالسموم والالتباسات العقلية والتاريخية .

وجولد سيهر المستشرق اليهودى الألمانى الذى حاول أن يثير الشبهات حول المذاهب الإسلامية فى تفسير القرآن . وهكذا نجد لدى مرجليوث وجولدسيهر ورودنسون وبرنارد لويس كلهم يهود هدف واضح من عملهم فى مجال الاستشراق يرمى إلى محاولة إثبات أن القرآن مأخوذ من التوراة والإنجيل والاهتمام

بالمؤثرات القديمة ومحاولة إعلائها مع أنها من المتغيرات التي غيرها الإسلام ومنها انتقاص الرسول والقرآن رغبة في تأكيد تعصبهم للتوراة ، ومفهوم الدين القائم على العنصرية ، وإعلاء الجنس اليهودي واحتقار الأميين والعرب .

وهكذا نجد أن الاستشراق مسيحيا أو يهوديا او استعماريا أو ماركسيا هو محاولة لتزييف الحقائق الأصيلة في مجال العقيدة واللغة والشريعة والثقافة الإسلامية حيث تدرس خصائص الفكر الإسلامي بروح خصومة واضحة ، وبفكرة مسبقة قائمة على فروض قوامها سوء نية وتعصب وأحقاد ، وإذا ذهبنا نبحث عن التحديات التي تواجه الفكر الإسلامي واللغة العربية نجدها جميعاً من أعمال الاستشراق :

١ — فالاستشراق هو الذي أثار مسألة الدعوة إلى العامية في البلاد العربية ، وقد حمل لواءها ولكوكس وولمور وسبيتا في مصر وكولون في الجزائر وماسنيون في المغرب وسوريا .

٢ — كذلك حمل لواء الدعوة إلى الإقليميات والقوميات عربية وطورانية ، وإلى الفرعونية والفينيقية وغيرها مستشرقون أجانب هم الذين أغروا بها العرب والمسلمين وطرحوها في أفق الفكر الإسلامي .

كذلك عمل الاستشراق على أن يكون خادماً للاستعمار في الكشف عن جوهر النفس الإسلامية والعقل الإسلامي للاهتداء إلى الجوانب التي يمكن ضرب هذا الفكر منها والسيطرة عليه واحتوائه وتدميره ، ولكن الاستشراق عجز مع الأسف عن فهم العقل الإسلامي والنفس الإسلامية لأنه كان متعصباً أساسا ولأنه حاول أن يفهم الفكر الاسلامي من خلال مناهج الفكر الغربي ولأنه كان عاجزاً — لو خلا من التعصب والهوى — عن فهم البيان العربي .

ولقد حرص المستشرقون في كل قضية وكل مجال أن يأخذوا بالرأي الأضعف .

والرأى الذى يخدم الأهواء والغايات من تفكيك الفكر الإسلامى وتمزيق وحدة المسلمين وإثارة الخلافات والحزازات القديمة ، والحيلولة دون وحدة الفكر أو وحدة المصير ، وتدمير القيم الخلقية والاجتماعية ، وإذابة الشخصية الإسلامية ، والقضاء على كرامتها وذاتيتها ، والعمـــل على احتوائها وقطع الصلة بين حاضر المسلمين وماضيهم ، وإحياء ما قبل الإسلام ومحاولة ربطهم به ، وإعلاء شأن الوثنية الإغريقية ، والجاهلية العربية ، واستهانة بالتراث الإسلامى ، والتشكيك فيه وتزييفه .

وكانت مؤسسة الاستشراق هى المصنع الذى يقـــدم السموم لإرساليات التبشير ومناهج التعليم ، وبرامج الثقافة ، وكتابات الصحف والمجلات .

وما يزال الاستشراق الآن يخدم أهداف الاستعمار وأهداف الصهيونية وأهداف الماركسية ، ويخلـــق نظريات متعـــددة فى التيارات الثلاثة يحاول أن يحاكم بها الفـــكر الإسلامى واللغة العربية ، والتراث والأدب والتـاريخ .

ويحاول الاستشراق فى السنوات الأخيرة وبعد أن بدأ العرب صفحة جديدة من الفهم لعقيدتهم وتراثهم أن يغير ثوبه ، وأن يدعى أنه قد تحول إلى أسلوب الدراسات الإنسانية ويخدعنا (جاك بيرك) حين يقول ان الاستشراق مهمة تجاوزها الزمن ، ويعلن المؤتمر الدولى :

(باريس تموز يوليو ١٩٧٣) إطلاق اسم مؤتمر العلوم الإنسانية فى آسيا وأفريقيا الشمالية بدلا من الاستشراق على المؤتمر القادم عام ١٩٧٨ . أما العلوم الإنسانية فنحن نعرف كيف أن الفـــكر اليهودى التلمودى قد سيطر عليها عن طريق مناهج فى عـــلوم اللغات والانثروبولوجيا وعـــلوم النفس والاجتماع والأخلاق التى أطلقتها المدرسة الاجتماعية الفرنسية (دور كايم — لبفى بريل) إلى سارتر إلى ماركوز ، كيف يمكن أن يكون هذا أساساً لدراســـة عالم الإسلام وفكره وتاريخه .

ومن عجب أنه فى نفس الوقت الذى يقـال فيه استبشروا يا عـــرب إن

الاستشراق قد مات ، تنشر الصحف تحت عنوان : الاستشراق ينشط من جديد أن هناك حملة جديدة لجامعة (توبنجن) فى ألمانيا الغربية لدراسة الشرق الأدنى : الآثار — الأراضى — المدن — المناطق — القبائل — البادية — القرى — المدن . . . الخ . نعم إن الاستشراق الآن يغير جلده كما فعل التبشير من قبل ليخدع العرب والمسلمين — إنه يريد أن يضرب المسلمين والعرب من خلال فكرهم وعقائدهم وقيمهم استمراراً فى العمل بوصية لويس التاسع : الذى قال إن المسلمين لا يحاربون عن طريق السيف . وإنما عن طريق الكلمة .

— ٣ —

سموم الفكر الماركسى

هناك محاولة خطيرة ترمى إلى أن تطرح فى أفق الفكر الاسلامى مفاهيم زائفة وأخطاراً مسمومة تحاول بها عزل العرب والمسلمين عن « طريق الأصالة » الذى التمسوه منذ العاشر من رمضان . والذى وصلوا إليه بعد أن سقطت تجربة الاحتواء الغربى والماركسى جميعاً . وبعد أن تبين لهم أنه هو الطريق الوحيد إلى امتلاك الإرادة ومواجهة الغزو الاستعمارى الصهيونى الماركسى الذى يحاول اجتياح عالم الإسلام اليوم .

تعمل هذه المحاولة على تقديم تفسيرات للتاريخ الحديث مستمدة من وجهة النظر الصهيونية التلمودية التى هى أشد خطراً من التفسير الماركسى والتفسير المادى الغربى من حيث أنها تستهدف تسميم عقول المسلمين والعرب بشأن العلاقة بين العرب والغرب وبين العرب وإسرائيل الصهيونية فى محاولة للقول بأن القضية كلها قضية صراع اقتصادى وهدف مادى أو استعمارى . وأن الغرب هو الذى اصطنع الصهيونية لتكون قاعدة له فى المشرق وأنه لا توجد أى علاقة بين ما يجرى الآن وبين الدين أو العقائد .

كما تحاول هذه الدعوة المسمومة إعادة تفسير الحروب الصليبية على هذا النحو أيضاً وتصويرها بأنها مطامع التجار والملوك فى الشرق . وأن الأغراض الدنيوية كانت أقوى من الأغراض الدينية

ولا ريب أن هذه المحاولة فاسدة ومرفوضة ولا يصدق بها أحد من أصحاب الأصالة الإسلامية ، وأنها ترمى إلى الخداع والتزييف الواقع ولاشك أن الهدف واضح من وراء هذه المحاولة . إذ أن القائمين عليها من دعاة العصرية والتقدم والتفسير المادى للتاريخ . إنما يهدفون إلى خدمة الصهيونية التلمودية الكامنة وراء الفكر الماركسى والفكر التقدمى كله ، فهى وليدته

وهى صانعة هذا الفكر لحمايتها والذود عنها .

وأى مطلع على أساليب الفكر الماركسى والصهيونى المادى يعرف هذا الأسلوب الذى ينكر طابع الدين فى تفسير التاريخ والأحداث ، ويحل محله مفهوم الاقتصاد أو المواجهة الحضارية أو غيرها من العبارات البراقة الخادعة .

إن التلمودية الصهيونية المسيطرة الآن على الفكر الغربى وعلى هذه الطبقة التى تشكلت فى أول السبعينات تحت إسم اليسار والماركسية والتقدمية . والتى تعمل فى خدمة العداء للاسلام أولا وتحت أى إسم آخر من الناحية الأخرى تحاول أن تلغى الأثر الدينى فى الحروب والعلاقات والأحداث وتحل محله العلاقات الاقتصادية والسياسية . ولا ريب أن هذا الاتجاه ليس علمياً وليس صحيحاً .

إن موقف الغرب من العالم الاسلامى هو موقف واضح معروف ، وهو موقف يمكن إن يكون سليم ومسالماً ، لولا هذه القوى التى تحرك الأحداث لخدمة أهدافها الخاصة كالصهيونية والشيوعية . وهى التى تحاول أن تلقى فى الفكر الغربى مواقف الخوف من امتلاك العرب والمسلمين لإرادتهم ، وهى التى تحاول أن تفسر العلاقات التى تقوم من جانب المسلمين والعرب على أساس من الفهم العميق والسماحة والإخاء واليسر والإنسانية . ولقد كان موقف الغرب مغلفاً بالخصومة والعدوان ، وكان الهدف وما زال أن يظل المسلمون والعرب غير قادرين على امتلاك إرادتهم ، وأن يحال بينهم وبين تحقيق وجودهم الصحيح .

إن المسلمين قد قامت أمتهم فى هذه المنطقة الخصبة الاستراتيجية الوافرة ، فهم ليسوا أعداء لأحد ولكنهم ما زالوا يقاومون إغارات الغزو التى تحاول اجتياحهم لأنها تستهدف ثروتهم ، وترى أن دينهم هو القوة القادرة على حمايتهم

من السقوط فى براثن العدو ، ومن هذا كانت حملة الإستشراق الغربى والصهيونى والماركسى على مفاهيم الإسلام وقيمه .

ولعل موقف لويس التاسع بعد هزيمته فى الحملة الصليبية الثامنة هو أكبر دليل على فساد دعاوى هذه الطبقة المحتواه الخادمة لقوى الغزو ، فإنه بعد أن فشل عسكريا دعا قومه إلى السيطرة على الأسلام عن طريق الكلمة والتبشير إلى محاولة هدم القيمة الأساسية للإسلام وهى الجهاد ، ومع ذلك كله توصف الحروب الصليبية بأنها حروب غير دينية .

والصهيونية اليوم التى تجعل إسم حملتها عام ١٩٦٧ (خيبر) والتى تحاول أن تتحدث عن أنها فى طريقها إلى حيث كان يهود الجزيرة العربية ، وتحاول أن تنكر رحلة ابراهيم واسماعيل إلى الجزيرة العربية ، وبناء بيت الله الحرام ، والكعبة المشرفة . لأن هذا يجعل وعد الله تبارك وتعالى لإبراهيم مشتركا بين أبناء إسماعيل وأبناء اسحق ، هذه المحاولة التى تقوم على أساسها دعوى إسرائيل والصهيونية العالمية فى فلسطين ، الا تكون هذه ذات صلة بالدين .

نحن لا نثق بالتفسير الذى يقدمه أتباع الصهيونية والماركسية للتاريخ الإسلامى لأنه يقوم على هوى الخصومة والحقد ، ونحن لا نستطيع أن نصدق أن الغرب المسيحى أقام إسرائيل اليهودية من أجل أهداف سياسية استراتيجية اقتصادية ، ولذلك فإن الخلاف مع الغرب وحده وليس مع الصهيونيه العالميه ، ولكن مدرسه اليقظه الإسلاميه تعرف أبعاد القضيه معرفه جيدة وكتابها قد كشفوا هذه الابعاد فى عديد من دراساتهم ومؤلفاتهم ، وهم موضع ثقة المسلمين والعرب ، والامر فى إسرائيل وإقامتها عميق وله أبعاده وأخطاره التى تتصل بالحملة على الاسلام نفسه ، وبالرغبه فى السيطرة على العالم الاسلامى وثرواته ، ومحاولة دحر فكرته التوحيديه وعقيدته الخالصه ، ومن يقرأ بروتوكولات صهيون وكتابات وتصريحات دعاة الصهيونيه التلموديه ومن تابعهم من رجال الفكر أمثال فرويد وماركس ودوركايم وليفى بريل وسارتر يعرف أبعاد

الخطر الذى يحاول أن يخدعنا عنه هؤلاء الذين هزموا شر هزيمة فى بلادهم، ولكنهم مازالوا يتطلعون إلى منابر جديدة ذات بريق ليخدعوا منها العرب والمسلمين .

(٢) من هذا الدعاوى التى يسوقها دعاة التقدم قولهم : أن هزائم العرب مرهونه بخلافاتهم وانتصاراتهم تتوقف على تضامنهم . وهذه دعوى باطلة أيضاً . فإن مصدر القوة الذى انتصر به المسلمون فى الحروب الصليبية وفى كل معارك المواجهة والغزو الخارجى هى التماس منهج القرآن الكريم لإقامته كأسلوب للحياة والحكم وبناء المجتمع . وهذا هو وحده منار الوحدة والتضامن والالتقاء بين أهل القبلة ، لقد هزم العرب ٤٨ و٥٦ و٦٧ لشىء واحد ، هو أنهم تجنبوا المنهج الأصيل . فلما التمسوه فى ٧٣ حققوا النصر واليوم تجرى المحاولات بقوة لإبعادهم عن هذا المنهج وتفسير التاريخ لهم تفسيراً زائفاً لإعادتهم الى الاحتواء الصهيونى .

إن التناقضات العربية لا يحلها إلا المنهج الاسلامى . ذلك لأن محاولة الخداع والتضليل وإبعاد المسلمين عن الحلول الصحيحة وعن الاسلوب السليم لمواجهة إسرائيل وامتلاك إرادتهم تأتى من تعدد الدعوات المسمومة التى توجه إلى العرب والمسلمين وهى دعوات تبدو ناصحة فى مظهرها ولكنها غادرة فى مضمونها ، ذلك لأنها تجعل ثمن تحررهم من إسرائيل هو إلغاء وجودهم وتراثهم وعقيدتهم ، ودخول دائرة الاحتواء والأممية .

إن الواقع الاسلامى اليوم يجب أن يكون منطلقاً إلى التماس المنهج الاسلامى حتى يتجرد من نفوذ التغريب والاستشراق والغزو الثقافى الذى أضر به خلال قرن من الزمان سواء فى تبعيته للفكر الغربى أو للفكر الماركسى ولا سبيل إلى تحريره والانتقال به إلى الاصالة من التماس مفاهيم الاسلام وقيمه ومنهجه وتطبيق شريعته وإقرار أسلوبه فى التربية والتعليم .

إن من أكبر الأخطار التى وقع فيها المسلمون والعرب بعد نكبة ١٩٤٨

أنهم ظنوا أن الإسلوب الغربي يستطيع أن يحررهم ، فإذا به يسلمهم إلى الإسلوب الماركسى الذى كان مصدر نكبتهم ١٩٦٧ ولا ريب أن الاسلوبين كانا محتويين من الصهيونية التلمودية التى استطاعت أن تنقل العرب من محور إلى محور لتحول بينهم وبين الوصول إلى الطريق المضىء ، والقاعدة الصلبة ، وهى منهج الاسلام . ومن هنا نجد أن الطريق الوحيد هو حتمية المنهج الاسلامى .

(٣) ومن تلك السموم التى مازال يثيرها دعاة التقدم والماركسية هجومهم على الدولة العثمانية ووصفها بالاستعمار والظلم والاستبداد . ونحن نعلم أن هذه الدعوى باطله وأنها انطلقت لتبرر للصهيونية أن تصل إلى القدس ، وأن تقضى على الإمبراطورية التى حملت لواء الجامعة الاسلامية فى مواجهة الغزو الغربى كله ، وأن نقضى على الخلافة الاسلامية .

ومن ذلك تفريقهم بين اليهودية والصهيونية لخداع المسلمين عن أوليـــاء الماركسية اليهود ، والمسلمون يعلمون أن الصهيونية فى مطامعها وأهوائهـــا ودعوتها إلى السيطرة على فلسطين إنما تنطلق أساساً من التوراة المكتوبة بأقلام الأحبار .

ولا ريب أن حملة هذه الشبهات هم تابعون للصهيونية التلمودية مهما ادعوا أنهم دعاة التقدم والعصرانية .

إن الماركسيين يخدمون الصهيونية بطرح هذه المفاهيم اليوم ومحاولة جعلها مسلمات . ونحن نعرف لماذا هم يحرفون تاريخ العرب والاسلام الحديث ، ولماذا يعيدون تفسير التاريخ الاسلامى على نحو زائف مسموم ، إن الغرض هو خداع العرب والمسلمين عن الحقائق التى وصلوا إليها ، والتى أقاموا عليهـــا منطلقهم الجديد بعد هزيمة ١٩٦٧ التى قضت على كل نظرياتهم المسمومه ولقد تبين المسلمين والعرب أن إسلوب الاقتصاد ونظام الربا والقانون الوضعـــى ، وإسلوب التعليم والتربية الغربى هى كلها مصادر الهزيمة التى حاقت بالمسلمين والعرب خلال هذه الحملة الصليبية التى بدأها الاستعمار وتقوم عليها اليـــوم

الصهيونية والماركسية وربقنا الاستعمار. نحن نعرف أن الصهيونية تدرس الحروب الصليبية ، وتحاول أن تطرح لنا فى أفق الفكر الإسلامى مفهوما جديداً تخدع به المسلمين والعرب حتى يحولوا نظرهم عن المفهوم الأصيل الذى عرفوه والتمسوا النصر على ضوئه فى حرب العاشر من رمضان إلى « تمويهات » ومراوغات خادعة مثل قولهم أن إسرائيل ليست إلا قاعدة غربية فى قلب الشرق الأوسط ، وأن الغرب اضطهد اليهود فى بلاده ولكنه ألقى بهم إلى غيرهم ،

نحن نؤمن أن القضية ليست كذلك قضية صراع حضارى طويل أم قصير ، فهذا مفهوم يراد به وضع العرب والمسلمين فى متاهات وضباب كثيف ، إن المواجهة بيننا وبين الاستعمار والصهيونية والماركسية هى مواجهة عقائدية لا حضارية ولا سياسية ولا اقتصادية ، وأن علينا أن نلتمس أسلوبنا الصحيح ومفهومنا الأصيل ، وعندئذ نجد الإجابات الصحيحة لكل القضايا والتحديات والمواقف .

إن السلاح والتكنولوجيا والقوة البشرية ، والطاقة هى فى أيدى العرب والمسلمين اليوم ، فلا مجال للكلام عن الصراع الحضارى ، فإن إسرائيل لا تملك من ذلك شيئاً إلا ما يدفعه إليها الغرب . إن العرب والمسلمين يعلمون أن هذه القوى تريد أن تضع مقادير المسلمين والعرب فى أيدى العصبة الباغية التى تريد أن تسيطر على العالم ، ومن ينقذ المسلمين والعرب من هذا الخطر إلا اعتصامهم بمنهج ربهم ، فهو وحده سبيل الخلاص ، يجب أن يكون معلوما للمثقفين والباحثين والمشتغلين بالفكر الإسلامى فى مختلف مجالاته السياسية والاجتماعية والقانونية . أن هذا الإسلوب المسموم فى تفسير الأحداث والمواقف والتاريخ على النحو الذى حملت لواءه الماركسية والمادية ، ودعاة العصرانية والتقدم مرفوض ومردود لأنه معارض للروح الإسلامية والإصالة القرآنية : هذه الطبقة التى تشكلت فى السنوات العشر الأخيرة ، وحسبت أنها تستطيع أن تسيطر على الفكر الإسلامى وتوجهه وجهة جديدة غير وجهته الأصيلة ، والتى استعانت بالعاملين فى مجال الفكر الغربى الليبرالى لتشكيل جبهة واحدة ذات فروع كثيرة

تعمل جميعها فى طريق واحد لمواجهة الفكر الإسلامى فى منهجه الأصيل ومفهومه الجامع ، هذه الطبقة التى سقطت بعد العاشر من رمضان وأثبتت الأحداث فشل خطتها ومنهجها ، وسلامة منطق المنهج الإسلامى الذى حملته حركة اليقظة وكان هو المصدر الوحيد للنصر ، حين دعا إلى الإصالة وإلى التماس المنابع باعتبارها الحصن الحصين الذى عرفه المسلمون فى مختلف الأزمان والتحديات طرقاً للنجاة ، والذى صدقهم فى كل مرة ، واستطاع أن يهزم باطل الغزاة ويردهم على أعقابهم ويثبت الحق وأهله .

واليوم تحاول هذه الطبقة أن تجدد دعواها وأن تنشر سمومها من جديد ، وبأسلوب جديد لتحويل العرب والمسلمين عن طريق الإصالة الذى التمسوه وتأكد لهم أنه الطريق الوحيد الذى يستطيع أن يحقق لهم المواجهة الصحيحة إزاء كل القوى التى تتكتل اليوم لغزوهم على الجبهات الثلاث : الاستعمار والصهيونية والماركسية . فلتعلم أن هذه المحاولة باطلة ، وأن المسلمين قد اعتصموا بمنهجهم الربانى وهم فى طريقهم إلى اتخاذه منطلقهم الوحيد .

التبشير الغربي

إن على المثقفين المسلمين أن يعرفوا : ما هي مظاهر التبشير الغربي القائمة الآن في البلاد العربية والعالم الإسلامي بعد أن دخـــل التبشير مرحلة جديدة مختفيا وراء المناهج التعليمية والثقافة والصحافة .

قد يظن الشباب في بعض عواصم البلاد العربية أنها خلت من ظاهرة التبشير العلنية التي كانت ولا تزال معروفة وصريحة في بعض أجزاء العالم الإسلامي . ولكن حذار من تجاهل الخطر المتخفي تحت الأثواب الفضفاضة .

إنما يتمثل التبشير في أشياء كثيرة :

أولا — مجموعة من الكتب المشبوهة ، تعطى أسماءها صورة الدفاع عن الإسلام أو المقارنة بينه وبين المسيحية بأقلام كتاب مسلمين لا يعرفهم أحد ، وعند تعمق هذه الكتب التي تطبع طبعات فاخرة ، وتوزع أحيانا مجانا بكميات ضخمة ، وخاصة على الحجاج الذاهبين إلى بيت الله الحرام ، عند تعمقها تجدها أنها كتب مدروسة أعدت بدقة وإحكام لإثارة الشبهات الكثيرة ، ووضعت عليها هذه الأسماء الإسلامية الوهمية أو الزائفة .

ثانياً — استخدام القديانية والأحمدية والبهائية على بعض البلاد الإسلامية . وهي فرق تدعي صلتها بالإسلام أو بالدين ، وتحاول أن تدمر مقومات المفهوم الإسلامي للجهاد والنبوة أو الرسالة الإسلامية والوحي .

ثالثاً — تلك الدراسات التي تنشرها بعض المجلات البارزة حول العلاقة بين العروبة والإسلام ، وبين الدولة العثمانية والعرب ، وخاصة فيما يتصل بالسلطان عبد الحميد — ولطفي السيد — ومصطفى كامل — ومصطفى كمال — وساطع

الحصرى فى محاولة لإثارة الشبهات والخداع ، وتزييف مفاهيم الرابطة الحقيقية بين العروبة والإسلام تاريخياً وفكرياً . وخاصة تلك البحوث التى تكتب تحت عنوان (تجديد الفكر المصرى) . أو السورى – أو اللبنانى . ولما كان الفكر مرتبطاً بالعقيدة والثقافة مرتبطة بالامة . فإنه ليس هناك على وجه الحقيقة فكر مصرى أو سورى أو لبنانى ، وإنما هناك فكر إسلامى وثقافة عربية ، وهناك مفكرون وعرب ، هم مصريون وسوريون وهكذا .

رابعاً – تلك الدراسات التى تحاول أن تركز على تلمس آثار الفكر الغربى أو اليونانى القديم فى الفكر الاسلامى . وهذه الدراسات تحاول أن تصور رفاعة الطهطاوى أو جمال الدين الافغانى أو محمد عبده وكأنهم تلاميذ للفكر الغربى وهذه محاولة باطلة يريد بها التبشير أن يعلى شأن معطيات الغرب المسيحى الفكر الإسلامى ، ونحن نؤمن بأن الفكر الإسلامى له أصوله وقيمه ومنهجه المتميز الخالص الذاتية ، وأن اتصاله بالفكر اليونانى القديم أو الغربى الحديث لا يمثل اندماجاً ولا انصهاراً ، ولا يمكن أن يصل إلى حد الاحتواء أو الذوبان وستبقى قيم الفكر الاسلامى واضحة وقوية مهما اتصل بالفكر الغربى .

خامساً – محاولة تقديم التاريخ الاسلامى على أنه صورة من صور الصراع بين الخلفاء والامراء وإبراز المثالب التى تخدع بأن الاسلام كان صراعاً ، بينما هناك جوانب العطاء والايجابيات التى لا حد لها تغمض عنها العيون ولا يعرض لها. وهذا هو أسلوب التبشير انتقل إلى مناهج الدراسة .

سادساً – محاولة إنقاص تعداد المسلمين وذلك بتزييف الارقام فى بعض البلاد وخاصة فى لبنان والحبشة وغيرها ، وما يزال كتاب الغرب يقدرون عدد المسلمين بسبعمائة مليون مسلم . مع أن التقديرات الصحيحة تتجاوز الألف مليون بكثير .

سابعاً – مضاربة الفكرة القومية بالفكرة الوطنية بالوحدة الإسلامية . وذلك عن طريق إدخال مفاهيم القومية الغربيه وفلسفتها . والمعروف أن مفهوم

القومية الغربية هو مفهوم صراع وخلاف وعدوان . كل قومية تنازع القومية الأخرى بينما أن المسلمين يؤمنون بأنهم يتحركون دائماً فى ثلاث دوائر هى متكاملة أصلا . كل منها تسلم إلى الأخرى : الوطن وهو الأرض والأمة وهى القوم ووحدة الجماعة الإسلامية ، فكرا وأمة وأرضا . وهذه هى المرحلة التى يتقدم إليها المسلمون كلما تحرروا من قيود الإستعمار والدعوات الإقليمية . ولقد كانت الوحدة العربية ومازال تجمعا قام بعد سقوط وحدة المسلمين بالدولة العثمانية ، ولكن مايزال تجمع العرب هو فى إطار الفكر الإسلامى والأخوة الإسلامية ، ومازال النظرة الوطنية والقومية فى العالم الإسلامى قائمة على الانفتاح والانتماء والتكامل ، وعلى الرابطة الأعمق : رابطة الفكر والعقيدة والقرآن والشريعة الإسلامية ذات الأثر الجامع فى شئون العقل والقلب والحياة والمجتمع مهما جرت المحاولات لتمزيق هذه الوحدة .

ولقد حاولت مفاهيم القومية الغربية الوافدة خلال سنوات طويلة أن تفرض نفسها ولكن الذاتية العربية الإسلامية بطابعها الخاص ومفهومها الواسع لفظت هذا الزيف وخرجت عنه وعادت إلى الإنتماء فى الدائرة الواسعة المتكاملة .

ثامناً — الدعوات التى تحاول أن تقلل من الفوارق بين الإسلام والتفسيرات التى تعتنقها أمم ودول أخرى فى محاولة القول بأنها خلافات أكاديمية والحقيقة أن الإسلام هو الصورة الحقيقية للأديان السابقة له وقت نزولها . وأن هذه الأديان إنحرفت وحاولت أن تشكل وجوداً عنصريا خاصا بها ولذلك فإن هناك خلافاً عميقاً وأساسياً (وإن كان هذا لا يمنع من التعاون فى مواجهة الإلحاد) .

تاسعاً — محاولة ضرب اللغة العربية الفصحى بالعاميات وإعلاء شأن العاميات الإقليمية وما يتصل بهذا من الدعوة إلى وسطى وإلى الإرتفاع بالألفاظ العامية إلى مستوى الكتابة وغير ذلك مما هو هدف أساسى التبشير الغربى يقصد به أساساً : الابتعاد عن مستوى القرآن فى بيانه وبلاغته ، وعزل المسلمين عنه .

عاشراً — إثارة قضايا فكرية كانت مرتبطة بظروف سياسية وانتهت بانتهائها كاثارة قضية الاعتزال والمعتزلة وإخوان الصفا . والباطنية . ودعاة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود ، وكل هذا يراد به إعادة إثارة هذه الشبهات من جديد فى أفق الفكر الإسلامى وإغراء بعض السذج والبسطاء بها .

هذه المحاولات وكثير غيرها ليست إلا دعائم أساسية فى دعوة « التبشير الغربى » الذى يحاول الآن أن يختفى وراء مناهج التعليم والثقافة والصحافة . ويقدم رجاله على صورة باحثين فى الادب أو الثقافة أو الفكر ، والذين يتناولون هذه القضايا معروفون لنا جميعاً . ولكن المطلوب أن نكشف اتجاههم وهدفهم حتى نحذرهم .

التيارات الوافدة

ولنسأل أولا : ما هى التيارات الوافدة : ونجيب أنها ليست هى الماركسية وحدها ولكنها الماركسية ، والفرويديه ، والوجوديه ، والمادية، ومدرسة العلوم الاجتماعيه ، وللقوميات بمناضرها الافليمية والتجزئة ومفهومها الغـــربى الوافد .

إن هذه التيارات الوافدة تصل إلى شباب المسلمين عن ثلاث طرق : التعليم والثقافة ، والصحافة . وأنها تصل إليهم فى الاغلب على أنها مناهج دراسية ، أوعلى أنهاقوانين عملية غير قابلة للنقض وهى من ناحيه أخرى قد تتفق مع الاهواء فتكون مبررآ لتحول فى المجتمع يخرج به من الضوابط والقواعدالتى تحفظه من الانهيار وتحمى الشخصية الانسانية من التمزق ، ثم هى تصل إلى الشباب عن طريق القصة والمسرحية والفيلم والاغنية التى تحاول أن تقدم مفهوماً مغايراً لما تقدمه رسالات السماء والمنهج الحق الذى تقوم عليه الامم والحضارات . هذه التيارات الوافدة قد وصلت اليوم إلى نخاع الانسان المسلم وسيطرت على عقله وعواطفه بما تطلقه له من رغائب وأهواء ، بينما يقدم له الاسلام المنهج المحكم الذى يقيم التوازن بين عواطفه ورغباته ، والتكامل بين روحه وعقله ؛ بين مادياته ومعنوياته .

وأخطر التيارات الوافدة تبدأ من القصة إلى المسرحية . ذلك أن أصحاب التيارات الوافدة وجدوا أن أصلح طريق للوصول بسمومهم إلىقلوب الناس وعقولهم يسهل وصوله عن طريق الحوار المسرحى والاغنية وأستطار مفهوم مضلل أن قضاء ساعة فى سماع أغنيـــة أو رؤية مسرحية من شأنه أن يسرى على النفس ويرد عنها همومها وكذبوا . فإن هذا العلاج

بالمغيبات والمخدرات ليس أسلوباً إسلامياً صحيحاً ، وإنما يدعو الاسلام أهله إلى مواجهة أزماتهم وضروراتهم بالمعرفة وبالتماس رحمة الله وبتصفية النفس الانسانية من الأهواء والارتفاع فوق الأحن والضغائن .

ومن أخطـــر ماتلقى التيارات الوافده إلى شبابنا القول بأن النظريات المطروحة من المذاهب الفلسفية ، نفسية وإجتماعية ، هى حقائق علمية ، وتلك مغالطة واضحة . فإن هناك فارقاً عميقاً بين العلوم التجريبية والدراسات الانسانية ، فرق مابين العلم الذى يجرى تخليص حقائقه فى المعامل والأنابيب وبين الفلسفة التى هى من نتائج العقول والاهواء . ومن هنا فإن هذه المذاهب الاجتماعية ماهى إلا فروض ومحاولات تصدق وتخيب ،وهى خاصة بأمم دون أمم وعصور دون عصور وأن أعظم محاذيرها التى يجب أن يلتفت إليها قومنا أنها تقوم فى نظرتها على المفهوم المادى الخاص الذى يصرف النظر نهائياً عن المعنويات والروحيات ومايتصل بالقلب والروح وما يفرضه القرآن والاسلام من مفهوم التكامل بين الروح والمادة والنفس والجسم والدنيا والآخرة . ولقد قامت الماركسية على أساس من الفروض العلمية ثم تغيرت هذه الفروض من بعد فهزت أساس الأيدلوجيه كلها ، ومازال متغيرات الحياه والمجتمعات تهز هذه النظريات وتنقضها فيحتاج أصحابها إلى الاضافة إليها ، والحذف منها دون أن يصلوا إلى شىء ، لأنها من صنع العقل البشرى المحدود بحدود الزمان والمكان ، بينما يقدم الدين الحق البشرية منهجاً متكاملا يرتفع فوق صدع الزمان وتمزق البيئات ، فهو صالح للدنيا كلها فى كل عصورها وبيئاتها لأنه من صنع العلى القدير . ومايزال المسلمون تصيبهم قارعة بما صنعت أيديهم مالم يلتمسوا منهجهم الربانى ليقدموا البشرية الصورة المثلى التى تتطاع إليها بعد أن فرقتها المذاهب والأيدلوجيات ، فاذا أقاموا المنهج الربانى فقد استجابوا لربهم وقدموا للبشرية التطبيق الذى سوف لايجد أهل الغرب مناصا من التماسه من المسلمين بعد تلك الحيرة المدلهمة التى تجتاحهم ، وبينما أوربا والغرب اليوم يتطلعون فى الأفق إلى فجر جديد يأتى من ناحية المشرق ، نجد المسلمين يهربون من الحق إلى

النماس مناهج الغرب وحيث تفسد تجربة الغرب يلجئون إلى تجربة الماركسية وكلها تجارب غـــربية متكاملة قائمة على الفكر المادى وعلى بقايا وثنيات اليونانية والهلينية والتلمودية المضللة .

ومازال تحاصر المسلمين حواجز ذات سلاسل غلاظ داخل القوميات والاقليميات مفهومها الغربى العــدوانى ، بينما يعطيهم الاسلام مفهوم الاخاء الانسانى والاخاء الاسلامى ، وتعارف الشعوب والتقائها على التوحيد والرحمـــة والعدل ، وما تزال قضية التربية والتعليم من أكبر القضايا التى تحتاج إلى جهد ضخم للتحول نحو المنهج الاسلامى فى التربية لبناء اجيال جديدة مؤمنة منذ اليوم الاول حتى لا تزعزها عواصف التيارات الوافده ، ولا تدمرها تلك السموم التى تثيرها رياح الغرب مادية وإلحاديه وإباحيه تحت إسم الحرية والتقدم والعصرية .

وكلما تأخر المسلمون فى الاستجابة لمناهج ربهم فإنهم يؤخرون دورهم الذى تتطلع إليه البشرية لتقديم الاسلام فى أنفسهم ومجتمعاتهم أولا . ويحتملون فى ذلك إثما كبيراً . إن الاســلام قادر على إعطــاء النفس المسلمـــة مطمحها والعقل المسلم حاجته بما يقضى على الازمة التى يطلقون عليها «أزمة الفراغ العقائدى» هذه الازمة التى تشغلها تلك التيارات المتعددة المضطربة التى تلقى كلها إليه دون أن يعرف طريقه بينها إلى الحـــق ، وتلك مؤامرة التيارات الوافدة ، التى تريد بلبلة الفكر وتمزيق تجمع الامة حول مذاهب متعارضة ومتصارعة ، إحدها يجرى وراء أهواء الجنس ، والاخر يجرى وراء وراء أهواء لقمة العيش وذلك يرمى إلى حصر الناس فى أقلية ضيقة ، وذلك الذى يدعوهم إلى مفهوم قومى غربى ، ويجد المسلمون أنفسهم فى مجال الفكر داخل دائرة مقفلة ومربعات لها حوائط عالية ، تحول بينها وبين اكتمال الرؤية وذلك طابع الفكر الغربى : طابع الانشطارية والتمزق والانحصار فى علم أو أدب أو قانون أو تربية . أو اجتماع أو سياسة كل منها له قوانين ونظم مستقلة

وقائمة بنفسها دون تقدير للقيم الاخرى . ومن هنا تتصارع القيم وتقوم كل جماعة وكأنهم وحدهم الذين يرسمون خطة الحياة ، بينما لا يقر الاسلام هذه التمزقات الفكرية . وإنما يقدم منهجاً متكاملا جامعاً كل فئة منه تتكامل مع القيم الاخرى لانها كلها تترابط وتلتقى فى مجال « الانسان » نفسه الذى يجمع بين عوامل الروح والمادة والنفس والجسم والعلم والدين .

(٦)

تذويب الذاتية الاسلامية

تتضافر قوى التغريب والغزو والاشراق الغربي والشيوعي في سبيل غاية واحدة :

تذويب الذاتية الإسلامية . واحتواء الشخصية المسلمة

لقد تبين بما لايدع مجالا للشك أن كل المخططات (تبشيراً أو استشراقا وغزوا ثقافياً وتغريباً) عـــلى جميع الجبهات (غربية وشيوعية وصهيونية) تتضافر في سبيل تحقيق غاية واحدة وأن اختلفت الخطط والوسائل : هو تذويب الذاتية الإسلامية واحتواء الشخصية المسلمة على النحو الذي يصهرها في اتون الفكر العالمي العلماني والأممي وأزأى دراسة دراسة دقيقة تكشف كيف تتقارب الوجودية والماركسيه والفرويدية ، عن طريق معابر جديدة للتلاقي على خطة ضرب الفكر الإسلامي في إصالته ووحدانيته وفي ترابط العروبة والإسلام ، والشريعة والاخلاق ، وتجد الخطط المرسومة معينا لها من خلال المنطلقات التي صنعها الاستعمار الغربي خلال قرن كامل ، هذه المنطلقات التي أوشكت أن تكون بمثابة المسلمات .

وبالرغم من التحرر من الأساليب السياسية القديمة التي أقامت هذه الركائز فإن هذه الأسالب مازالت قائمة ببقاء بعض دعاتها ومعتقيها الذين يكونون قد استجابوا للتيار الإسلامي العارم في انطلاقته الواعية التي تنبعث اليوم والذين كانوا في أوائل حركة اليقظة من خصومها وأعدائها ، وقد عادوا يتسربلون مسوحها عندما وجدوا أن دعواتهم الاقليمية والعنصرية والوطنية الضيقة قد فشلت وهزمت أزاء تيار الأصالة الحق الذي يتسع الآن ويتمدد . تجدهم مازالوا يصدرون عن منطلقات قاصرة فتطلعات الجزئية والانشطارية ، سواء أكانت

منطلقات السياسة أو الفلسفـــة أو الإدب وكلها منطلقات فاسدة ، إذا بدأت من وجودها الفردى الذى ليس فى الحقيقة إلا جزءا من كل ، وخيطا من نسيج كامل .

إن الانطلاق الوحيـــد الصحيح هو الانطلاق من القيمه الإساسيّة للفكر الاسلامى: عقيدة التوحيد بمفهومها الجامع منهج = حياه ونظام مجتمع ، ومسئولية فردية والتزاما أخلاقيا وإقراراً بالبعث والجزاء ، هذا المفهوم الجامع المتكامل هو ماحجبه الغزو الفكرى أبان سيطرة الاستعمار الغربى الذى حاول أن يجعل للادب أو للفلسفة أو للسياسة منطلقات حرة تذهب بها بعيداً عن تكامل الحركة فى الاطار المترابط ومن ثم فإن وجهة نظر الادب يشوبها الهوى ووجهة نظر السياسة يشوبها الغرض ووجهة نظر الفلسفه يشوبها الظن .

إن الانطلاق من أى منطق غير الاسلام نفسه لايؤمن صدق رؤيته ، لانه يعتمد على الجزئية ويقتصر عندها فلا يستطيع إستيعاب الابعاد المتعددة للنظرة الحقيقية .

ولقد رأينا النظرة السياسية أو الادبية أو الفلسفية تستعمل ألفاظا كثيراً إستعمالا باطلا فى محاولة إخضاعها لوجهة نظرها وبذلك تفقد لمفهومها الحق فى مكانها الطبيعى .

وأبرز مثال لذلك موقف السياسة أو الادب أو من قضية فلسطين أو من قضية الاستشراق ، هنالك تقصر النظرة عن الحق وعن الفهم الجامع ، فإذا الرأى هو المناورة أو المجاملة أو العاطفة أو العقلانية وكلها نظرات جزئيه لاتمثل نظرة الاسلام الجامعه .

فلقد يذهب الكتاب عن فلسطين والصهيونية أن يأخذوا من التاريخ ويتركوا فى سبيل تأييد موقفهم ومعارضة موقف الصهيونية ، وقد يلتمسون وجهة نظر معينة تحاكم القضية الفلسطينية من منطلق معين كان يقال أنها قضية عربية أو أنها

هناك خلافا بينهما ، وكل هذه منطلقات سياسية متغيرة لاتثبت ولكن الذى يثبت هو الحق وحده : وحقائق التاريخ باصولها الثابته ، وأن يكون منطلق فلسطين كمنطلق كل قضية أخرى هو الترابط الإسلامى الجامع بين عالم الإسلام من الملايو إلى أوربا ، فالمسلمون أمة قائمة وقضيتها واحدة ، والعدوان على جزء منها هو عدوان عليها جميعا والتحدى موجه إليها كأمة وكعقيدة وليست هناك قضية جزئية يمكن أن تدرس منفصلة كمن يحاول أن يدرس قضية فلسطين فى إطار عرفى أو اطار قليمى اومن وجهة نظر سياسية، ذلك أنه يراها فى كل مكان بصورة مختلفة بينما هى قضية واحدة: لها مفهوم واحد ،مترابطة مع التحدى الاستعمارى الموجه إلى عالم الإسلام لاتنفك عنه ولا حل إلا فى إطاره .

كذلك الأمر فى قضية الاستشراق فإننا نجد من يحاول مجاملة الاستشراق حفاظا على مفهوم سياسى يرمى إلى التقريب بين الشرق ومغرب أو بنظرة جزئية تعلى من شأن بضعة أعمال للاستشراق فى مقابل التجاهل أو الأغضاء عن مخطط واسع عميق من الهدم والتغريب ومحاولة هـــدم مقومات المسلمين وقيم الإسلام .

نعم أن أمامنا أعمالا ضخمة منها ماقام به « فنسنك » : مفتاح كنوز السنة ومعجم ألفاظ الحديث النبوى وما قام به « بروكلمان » : تاريخ الآداب العربية وتاريخ الشعوب الإسلامية .

ولكن هذه الآثار إنما نصد بها تعريف الفكر الاستشراقى بأصول الفكر الاسلامى وقد انتفعنا بها نحن تبعا لذلك ولكن هل تعرف ماهو رأى فنسنك وما رأى بروكلمان فى الاسلام ونبيه وكتابه . قد يكون من الانصاف الاعتراف بالفضل لكل مستشرق بالعمل الذى ينفع ولكن ذلك لايخليه من تبعة الانكار والاساءة وآثاره الشبهة حول ما يختلف فيه مع الإسلام من وجهة نظره ونحن نحترم وجهة نظر الآخرين ولا نطالبهم بأن يؤمنوا بالاسلام ولكنا نكره أن أن يجرحوه وينكروا الوحى ويرموا نبيه بأنه واضع القرآن أو ماشاء لهم الهوى من تهم وشبهات يستهدفون بها غايتهم الأصلية وهى إخراج المسلمين من إيمانهم بربهم ونبيهم وكتابهم .

وهذا وحده هو وجه الخلاف بيننا وبين المستشرقين : نحن لانطالبهم بأن يؤمنوا بالاسلام فذلك متعذر ، ولكنا نطالبهم بأن يكون منهجهم علميا خالصا قائما على النظر الخالص للحق البعيد عن الظن وما تهوى الانفس .

ولقد اتخذت حركة الاستشراق في السنوات الأخيرة ابعادا جديدة وتكشف من أهدافها ما لم يكن واضحا ازاء مخطط اقتلاع الذاتية الإسلامية من جذورها مما لايمكن أن يكتشفه إلا أصحاب المنطلقات الاسلامية الجامعة التي لا تحجبها مجاملات الفكر السياسي أو الادبي أو الفلسفي أو أهوائه : وهي مجاملات وأهواء لايعرفها العلم وتقوم على ذلك الفهم الذي أوجده التغريب من محاولة التقارب أو الالتقاء مع الفكر الغربي على حساب الاسلام نفسه .

ومن هذه المجاملات محاولة القول بأن العرب وبني اسرائيل أولاد عم تربطهم أواصر الرحم والقربى اعتمادا على زيف نظرية السامية وهو ما يخدع به أصحاب المنطلقات السياسية في بحث قضية فلسطين حين يجعلون الخلاف قاصرا على الصهيونية لا اليهودية بينما تؤكد النظرة العلمية أن منهج الصهيونية قائم على أتم وضوح في التوراة التي بين أيدينا والتي كتبها الاحبار بأيديهم والقائلون بهذا يحاولون مجاملة الشيوعيين وحجب الرابطة الأصيلة والعقدية بين الصهيونية والشيوعية وهي أوثق من الرابطة بين اليهودية والصهيونية .

ومن شبهات الاستشراق وسمومه التي يعجز عن معرفة أبعادها أولئك الذين انطلقوا في نظرتهم إلى الاستشراق او إلى قضية فلسطين من النظرة السياسية أو الأدبية أو الفلسفية ، شبهة القول بحضارة العرب بدلا من حضارة الاسلام والقول بديمقراطية الاسلام وأشتراكية الاسلام من ذلك الوقوع في براثن مؤامرة السامية التي تحاول القول بأن هناك أصلا واحدا مشتركا للعرب واليهود وهو قول يقول به أولئك الذين يخدعون العرب والمسلمين من اليهود أمثال : المير برجر والفريد ليلنتال .

كذلك فان النظرة السياسية أو الأدبية أو الفلسفية تنظر باندهاش وتصور

الترابط الجذرى بين فساد المجتمعات الاسلامية وبين مخطط الصهيونية ، وذلك أن الذين يصدرون عن المفهوم الجزئى أو الانشطارى لا يستطيعون الربط بين تطبيق الشريعة الاسلامية فى المجتمعات الاسلامية التى تطبق القانون الوضعى اليوم ، وبين المراجهة للصهيونية أو تبين العلاقة بين المذاهب الفلسفية المادية المبثوثة فى أفق الفكر الإسلامى وبين الصهيونية والاستعمار ، أو بين بناء الأخلاق وتزكية الشباب وبين مواجهة أخطار التحدى الصهيونى الاستعمارى الماركسى .

أنهم فى غفلة عن هذه العلائق الجذرية والطبيعية ولا يرون إلا وجها واحدا للامور هو الوجه السياسى أو الأدبى أو الفلسفى وقد تقوقع كل جماعة منهم فى واحد من هذه الخانات المغلقة التى تحجب النظرة الكاملة الجامعة الصحيحة التى هى النظرة الإسلامية الأصيلة . ومن هنا فستظل هذه الكتابات قاصرة لأنها نبت الوقت المتغير ، ولست نبت الأصل الأصيل ولانها جزئية لم تستطع أن تستوعب الابعاد كلها فقد احتجزت فى الأطارات الضيقة ، ومن ثم فان الحلول التى تحاول أن تقدمها للتحديات القائمة هى حلول انشطارية لها طابع الخضوع للبيئة والعصر والظروف ولذلك فانها تعجز أن تصل إلى صميم المشكلة . فالمؤمنون بالنظرة الإسلامية الجامعة يعالجون الأمور بالجهاد والإيمان والفداء ولا يرون بديلا له فى حل قضايا فلسطين أو غيرها من منطلق اسلامى كامل ويرون حتمية الحل الاسلامى بتحرير الذاتية الإسلامية من كل الحوائل التى تحول بينها وبين التماس الاسلام منهج حياة ونظام مجتمع . وكيف يستطيع دعاة الوحدة الإسلامية أن يكونوا كافرين بتطبيق الشريعة الإسلامية أو أن يكون دعاة تحرير الأمـــة الإسلامية من التحديات مستصغرين أمر بناء الشباب المسلم والمرأه الاسلامية وفق ضوابط الاسلام .

أن هدف قوى التغريب والغزو والاستشراق : الغربى والشيوعى والصهيونى هو تذويب الذاتية الاسلامية واحتواء الشخصية المسلمة بأثارة الشبهات والسموم حول العلافات المختلفه بين المسلمين وفكرهم وإلا فلماذا هذا الاهتمام البالغ بالفلسفة الألهية اليونانية التى تسمى علم الأصنام عند الاغريق والأهتمام بالتصوف

الفلسفى وبالمعتزلة وبالباطنية وبالطرق الضاله ومحـــاولة ربط الفكر الإسلامى الحديث بهذه السموم التى قضى عليها الإسلام وهدمها وسحق منطلقاتها منذ زمن بعيد، لماذا يجددون الخلافات بين الفرق ويصورون الإسلام على أنه صراع بين الأمراء والخلفاء، ولماذا آثارة الشبهات حـــول قراءات القران وحول السنة وحول حياة الرسول ووقائع حياته .

لماذا هذا الحرص على بعث لون معين من التراث الإسلامى بعد أن استولوا على هذا التراث واحتجزوه فى مكتباتهم وعجز بعض المفكرين المسلمين عن النظر فيه . ذلك لأنهم قد أعلنوا منذ وقت بعيد أنهم أنشأوا الفكر التجريبى والعلم الحديث دون إعتماد على المسلمين وهذا التراث يكشف كذبهم ويثبت أنهم إعتمدوا فى نظرياتهم وأرائهم على ماقدمه علماء المسلمين .

وحادثة يسيرة ومثلها حوادث . لقد أعلن منذ سنوات أحد الباحثين أن المسلمين هم الذين اخترعوا الكسر العشرى، وأن ماينسب إلى العالم الغربى فى هذا السبق زيف ، وبين يوم وآخر يتكشف كثير من هذا فى نظريات العلم والعلوم الإنسانية والقانون وغيره وغيره ولو كانت كتب التراث فى أيدى المسلمين لأعلنوا منذ وقت بعيد هـــذا السبق ، ولكنهم يحجبونها حتى يقللوا من شأن المسلمين وليقيموا فى نفوس الشباب المسلمين انتقاصا لقومهم وفكرهم وقيمهم وأعلاء للفكر الغربى وذلك عن طريق احتواء الشخصية الإسلامية وتذويب الذاتية الإسلامية .

ولكن هذه الصفحة قد كشفت ولم تعد هذه المؤامرة تخفى على احد ولو انطلق المفكرون المسلمون من منطلق الإسلام لما وجد هؤلاء من ينصرهم على قومهم.

تزييف تاريخ العرب والمسلمين

ماتزال خطة تزييف تاريخ العرب والمسلمين لحساب الصهيونية التلمودية من الأعمال الضخمة التى قام بها الاستشراق الغربى «المسيحى واليهودى» والتى لم تستكشف بعد أبعادها الواسعة، وفى كل يوم نجد خيطا جديداً يضاف إلى سابقة فتبدو الصورة أشد خطرا مما كان متصورا من قبل، ولا ريب أن المثقفين المسلمين فى حاجة الى متابعة الكشف عن هذه الخطوط والإبعاد حتى يعرفوا مايراد بهم ومدى أبعاد خطة الاحتواء، ومدى زيف تلك الشبهات والسموم التى أصبحت كالمسلمات بيننا هى من افتراءات الاسرائيليات الجديدة التى جددت الاسرائيليات القديمة.

ومنطلق البحث أنه قبل ابراز فكرة الصهيونية فى العصر الحديث لمخطط متجدد ومنبعث عن (التوراة) التى كتبها حكماء اليهود أبان السبى البابلى و (التلمود) الذى جاء بعد تدمير الرومان للقدس: هذا المخطط هو بروتوكولات صهيون التى عرفت لأول مرة عام ١٨٩٧ وفى خلال إعداد هذا المخطط كانت هناك محاولات جبارة تعمل على وضع مفهوم الصهيونية التلمودية فى داخل كتب التاريخ والموضوعات العالمية، وادخالها فى مناهج المدارس والجامعات الغربية ومعاهد الارساليات فى العالم الإسلامى وقد تمت هذه المحاولة الخطيرة بواسطة مجموعة ضخمة من المفكرين الغربيين الذين إجتذبتهم الصهيونية: شلوسر، بروكلمان، رينان، دوركايم، دوزى، . الخ وذلك باضافة إلى الاستشراق اليهودى الصهيونى: مارجليوث وجولد سيهر وبرنادر لويس.. الخ وقد حاولت هذه الخطة تحقيق عدة أهداف:

أولا: ابتكار فكرة «السامية» التى نسبت إليها كل أمجاد التاريخ العربى

القديمة قبل الاسلام وسلبه من أصحابه الحقيقيين وخاصة اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وابنائه واحفادة وأضافة هذا المجد الى مصـــدر غامض ليس له سند علمى ويستمد مصدوه الاساسى من التوراه التى كتبها اليهود بأيديهم وليست التوراه الحقيقية المنزلة على موسى عليه السلام ، وذلك بهدف اشراك اليهود مع العرب فى هذه الامجاد بينما لا يوجد لليهود أى اتصال بانشاء هذه الحضارة ويستتبع هذا الخطر ، ايجاد صلة مابين العربية والعبرية على النحو الذى حاوله الكتاب الذين كتبوا ما اسموه : « تاريخ اللغات السامية » وقاموا بتدريسه فى الجامعات وهم : اسرائيل ولفنسون ، وشاحت ، ثم الدكتور مراد كامل .

ثانيا : محاولة التشكيك فى رحلة ابراهيم عليه السلام الى الحجاز ، واقامة ابنه اسماعيل وزوجته هاجر بمكه ، وهذا يبدو واضحا من تجاهل التوراة لهذه الواقعة التاريخية ، ومحاولة اثارة الشبهات فيها وقد ردد الدكتور طة حسين هذا القول فى كتابة [فى الشعر الجاهلى] .

ثالثا : محاولة اعتبار (التوراة) مرجعا للبحث العلمى مع أن شهادات كل علماء الغرب تؤكد مانراه نحن المسلمرن من أن ان التوراة الموجودة الآن قد كتبها أحبار اليهود ، منها ما كتب أيام المملكه الاسرائلية ومنها ما كتب فى المنفى بين النهرين ومنها ما كتب قبـــل الميلاد بنحو ثلاثة قرون .

رابعا : محاولة خلق تصور زائف بأمر اليهود فى الجزيرة العربية وفى الادب العربى

خامسا : محاولة ايجاد ترابط بين العرب واليهود والقول بأنهما أبناء عمومة وذلك كلة يستهدف التمهيد للدعوة الى أقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

سادسا : أعلاء شأن (اسحق) على (اسماعيل) وهما أبنا ابراهيم عليه السلام وأكبرهما اسماعيل الذى هاجر به وأمه الى مكه والذى أقام معـــه القواعد من البيت الحرام والذى امتحن بذبحه وجاءة الفداء من السماء ، والهدف

هو أخراج ابناء اسماعيل من حقوق الوعد الذى تلقاه ابراهيم من ربه ، وقصر الوعـــد على أبناء اسحق واسرائيل تحت اسم اسطورة « شعب الله المختار »

هذه هى أطراف المؤامرة الخطيرة لتزييف تاريخ الاسلام جرى تعاميم دوائر المعارف وكتب التاريخ ومناهج المدارس والجامعات بهذه المفاهيم واستكتاب عشرات الكتب لبحوث متعددة متنوعة تدور حول هذه الشبهات لخلق أدلة مضللة لتثبيتها فى الاذهان .

وتكاد فكرة (السامية) أن يكون أخطر هذه الشبهات وأسوأ المحاولات التى اتخذت لتزييف تاريخ الابراهيمية الحنيفية: ذلك الأثر الضخم فى الجزيرة العربية والعرب جميعا منذ ذلك الوقت البعيد وعلى امتداده الى رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

وهى عبارة أو مصطلح لم يرد مطلقا فى كتابات العرب والمسلمين على مدى التاريخ ، وقد أستمدت أساسا من نص من نصوص التـــوراة المكتوبة بايدى الاحبار وفى ظل تقســـيم وهمى للاجناس البشرية مستمد من اسماء ابناء آدم ابى البشر : (سام وحام ويافث) وقد برز هذا المعنى فى ظل تقسيم مستحدث ظهر فى أوروبا أبان استعلاء نزعة العنصرية الاوروبية التى قسمت العالم إلى ساميين وآريين لتضع العرب والمسلمين فى قائمة موازية للجنس الآرى صانـــع الحضارة الذى وصف بكل صفات العبقرية والعظمة والاستعلاء على البشر ، وخضـــوع الاجناس الاخرى إليه . وكان هذا التنظير الذى ألبس ثوب العلم أنما يستهدف أعطـــاء الاستعمار (مبرراً) علميـــا لسيطرته على الامـــم المغلوبة الملونه غير الآرية الأوربية . غير أن المحاولة التى حاولت أن تضع عبارة السامى والسامية بديلا للعرب والعربية أو للابراهميه الحنيفية كانت محاولة ماكرة خطيرة استهدفت حجب أمجاد التاريخ القديم عن العرب وإلصاقها بأسم قديم لا يعرف التاريخ الصحيح له مصدرا واضحا والغربيون يعرفون أن التوراه الصحيحة مشكوك فيها ولذلك فإن الاعتماد عليها فى إقامة نظرية تعطى كل هذا القدر من التوسع والنمو والسيطرة فى دوائر الثقافة والعلم والجامعات هو أمر لا أساس له

من منهج العلم الصحيح . ولقد كانت اليهودية الصهيونية من وراء هذة النظرية في سبيل طمس التاريخ العربي السابق للاسلام وتزييفه بفرض دور وهمي لليهود في الحضارة وفي الجزيرة العربية قبل الإسلام وأحياء اللغة العبرية واعطائها رصيداً زائفا من الصلة باللغة العربية هو أكبر بكثير من حجمها الطبيعي . وفكرة السامية تدور حول القول بأن هناك أصلا واحدا مشتركا للعرب واليهود ومحاولة اعطاء العبريين أثرا ومكانه غير صحيحة في حضارات الشرق القديم .
وقد كان (شلوسر) هو أول كاتب غربي استعمل مصطلح السامية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر واعتمد في هذه التسمية على نص من التوراه وقد كانت الصهيونية وراء هذه الفكرة ومن ثم فقد اتسع نطاق هذه المقولة وأقام عليها الكتاب الموالون للصهيونية والاستعمار ما أطلق عليه اسم (علم الاجناس) ولغياب الفكر الإسلامي في هذه المرحلة فقد اتسع نطاق الفكرة الإسرائلية وسيطرت على مناهج الجامعات ودراسات الثقافة جميعا .
وفي كلية الآداب بالجامعة المصرية تقررت دراسات اللغات السامية لتمكين اللغة العبرية وقام على هذه الدراسات مستشرقون يهودفي مقدمتهم يوسف شاحت واسرائيل ولفنسون اللذان أخذا يخدعان شبان المسلمين بقولهم أن العربية ليست سوى عبرية مقلوبة ، وأن العرب انما اتخذوا أسمهم من (عربة) التي هي في العبرية بمعنى الصحراء ، وكان الهدف هو خلق مفهوم زائف للصلة بين العرب واليهود من ناحية وباعطاء اليهود مكانا زائفا في مجال الآداب والعلوم .

وقد كانت مؤامرة السامية هذه موضع إهتمام الباحثين العرب والمسلمين منذ وقت طويل فلم تفتهم تلك الخطه الماكرة التي استهدفت اعتبارها منهاجا من مناهج الدراسة الجامعية واعطاء شبهاتها صيغة المسلمات . وقد جاء ذلك في الوقت الذي حمّل فيه الدكتور طه حسين لواء الدعوة الى تجديد دراسه الادب وفق المناهج الحديثة والبحث في الشعر الجاهلي فقد كان الهدف من ذلك هو القول بأن اللغة العربية لم تكن لغة واحدة في الجزيرة العربية وان هناك لغة في الجنوب ولغة في الشمال وهي محاوله مضللة تستهدف التشكيك في وحدة اللغة العربية قبل الاسلام واثارة الشبهات حول نموها واتجاهها الى اتخاذ

مكانها الذى أهلها لتكون لغة القرآن ولسان الإسلام .

كذلك فإن الدكتور طـــه حسين قد هيأ لشاب يهودى استقدمه من فرنسا إعداد دراسات متعددة حـــول اليهود فى جزيرة العرب وتاريخ اللغات السامية ليحشد فيها كل تلك المخططات التى اعدتها الصهيونية لتزييف التاريخ الاسلامى وبذلك استطاعت الصهيونية العالمية أن تحمل نظريتها إلى قلب الفكر الإسلامى والأدب العربى لتضرب به ذلك المفهوم الأصيل الذى عرفه المسلمون واستوعبته اثارهم وتراثهم وقد عاش الدكتور طه حسين حياته كلها يحاول اقناع المسلمين والعرب بأن لليهود فضلا على أدبهم وتاريخهم وتراثهم ولقد عمل باكرا لتحقيق هذا الهدف حين أعلن عن ان وجود ابراهيم واسماعيل ليس حقيقة تاريخية وأن ورد ذلك فى القرآن .

وقد كذبته الحفريات الأثرية ومن عجب ان يؤمن طه حسين بالتوراه فى شأن السامية ويكفر بالقرآن فى شأن ابراهيم واسماعيل وقد دعا طه حسين فى محاضراته المتعددة المسجله فى مجلة الجامعة المصرية وغيرها الى ما أسماه فضـــل اليهود على الأدب العربى ، وأنهم قالوا شعراً فى الدين وهجاء العرب واثبت لهم سابقه فى الجاهلية ، ورهد ذلك اسرائيل ولفنسون فى كتابه (اليهود فى جزيرة العرب) الذى قدمه طه حسين بعبارات التمجيد ونقـــده الدكتور فؤاد حسنين نقدا علميا فى مقدمة كتابه الذى ترجمه عن الدكتورة سجريد هونكه (شمس الله تشرق على الغرب)

ولاريب أن الهدف هو طمس الرابطة بين الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله علية وسلم فى القرن السادس الميلادى وبين دعوة ابراهيم التى بدأت منـــذ ١٧٥٠ قبل الميلاد ، ذلك ان اقامة ابراهيم ابنه اسماعيل فى قلب الجزيرة العربيـة فى مكة وبناء الكعبة ، علامة جد. خطيرة فى تاريخ العرب وتاريخ العالم كلة ولها تأثيرها الواسع على النظرية الزائفة التى تدعو إليها الصهيونية العالمية ، ولقـــد تجاهلت التوراة المكتوبة بايدى الاحبار ذهاب ابراهيم عليه السلام الى الحجاز

وبناء البيت مع ابنه اسماعيل وقد عمد اليهود إلى طمس حقيقة وعد الله تبارك وتعالى لابراهيم فجعلوه قاصرا على اسحق ، وتجاهلوا ابنه الاكبر اسماعيل وحاولوا اخراجه واخراج ابنائه الاثنى عشر من حقوق الوعد الذى تلقاه ابراهيم من ربه . وابتكروا أكذوبة شعب الله المختار القاصر على ابناء اسرائيل والواقع ان تاريخ هذه المنطقة منذ عهد ابراهيم عليه السلام « ١٧٥٠ قبل الميلاد » هو تاريخ الحنيفية الابراهيمية العربية الذين أطلقتهم الجزيرة فى موجات متوالية امتدت من حدود الفرات الى المغرب وان فكرة السامية التى اصطنعها اليهود لحساب الصهيونية ورددها طه حسين وقررها للدراسة فى الجامعات تحت اسم اللغات السامية ، لم تكن شيئا معروفا لدى العلماء والباحثين العرب وغيرهم ولاتوجد أى أشارة اليها فى أى كتاب من الكتب أو حفرية من الحفريات أو الاسانيد المكتوبة على الأعمدة أو الاثار القديمة وان جزيرة العرب أخذت تسمى باسم العروبة الصحيحة فى كتب اليونان والرومان واسفار العهد القديم منذ الفين وخمسمائة سنة « أى منذ الف سنة » قبل الإسلام وتدل على هذا النقوش والمدونات القديمة وأن اللغة العربية هى اللغة التى تكلم بها سكان الجزيرة والنازحون منها منذ الف وخمسمائة سنة بقطع النظر عن تعدد لهجاتها أو بعدها قليلا أو كثيرا عن اللغة الفصحى .

ولا ريب أن هذا كله لا يغيب عن فطنة الدكتور محمد رجب البيومى الذى يجب أن يضع فى أعتباره هذا الدور الخطير الذى قام به الدكتور طه حسين

سقوط النبوءة الكاذبة

أن أى (دعوى) يطرحها قوم يريدون بها أن يبطلوا حقا أو يحقوا باطلا قد تقوم على (تركيب) يخطط له المزيفون ويصنعون له تاريخاً وركائز ويخفون من أجل إعلانه أشياء واقعة ويبدون أشياء زائفة .

وتقوم الدعاية على النفخ فى هذه الزيوف والأكاذيب حتى تصبح من المسلمات وتنخدع بها أجيال وأمم حتى يتحقق قيام هذه (الدعوى) ودخولهـــا دائرة التنفيذ والواقع ولكن لانها ليست الحق الذى هو جزء من سنن الله الصحيحة القائمة والمستمرة فانه لابد ان ينكشف زيفه ويظهر عواره ثم يسقط وقد يقوى بفعل الخطط المرسومة لتثبيته أعواما تصل إلى جيل أو جيلين ولكن البطلان لا يلبث أن يبرز واضحاً وقد تراخت الايدى التى ظلت تحجبه ،وعجزت القوى المبطلة التى ظلت تحميه فإذا هو زاهق .

«بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق» .

وقد عرف التاريخ البشرى عشرات من مؤامرات التزييف ومحاولات احقاق باطل وأبطال الحق بفعل القوى التى يملكها أهل الباطل ويعجز عن مواجهتها أهل الحق ولكن سرعان ما يتحقق وعد الله فيسقط هذا الباطل بعـــد أن ينكشف للناس أمره ، ويتعرى من كل المحاولات التى عملت على حمايته واذاعته .

ولا ريب أن [المخططات اليهودية الصهيونية التلمودية] التى بدأت عام ١٨٩٨ تمـــر الآن بهذه المرحلة : مرحلة انكشاف عوارها وفسادها وسقوط دعواها الزائفة مما يؤكد أننا فى مطالع القرن الرابع عشر الهجرى سوف نقف على عتبة (انكشاف الزيف) وسقوط القناع .

وأمامنا الآن مجموعة من الوثائق والأسانيد يمكن أن نعرضها مجتمعـــة

فتشكل لنا نواة هذا التيار الجديد المتوقع ولعلنا نذكر في هذا المجال عبارة قالها هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة يوما حين قال :

(لا يمكن لمن لا يستوعب الصهيونية على حقيقتها أن يتفهم عالمنا الذى نعيش فيه) .

وباسم الخداع والزيف والتمويه استطاع هرتزل وحاييم وايزمان وناحوم جولدمان وبن جوريون أن يطلقوا تلك العبارات التى استطاعت أن تخدع دول الغرب وان تحقق لهم السيطرة على أرض العرب والمسلمين من خلال نبوءة باطلة زيفها الاحبار فى بابل حين أعادوا كتابة التوراة ومحاولة مضللة لواقعة كاذبة وهى واقعة الادعاء بأن النازية قتلت منهم ستة ملايين ثم اتضح بعد ذلك أن هذه الملايين لم تكن الا مئات وأن المسألة جسمت وشوهت واعطيت هذا الحجم المضلل لتكون وسيلة لفتح باب الهجرة وخداع الناس وكسب عطف المضللين وحتى يستطيع شعب لفظته أوربا وكرهت مقامة بينها لم تكن له ارض منذ عام ١٣٢ ميلادية أن ينتزع شعبا آمنا من أرضة بقوة النار ووسائل العنف ليستولى عليها وليقيم دولة لا أساس لها من حقائق التاريخ ولا من وقع الكيان الاجتماعى الصحيح .

لقد كانت الأمور كلها داخلة فى باب (المؤامرة) اكثر منها فى باب (الدفاع) عن حق مسلوب ، والرسالة التى بعث بها كبير حاخامى اليهود فى القسطنطينية إلى يهود فرنسا سنة ١٤٨٩ م حين تعرضوا لاضطهاد لويس الثانى عشر تلقى الضوء على المخطط كله .

قال : انكم تذكرون أن ملك فرنسا يريد ان تصبحوا مسيحيين فعليكم اذن أن تفعلوا . انكم تذكرون أنهم يريدون الاستيلاء على ممتلكاتهم فاجعلوا من أبنائكم تجاراً وبواسطة التهريب تستطعون شيئا فشيئا الاستلاء على ممتلكاتكم . انكم تشكون من أنهم يحاولون اغتيالكم فاجعلوا من أبنائكم أطباء وصيادله حتى تتمكنوا من القضاء على حياتهم دون أن تخشوا عقابا ، انكم تؤكدون انهم

يهدمون معابدكم فحاولوا ان تجعلوا من ابنائكم كهنة ورجال دين لكي تدمروا كنائسهم .

هذا هو الخط الواضح الذى صارت علية اليهودية التلمودية منذ وقت بعيد وفى العصر الحديث تحت اسم الصهيونية نجد اليهودية العالمية تعلن أكذوبة وتخفى حقيقة ، تعلن أكذوبة الملايين الستة التى قتلتها النازية وتخفى حقيقة يهود الخزر الذين ليسوا من يهود التوراة ولا من بنى اسرائيل .

يقول بنيامين فريدمان فى جريدة الاجبشيان جازيت : ولسر خفى تمتاز مملكة الخزر بأن تاريخها محذوف من مراجع التاريخ الرسمية فى الولايات المتحدة ومن مقررات التاريخ فى المدارس والكليات .

ويفسر ذلك حين يقول : يريدون بذلك الا تشيع نسبتهم إلى أبائهم من الخزر فتسقط حقهم التاريخى فى فلسطين لان (الخـــزر) تهودوا فى العصور الوسطى ليس غير ، وصحة دعواهم تقتضى اتصال النسب بينهم وبين اليهود الاصلاء الذين كانوا على عهد عيسى علية السلام فى ربوع فلسطين ليصح ادعاؤهم بانهم شعب الله المختار وسلالته المصطفون .

ويقول الفرد لينتال الكاتب اليهودى غير الصهيونى : أن الفلسطينيين لهم حق أكبر فى العودة الى بلادهم من جوالها مائير التى يمكن أن تكون من نسل أناس تحولوا إلى اليهودية ولم يكن أى من جدودها الارض المقدسة من قبل على الاطلاق .

أما خرافة ابادة ستة ملايين يهودى فى الحرب العالمية الثانية فقـــد تكشفت حقائقها وظهر زيفها بغير واحد من الابحاث الجادة بدأها البروفسور بول راسينية ثم ظهر فى الشهور الأخيرة كتاب الدكتور ريجارد هازوود الباحث المتخصص فى شئون وقضايا الحرب العاليه الثانية بجامعة لندن تحـــت عنوان :
(هل أبيد ستة ملايين يهودى بالفعل)

يقول الدكتور حازم طالب مشتاق الذى ترجم البحث ملخصا أن المؤلف أثبت بالقرائن الراسخة والمعلومات الأكيدة والوقائع الدامغة ما استخلصه وقرره من نتائج جديدة مدهشة وحقائق مجهولة ومذهلة تعد نفيا تاماً المزاعم والروايات وللاوهام الرائجة عن هذا الموضوع والتى انطلت على جمهور كبير من العقلاء حينا طويلا من الدهر ولما كانت هذه الرسالة قد كشفت عن سابقة علمية فريدة ونادرة فى مواجهة الزيف والبطلان الصهيونى فقد ثارت ثائرة الصهيونية فى بريطانيا وقامت قيامتها على الكتاب والمؤلف والناشر ، وانتشر انتشار النار فى الهشيم ولم تفلح تلك الدعاوى فى الوقوف فى وجهه أو مصادرته ويقول الدكتور مشتاق أن البحث امتاز بالتجرد والموضوعية واتسم بالامانة الصارمة والشعور بالمسئوليه وامتنع كليا عن المداجاة والمجاراة والمداراة . ولقد قرر المؤلف بأنه قدم من القرائن ماقطع الشك باليقين وأثبت نهائياً أن المزاعم القائلة أن ستة ملايين يهودى قد لاقوا حتفهم فى الحرب العالمية الثانية من جراء سياسة ألمانية رسمية مقررة ومرسومة ومقصودة هى من الاباطيل المختلقة والاكاذيب المطلقة . قال : ان قتل ستة ملايين يهودى فى الحرب العالمية الثانية انقلبت إلى أسطورة نامية عاتية وخرافة مكررة مكبرة يوميا هى من أخطر وانجح الاساطير والخرافات التى انطلت على الانسان فى عصر العقول الالكترونية والاجهزة الحاسبة والأقمار الصناعية وأن الدعاية التى صنعت لهذه الخرافة قد وظفت توظيفاً ماهراً وبارعاً فى خدمة هدف سياسى معين كان تحقيقه متعذراً لولاها .

ان الطائفة اليهودية الاوربية والأمريكية والروسية الصغيرة الحجم والقليلة العدد نسبيا قد خرجت من الحرب العالمية الثانية وكأنها القوة الظافرة الاساسية والجهة المنتصرة الوحيده فى العالم فأمكنها أن تحقق الحلم الكبير الذى راودها طويلا فى الحصول على وطن قومى خاص واغتصبت التراب الفلسطينى وأسست الكيان الصهيونى ، واعتصرت عرق وجهد وكد المواطن الألمانى العادى الذى دفعت حكومته الخاضعة للنفوذ الصهيونى ، مبلغاً خيالياً من المال إلى الكيان الصهيونى فى شكل تعويضات عن أضرار وفظائع ومذابح مزعومة

وقعت فى خلال الحرب العالمية الثانية .

وفى سبيـــل دحض أكذوبة الستة ملايين أورد المؤلف عشرات النصوص والاحصـائيات منها قوله : لقد افادت (موسوعة جامبرز) بأن عـــدد اليهود الذين تواجدوا فى القارة الاوروبية قبل الحرب العالمية الثانية كان قد بلـــغ ٦ ر ٥٠٠ر٠٠٠ نسمة ولو أقتنعنا بخرافة الإبادة لكان معنى ذلك ان الجاليات اليهودية القاطنة فى الاقطار الاوربية برمتها محيت فعلا

وقـــد أعترف المؤتمر اليهودى العالمى بأنه قد نجحت الأغلبية الساحقة من الجاليـــة اليهودية القاطنة فى المانيا من مغادرة البلاد ولم يبق فى ألمانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا بعد شهر أيلول ١٩٣٩ م الا ٣٦٠ الف شخص يهودى فقط ولم يكن عدد اليهود فى أوروبا يزيد على ٣ ر ٤٥٠ ر ٠٠٠ أى أن أوربا كلها لم يكن بها الا ثلاثة ملايين يهودى .

ومن الواضح ان الالمان لم يكن بوسعهم أن يعتقـــلوا أو بالتالى أن يبيدوا ستة ملايين يهودى لأنه لم يتوفر لهم مثـــل هذا العدد من اليهود أبدا ولو أن السلطة الالمانية قد أقدمت بالفعل على أبادة نصف هذا الرقم المزعوم لكان ذلك يعنى أنها أبادت كل أفراد اليهود المتواجدين على قيد الحياة فى أوربا فى تلك الفترة . .

وأكد المؤلف انه لا توجد حتى ولا وثيقة رسمية واحدة تدين القيادة النازية او الحكومة الالمانية بانها قـــد نوت او نفذت سياسة ابادة اليهود بالجملة وان الوثائق التى سلمت من الدمار وظلت فى متنـاول الباحث والمؤرخ ؛ انها خالية على الاطلاق من أى اثر للابادة وقد أدى الغياب الكامل للبرهان الرسمى المكتوب الى أسلوب جديد من التعامل مع الوثائق التى سلمت من الدمار تتلخص فى أعادة تفسيرها بالاهواء والاحقاد والتلاعب بدلالاتها الصحيحة وألفاظها المحددة . واشار الى محاكمات نورمبرج فقال ان هيئـــة الادعاء العام لم تاخذ

باسباب الحق والعدل بل أخذت بدوافع الحقد والانتقام وان تسعين فى المائة من عضوية هذه المحكمة تالفت من شخصيات سادية حاقدة مدفوعة بالاهواء الشخصية والعنصرية والسياسية .

ومعنى هذا كله والذى دعانا إلى التوسع فيه أنه يسقط العلة الاساسية التى ظل يتشدق بها اليهود والإستعمار من أن الهجرة اليهودية من المانيا وأوربا إلى فلسطين انما جاءت نتيجة المؤامرة النازية باحراق وقتل ستة ملايين يهودى ويتبين الآن بطلان هذا الادعاء وأن عملية الهجرة كانت مصطنعة وزائفة وانها لم تقم فى الحقيقة على أساس من الدوافع الإنسانية أو التحديات الدموية .

أما دراسة البروفسور بول راسينية عن مسألة الابادة فقد سبقت هذا البحث ولما كان راسينية قد سجن فى معسكرات الاعتقال الالمانية فى الحرب العالمية وكان معاديا للنازيه فانه لايعقل اتهامة بالانحياز إلى هتلر أو الدفاع عن أيدلوجيه النازية وهو يقول : أن الرايخ الالمانى والنظام النازى والعهد الهتلرى قد أرتكب من الجرائم الرهيبة والأخطاء الفادحة ما يمكن ادانته بما فيه الكفايه فى محكمة التاريخ ولكنة لم يرتكب هذه الجريمة بالذات اطلاقا ، جريمة أبادة ستة ملايين يهودى فى الحرب العالمية الثانية .

ونحن نرى أن الخدعة كانت موجهة الى العرب والمؤامرة كانت تستهدف تبرير الهجره والسيطرة على فلسطين وقد سقطت هذه الدعوى اليوم سقوطا واضحا .

* * *

ونرى اليوم من الكتاب اليهود أنفسهم من يكشف زيف الصهيونية ويسقط دعواها الزائفة وأمامنا ثلاث وثائق :

(الاولى) : كتاب ارثر كوستار الذى صدر أخيرا تحت عنوان (أصول اليهود) والمؤلف يهودى بلغارى . أثبت بطلان الدعوى الاساسية التى تقوم عليها

عليها الصهيونية العنصرية وهى التى تدعى أن كل من يدينون بدين موسى عليه السلام يرجعون الى أصل عنصرى واحد وقد أعلن المؤلف أن يهود الاشكناز وهم أهل السيادة فى المجتمع الصهيونى وزعماته المسيطرون ليسوا ساميين أى ليسوا من ذريه سيدنا ابراهيم عليه السلام وأنهم يرجعون إلى أصل أسيوى فهم أصلا من الخزر بين البحر الاسود وبحر قزوين وأنهم كانوا وثنيين واعتنقوا الديانة اليهودية فى القرون الوسطى ثم رحلوا إلى مناطق بولندا وليتوانيا فى أوربا الشرقية .

وقد وجد المؤلف فى قراءاته للتاريخ وتحقيقاته أن الخزر قد اختفوا فجأة فى منطقتهم تلك فى نفس الوقت الذى ظهرت فيه كثرة من اليهود الاشكيناز فى شرق أوربا محتفظين بزيهم الخزرى (القفطان والطاقية) ويستغرب المؤلف قصة تبنى الاشكيناز رفع لواء الدفاع عن الساميين وهم ليسوا ساميين بالمرة ويشك فى أن يكونوا هم أول من مارس عداء السامية واخترعوه . .

ثم يقول : أن الادعاء بان اليهود اليوم يمثلون عنصرا هو كلام باطل فما هم إلا قوم لا تجمعهم حضارة أو ثقافة واحدة ولكن مجرد عادات وتقاليد تكونت لديهم من تراث المجتمعات التى نشأوا فيها .

ويقول أن الحقيقة التى ينبغى عدم تجاهلها أن قليلا جدا من اليهود من يمارسون طقوس الديانة وفى غالبيتهم ثائرون ناقمون على هذه التقاليد العفنة السحيقة

ويقول : أن حل مشكلة اليهود فى العالم لن يكون إلا بأن يذوبوا فى المجتمعات التى نشأوا فيها وأن ينسوا إلى الابد أفكارهم البالية القائلة بأن عليهم يؤدونها . انما هم بشر عاديون لهم ما للناس وعليهم ما عليهم وان يستريح العالم من أخطار الهموم السوداء النازعة إلى الشر والاذى وحب الذات والشعور بالامتياز العنصرى إلا إذا اهتدى اليهود الى العقل والذوبان فى المجتمع البشرى بعد أن تحقق لهم أنهم لا ينتمون أطلاقا الى أصل واحد .

ثانيا : "الفريد لينتال الكاتب اليهودى فى كتابه (يا يهود العالم اتحدوا ضد الصهيونية)

وفى هذا الكتاب يدعو اسرائيل أن تتخلى عن طابعها الصهيونى ويقول أن المنظمات اليهودية المناهضة للصهيونية تتجمع من جديد لاقناع الكونجرس بأنه ليس كل اليهود من الصهيونيين وأن من مصلحة الشعب الاسرائيلى أن يقف ضد المؤسسة الاسرائيلية بأن يعيد الاراضى التى أحتلت ١٩٦٧ وأن يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينيين .

ثالثا : أعلن روجيه جارودى أخيراً : أن الصهيونيه هى الد أعداء اليهود الاسرائيليين لانها جعلتهم يعيشون فى حرب مستمرة وأن الحل الوحيد للنزاع القائم فى الشرق الاوسط يتمثل فى التخلى عن الايدلوجيه الصهيونية التى تنطوى على اتجاه متعصب ومفاهيم استعمارية تحتقر الاخرين وتاريخهم وثقافتهم والاخرون هنا هم الفلسطنيون وقال انه اذا كان هتلر قد اضطهد اليهود فانه لا يتعين على الفلسطينيين أن يتحملوا مسئولية ذلك على الاطلاق ولا ينبغى أن يدفعوا ثمن الجرائم العنصريه التى ارتكبها هتلر .

* * *

وبعد فان هذه الوثائق والابحاث التى تتحرك اليوم فى أفاق العالم الاسلامى انما تمثل تحولا خطيرا فى مجريات البحث والنظر بالنسبة للصهيونية ومخططاتها الزائفة ومؤامراتها المبيتة التى تكشفت حلقة بعد حلقة والتى تبدو الان وهى فى العزاء خادعة مبطلة لكل من استطاعت أن تحتوية سواء أكان ذلك من ساسة الغرب أو من اليهود أنفسهم وان هذه السنوات القليلة بعد حرب رمضان قد استطاعت أن تمكن الباحثين من اعادة النظر فى كثير من تلك المسلمات التى طرحها اليهود والصهيونيه فى أفق الفكر العربى وخاصة مايتصل بأسطورة الشعب المختار ، ودولة الخزر ، والخلافة الاسلامية ، وسقوط الامبراطورية الروسية والدولة العثمانية ومايتصل بالثورة الفرنسية وفى أفق الفكر الاسلامى والعالم الاسلامى تكشف كثير من الزيوف والاكاذيب والشبهات التى طرحتها الصهيونية بالسيطرة على دوائر المعارف ومناهج الجامعات وخاصة فيما يتعلق بعلاقة ابراهيم واسماعيل

بالجزيرة العربية وبناء الكعبة فى مكة المكرمة ، وقضية اللغات السامية والجنس السامى (وقد كشفنا زيف **ذلك** فى أبحاثنا السابقة)

أن سقوط هذه الدعاوى الزائفة وانكشاف هذه الحقائق التى حرص دعاة الصهيونية على أخفائها وحجبها وانفجار الموقف بين اليهود والغرب وبين اليهود وأنفسهم ، **كل** هذا دليل على أن الباطل لايستطيع أن يثبت مع وجود الحق وأن جوله الكلمة التى تحق الحق ، وتدحض الباطل انما هى بمثابة المقدمة الحقيقية لسقوط أركان البناء الذى قام خداعا وظلما وغصبا .

ولعل هذا هو المنطلق الحقيقى للمسلمين على مشارف القرن الخامس عشر الهجرى وأن حلول دورة المؤامرة الصهيونية لن يكون الا بمثابة اعلان الهزيمة للوجود الزائف الذى قام على أساس نبؤة باطلة وواقعة كاذبة ووجود زائف لا يستطيع أن يثبت يوما الحياة بذاته أو قوته الحقيقية حتى بعد مرور ثلاثين عاما أو يزيد .

(٩)

الكشوف الأثرية

منذ أوائل العصر الحديث بدأت حركة التنقيب عن الآثار فى البلاد العربية ورافقت هذه الحركة مطامع الاستعمار، وإن حاولت أن تختفى لنفسها بطابع علمى خالص يجعلها بعيداً عن المظنة والشبهة. وقد أتسع نطاق هذا العمل فى السنوات الأولى من هذا القرن فى مختلف أجزاء البلاد العربية وخاصة فى بادية الشام، وفيما يتصل بالمنطقة الواقعة بين سورياً والعراق وجنوباً إلى فلسطين ومنها إلى أجزاء كثيرة من سيناء، ميممة نحو صحراء النفود، والمعروف أن كلمة جزيرة العرب فى التاريخ القديم إنما تعنى فى الاصطلاح بادية العراق وبادية الشام والركن الجنوبى من اليمن بالإضافة إلى قلب الجزيرة.

* * *

ويمكن القول: أن أعمال الكشوف الأثرية — باستثناء ما قام به بعض العلماء المخلصين — كانت تستهدف أكثر من غاية:

أولا — غاية التفرقة الاقليمية والبعد عن الإسلام والعروبة.

وهى العمل على دعم الاقليمية لكل قطر، والاستعلاء بآثاره الخاصة، ومن هنا علت الصيحات إزاء الحفريات التى كشفت عن حضارات البابليين والإشوريين والكلدانيين والفينيقيين والفراعنة.

وكان الاهتمام فى العراق وسوريا ولبنان ومصر يرد كل قطر منها إلى حضارته القديمة السابقة للاسلام، وأخذت الصحافة الحيط، واحتشد الكتاب الذين أخذوا يفحصون هذه الآثار فى محاولة اكتشاف اللغة والتراث والتقاليد

الإجتماعية وكل علامات ودعائم الحضارة القديمة ، فى محاولة لوصل حاضر البلاد بها .

وكان ذلك « على حد تعبير الدكتور محمد محمد حسين : "عملا على توهين الوحدة الفكرية الإسلامية ورابطة الإمة العربية وإعطاء الأوطان قداسة مستمدة من أحياء التاريخ القديم لكل قطر من هذه الاقطار .

وكان هذا الاتجاه الجارف قد بدأ فى مصر عام ١٩٢٣ م بظهور توت عنخ أمون ، حيث بدأت صيحة الدعوة الفرعونية بلغتها وتراثها تعلو ، وقد حمل لواءه عدد كبير من الأسماء الصحفية والأدبية اللامعة ، ونوهت الصحافة بهذا الاتجاه ، وحدث مثل هذا للفينيقية والاشورية والبربرية فى البلاد العربية الاخرى .

ثانيا : الغاية الصهيونية

غير أن هناك غاية كبرى ذات أهمية بعيدة المدى ، وهى محاولة الصهيونية السيطرة على هذه الحفريات والآثار . وكان هدف الصهيونية من السيطرة على الإبحاث التى أجريت فى بادية الشام ، وفى هذه المناطق المختلفة , هو إيجاد أدلة أو خيوط تؤكد الهدف المسبق الذى يدعون إليه : وهو ما أطلق عليه الوعد الذى أعطى اليهود بالعودة إلى أرض فلسطين ، والعمل على طمس كل ما من شأنه أن يتعارض معه . ولذلك كان الصهيونية نفوذ كبير فى توجيه البحث حول الآثار المكتشفه فى بادية الشام ، بل إن بعض خبرائهم حاول الذهاب إلى الحجاز بحثا عن آثار اليهود فى خيبر وتبوك لولا يقظة المختصين .

ثالثاً : إنكار الحضارات العربية القديمة ووصفها بأنها « سامية » وإبراز دور اليهود !

وتشير المقتطف فى عام ١٩٢٠م إلى أن تاريخ سوريا قد قسم إلى ثلاث مراحل وأن ثلاثة من المستشرقين قد أخذ كل منهم على نفسه كتابة قسم منها ، وهى :

العهد الآرامى والفنيقى « سبستيان رونزفال »

العهد اليونانى والرومانى « لويس جلبرت »

العهد العربى (هنرى لامانس)

وقد حاولت هذه الحفريات والعاملون فيها إثارة شبهات متعددة أهمها :

١ — وصف التاريخ العربى بأنه (تاريخ الساميين وحضارتهم وذلك حتى يكون الاتجاه واضحا فيما يتعلق بإبراز دور اليهود . والمعروف أن أول من أطلق كلمة الساميين على العرب هو مستشرق يهودى

٢ — ظهر أن كل الباحثين والأثريين يبدأون أبحاثهم بالتوراة . ويهدفون غرضاً واحداً هو إبراز دور اليهود وإنكار دور العرب وتاريخهم .

٣ — الحفريات حول فلسطين قصد بها إيجاد خيوط من شأنها أن تعين الصهيونية على دعواها الزائفة .

٤ — إعلان الخصومة على العرب ، وعلى الأنباط ، وعلى الكنعانيين ، وكلها تمثل التراث العربى الإبراهيمى القديم .

وقد جرى ذلك كله وفقا لخطة مدروسة أشار إليها « هاملتون جب » فى كتاب وجهة العالم الإسلامى حين قال : إن أهم مظاهر تغريب العالم الإسلامى هى تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التى ازدهرت فى البلاد المختلفة التى يشغلها المسلمون الآن ، وإنه من الممكن لهذا العمل أن يلعب فى المستقبل دوراً هاماً فى تنمية الشعوبية وتدعيم مقوماتها .

رد الفعل المباشر

أما بالنسبة لمحاولة إدخال مفاهيم جديدة لإقامة إقليميات متعصبة الماضى

السابق للاسلام ، فان ذلك قد فشل فشلا تاماً عندما جوبهت هذه الشبهات المطروحة بالحقائق التاريخية . ذلك أن الأبحاث العلميه قد أثبتت أن كل هذه المسميات من فرعونية وفينيقية وآشوريه وبابلية وبربرية ، إنما هى موجات عربية خرجت من الجزيرة العربيه وانداحت على طول البلاد وعرضها ، وإما ما يتصل باللغات الأكادية والفرعونية وغيرها ، فان الصلة بينها وبين اللغة العربية واضحة وضوحا يؤكد وحدة الأصل بينها جميعا .

وبذلك إنهارت كل محاولات الدعوة إلى اتخاذ هذه الظاهرات التاريخية كحضارات أو ثقافات جديدة .

ولقد أعلن كثير من الباحثين وفى مقدمتهم الدكتور محمد حسين هيكل أنه بالرغم من كل الجهود التى بذلك فان خيطاً واحداً لم يمكن وصله مع الحضارة الفرعونية ، لا من ناحية اللغة أو التراث أو الحضارة وأنه لم يوجد اى أثر فكرى حى يمكن أن تقوم معه نهضة فكرية جديدة على أساس الفرعونية .

بل ان الدكتور هيكل لم يلبث أن أعلن ان تجربته كلها كانت فاشلة ، وأن الحب الذى كان يضعه فى الأرض لم ينبت ، وانه وصل بذلك الى مفهوم ، واضح هو أنه ليس سوى الحضارة الإسلامية وسيلة لتجديد بناء هذه الامة (١)

١ — كذلك كشفت هذه الحفريات على الرغم من كل ما أحيطت به من محاولات للتأثير فى الحقائق التاريخية عن حضارة قديمة باذخة وبذلك كذب الواقع ماحاول ادعاءه المستشرقون من أن العرب لم يكن لهم تاريخ أو حضارة قبل الاسلام ، وأنهم كانوا تابعين للحضارات الرومانية وغيرها كذلك أثبتت الحفريات فساد كثير مما اورده اليهود فى كتبهم ، وماحاولوا الادعاء به .

---

(١) راجع مقدمة كتاب « فى منزل الوحى » الدكتور محمد حسين هيكل

٢ — كانت هذه الكشوف الأثرية مصدقة الحقائق القرآنية التى أشار إليها القرآن فى اكثر من موضع ، عن إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وسد مأرب ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذى الأوتاد ، كما أبرزت ما كانت الأمم تنحت فى الجبال من بيوت وقصور . وهى التى أشار إليها القرآن فى دعوته المسلمين والناس جميعا إلى التماس العبرة منها ، وما أشار إليها فى قوله « وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل »

وبذلك وضع القرآن البشرية أمام تلك الحقيقة الإلهية الكبرى والقانون الثابت الذى لا يتغير ولا يتبدل ، « سنه الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » وهى أن الأمم التى تنحرف عن الحق ، وتسرف فى الظلم والترف تلقى مصيرها وتزول .

٣ — كذلك كشفت الحفريات عن تصديق كامل لما أورده مؤرخو الإسلام وقد أشار الدكتور احمد فخرى فى بحوثه عن الكشوف التى قام بها فى اليمن أنها كانت مطابقة تماما لما أورده الهمذانى فى كتاب (الإكليل) الذى ألفه فى أوائل القرن الرابع الهجرى

٤ — كشفت الحفريات عن أن المنطقة بين شرق سوريا ونهر الفرات تبلغ مساحتها أكثر من عشرين ألف ميل مربع كانت مزدحمة بالسكان أكثر من أى بقعة تساويها فى انجلترا والولايات المتحدة وقد دلت النقوش والكتابات أن سكانها كانوا من أصل عربى صرف حتى أيام فتوح الإسكندر وخلفائه فى القرن الرابع قبل المسيح .

وفى الفترة ما بين أواسط القرن الأول قبل المسيح ، وأوائل القرن الثانى المسيح انتقلت البلاد انتقالا بطيئاً على أيدى الرومان ، واندمجت فى امبراطوريتهم باسم ولايات سوريا والعربية وفلسطين . وعند اتخاذ الدولة الرومانية المسيحية ديناً فى القرن الرابع المسيحى انتقلت البلاد كلها إلى الامبراطورية الشرقية . وقد أصبح أهلها يتكلمون لهجتين من اللغة الآرامية وهما : اللهجة السريانية فى الشمال

والهجة النبطيه فى الجنوب.

كذلك أشارت هذه الحفريات إلى وجود مملكة النبط العربية فى أقصى جنوب صحراء سوريا أو باديه الشام ، وهى الدولة التى كونها أبناء أسماعيل عليه السلام ومن ناحيه أخرى أشارت الكشوف والحفريات الأثريه بجزيره فيلكا لساحل الكويت إلى رمـــوز كتابية وكتابات مسماريه تشرح حضارات الخليج وهياكل وأثار عديدة من الألف الثالث قبل الميلاد وكشفت عن بقايا حضارة ازدهرت وعاصرت غيرها من الحضارات قبل الإسلام ، وكان لها طابع الخاص .

وهذا كله يعنى تكذيبا قاطعاً للشبهات التى أثارتها الصهيونية فى دعواها الخاصة بالوعد الذى تدعى أنه خاص باليهود .

الحنيفية السمحاء

الحنيفيه هى دين إبراهيم عليه السلام حامل لواء دعـــوة التوحيد ، وأبى الأنبياء الذى خرج من صلبه اسماعيل فقد ولد له من السيدة هاجر المصريه ، وقد حمله ووالدته إلى أرض مكة حيث أقام هناك وأنشأ أمة جديده كان لها بعد ذلك التاريخ أثر كبير ، حيث انتشر أبناء اسماعيل فى الأرض وامتـــدوا حتى حدود فلسطين ، أما إسحق فقد ولد له يعقوب الذى أطلق عليه « اسرائيل » ومنه خرج الاسباط ومن بينهم يوسف ثم موسى ، وخرج أنبياء بنى إسرائيل

وتقول الأخبار : إن سيدنا إبراهيم عليه السلام ولد بعد الطوفان بثلاثة وستين ومائتين وألف سنة ، وإنه ولد فى العراق ، وسافر إلى فلسطين ثم مصر ، وهو الذى بنى الكعبة مع إبنه إسماعيـــل « وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل » « ١٢٧/٢ »

وقد أعلن القرآن أن إبراهيم ما كان يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفا

مسلماً . وفى نطاق هذه المنطقة التى عاش فيها ابراهيم من العراق إلى الشام إلى مصر إلى الجزيرة العربيه نشأت ذريته وتكاثرت من أبناء إسماعيل وإسحق . وكانت رسالات السماء الكبرى فى ذريته : موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام .

وقد أعلن القرآن أن رسالة الإسلام التى جاء بها محمد صلى الله علية وسلم مرتبطة برسالة إبراهيم ومتممة لها ، وأن المسلمين يؤمنون بما أنزل على هـؤلاء الأنبياء جميعا، وإن محمداً صلى الله علية وسلم هو دعوة إبراهيم عليه السلام ، وأن الإسلام هو الدين الذى أوحاه الله للبشرية : (شرع لكم من الدين ماوصى بـه نوحاً والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيمـوا الدين ولاتتفرقوا فيه) .

ومن هنا فان هذه الحضارة التى نشأت فى هذة المنطقة كلها ، وكانت جزيرة العرب مهادها كما ذكرنا من قبل ، فى هذه الفترة تمتد إلى حدود الفرات شرقا والشام غربا هذه الحضارة التى قادتها النبوات المتوالية ورسالات السماء هى كلها مما يسمى ميراث إبراهيم عليه السلام ؛ بل إن كل ما وجد فى شمائل العرب وأخلاقهم من شهامة وكرم وأريحية إنما مصدره الدين الحق الذى جاء بـه إبراهيم ، وان كل ما تبقى من عـلامات الخـير كان من بقايا هذا الدين . الذى أصابه بعـد ذلك التحريف ، وأدخلت اليه الوثنية ، وعبادة الأصنام ، والشمس والنجوم وغيرها ، ولقد كان حتى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من الحنفاء على دين إبراهـيم ، ومن هنا تصدق عبارة القرآن بامامة سيدنا إبراهيم والصالحين من ذريته وأهله فى امتلاك هـذه المنطقة الواسعة الشاسعة التى يسيطر عليها الإسلام اليوم ؛ ويعيش فيها أصحاب الأديان جميعاً فى أمن وطمأنينة وسلام

وهذا كله يكشف زيف التحريف الذى أورده عزرا ، وأخذت به الصهيونية فى العصر الحديث فيما يتصل بأن الوعـد خاص باليهود وحدهم ، بأعتبارهم ورثة سيدنا إسحق، وما تـكشف عنه النصوص من انكارهم إسماعيل ورحلة إبراهيم إلى مكة وبنائهما البيت الحرام

ويجمع أغلب الباحثين على ان الحنيفية هى : «العروبة » وأنها تضم الآشورية والبابلية والفينيقية والآرامية والكنعانية ، وأنها كلها خيوط من الأصل الأول وهو الحنيفية الإبراهيمية التى كانت مصدر هـــذه الشعوب المهاجرة من قلب الجزيرة العربية إلى أطرافها ، وأن هـــذه هى الأمة الوسط المختارة لحمل أمانة الدين المنزل بالحق فى موقعها الدقيق المتوسط بين العالمين .

العروبة لا السامية

ومن هنا تجمع المصادر الحديثة فى الدراسات الإسلامية والعربية على أن كلمة (العروبة) أصدق تعبيراً من كلمة (السامية) التى لم تكن فى حقيقتها إلا مصطلحاً لغويا يتصل بالفارق بين اللغات الساميه واللغات الآرية .

ويؤكد الدكتور عمر فروخ أن الإسلام هو الذى جعل الكلمة (عرب) هذا المقام فى شعور الجماعة وإن كان قد نهى فى نفس الوقت عن أن يكون هذا الشعور عاملا مفرقا بين صفوف الأمة التى وحدها الإسلام .

ولا ريب أن هـذا كله يصل بنا إلى التعرف على النتائج التى كشفت عنها الحفريات الأثرية فى السنوات الأخـــيرة ومدى مطابقتها لحقائق القرآن ، ومعارضتها للأساطير التى اعتمدت عليها الصهيونية .

القرآن المصدر الأساسى للتاريخ القديم

آن الأوان لأن يعلن العلماء المسلمون فى مؤتمر عالمى يوم الحج الأكبر أن القرآن هو :

المصدر الاساسى للتاريخ القديم ومنطلق البحث العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية .

ولقد مضى وقت طويل منذ تكشف للعلمــــاء فى الغرب والشرق ، وخاصة علماء التجريب والعلوم الإنسانية أن المصادر التى أعتمدوا عليها منذ وقت بعيد فى سبيل طرح نظرياتهم وفروضهم قد ثبت زيفها وبطلانها. أثبتت ذلك الكشوف الأثرية والحقائق العلمية المتوالية المتعددة التى صححت كثيراً من تلك المسلمات التى فرضت على الفكر البشرى منــــذ أول حركة النهضة وكان أخطرها اتخاذ « التوراه » المكتوبة بأيدى الأحبار فى منفى بابل بما تحمله من أساطير وخرافات قديمة نقلت عن البابليين واليونانيين وغيرهم - على أنها منطلق لعديد من الأبحاث.

ولقد كشفت البحوث العلمية التجريبية منذ أكثر من ثلاثة قرون معارضتها لما جاء فى الكتب القديمة من نظرات عن الكون والحياة فوق الارض وأحداث البشرية وخلق الإنسان والحضارات القديمة. وكانت الأبحاث التجريبية قد كشفت من خطأ تلك الأرقام والوقائع منذ أول عصر النهضة بحيث كانت هذه الحقائق مناقضة لتلك النصوص الدينية وقد أحتدم الخلاف احتداما بالغا على أثر ذلك بين رجال العلم ورجال الدين .

كذلك فقد كشفت الحفريات الأثرية حقائق أخرى حول الأنبياء والرسل وخاصة منذ عصر ابراهيم عليه السلام وفى هذه المنطقة التى تحرك فيها العراق إلى الشام إلى مصر إلى الجزيرة العربية وحيث انتشرت ذريته من النبيين: اسماعيل وأسحق ، كشفت هذه الحفريات كثيرا من أخطاء تلك الكتب القديمة التى كتبت فى الأغلب وفق هو خاص وفى محاولة خاصة لإعطاء جماعة معينة وضعا خاصا من أحداث التاريخ .

وأعلن أن عيسى عليه السلام نبى الله ورسوله لم يقتل ولم يصلب ولكن رفعه الله إليه وأنه حمل لواء الدعوة إلى توحيد الله ولم يدع الألوهية وأنه برىء من التثليث ، كذلك أنكر القرآن أكبر قضية هى موضع التحدى الشديد للمجتمعات الغربية كلها وهى مسألة « الخطيئة » الأصلية التى قيل أن عيسى عليه السلام جاء ليكفر عنها وهى ما نسب إلى آدم عليه السلام من خطيئة أستدعت نزوله من الجنة إلى الأرض ولقد أفاض القرآن الكريم فى كشف حقيقة هذه الخطيئة وأبان أن آدم أخطأ ولكنه تاب إلى الله وأستغفر وإن الله غفر له .

« فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » .

وإنه ليس من شأن خطيئة أى إنسان أن تصيب انسانا آخر ، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ومن ثم فلا خطيئة هناك عامة ولا أصلية وليس للبشر صلة ما بأمر آدم هذا وليس عليهم أى جريرة منه أو مسئولية عنه .

واليوم تتكشف دلائل كثيرة وجديدة حول « حقائق القرآن » الثابتة التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وفى كل يوم نرى باحثا جديدا قد أبرز دليلا علميا على حقيقة قرآنية سواء فى مجال الطب أو العلوم أو علوم الحيوان أو الفلك ، وآخر هذه الدلائل تلك الأبحاث التى أجريت على جثمان فرعون فى المتحف المصرى بالقاهرة حيث أدخلت الآلات الحديثة إلى قلب الجثمان وكشفت عن وجود كسور ورضوض فى مناطق كثيرة منه دلت هذه الأبحاث على أنه مات غريقا وذلك مصداق قول الله تعالى :

(فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية) .

كذلك كشف القرآن عن زيف النظرية التى صنعها التلموديون ووقع فيها بعض كتاب الإسلام من القول بأن البشرية كانت وثنية ثم وحدت وهى نظرية ماكس موار اليهودى ، فالقرآن يؤكد أن البشرية كانت موحدة منذ اليوم الأول وإن البشرى الأول آدم عليه السلام كان موحدا وأن العصور المختلفة للبشرية واجهت موجات من التوحيد ثم موجات من الوثنية ، وإن رسل الله تبارك وتعالى

كانت تنزل تترى على فترة من الرسل وفى مختلف جماعات البشرية لدعوتهم إلى الله الواحد القهار .

واليوم وقد جاءت كشوف الباحثين وعلماء الآثار والنباتات القديمة وعلم السلالات وأصول الشعوب والتى أجريت خلال أكثر من قرن من الزمان هذه الكشوف جاءت مؤكدة لحقائق القرآن ناقضة ومزيفة لما ورد فى تلك الكتب القديمة ، فقد أثبتت أن ما جاء فى القرآن هو من عند الله حقـــا وإن ماجاء فى التوراه وغيرها هو من أساطير الاولين التى جمعوها بعد أن رفعت التوراة المـــنزلة .

هذا هو منطلق البحث : كيف يمكن أن تظل التوراة منطلقا للبحث بعد أن ثبت فسادها وزيف العلم التجريبى والكشوف الأثرية ما أوردته من نظريات عن بدء الخليقة ومن تاريخ الامم وقد تأكد لكثير من العلماء أن التوراة مصدر زائف بشرى ليس ما جاء به إلا مجموعة كلام لرواة سذج عاشوا فى البادية لايعرفون شيئا من حقائق الأديان الكبرى التى جاءت بها رسالات السماء وإن هذه الروايات والأساطير قد صادفت هوى فى نفس الجماعة المضطهدة المنفية وراء أسوار بابل والتى أحست بأنها فقدت وجودها وحاولت عن طريق ذلك أن تتحدى الواقع بتزييف ماض تكذبه كل الوقائع والحقائق ، لبناء مستقبل على أساس الاساطير .

لقد كشف القرآن عن « الحنيفية » التى أقامها ابراهيم وأعتبرها مدخلا إلى العصر كله من ابراهيم إلى محمد وكشف القرآن عن أن ما قبل الإسلام كان مقدمة له وإن الإسلام جاء ليظهره الله على الدين كله وإن القرآن نزل ليكون مهيمنا على الكتب والشرائع كلها وإن الكتب السماوية والاولى قد وكل حفظها إلى الذين نزلت إليهم فتهاونوا فى أمرها ولم يحفظوها ولكن القرآن جاء محفوظا من عند الله (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لــــه لحافظون) وبذلك سلم وسيظل سليما من التحريف حتى يرث الله الارض ومن عليها ، كذلك كشف القرآن حقيقة دين

عيسى عليه السلام وأنه دين مكمل لرسالة موسى وليس ديناً مستقلا بنفسه وان عيسى عليه السلام ليس الا عبداً من عباد الله أنعم الله عليه وجعله مثلا لبنى اسرائيل .

وكذب القرآن دعاوى المفسرين النصارى وخاصة فى شأن الصلب والتثليث والخطيئة فنفاها جميعاً وأبان بالدليل والبرهان كذبها .

ولقد جاء القرآن الكريم منذ نزل نصا موثقا محفوظا لم يصبه أى تحريف أو تغيير منذ أنزل من عند الله على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وسجل آية فآية ، ونقل إلى المصاحف ثم إلى المصحف الامام ، هذا القرآن جاء شهادة تامة على أمور كثيرة منها ذلك التاريخ القديم السابق له منذ بدء خلق السموات والأرض ومنذ بدء البشرية وخلق آدم عليه السلام حتى بعثه محمد صلى الله عليه وسلم وهو فى ذاته ليس كتاب تاريخ ، ولكنه سجل كامل للاحداث الكبرى والمواقف العظمى وخاصة بالنسبة لرسالات الأنبياء وموقف البشر منها على مدى القرون والادهار .

فإذا نظرنا اليوم إلى منجزات العلم الحديث وإلى كشوف الحفريات التاريخية وجدنا أن هذه كلها تطابق ما جاء فى القرآن ولا تتعارض معه ، بينما تعارضت الكتب القديمة مع حقائق العلم والكشوف الأثرية ، ويرجع هذا إلى أن القرآن جاء من عند الله فهو حق كله ، وأن هذه الكتب وضعها البشر وكتبوها بأيديهم وجمعوا فيها بعض ما هو ربانى المصدر مما جاء فى الكتب المنزلة وبعض ما هو بشرى من أساطير الأولين وهى فى ذاتها أهواء وأوهام وخرافات سواء فى إحصائها للزمن أو تصويرها للوقائع .

ويمكن أن يقال أن أخطر ما يتصل بهذه المحاولة التى ضمتها الكتب القديمة هى : محاولة تصور أمة معينة لها عرق يستعلى على الأمم ويحاول أن يفرض وجوده على البشرية ، وكلت إليه رسالة النبوة فحرفها فى سبيل الحصول على كسب خاص على أساس العنصرية . ومن ثم فقد أقام منطق الأحداث كله على

هذا الطريق ومن ثم كانت موافقة مع أنبياء بنى اسرائيل أنفسهم ، ومن الأمم المختلفة التى إتصلوا بها .

ولعل أخطر محاولات التزييف التى فرضت على التوراه هى : أفساد الصورة الكاملة لنبوة ابراهيم عليه السلام وميراث أبنائه أسماعيل واسحق ، ورحلته إلى مكة وبنائه بيت الله الكعبة الحرام مع أسماعيل بها وهذه هى القضية التى عمدت محاولات التزييف حجبها وحجب آثارها ونتائجها ، وذلك بخلق ما أطلق عليه مصطلح (السامية) نسبة إلى سام بن نوح . وهو الإسم الذى ذكرته التوراه ولم يذكره القرآن وكان الهدف هو انكار نسبة تلك الحضارة العظيمة والآثار الكبرى التى أحدثتها « الحنيفيه السمحاء » التى حمل لواءها ابراهيم عليه السلام واسماعيل وأعلائها بنسبتها إلى أسم مجهل غير معروف هو سام .

كذلك فأن عشرات الحقائق العلمية تظهر اليوم لتقرر أن الاسلام هو الذى أنشأ المنهج العلمى التجريبى وأن القرآن هو منطلق هذا المنهج الذى فتح للبشرية طريق الحضارة العلمية المادية الحاضرة ، وكذلك كشفت عشرات القوانين التى أنشأها العلماء فى الغرب ورفعت الظلام عن كثير من الناس ، أنها فى مصدرها الأساسى من أصول الشريعة الاسلامية وأن مصدرها الأول هو القرآن . وتبين للناس فى عشرات من الدراسات والأبحاث فى مجال التربية والتاريخ والاجتماع والاقتصاد أن مصدرها ما كتبه أبن خلدون وأبن القيم وأبن تيمية والغزالى وأن هؤلاء استمدوها من القرآن أساساً .

هذا فضلا عن عشرات الكهوف الأثرية التى أكدت الحقائق التى جاء بها القرآن عن الإمم السابقة ، عاد وثمود وعن اليهود وعن حضارة سبأ .

واليوم يسود الأعتقاد فى كل مكان أن المنهج التجريبى قد صنعه المسلمون وأنهم استمدوه من الآية الكريمة (قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض) وقد تحقق هذا الأعتراف بعد تجاهل كبير وأنكار اتصل أكثر من ثلاثمائة عام

كما تبين أن اليونان لم يكن عندهم من العلم الا خيوط هشة من التنجيم وحساب الكواكب الذى أخذوه من السحرة البابليين وكذلك كشفت مواقف كثيرة عظمه هذا المصدر :

فالحق تبارك وتعالى حين يقول فى القرآن (وأنه هو رب الشعرى) انما يكشف فساد قول القوم الذين كانوا يعبدون هذا الكوكب ولكنه يكشف عن عظمة قدرة الله واليوم يقــول علماء الفلك أن الشعرى اليمانية هى أضوأ النجوم الثوابت تبعد عن الأرض مائة الف مليون ميــل وجرمها يعدل ستين جرما مثل جرم الشمس والضوء (مع سرعته الغريبة) وهو نحو ١٩٠ الف ميل فى الثانية تقريباً لا يصل منها الينا ألا فى نحو ست عشر سنة .

وما تزال كلمة القرآن (وأنا لموسعون) تجد فى تفسيرات علماء الفلك كيف أن هذا الكون يتسع ويزداد يوما بعد يوم بعشرات الملايين من الكواكب الجديدة فضلا عن ملايين المجرات التى لا تدركها (التلسكوبات الضخمة) وهى بخلاف مجرتنا التى تحوى ١٥٠ مليون شمس .

ولقد قــدم القرآن عشرات القوانين فى مختلف فنون المعرفة والشريعة والحضارات والحرب والسلم ما تزال الابحاث العلميه المتصلة الآن تكشف عن مدى عظمتها وخلودها وحاجة البشرية اليها يوما بعد يوم ومنها (قانون الوفرة) الذى أورده القرآن ووصل اليه علماء الاقتصاد وهو القانون الذى يزيف رأى القائلين بأن البشرية مهددة بالمجــاعة . ويكشف عن أن البشرية مهددة بظلم المحتكرين الأقوياء للضعفاء .

ومنها فى علم النفس : قانون التصعيد فى السماء « كأنما يصعد فى السماء » .
ومنها قانون سقوط الأمم والحضارات :

١ — (فهل ينظرون الا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد

لسنة الله تحويلا . أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات ولا فى الأرض أنه كان عليما قديراً) .

٢ — (فكأين من قرية اهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ، أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها فأنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) .

ومنها قانون بناء الحضارات ما يكشف عن فساد نظريات القائلين بالتحدى ورد الفعل .

(والذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا أنعامكم أن فى ذلك لآيات لأولى النهى) .

منها عبرة التاريخ فى الأمم والبشرية : وأن فساد الأمم هو الذى قضى عليها وأهلكها .

(أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثاراً فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون . فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) .

وهما دعوتان علم القرآن الناس فهم سننهما: دعوة إلى الطبيعة (قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض) ودعوة إلى التاريخ (قل سيروا فى الأرض فانظروا) .

وهناك ما كشف عنه علماء القانون من فساد تقنين الإنسان لنفسه وأنه لا بد للانسان من أن يخضع لقانون يصدر اليه من جهة عليا وأن الانسان حين يقنن لنفسه يتغلب عليه هواه وظنه :

(أن يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس) .

وكيف جمع قانون المعرفة القرآنى بين الثابت والمتغير ، وبين المصلحتين الخاصة والعامة ، وبين الثبات والتطور ، وبين الالهى والبشرى ، وبين أن التشريع الاسلامى الهى المصدر اجتهادى التطبيق وأن الأصول الالهية الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، وأن الاجتهادات التطبيقية والاسلامية تختلف باختلاف الزمان والمكان وكيف جمع بين مطالب الجسد وأشواق الروح ، وأعطى كليهما الالتزام الأخلاقى .

وقد تبين اليوم للعلماء أن خير المناهج وأكملها فى المعرفة والبحث هو منهج القرآن :

الذى يمتاز على المنهج التجريبى بأنه أشمل وعن المنهج المادى بأنه أكمل . بل أن منهج القرآن يمتاز على منهج الفلسفة ومنهج الكلام ومنهج التصوف .

وكيف أقام القرآن منهج النظر والاستدلال والتجريب وطالب بالبرهان ودعا إلى وجوب التثبت فى العلم وعدم الجمود على المعلومات المنقولة ، وأكد أن العلم لا يحصل إلا بالنظر فى الوجود والموجودات : هذا المنهج الذى لا سبيل الان للبحث إلا باعتماده واقراره ، وهو الموصل إلى الحقيقة بعيداً عن الهوى والاوهام .

ولا ريب أن هذا الكتاب الربانى الذى جاءت حقائق العلم وكشوف الآثار ووقائع التاريخ مؤكدة لما يحمل من مصادر الحقيقة التى لا يصل إليها الشك أو الوهم أو النقص يقتضى من جانب العلماء أن يعلنوا أنه وليس غيره المصدر الأصيل لأصول الثقافات وخيوط العلم والتاريخ والانسانيات بالاضافة إلى مكانته الخاصة من حيث هو كتاب التشريع الربانى الخالد على الزمان وما تزال الابحاث العلمية فى مختلف المجالات تكشف كل يوم عن صدقه وسلامته وتكشف فى نفس الوقت عن زيف المصادر التى كتبها الاحبار والرهبان بأيديهم ، وما زالت هناك فى أيدى الباحثين زيوف كثيرة وسموم متعددة يجب بيان وجه الحقيقة

فيها ، فهذه (دائرة المعارف الإسلامية) تأخذ القصة اليهودية للعهد القــديم فى خلق آدم فتجعلها مصدرا لخلق آدم وما يتعلق بقصــة هاروت وماروت ، وقد يظن بعض القارئين من العرب أن ماتحويه دائرة المعارف هذا من مفهوم الاسلام وكذلك موقف دائرة المعارف الاسلامية من ابراهيم واسماعيل فهى تروى وجهة نظر التلمودية والصهيونية وتحاول أن تصور ابراهيم يهوديا وما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفا مسلما. وكذلك فان المصادر التى يعتمد عليها الطلاب والباحثون فى مختلف الجامعات فى عالم الاسلام تعتمد على (دائرة المعارف الاسلامية) التى قام عليها باحثون يهود ، وعلى (المنجد) وهو ملىء بالإخطاء والزيوف وعلى الموسوعة الميسرة وهى دائرة معارف جامعة كولومبيا التى تحمل وجهة نظر اليهود والاستعمار وكل هذه المصادر تحمل لواء : نظريةَ السامية المبطلة للنكرة الحنيفية الابراهيمية ، ونظريات الصلب والتثليث والفـداء ونظريات حجب اسمـاعيل وأبنائه فى تاريخ العرب والاسلام . ولا ريب أن الفكر المسيحى التلمودى المنشور الان فى جامعات العالم كله والذى يكاد يمثل المصدر الاول للدراسات التاريخيـة والاجتماعية والسياسية إنما يقوم على تلك الاسس المحرفة التى حملتهــا التوراة والتفسيرات الدينية التى تتمثل فى « الانشطارية » بين الروح والمــاده والعقل والقلب والدنيا والآخرة وان هذه المفاهيم قد أفسدت الحضارة الغربية وخلقت أزمة الانسان المعاصر الممزق الغريب الذى يقاسى الغثيان والضياع . وان الغرب فى العصر الحديث حين عجز عن رد هذه المفاهيم الباطلة ، فإنه قـــد قطع صلته بالدين جملة واتجه إلى الايدلوجيات التى لم تحقق له الا مزيداً من الاضطراب : كل هذا من شأنه أن يوجه الأنظار إلى مهمة دعاة الاسلام فقد أصبح قلب الغرب فارغا أن كاد ليبدى به ، وعلينا أن نقدم له المنهج الاصيل والمدخل إلى ذلك كله هو أن يصدر فى يوم الحج الاكبر « بيان » من علماء المسلمين يسجل هـــذه الحقيقة الخطيرة الصادقة التى لم تزدها الايام الا ثباتا وصدقا وهو أنه لاسبيل أمام العلماء الا أن يتخذوا من القرآن الكريم المصدر الاساسى للتاريخ القـديم وأن يتخذوه منطلق البحث لعلوم التجريب والعلوم الانسانية وأن يقطعوا خــط

الرجمة أمام محاولات الصهيونية التلمودية فى أغراء بعض أتباعهم الذين يتصدرون علوم مقارنات الاديان والانثربولوجيا والاثار بأن يزيفوا الحقائق التى وصلت اليها الدراسات الجادة التى تحاول أن تكشف أمام الفكر البشرى حقيقة أساسية وهى أن الفكر الربانى وهو الأصل وهو الحق : هو المنطلق الوحيد للبشرية إذا كانت حقا ترغب فى الخروج من أزمتها الخانقة التى تعيشها تحت لواء الحضارة المادية .

(١١)

عام اليهودية الحاسم

ماذا فعل مفكرو الإسلام فى مواجهة عام اليهودية العالمية الحاسم

(١٩٩٧ الميلادى) ولم يبق غير عشرين عاماً على حلوله ؟

(انكم انتم فقط الذين ستحملون واليهودية العالمية ، بعد هذا الاجتماع الخطير وبعد أن تستوعبوا ما فى هذه المقررات النابعة من التلمود وعليكم وعلى من يرث حملكم بذل المال والطاقة الروحية والجسدية لتحقيق هذه الأهداف فقد حددنا منذ هذا العام ١٨٩٧ الى العام ١٩٩٧ أى بعد مائة سنة اتمام تنفيذ المقررات التى ستبدأ من فلسطين ففى عام ١٩٩٧ يجب ان نكون قد حكمنا الدنيا كلها ببشرها وأرضها ومالها ومن فلسطين ستنطلق إلى اسرائيل التى سيحكمها ملك نحتفظ بسلالته سرا من نسل داود حيث نقيم له على جبل صهيون قصرا ينتقل منه الى أوربا لتحكم الدنيا من الفاتيكان)

ان ما اوردناه هنا هو مقدمة بروتوكولات صهيون التى قدمت الى الثلاثمائة حبر من أحبار اليهود الذين اجتمعوا فى مؤتمر بال عام ١٨٩٧ .

أن على المسلمين والعرب أن يفكروا منذ اليوم فى يقظة وكياسة فيما يكون موقفهم من عام ١٩٩٧ من ميلاد المسيح الذى يوافق ١٤١٦ هجرية فإن هذا السؤال مطروح عليهم منذ مائة عام تقريبا ، منذ ألقت اليهودية العالمية قفازها فى وجه العرب والمسلمين وأعلنت أن لها خطة تقوم بتنفيذها على مراحل تنتهى عام ١٩٩٧ بحيث تكون فى ذلك العام قد سيطرت سيطرة كاملة على جميع مقاليد العالم وسياسته وأمواله وقد أصبح الجنس البشرى فيه تحت سيطرة التلمود تتحكم فيه اليهودية العالمية . وقد حملت هذه النبوءه بروتوكولات حكماء صهيون التى عرفها العالم كله والتى عرفها المسلمون والعرب منذ ترجمت إلى اللغة العربية

واصبحت بين أيديهم وامست المسئولية على مفكرى المسلمين قائمة منذ ذلك الوقت فهم المؤملون لتذكير القادة وتثقيف الشباب وتوجيه الصحافة والفكر جميعا للاجابة على هذا السؤال الذى أصبح جديرا بالبحث ولم يعد بيننا وبين موعده أكثر من عشرين عاما. ولا ريب ان اللمحة السريعة تدل على ان مراحل هذا المخطط قد نفذت بدقة وأن اليهودية العالمية قد حققت فى هذه الأعوام الثمانين تحطيم ركائز كثيرة كانت تقف فى وجه هدفها من السيطرة على العالم فقد حققت على الأقل ثلاثة أعمال كبرى :

(الأول) السيطرة على الفكر الغربى المسيحى واحتوائه ووضعه تحت سيطرة الايدلوجيات التلمودية فى الاقتصاد والنفس والاجتماع والأخلاق .

(الثانى) اقامة النظام الماركسى الشيوعى فى روسيا وعدد من الدول ودعم هذا النظام بحيث اصبح مواجها مواجهة تامة للنظام الغربى الديمقراطى .

(الثالث) اسقاط الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية واقامه نظام القوميات الضيقة والاقليميات والتمزيق بين عناصر المسلمين التى تجمعها وحدة الاسلام .

وقد أصبح المسلمون والعرب على مرمى قذائف اليهود العالمية بعد أن سيطرت الصهيونية على فلسطين منذ وعد بلفور ١٩١٧ م وقيام اسرائيل ١٩٤٨ م واحتلال القدس ١٩٦٧ م

واننا نجد انفسنا اليوم بين شقى الرحى ، بين الوجود الصهيونى فى فلسطين العربية المسلمة وبين التحدى الصهيونى الذى يثير الشبهات والسموم فى افق الفكر الاسلامى عن طريق دعواته المتعددة : الماركسية والوجودية والمادية والتبشير وروافدها البهائية والقاديانيه .

وقد تبين فى السنوات الأخيرة أن هناك تنسيقاً بين هذه القوى جميعا فى مواجهة الاسلام بين الصهيونية والماركسية والاستعمار والتبشير يستهدف السيطرة الاقتصادية والاجتماعية وتدمير الأجيال الجديدة من الشباب المسلم .

هذه هى للصورة القائمة الان نتيجة تحرك اليهودية العالمية خلال ثمانين عاما صحيح أن هناك ايجابيات كثيرة فى المواجهة والمقاومة والعمل الاسلامى العربى لضرب هذه التحديات ومقاومتها ولكن الامر مازال يحتاج إلى مزيد من الفهم وتعمق فلسفة اليهودية العالمية وهدفها وموقفها من الاسلام والمسلمين اللذين يتعرضان الآن للاحتواء والسيطرة بعد أن تمكنت اليهودية العالمية من السيطرة على الفكر الغربى ولم يبق أمامها الا السيطرة على عالم الاسلام .

ولكى نتمكن من الاجابة على السؤال المطروح أمام مفكرى الاسلام وكتابه عن الموقف من عام ١٩٩٧ م علينا أن نتعرف على ماحدث عام ١٨٩٧ حيث عقد أول مؤتمر لحكماء صهيون فى التاريخ الحديث ، هذا المؤتمر الذى تمكن (هرتزل) الذى كان يعد فى ذلك الوقت زعيم الصهيونية من أن يجمع له ثلاثمائة حبر يهودى من شتى أقطار الارض من بينهم رجال لاقتصاد والفكر واللاهوت والاجتماع . وما أن عقد الاجتماع حتى وزع على المجتمعين « ماف » وصف بأنه مشروع خطة لدراستها ومناقشتها واقرارها لتكون خطة عمل تقوم بتنفيذها اليهودية العالمية خلال المائة عام التالية لذلك .

والقصة بعد ذلك معروفة وذائعة كما يصورها الاستاذ أبو ترفيق فى دراسته العميقة حيث يقول : « فى اليوم الثالث أو الرابع من المؤتمر كانت الحكومة الروسية قد علمت مسبقا من جواسيسها بأمر هذا الاجتماع واعتقدت أنه لن يكون الا للتدمير والتآمر على هدم ودمار روسيا فأوعزت إلى عدد من اقرى وأذكى جواسيسها المدربين للسفر الى سويسرا سرا قبل المؤتمر وحين كان المؤتمرون يتدارسون ملف الاوراق امامهم فاجأهم الجواسيس الروس بهجمة مفاجئة واقتحموا خلالها قاعة المؤتمر وسارع المؤتمرون إلى الفرار بينما كان الجواسيس يضرمون النار فى القاعة ثم جمعوا الاوراق الموجودة على الموائد وهربو إلى بطرسبرج حيث اكتشفت الحكومة الروسية خطورة ما فيها والتى لم تكن سوى بروتوكولات حكماء صهيون التى استهلت بالعبارات الخطيرة التى أوردناها فى أول هذا البحث .

وقد جاء الكشف عن هذه البروتوكولات على يد (سرجى بيلوس) من رجال الكنيسة الارثوزكسية فى روسيا وقد أورد فى بحثه الذى نشره فى روسيا أن صديقا له عرف فيما بعد بأنه (اليكس نيقولافيش) من رجالات روسيا البارزين هو الذى كلف بيلوس بالنظر فى هذه الاوراق وترجمتها بين عام ١٩٠٠ — ١٩٠١ وكان النبيل الروسى قد حصل عليها من ترجمة صحيحة لوثائق اصيلة سرقتها سيدة معروفه بارزة من زعيم ماسونى كبير فى نهاية اجتماع ماسونى عقد فى فرنسا واستطاع بيلوس ان يقدم الطبعة الاولى قبل عام ١٩٠٥ وكان يطلق على هذه البروتوكولات (الانجيل البلشفى) وفى مارس ١٩١٧ وقع الانقلاب الشيوعى وكان الاعدام جزاء كل من توجد بحوزته نسخة من البروتوكولات فى روسيا ثم نقلها فيكور مارسدن الصحفى البريطانى ١٩١٧ الى جريدة المورننج بوست وقد كانت البروتوكولات تحمل فى تضاعيفها نبوءة ظهور الشيوعية وانقسام العالم إلى معسكرين وكان ذلك أول أهداف اليهودية العالمية .

أن المخطط الرهيب الذى كشفت عنه بروتوكولات صهيون هو من عمل فيلسوف متعصب لم يذكر اسمه يطلق عليه (احدها عام) الذى وصف بأنه العقل المفكر والرجل الذى استطاع أن يستوعب أهداف التوراة (توراة اليهود لا توراة موسى) والتلمود والمشنا والجمارة وان يصوغ هذه المطامع فى قالب عصرى , وكذلك جاءت بروتوكولات صهيون ممثلة لكل ما صدر عن حكماء اليهود وحاخاميهم ومفكريهم من خطط لاحتواء العالم والسيطرة عليه . هذه الخطة كانت اليهودية العالمية قد أعدتها لتطرحها على الثلاثمائة حبر الذين وصفوا فى وقت لاحق بأنهم يكونون المنظمة الخفية . فاذا ذهب اليوم بعض الماركسيين والتقدميين الذين يعرفون الخيوط الدقيقة بين الشيوعية والصهيونية إلى القول بأن برتوكولات صهيون زائفة فان حادث اضرام النار فى قصر مدينة بال معروف ومسجل وقد تواترت الاخبار عنه بما لايدع مجالا للشك فى هذا الأمر .

وانكار نسبة بروتوكولات صهيون إلى اليهودية هو واحد من محاولات كثيرة ومنها ايضا دعوى التفرقة بين اليهودية والصهيونية وعمليات التمويه التى

تقوم بها اليهودية العالمية بالنسبة للحقيقة التاريخية لمملكة الخزر والواقع أنه ليس بين اليهودية والصهيونية من فارق الا فارق الاصل الثابت والواجهة المتغيرة مع العصر . أما من ناحية الهدف فان الصورة التى تكشفها الصهيونيه لها أصولها الاصيلة فى توراة اليهود ، التى كتبها زعيمهم « عزرا » فى المنفى البابلى حقدا على البشرية ورغبة فى الانتقام منها حيث وضع صيغة هذه المطامع فى صورة مملكة بين الفرات والنيل . هذه هى المطامع التى عاشت اليهودية العالمية من أجل تنفيذها والتى تتمثل فى الأعمال المتصلة التى قامت بها والتى تتمثل فى العمل الذى بدأ بعد إخراج اليهود من أسبانيا المسلمة وانتقالهم إلى سلانيك فى تركيا ودخولهم الاسلام تقية حيث أطلق عليهم اسم الدونمة ، وكان هذا مركز وعمل تكامل مع الثورة الفرنسية وما استطاعت ان تفعله من تدمير القيود التى وضعتها الكنيسة وخروج اليهود من الجيتو للسيطرة على الحياة السياسية والاجتماعية أما المركز الثالث فهى روسيا القيصريه التى سحقت دولة الخزر اليهودية والتى تمثل أقوى قوة فى الغرب المسيحى بعد الفاتيكان.

وكانت المؤامرات قد بدأت فى روسيا القيصرية منذ وقت بعيد حين أنشأت منظمة عشاق صهيون لتعمل ضد القيصرية ولهدمها على اعتقاد ان من يحكم روسيا ويسيطر على مقاليدها يستطيع أن يحكم العالم ولقد سعت اليهودية العالمية بالحرب العالمية الأولى على خلق الدولة الشيوعية الروسية وبالحرب العالمية الثانية على وضعها موضع القوة فى مواجهة الغرب المسيحى كله . وكان ارهابيو عشاق صهيون قد استطاعوا ان يغتالوا القيصر الروسى بالقنابل لانه وضع خطة لادماجهم وتذويبهم فى المجتمع الروسى ، فلما قتل القيصر ظنوا أنهم سيسيطرون غير أن حكومة القيصر نقولا الثانى كانت قوية باطشة فقد أذهلتهم بالانتقام مما دفعهم إلى الفرار من روسيا ، وهذه الدفعات التى هاجرت من روسيا هى التى جاءت إلى فلسطين والتى دفعت الصهيونية العالميه إلى ان تتفاهم مع السلطان عبد الحميد فلما عجزت عن اقناعه أو ارهابه ازاحته من طريقها وتمكنت عن طريق الدونمة أصحاب المحافل الماسونية فى سالونيك التى سيطرت على حركة الاتحاديين

واخضعتهم لها فسكنوها من فلسطين بعد عزل عبد الحميد ، وقد عاد اليهود فقتلوا القيصر نقولا الثانى الذى جاء ١٨٩٤ بعد أن حكم ثلاثة عشر عاما ١٩١٧ حينما سيطروا على الثورة التى قامت وحولوها لحساب الشيوعية الصهيونية ولعل هذا يكشف عن زيف دعوى الفصل بين اليهودية والصهيونية ، ودليل آخر أشد قوة هو أن زعماء اليهودية هم الذين اشتروا ارض فلسطين : وأولهم موسى مونتيفورى الذى أنشأ أول الاحياء اليهودية فى القدس خارج اسوار المدينة القديمة ثم جاء روتشلد فدفع ٤٠ مليون فرنك فرنسى ذهبا فى سبيل شراء الاراضى فقد اشترى حيا باكمله ، كما دفع ٢٥٠ بليون فرنك ذهبا لدعم المستعمرات الزراعية وكان هذا هو عمل اليهودية العالمية فى سبيل دعم خطة الصهيونية التى هى من منظماتها فى الاستيلاء على اراضى العرب والسيطرة بالقوة على « الارض » لاقامة الوطن لمن لاوطن لهم ، وقد جاء هذا الاتجاه بعد مقتل القيصر وهروب اليهود من روسيا واستغلال الصراع التركى ثم جاءت أكذوبة قتل النازية اليهود المانيا ليدعموا بها عمليه الهجرة ذات الاعداد الضخمة خلال وبعد الحرب العالمية الثانية .

أما قصة (الخزر) فهى معروفة مكشوفه ، فقد حرصت اليهودية العالمية على رفعها من جميع دوائر المعارف العالمية التى سيطروا عليها ومقررات المدارس والجامعات فى البلاد التى تدين بالبروتستانتية ذات الولاء للمخطط اليهودى التلمودى ذلك لأن الحديث عن دولة الخزر اليهودية من شأنه أن يحطم النبوءة المضللة التى تذيع بها الصهيونية وهى أن الصهيونيين هم من نسل موسى وانهم يهود التوراة بينما ان احتلال فلسطين بالاستيطان الضخم كان يمثل فى غالبة هجرة يهود الخزر الذين لم يكونوا من نسل اسرائيل والذين كانوا قد تهودوا بعد ان كانوا وثنيين وذلك فى حدود عام ٧٤٠ أو ٨٦٥ من ميلاد المسيح .

هذه الدولة التى امتدت حتى القرن العاشر الميلادى حين هاجمها الروس من الشمال والبيزنطيون من الجنوب حتى أنهارت فى القرن الثانى عشر وقد أقام الروس مستعمرات لهم فى جوانب تلك البلاد بعد أن نزعوا مدينة (كييف) التجارية الكبرى فتفرق ملايين اليهود من خزرايا وتشتتوا جماعات فى أنحاء روسيا

وما جاورها بولندا واوكرانيا واتوانيا وغيرها وقد أثبت المؤرخ اسحق ليفتش أن يهود روسيا هم سلالة الخزر ، وعلى تلك الدعوه عطف القيصر نقولا الأول شجيع وعمل على فتح المدارس الخاصة لهم فقاوم الدعوة متعصبو اليهود بزعامة موسى هس فى روسيا والمانيا خوفا من أن تقرب المدارس بين اليهود والكنيسة واغتالوا القيصر المحـــرر اسكندر الثانى وجرت وقائع المؤامرة على النحو الذى أوردناه . وبعد فقد كشفنا هنا ثلاث شبهات حاولت الصهيونية العـــالمية بمؤازرة الماركسيين والتقدميين فى البلاد العربية طرحها كمسلمات وتأكدت الحقـائق الآتية :

الاولى : أن اليهودية والصهيونية صنوان .

الثانية : أن الماركسية واليهودية هما وليدتا اليهودية العالمية .

الثالثة : أن يهود اسرائيل ليسوا هم يهود التوراة بل يهود الخزر .

الرابعة أن البروتوكولات هى حقيقة تاريخية لها وقائعها التى لا يمكن انكارها

الخامسة : ان توراة اليهود غير توراة موسى :

وبعد فان على مفكرى المسلمين أن يجيبوا على السؤال الحاسم :

ماذا فعلوا فى مواجهة عام اليهودية العالمية الحاسم ١٩٩٧ ميلادى ولم يبق غير عشرين عاما على حلوله .

الشيوعية وليدة الصهيونية

صدق الأستاذ محي الدين القابسي حين كشف فى مقدمة كتابه عن التضامن الاسلامى خيبة مشاعر الأمم ازاء المسلمين والعرب بعد أحداث الخامس من يونيو ١٩٦٧ التى أطلعت من كان غافلا عن الحقيقة التى لا سبيل إلى تجاوزها مهما كانت اختلافات الرأى والفكر ، ومهما حفر التغريب بالغزو الثقافى من حفر وأقام من سدود وفك من عقد ليحول بين ذلك اللقاء النفسى والعقلى والروحى القائم بين المسلمين فى أنحاء الأرض والعميق الجذور الممتد فى التاريخ خمسة عشر قرناً والممتد على وجه البسيطة من أقصى الأرض إلى أقصاها من المحيط إلى المحيط .

يقول : من حقائق الأسباب التى أدت إلى نتائج أحداث يونيو ١٩٦٧ أن حسابات بعض الدول العربية حول رصيدها من الصداقة الدولية كانت خاطئة بشكل غريب فالذين كانوا محسوبين من الأصدقاء وقفوا مع العدو واكتفوا بالسلبية والذين لم تحسب تلك الدول حسابهم كأصدقاء كانوا على أولئك الذين تربطهم بالعرب صلات العقيدة الواحدة والدين الواحد على تباعد الأماكن واختلاف اللغة والعرق والقومية .

ويرجع ذلك فى أصح الصحيح إلى « رابطة الاسلام » التى أوجدت ذلك التعاطف التلقائى الذى يسمو عن الأساليب السياسية التقليدية وهو شعور أثبتته أحداث التاريخ البعيدة والقريبة أنه أحد المحركات الأساسية للعلاقات الدولية وأنه هو التفسير الطبيعى لكثير من الإحداث التاريخية .

لقد كانت الفكرة الاسلامية هى ولاتزال العامل الأساسى الأكبر والجامع

هذه الأمة مهما تعددت الدعوات الوافدة إلى حلها إلى الاقليمية والقومية وإلى الفردية أو الجماعية ، وإلى هذا الطريق أو ذاك من الطرق التى فتحت أبوابها أمام الأمة الاسلامية منذ سقطت الخلافة ومنذ وقعت هذه الامة فى براثن الاستعمار والصهيونية والماركسية والغزو الثقافى الذى استهدف تمزيقها والحيلولة دون وحدتها. ولقد كانت الامة الاسلامية تتلاقى كلما سنحت لها الفرصة — بعد سقوط الخلافة الاسلامية — فى خـــلال الخمسين عاما الماضية ثم تضرب كل محاولات اللقاء ، هذه اللقاءات التى أخذت أسلوب المؤتمر الاسلامى تارة ، والوحدة الاسلامية تارة والفكرة الاسلامية تارة أخرى حتى إذا ما أينع الغرس وبدا يؤتى أكله ضرب ، وكانت دائما عملية « الاجهاض » ميسرة للقوى التى لا تريد للامة الاسلامية أن تلتقى .

ولكن الموقف تغير بعد فقـــد امتلك العرب أصحاب الفكرة الاسلامية الطاقة والثروة والتفوق البشرى ، واستعلنت فيهم صيحة التضامن من مكة المكرمة وثبتت أقدام الدعوة هذه المرة بينما هزمت مخططات التبعية والتفرقة والأقليم .

وتأكد أن الوجود العربى هو وجـــود اسلامى الصبغة والعقيدة والعقل والقلب ، وأنه لا سبيل لأن يكون صادقا وسليما وفعالا ألا إذا تحرك داخل دائرة الاسلام وفى أطار القرآن .

وهذه هى الاصالة التى حققتها حرب رمضان فى مواجهـــة التقليد والتبعية والتغريب والمفاهيم الزائفه التى اندحرت أسلوبا عجز عن أن يحقق شيئاً ، إيجابيا وأن استطاع أن يحقق الهزيمة والنكسة والنكبة جميعاً انهزمت دعوة التبعية وانتصرت دعوة الاصالة :

(وكان حقا على أهلها أن يعضوا عليها بالنواجذ) .

وهذا ما نراه اليوم مثلا فى الأصالة فى البحث عن منهج إقتصادى اسلامى

الاصالة فى تطبيق الشريعة الاسلامية وجعلها مصدرا للقوانين ، الاصالة بناء منهج تربوى تعليمى أصيل مستمد من روح هذه الأمة ، وعقيدتها .

ويقول الأستاذ (محى الدين القابسى) نحن نخوض صراعا تاريخيا بكل ما فى الكلمة من معنى تآلفت فيه قوى شريرة من بقاع عديدة من العالم وتمثلت مؤامرات كثيرة على الاسلام والمسلمين فى بؤرة هذا الصراع وخلاصته فى التآمر « الصهيونى الشيوعى » الاستعمارى المكشوف على فلسطين . وأضيف : وعلى العرب والمسلمين جميعاً وأقول : لقد تكشف لنا فيما تكشف فى السنوات الأخيرة فى حقائق تمحو زيف تلك المسلمات الباطلة التى ظللنا نعيش فى أسرها مخدوعين .

وأهمها تلك الحقيقة التى قالهـــا الشهيد فيصل (شهيد الاسلام وفلسطين والوحدة الاسلامية) :

(أن الشيوعية وليدة الصهيونية) .

وتلك — كلمة حق — خفيت على الكثيرين فى تلك اللحظات التى أعلنها فيه هـــذا الزعيم الكبير ، ولقد كان لاعلانها أثر عميق ، وسيؤرخ بها يوما لمرحلة جديدة فى تاريخ الأمة الاسلامية .

أحتواء اليهودية العالمية للتبشير المسيحى

وهذه ظاهرة جويدة جديرة بالانتباه : هـــو مقدرة اليهودية العالمية على أحتواء التبشير المسيحى الذى تقوم به الكنيستان الكاثولكية والبروتستانتينية وقد صدر أخيراً كتاب ضخم فى حوالى ستمائة صفحة عن تاريخ الارساليات التبشيرية ودورها فى العالم الاسلامى لمؤلفه (ستيفن بيل) والكتاب يحتوى على حقائق خطيرة واعترافات جريئة عن الدور الذى تقوم به الارساليات التبشيرية فى أفريقيا خاصة وأن مؤلفه نفسه قد مارس التبشير .

أولا : تدخل المبشرين فى الحركات السياسية الانفصالية فى جنوب السودان

ودعمها بالمال والسلاح وتحريض أبناء الجنوب الوثنيين على الثورة وتقتيل أبناء الشمال .

ثانياً : خطر العمامة البيضاء فى أفريقيا حتى وصفت بأنها أخطر من القنبلة الذرية .

ثالثاً : أشار إلى أخطار التبشير فى أندونيسيا وباكستان وتوقفه فى ايران ومصر .

رابعاً : أشار إلى مدى استفادة المبشرين من المعلومات المترافرة التى جمعها عدد كبير من المستشرقين عن العالم الاسلامى .

خامساً : أشار إلى الخطة الجديدة المطروحة والتى ترمى إلى أقامة حوار مع للسلمين وهى خطة كان قد بدأها بعض المستشرقين والمبشرين أمثال الدكتور لويس جاردية وألف فيها كتابا خاصا .

وتكاد تكشف مخططات الاستشراق والتبشير اليوم عن خلفية صهيونية وفكرة تلمودية واضحة تدير هذه المخططات وتوجهها بما يوصف بانه عملية تطويق من اليهودية التلمودية للمسيحية الغربية وتحريف لمفاهيمها وتحطيم اتجاهاتها ويجرى هذا مع مخططات « البروتوكولات » .

وقد ظهر ذلك فى موقف الكنيسة فى أوروبا وأمريكا وتأييدها لاسرائيل وأشار إلى ذلك بعض الكتاب الغربيين حين قال : أن الكنيسة الغربية يهددها شبح الاتهام الصهيونى المستمر بأنها اضطهدت اليهود لمدة قرون فى أوروبا ، وأن هذه حقيقة تاريخية تعمل الصهيونية على أن تشكل منها عقدة ذنب لدى رجال الكنيسة الغربية .

هذا فضلا عن الجهد الصهيونى المتلاحق ، وكذلك الضغط المستمر على رجال

الكنيسة الغربية للاعتراف بالتفاسير الدينية الكاذبة التي ترمى إلى القول بأن اليهود حقا في الأرض الموعودة .

إعادة النظر في العهد القديم (التوراة)

وتجددت الدعوة إلى النظر في نصوص العهد القديم التي لا تتفق مع الحقائق العلمية والتاريخية ، وقد اكتشفت بعثة للآثار في منطقة مناجم الملك سليمان في صحراء النقب منذ سنوات أن المصريين عاشوا في هذه المنطقة منذ ٣١٧١ عاما وبناء على هـــذا صرح البروفسور بينو روتنبرج كبير علماء الآثار أن هذا الكشف يعارض ويكذب ما جاء في العهد القديم مما يدعو اعادة النظر فيه .

ومن ناحية أخرى أعلن أن الحكومة الاردنية تسلمت مخطوطات أثرية ذكر أنها تتفق مع ما ورد في التوراة حول تاريخ منطقة غور الاردن في القرن السابع قبل الميلاد . ويؤكد بذلك تزييف اليهود للتوراة الأصلية . وكانت بعثة هولندية قد عثرت على هـــذه المخطوطات في أبريل ١٩٦٧ ، وقامت باجراء الدراسات والبحوث عليها في هولندا طيلة السنوات الخمس الماضية وقد قام رئيس المنظمة الهولندية للابحاث في لاهاى بتسليم المخطوطات إلى وزير السياحة والآثار الاردني الذي صرح بقوله :

أن المكتشفات تقوم ولاول مرة بتصحيح أخطاء التاريخ التي كانت تأتي على لسان الصهيونية » ١ . هـ .

ونقول ان الصهيونية التلمودية قبل أن تعلن دعوتها في مؤتمر بال وقبل أن يكتب هرتزل كتابه عام ١٧٩٨ كانت هناك محاولة ضخمة لاحتواء التاريخ العالمي والاسلامي ودوائر المعارف والجامعات ومعاهد البحث كلها لتطعيمها بالفكرة اليهودية التلمـــودية الصهيونية التي تقوم على أساس — قصر الوعد الالهي لابراهيم عليه السلام — على اسحق ومن ثم على اسرائيل وحدها . .

وأنه من أجل ذلك جرت محاولات كثيرة لتزييفه منها :

أولا — اعلان خطة (السامية) على أساس اعلاء العنصر السامى واللغة السامية وهى خطة زائفة حاولت أن تنسب تاريخ العرب الذى أنشأه ابراهيم واسماعيل إلى جدسابق لم يعرف عن طريق القرآن وانما عرف عن طريق التوراة المكتوبة بيد أحبار اليهود .

ثانياً — محاولة اجراء حفريات أثرية هنا وهناك لتأمين هذه الدعوى ومع الأسف فأن هذه الحفريات أكدت وجود أسماعيل وأبنائه الاثنى عشر وقبائلهم المنبثة فى المنطقة بين الشام ومصر وسيناء .

ثالثاً — خلق جو علمى زائف لتقديم معلومات غـــير صحيحة عن دور مزعوم لليهود فى الجزيرة العربية قبل الاسلام ودعوى باطلة بالقرابة بين العرب واليهود .

رأبعاً — طبع الأنجيـــل مقدما بالتوراة تحت أسم — الكتاب المقدس ونشر فى العالم كله وترجمته إلى أكثر من سبعين لغة وذلك لاحتواء المسيحية فى الأعتراف بما زعموه من وعد قاصر على اسرائيل ، مما يدرس الآن فى الجامعات والمدارس أوروبا والولايات المتحدة ويؤمن به البروتستانت فى كل أنحاء العالم ويدافعون عنه مع تضارب العهد الجديد واختلافهما وتناقضهما .

ولكن كل هذه الدعاوى المسمومة أخذت تنكشف وان هذه الاقنعة الكاذبة أخذت تسقط واحدة بعد أخرى ومنها هـــذه الاخبار التى أوردناها وأخبار كثيرة كشف عنها رجال الحفريات والآثار .

(١٣)

لنتحرك من داخل قيمنا ومفاهيمنا

إن العالم الإسلامى يواجه أخطار استعمار معقد، يتحرك فى أبعاد متعددة، فهو استعمار تباشره مختلف دول العالم ومن ورائهـا مختلف مذاهبها السياسية والاجتماعية، وهو استعمار سياسى وعسكرى وفكرى، ثم هو استعمار استيطانى فى بعض المراكز الحساسة مثل: فلسطين وأرتيريا والخليج العربى.

وفى مقدمة صـور الاستعمار: الامبريالية الغربية، والصهيونية العالمية، والشيوعية الملحدة. ويمر العالم الإسلامى منذ عام ١٩٤٨ بأزمة حقيقية هى أزمة إقامة إسرائيل فى قلب الأرض العربية وتحدياتها وتوسعاتها خلال عشرين عاما على نحو حقق لهـا السيطرة على القدس وبيت المقدس عام ١٩٦٧ ومازال مطامعها تصور لها التطلع إلى ما بين النيل والفرات والامتداد إلى خيبر وغيرها فى الجزيرة العربية.

ومن خلال هـذا الموقع الخطير الذى سيطرت عليه إسرائيل ومن ورائها الاستعمار الغربى بالتنسيق مع القوى الأخرى العالمية المختلفة تواجه الأمة العربية أزمة خطيرة لا مثيل لهـا، أزمة صراع فكرى وسياسى وأنقسام من نفوذ الدول الكبرى، وخلاف فى المناهج الاجتماعية وأنظمة الحكم، وهى فى الصورة المواجهة تبدو متحدة فى مواجهة الخطر الصهيونى. ولكنها تختلف فيما وراءه من نفوذ الدول الكبرى، وتختلف فى أساليب المقاومة بين الحلول السياسية، والحلول العسكرية. وقد بدت بعد نكسة ١٩٦٧ روح جديدة فيها كثيره من الاتجاه نحو القوة والجهاد والاستعداد العسكرى والتقدم الحربى، ولكنها فى داخل المجتمعات العربيه تعانى نوعاً خطيراً من التحلل والانحراف وغلبة طوابع الكشف فى أزياء المرأة وازدياد إشارات الطراوة فى أزياء الرجال مع تربية السوالف، والإسراف فى الانحراف نحو «الهيبية»، والتقارب بين ظاهر الرجال

إلى النساء بإطالة الشعور والتقارب بين مظاهر النساء إلى الرجال بملابس تجعل المرأة تبدو فى هيئة الرجل .

إن هناك تقارباً بين فلسفات الاستعمار والسيطرة بين مختلف الدول ، وقد واجه العالم الإسلامى صورتها ممثلة فى الاحتلال البريطانى والاحتلال الفرنسى وهو الاستعمار الأوربى ثم جاءت بعد ذلك مرحلة النفوذ الأمريكى ؛ ثم النفوذ الشيوعى ، ومن خلال ذلك تبدو صورة الاستعمار الصهيونى الذى يحمل فلسفة مختلفة فحيث يقول الاستعمار الغربى أنه يرمى إلى دعم رسالة الرجل الأبيض فى تمدين العوالم المختلفة ، ومسئوليته فى ذلك نجد الاستعمار الصهيونى يقدم على فلسفة مختلفة تماماً : تحمل طابع الإدعاء بميراث قـــديم ويحمل طابع نبوءة الأساطير فى العودة إلى أرض الميعاد ، ومن ناحية الشكل فقط كان اختلاف مناهج الفلسفة الاستعمارية بين بريطانيا وفرنســـا ، وبينهما وبين الاستعمار الأمريكى الذى لا يقدم على الاحتلال العسكرى بقدر ما يقدم على الاحتلال الاقتصادى نجد الصهيونية العالميه تحمل أقصى مناهج الاستعمار وأسوأ أساليبه ، وهى فلسفة تقوم على أساس نسف جميع المدنيات والحضارات ، وإزالة الأديان السماوية ، واتخـــاذ إسرائيل نقطة لتحقيق الامبراطورية اليهودية التى تجتاح الامبراطوريات وترث الأديان والحضارات وتخلق السيطرة العالمية هدفاً ومطمحاً للحضارة الغربية وللدعوة الشيوعية والحركة الصهيونية ، كل منها يريد أن تكون له زعامة السيطرة العالمية ، وما زالت هذه القوى تتصارع عليها . وترمى خطة الغزو كله ، ويمثل الغزو الإسرائيلى الآن مطامعها وواجهتها ، ويخفى مطامعه فى وراثتها جميعاً ، إلى عملية تحطيم ذاتية الأمة العربية . وتقوم اليوم قوى فكرية كبيرة بهذه الدعوة بالإضافة إلى الغزو الاجتماعى المتمثل فى تحطيم مقومات الاخــــلاق والاديان والقيم الاسرية والعلاقات بين الرجل والمرأة .

والغزو الفكرى اليهودى هو القوة الفعالة لتمزيق النفس العربية والعقل العربى وإلى تحقيق الغزو الإجتماعى وفق فلسفة فكرية تقوم على ظهور التحلل والتحرر

وإخراج الأمة العربية عن إطاراتها الأصيلة وقيمها الأساسية ، ودعاة الغزو يصرحون بذلك الآن دون مواربة ويصورون الموقف تصويراً زائفاً حين يدعون أن وسيلة التحرر من النفوذ الأجنبي إنما تمكن فى أن تتغرب الأمةالعربية تغربا كاملا وتخرج عن مقوماتها الاجتماعية والدين والأخلاق وتندمج أندماجاً كاملا فى فكر الغرب وقيمه ، عندئذ ينتهى الصراع بين الاستعمار وبين الأمة العربية بالاستسلام والذوبان والاحتواء ، وذلك مايريده أصحاب النفوذ الاستعمارى .

أما المقاومة والمواجهة ، والدعوة الدائمة إلى المحافظة على المقومات الأساسية للأمة العربية لتعرف ذاتيتها وتتحرك من داخل وجودها ؛ وتفكر من خلال مفاهيمها ، فإن هذا هو الخطر الذى يقاومه النفوذ الاستعمارى ويقاومه بشدة ، وهذا الاستمساك بالقيم والمقومات الأصيلة هو مايوصف بالأيدلوجية الغيبية ويتهم بالأسلوب الخرافى أو المشوائى إلى غير ذلك من اتهامات مضللة ، لاأساس لها من حق أو صدق !

إن مطالب دعاة التغريب أن ننطلق من داخل فكر الغرب ، وأن نخرج من قيمنا وأن نستسلم استسلاماً كاملا لمناهجه وفلسفاته ، وهذا أمر من الاستحالة أن يحدث لأسباب عديدة :

أولا : لأن هذه المناهج الغربية لم تحقق للغرب نفسه ما يطمع إليه من بناء الأيدلوجية التى يجد فيهـــا الاستقرار والطمأنينة ؛ سواء الطمأنينة الاجتماعية المعاشية أو الطمأنينة الروحية ، ومن العسير أن تخرج هذه الأمة من مناهجها إلى مناهج أمة أخرى لم تثبت فى بيئتها أى صلاحية لها فكيف بالآخرين .

ثانياً : إن أمة لها عراقة الأمة العربية تاريخاً وقيماً ومنهج حياة ، من العسير أن تتخلى عن ذلك كله فى ظل تحديات نكسة من النكسات العابرة فى طريقها الطويل الضخم .

ثالثاً : إن الدعوة إلى علمنة الذات العربية بإخراج الجيل الجديد من إطارات

الدين دعوة مدمرة لكيان الأمة وشخصيتها ، وان يتم ذلك إلا تحت الضغط ، ولكنه سيكون معارضاً لطبيعة الأشياء مضادا لسنن التطور ، مخالفاً لأعمق أعماق هذه الامة فى مزاجها النفسى .

ذلك لأن هذه الامة قد تشكلت ، والدين يوجه سلوكها وحياتها ، الدين بمفهومه الاسلامى وليس بمفهومه الغربى ، أما العلم فهو ثمرة من ثمار الاسلام الذى دعا إلى البرهان فى المعرفة وأعان على إبداع المنهج العلمى التجريبى . وليست الدعـــوة إلى العلم بمفهوم الاسلام إلا دعوة الحق فى التحرر من أخطار الاحتواء ، ولكن الدعـــوة إلى العلم بمفهوم التغريب هى دعوة إلى إسباغ مفهوم العلم على الفلسفات ، وهى محاولة مضللة ، فليس العلم هو الفلسفة وليست الفلسفة هى العلم أبداً .

العلم هو ثمرة التجربة العلمية المحسوسة ، أما الفلسفة فهى النظريات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وهى ليست علماً لأنها قابلة للخطأ والصواب والفكر المتصل بالانسان ومجتمعه ونفسيته ومعاشه لا يمكن إخضاعه لمقاييس العلم لأنه يتصل بالنفس الإنسانية التى تختلف فى كل شىء وكل عصر ، والتى لا يمكن أن تقاس بالمقاييس أو تكشف عن طريق الانابيب .

رابعاً : إن أى أمة لن تستطيع أن تنتصر بعد هزيمة أو تخرج من نكبة بخروجها من ذاتيتها وقيمها . بل على العكس من ذلك . فإن أى هزيمة او نكبة تحيق بأمة ما . فإنما يكون مصدرها هو تخلف هذه الأمة عن ذاتيتها والخروج عن مقومات فكرها . ولن يكون نصراً واستعادة لوجود إلا من خلال إعلاء هذه القيم واتخاذها أساساً لحركة المواجهة والمقاومة .

ولقد جربت الامة العربية ذلك من قبل ، وتاريخها حافل بمواقف الانتكاس والعودة . وأمامها صـــوره واضحة صريحة لتجربة سابقة على نفس الارض وبمعالم مشابهة هى تجربة الغزو الصليبى الذى كان يحمل منهجا أيدلوجيا فلسفياً

يقول بأنه إنما يريد أن يحرر قبر المسيح ، واليوم يحمل الغزو مفهوماً أيدلوجيا فلسفيا يقول بأنه إنما يريد أن يحرر هيكل سليمان ، فالصورة واضحة هى غزو الامة العربية من وراء إدعاء فكرى تاريخى خادع ، ولكنه غزو لإخراج هذه الامة من وجودها وإسلامها إلى السيطرة الكاملة للذوبان فى أتون عالم الغرب .

إن مصدر هزيمة ١٩٦٧ هو نفس مصدر هزيمة ١٩٤٩ — أن اليقظة الذى أنتجتها الصدمة لم تحــرر النفس العربية تحرراً كاملا من التبعية الفكرية والاجتماعية للغرب ، ذلك أن الغرب حين أمسك الامة العربية فى دائرة التغريب وسجنها فى فكره ، وجعلها تتحرك من داخل مفاهيمه قد حال بينها وبين أن تواجه الخطر مواجهة صحيحة واقعية ، وحيث استطاع العدو الصهيونى أن ينمو من خلال التزامه مقومات فكره ودينه عجزت الامة العربية المحبوسة فى سجن الفكر الغربى أن تتحرك إلا وفق قوالب الغرب المضللة ، فلا ترى حقيقة أمرها ولا تستمد من فكرها الاصيل الاستجابة الحقيقية لأزمتها .

إن على الامة التى تسقط فى أزمة ضخمة مثل أزمة الامة العربية بالسيطرة الصهيونية والاستشارية . أن تجد قدرتها على الخروج من قوالب الغرب وسجون فكرة إلى أصالة فكرها ، وتلتمس الحــلول الحقيقية من جوهر قيمها وثمرات ذاتيتها ، وأن تستمع إلى صوت الاصالة الداخلى العميق وتنصرف عن الصوت الغريب التى مهما بدأ ناعماً وباسماً فهو يخفى الحقد والغل والتعصب : (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء فى أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر / آل عمران ١١٨)

وليس ذلك إلا معنى التضليل فى التوجيه :(وإن تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله (الانعام ١١٦) فليس عــلى الامم فى الازمات إلا أن تبحث فى اعماقها ، وتستمع إلى داخلها ، إلى صوت الفطره ، صوت الحق القادم من أعماق الذاتية ومن أعماق المزاج النفسى الاجتماعى العميق الجزور .

وإذا كان التخلف عن العلم هو مصدر الهزيمة ، فإن فكرنا لا يدفعنا إلى شىء كما يدفعنا

إلى العلم ، ولكنه ليس كعلم الغرب له مظاهره ، ولكن له طابع إسلامى أصيل يتجه إلى الحق ويبعد عن الظلم . لقد دعانا ديننا إلى الحيطة والحرص والوقوف على الحدود ، وأن نأخذ حذرنا ، وأن نستعين بالقوة وأن نعدها .

١ — (وليأخـــذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لوتغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة (النساء ١٠٢) .

٢ — (وأعدوالهم مااستطعتم من قوة) (الانفال ٦٠) .

فلنلتمس أصولنا وقيمنا من ديننـــا نبع الضوء الكاشف والمصدر الاول والاخير لكل نصر واتجاه صحيح

(يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيما) (النساء ١٧٤ — ١٧٥) .

(١٤)

التماس المنابع والحفاظ على الإصالة

يقول الصحابى الجليل (حذيفة بن اليمان) : « كان الناس يسألون عن الخير وكنت أسأل عن الشر مخافة أن أقع فيه » وما أحرانا اليوم أن نتبع منهج الصحابى حذيفة من الكشف عن الشر فى مجال ما يعرض علينا من مذاهب ومناهج وأفكار خاصة فيما تحمله لنا الدعوات الهدامة التى تحمل لواءها الصهيونية والاستعمار والغزو الفكرى داعية إيانا الى الانفصال عن الإصالة وعن الماضى وعن التراث . وحيث تجىء هذه الدعوة مغلفة بإطار يحاول أن يجعل الماضى هو التأخر والتخلف والجمود بينما الماضى لايمكن الحكم عليه فى كلمة واحدة ، ولا التراث يمكن أن يوصف كله بالجمود . وليس كل الماضى تخلفاً ، وليس كل الجديد تقدماً ، وليست هناك أمه تؤمن بكيانها وقيمها وعزتها تستطيع أن تتجاوز ماضيها ، وتضع بينها وبينه الحواجز والسدود .

إن كلمتى الماضى والتراث وإنما يراد بها أن تشمل كل مالدى المسلمين اليوم من ميراث عقائدى وفكرى واجتماعى . ولذلك فنحن نتحفظ إزاءهما ، فإذا مافصلنا دعوة الإسلام وقرآنه ، وما يتصل بالتوحيد وبالوحى وبالنبوة والتشريع والأخلاق . إذا ما فصلنا هذا عن الماضى والتراث باعتبارها أصولا ثابته لا تقبل الحكم فيها أو عليها ، لأنها من عند الله ، فإن الأمر يمكن أن يوضع موضع النظر والنقد والمراجعة . غير أن الحاملين على التراث والماضى إنما يستهدفون أساساً هذه الأصول التى جاءت بها دعوة الإسلام من عند الله ليدخلونها فى إطار مايجوز مواجهته بالنقد أو الانتقاص .

أما إذا انحصر الحديث فى تاريخ المسلمين وأعمالهم وموقفهم من شريعة الله فإن هذا العمل البشرى قابل للنظر والمراجعة .

لقد قدم الاسلام وحى السماء إلى البشرية منهجاً كاملا صالحاً لكل زمان ومكان جامعاً بين العبادة والمعاملة ، شرعة لحياة الفرد والجماعة ذات إطار واسع وأصول عامة وضوابط ثابتة وحدود قائمة ؛ فهذا كله الذى جاء به النبى محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة وتضمنه القرآن كتاب الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل ، وسنة رسول الحق ، فهذا ما لأحد من دعاة الفكر البشرى أن يصفه بأنه قديم وماض ومرحلة عابرة ، فإنما الدين دعامة الحياة وعروة الله الوثقى القائمة بينه وبين الامم والشعوب .

أما إذا جرى البحث حـــول أعمال المسلمين ومواقفهم وتطور فكرهم ومجتمعهم ، وكيف ساروا فأحسنوا ثمة وأخطـــأوا تارة ، فذلك مجال البحث مفتوح ، ماقام على أصول البحث العلمى وبعيداً عن أهواء الباحثين وأوهام الدارسين ونحن مـــع رسالة الله الحقة على طريق وتفسير تاريخنا الإسلامى واضح ، فإذا إنحرفنا عن الطريق واجهتنا الازمات والأخطار فإذا عدنا إلى الطريق تحقق النصر فليس الماضى كله تخلفاً وفى هذا الماضى عبرة لنا نستضوء بها لنعرف كيف نواجه أزمات الحياة وأخطارها ، المنار الثابت هو الدين الحق ، والصورة التى جرت على مدار الأيام خلال هذه القرون الأربع عشر هى العبرة وهى التطبيق ، وليس أصـــدق دعوة توجه إلى المسلمين اليوم من دعوتهم إلى التماس « المنابع » والحفاظ على « الإصالة » وإن أول أهداف التماس المنابع أن نعرف منطلقنا والخيط الذى نرتبط به ، والضوء الذى يهدى على الطريق . فإذا فقدنا ذلك فاننا لن نعدم متاهة ليس فيها إلا الدمار ، وإن أول أهداف الحفاظ على الأصالة ، إنما هو التحرر من دائرة التبعية والتقليد والاحتواء والولاء لغير مفهوم التوحيد الأصيل .

ولا ريب أن المحاولة كلها منذ بدأ عصر الغزو الفكرى والتغريب على يد الاستعمار والصهيونية إنما كانت تستهدف أمراً واحداً هو « ذوبان الشخصية » فقد جاءت كل الشبهات المطروحة من أجل تحقيق هذا الهدف ، من أجل إحتواء هذه الامه فى بوتقة العالمية حتى نفقد طابعنا الأصيل وروحنا الحق ، وذلك هو

الخطر الماثل والأمر القائم الذى لايغفل عنه مسلم ولا ينام ، لقد استمات المسلمون أحقاباً دون أن يتحقق هدف عدوهم فيهم ، ولم يحرصوا على شىء قدر حرصهم على أن لاتذوب شخصيتهم ذات الطابع الخاص ، الربانى المصدر ، الإنسانى المظهر فى الأمم لأنهم إنما جاءوا ليقيموا هذه الشخصية فى الأرض ويثبتوا دعائمها (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) جاءوا ليكونوا كالشامة البيضاء فى الناس كما عبر الأثر الشريف ولقد استطاع الفكر الإسلامى فى القرنين الرابع والخامس الهجريين أن يحطم قيد الاحتواء الإغريقى ، وأن ينتصر عليه بفضل الحذر واليقظة ، ومواجهة خطر الإحتواء والإذابة . ولقد تلتقى الأمم فى مجالات العلم والمعرفة العامة ، ولكنهم فى مجال الثقافات والعقائد يتميزون وتبرز ذاتية كل منهم. ولقد تتبادل الثقافات خبراتها وأساليبها ، ولكنها لاتمتزج ولاتنصهر فى صورة واحدة ، وستبقى للثقافة العربية الإسلامية طابعها وذاتيتها الخاصة .

ولم يحذر الإسلام من شىء قدر تحذيره من التبعية والتقليد ، ولن يحول الإصرار على ثبات الشخصية بيننا وبين تلقى أحدث معطيات العلم والفكر والمعرفة واستيعابها والترقى بها فى مختلف مجالات النهضة والحضارة والتقدم مادمنا نعتبر أن كل وسائل التطور هى بمثابة مواد خام ، تجرى عليها عملية سبك وتحويل وانصهار فى داخل إطار فكرنا وقيمنا .

والمسلمون يفهمون التقدم جامعاً بين التقدم المادى والتقدم المعنوى ؛ وليس تقدماً مادياً خالصاً ، وإن علينا أن ننقل مفاتيح العلم والتكنولوجيا إلى لغتنا العربية فنقيم بناءاً فكرياً أصيل المنهج ، والمسلمون لايرفضون الجديد ، ولكن يقيسونه بحاجتهم وبأخلاقيتهم ويقبلون منه مايزيدهم قوة ، بحيث لاتكون المعاصرة أو التفتح على حساب الركائز الأساسية أو القيمة الاصيلة .

والمسلمون يفرقون بين نقل العلوم والتجريبية ونقل الفكر البشرى ، أن العلم فى إطار الفكر العربى الاسلامى له منطلق واسع ، فهو الذى فتح أفق العلم التجريبى للبشرية كلها ، وهو الذى أعطى الانسانية سنن الكون والطبيعة وعالم

الغيب وما وراء المـــادة ،ومنه انطلق المسلمون ليقيموا المنهج العلمى التجريبى وكان اليونان لايعرفونه .

ونحن نريد أن نذكر أنفسنا دائما بأننا أمـــة ذات حضارة متميزة ، وذات أصول فكر لها طابعها الخاص ، وقد دعينا إلى المحافظة على ذاتيتنا، ونحن نعرف أن هذه الذاتيه الآن هدف من أهداف الغزو الاستعمارى الصهيونى. والايدلوجية التلمودية المستترة وراء عـــديد من المذاهب والدعوات ، ولذلك فنحن نفهم الاصالة على أنها الربط بين الماضى والحاضر على قاعدة الاساس ، فهو تفتح قادر على التمييز فيما يقدم له فيأخذ منه ويدع ويضيف إلى ذاته مايزيدها قوة .

ولقد عمل الاسلام على تحرير أتباعه من التأثير الاجنبى الذى يخرجهم عن طبيعتهم وأصالتهم . ودعا إلى الحذر من الدعوات التى تدعو إليها الصهيونية والاستعمار من أجل القضاء على الذات والهوية ، وتغيير المعالم الاصلية لعقيدتهم وفكرهم وثقافتهم ومزاجهم النفسى . إن هناك حرباً نفسية تعمل على تشكيك أمتنا فى وجـــودها ، رغبة فى تدمير صمودها ومقاومتها تمهيداً لتدمير وجودها نفسه .

إن لنا عدواً خطيراً لايتوقف عن إلقاء السموم والشبهات ، المفروضة علينا فعلينا أن نتحصن منه بالتماس المنابع والحفاظ على الاصالة .

إنطلاق الاسلام من تحت مدافع الغرب

كان الوعى الإسلامى واضحاً فى لقاء قرطبة وفى كل اللقاءات التى عقدت فى الفترة الأخيرة من أجل العمل على إقامة جبهة وفى وجه الإلحاد والمادية من أصحاب الأديان . ولاريب فى أن هذه الدعوة قديمة ، كانت قد أثيرت على فترات متعددة ، من خلال أحاديث كثيرة جرت مع الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغانى وغيرهم .

وكان أبرز مانبه إليه المسلمون هو أنه لكى تقوم جبهة متحدة من أصحاب الأديان السماويه (الإسلام والمسيحية) فإن الأمر يتطلب أولا : التوقف التام من أعمال التبشير الذى تقوم بها منظمات لها أرتباط واضح وعميق بالاستعمار الغربى ؛ وبخاصة فى أفريقيا وجنوب شرق آسيا ، وأنه بدون توقف هذا العمل فانه لا سبيل إلى قيام أى أساس للالتقاء على مقاومة المادية والالحاد ، ولقد كان أبرز ملامح لقاء قرطبة ، تلك الكلمة التى القاها الدكتور عبد الجليل التميمى المؤرخ التونسى عن دور التبشير المسيحى فى شمال أفريقية ، وظاهرة قيام رجال الدين المسيحى باسم المسيحية للعمل على تثبيت أقدام الاستعمار فى كثير من بقاع العالم الثالث ، وقد ضاق الكثيرون من الدعاة للمؤتمر بهذه الكلمة ، وحاولوا مقاطعتها ، ولكن صلابة الدكتور عبد الجليل التميمى وإيمانه كانا عاملين هامين فى أن يوضع ماطرحه من فكر موضع النظر . .

ذلك أنه إذا كانت الدعوة تنبعث من الغرب المسيحى إلى عالم الإسلام للحوار حول مواجهة المادية والالحاد والدعوات الهدامة ، فإن آكد الوسائل لإمكان قيام هذا الحوار هو اعلان البابوية توقيف أعمال التبشير التى هى فى ذاتها معارضة واضحة لما يحاول البعض تقديمه الآن من تعبيرات عن عظمة الإسلام . وأنه لا يمكن للإسلام أن يكون قادراً على العمل فى حقل جماعى

لمقاومة الألحاد والمادية إلا إذا كانت الأطراف كلها معترفة بوجوده وقدرته متوقفة تماما عن الحملة عليه ومعارضته عن طريق المؤسسات الداعية إلى معاضه الإسلام والانتقاص منه فى نظر أهله . بل وهى التى تحمل لواء حربه حرباً تربوية وتعليمية بما تفرض من مناهج فى معاهد وجامعات التبشير الكبرى .

وقد أشار الدكتور التميمى إلى مدى الخطر الذى لحـــق بالمغرب (تونس والجزائر ومراكش) نتيجة للتبشير الذى قامت به المسيحية فى أطار إحتواء هذه البلاد الإسلامية استعماريا عن طريق تغيير عقيدتها وفكرها ، ومما قاله فى هذا الصـــدد :

« إن نشاط لافيجرى التبشيرى بعد الاحتلال الفرنسى للبلاد قد مكنه من تحقيق ما عجزت عنه السلطة السياسية والعسكرية فى تركيز التأثير الفرنسى ودعم مركز فرنسا ونشر الحضارة الغربية المسيحيه عن طريق اللغة التونسية وكسب ثقة وعطف الطبقة المستنيرة وكذلك خدعـــة مشاعر العوام وأحاسيسها بفعل المساعدات » .

وهذا يعنى أن التبشير قد أتخذ وسيلة لتركيز الاستعمار الفرنسى فى هـــذه المناطق . . وهذا هو ماحـــدث فعلا فى المناطق التى احتلتها انجلترا : (مصر والسودان والعراق والهند) وما احتلتها هولندا : (الملايو وأندونيسيا) وهكذا بل إننا لنذهب إلى أبعد من ذلك فنقول : إن هذه التبعية وهـــذا الخضوع للتغريب والغزو الثقافى الواضح فى مجالات المدرسة والصحافة والثقافة فى العالم الإسلامى كله إنما جـــاء نتيجة التبشير والإرساليات التى استخدمت نتاج (مؤسسة الاستشراق) التى كانت ذات جناحين : جناح مرتبط بالكنيسة، وجناح مرتبط بوزارات الاستعمار فى دول الغرب . وخير نموذج فى مجال الاستشراق : « ماسنيون » الذى جمع بين الجانبين .

● ونحن نعرف أن التبشير منذ عام ١٩٣٠ م تقريباً (وبعد مرحلة طويلة بدأت عام ١٩٣٠ م فى الجزائر ، وامتدت إلى الدولة العثمانية والهند وجنوب

شرق آسية ، قد غير جلده فى هذه المرحلة ـ بعد مراجعة كاملة لأهدافه ـ واختار أسلوب التخفى وراء المناهج الدراسية والجامعية والثقافية .

وبذلك حاول أن يزيل الصورة القاسية التى كانت تتمثل فى العمل الصريح المكشوف وأن أبلغ صور التحصين التبشيرى الآن . إنما تتمثل فى التعليم والثقافة ، وهى فى صميمها مناهج تبشرية وضعت فى أسلوب عصرى .

ويعرف المراقبون أن الاستعمار الفرنسى قبل خروجة من الجزائر (فى السنوات الاخيرة أنشأ فى الجزائر من المعاهد والمدارس ضعف ما أنشأه خلال فترة استعماره كلها) وإن كانت حركة التغريب والتحرر من نفوذ الفكر الغربى فى الجزائر قد قضت على أغلب هذا الخطر . ومن هنا فقد كانت كلمة الجزائر التى أعدت بتوجيه الاستاذ « مولود قاسم » كانت غاية فى القوة والسداد . . فقد أعلن عبد الجليل التميمى فى كلمته وأكد (أن حركة التبشير لاتزال متواصلة عبر العالم الإسلامى ومنها الجزائر . وأنها تركز بصفة خاصة على الشباب فى المدارس وتطرق الأبواب أحياناً فى المدن والريف بالمناشير والرسائل) .

وأعلن المتكلم أن معه مجموعة من الوثائق المثبتة لهذا : آتية من أسبانية ومن بيروت ومن روما وفرنسا وغير ذلك . وقال إن كثيراً من البلدان الإسلامية طلبت من الجزائر التدخل لدى المنظمات المسيحية لإيقاف هذه الحركة . وذلك لأن فى الجزائر شخصية دينية ممتازة تمثل البابوية ، وأن كثيراً من البلدان العربية طلبت التدخل لوقف النشاط التبشيرى وقال : إنه بودنا أن يزول هذا التنافس بين الاديان ، ويحل التعاون فى ميدان مواجهة الانحلال والالحاد ، وأن من شأن الازمة الدينية فى الغرب أن توجه التبشير نحو هذه المجتمعات التى تعانى من الانهيار الدينى والخلق ، وأنه من المتعذر قيام أى حوار بين اتباع الديانتين إذا بقيت لدى طرف من الاطراف الرغبة فى فرض معتقده على الآخر .

ولا ريب فى أن لقاء قرطبة كانت له جوانب أخرى لم يكتشفها البحث ، فهى إن كانت قد حققت إقامة الصلاة الإسلامية الجامعة فى نفس المكان الذى

خرج منه المسلمون فى عام ١٤٩٢ فى ١٥ سبتمبر ١٩٧٤ فإنه علامة على حقائق كثيرة . فقد جاء فى الوقت الذى تجدد فيه اسم العرب وهم يصلون مرة أخرى إلى مكانهم المرموق فى العالم كله ، ويسيطرون على : الطاقة والثروة والتفوق البشرى . ويسعون إلى امتلاك التكنولوجيا .

وتجرى فى كل مكان فى العالم الآن دراسة اللغة العربيـــة وتاريخ العرب والإسلام من جديد فى هذا الضوء لمعرفة إلى أى مدى سيكون العرب أقدر عليه بعد جيل من الزمان ، وبخاصة منذ أوائل القرن الخامس عشر الهجرى الذى يبدأ بعد سنوات بعام (١٤٠٠) الهجرى مباشرة .

وقد جاءت هذه المحاولة ومحاولات أخرى تحت اسم الحوار جرت فى بعض العواصم العربية تحت تأثير الصيحات التى ترتفع الآن فى الغرب ، مطالبة بأن ينظر فى شأن النظام الإسلامى ، وهل هى فى استطاعته أن يعطى أمن النفوس وسلامة المجتمع ، وذلك بعد أن أخفقت تجارب الغرب جميعاً فى خلال أكثر من أربعمائة عام بين ديمقراطية وماركسية وفرويدية وليبرالية ووجودية ، ولم تحقق لهم إلا التمزق والأزمة . ومن هنا فإن خطراً خطيراً يواجه هذا التيار ويحاول أن يفسد اتصاله بالإسلام ، وذلك هو ما تحـــاوله الصهيونية العالمية ، حين تتخذ بعض رجال الكنيسة وسيلة إليه ، وذلك بالقول الذى يتردد الآن من أنه ليس بين المسيحية والإسلام من فوارق كثيرة ، وأن الخلافات التى بينهما هى خلافات أكاديمية ، كما أعلن ذلك غير واحد من المنسوبين إلى العمل الإسلامى . ومعنى هذا القول حين يتردد فى آذان أصحاب الدعوة إلى اكتشاف الإسلام فى الغرب ، معنى هذا أن الإسلام والمسيحية سواء . بخاصة وأن الإسلام يعترف بالمسيحيه . ومن هنا فإن علينا أن نبين موقفنا بوضوح إزاء ذلك . فنقول : إن أديان السماء كلها ، هى فى الأصل دين واحد ، وأن الإسلام إنما جاء ليضع رسالة السماء كلها فى منهج عالمى خالد ، وأن كل دعوة سبقت الإسلام إنما حملت فى أطوائها الإيمان بالإسلام وبمحمد صلى الله عليه وسلم متى بلغها دعوته ، ولكن أصـــحاب الأديان حرفوا وبدلوا ، وأزالوا هذا الارتباط ؛ ومن ثم فإن

اعتراف الإسلام بالمسيحية إنما هو اعتراف برسالتها السماوية الأساسية ، وليس بوضعها الذى وصلت إليه بعد التحريف والتغيير الذى أدخل عليها . وبخاصة فى أمور ثلاثة كبرى هى : التثليث والصلب والخطيئة . . والإسلام منها براء . . ومن هنا فإن الخلاف بين الإسلام والمسيحية ليس أكاديميا كما يدعى المدعون ، ولكنه عميق ، وفى الأصول الأســاسية . غير أن هذا الخلاف لا يمنع من أن تتوقف أعمال التبشير ، وأن تعترف المسيحية للاســلام بمنهجه الربانى . . ولا ريب فى أن البشرية لن تجد أمامها سبيلا صادقاً إلا حين تعرف الإسلام ، وإن كل المحاولات التى ترمى إلى صدها عنه ، أو حجبه عنها ، أو تزييفه لديها سوف تسقط، وسيتمكن الإسلام من إعلان جوهره وحقيقته كنهج أوحد فريد للبشرية لا سبيل إلى تحقيق سعادتها الاجتماعية العــامة والنفسية الفردية إلا به وسوف تسقط كل محاولات الصهيونية فى الصد عنه .

• وإذا كانت أسبانيا اليوم تفتح صدرها للعرب، فإنها إنما تحاول أن تصحح تاريخها الذى زيفته عوامل كثيرة ، ومحاولة عزلها عن مرحلة (ثمانية قرون) من أزهى صفحات تاريخها وتاريخ الغرب كله ، وهى المرحلة التى اتصل فيها الإسلام بالغرب عن طريق الاندلس وترك لها أعظم أمانات البشرية ، وهى المنهج العلمى التجريبى ، الذى هو أساس الحضارة الحديثة . ولقد أشار الباحثون والعلماء إلى مدى الأثر الذى تركته معركة (بلاط الشهــداء) التى توقف بها الامتداد الإسلامى فى أوربا عند (تور وبواتيه) وكيف أنها فى تقدير حصفاء المفكرين والمؤرخين قد أخرت الحضارة الغربية سبعة قرون .

وعندما تقرأ ما كتبه (فيرناندو دى لانورى) وزميله فى إحدى الدراسات الأســبانية عن علاقة العرب بالأندلس ترى تفهماً عجيباً مغايراً لما كان عليه الموقف منذ سنوات بعيدة : يقول : « لقد ارتبطت أسبانية بالعرب خلال ثمانية قرون بالثقافة والمصالح الاقتصادية والاجتماعية ، وأتاح التسامح الإسلامى طيلة ذلك العهد الذى بدأ عام ٧١١م إلى أن يشعر سكان شبه الجزيرة التى فتحت أراضيهم

بانجذاب نحو العربى الذى دخل إلى أسبانية عبر الاندلس ، ولم تكن حرب استعادة السيادة قط عربا ضد العرب ؛ ولكنها كانت صراعاً من أجل الإدماج ، أما (اللاتسامح) الذى أيدناه نحن أمام محاكم التفتيش فهو الذى أقام التمييز بين المسلمين والمسيحيين . ودفع العربى الذى كان قد أعطى علمه وثقافته ثمن ذلك بأن طرد من وطنه دون أن يتنبه أحد إلى أن (أبا عبد الله) آخر ملوك بنى الأحمر كان اسبانيا مثل (فرناندو) ملك الاراجون ، وجاءت القرون التالية لتفصل بين العرب والاسبان فاتحة هوة سحيقة امتدت أربعة قرون . وفى تلك الاثناء لم تبق فى أسبانيا إلا بعض الآثار الثقافية والعلمية سرعان ما أجهزت عليها عوامل الازمنة الحديثة دولة أسبانية وجهها إلى ماوراء البرانس ، وأدبرت عن شمال أفريقيا . وفى ذلك الوقت بدا حجنا نحو أوروبا التى كانت تجهلنا أو على الاكثر كانت تعتبرنا ساحة لممارسة النفوذ . أو إقامة أفراد أجانب يمثلون عرش أسبانية ، وخلال ذلك أصبح العرب والقشتاليون لانقول أعداء . بل يجهل بعضهم بعضا ، وها هو ذا العالم العربى بدأ انبعاثه ، كما أن أسبانيه وجدت نفسها وعثر فى جذورها على أشياء كثيرة مشتركة مع العرب .

هذا هو التحول الجديد فى الموقف بين العرب والغرب ، يؤكد أن هناك تياراً جديداً يؤمن (أولا) بأن العرب والمسلمين قدموا للغرب الكنوز العظيمة من العلوم والتآليف العلمية والطبية ، وضعوا أساس المنهج العلمى التجريبى .

(ثانياً) ويؤمن بأن العرب يملكون الآن المنهج الإجتماعى الوحيد الذى لم تجربة أوربا ولا الغرب ، والذى يحمل تجربة مختلفة .

(ثالثا) ويؤمن بأن العرب الآن يستعيدون قوتهم ومكانتهم من جديد ، ولا عجب فى أن يتصل أمرهم بالغرب من حيث امتلاكهم للطاقة والموارد

الاقتصادية والتفوق البشرى ، ولن يعجزوا عن إمتلاك (التكنولوجيا) فى القريب .

واقد كتب أحدهم منذ وقت بحثاً تحت عنوان : (العرب على أبواب مدريد) . . وقد جاءت تنبوءات كثيرة تؤكد مقدرة المسلمين والعرب فى القريب بأن يقدموا فكرهم للغرب فيكونوا على أبواب أوربا . ولكنهم لن يكونوا دعاة إستغلال أو سيادة ، فقد كانوا وسيظلون دائما دعاة الحق ومبلغين رسالة الإسلام التى تجد أوربا والغرب كله حاجتهم إليها . وقد بدت بالغة وهامة .

(١٦)

وسقط جدار العلمانية الزائف

فى إبان النكسة ومن آثارها كتب أحد الصحفيين العرب المرموقين هذه العبارة علامة على الطريق الذى وصل إلى نهايته منذ سيطر الاستعمار ، وجاءت فى أثره الصهيونية والماركسية لتكمل حلقة الحصار للأمة الإسلامية والفكر الإسلامى قال : « إن التغيير الذى أحدثته التكنولوجيا يجعل أقدس الكتب بمنزلة أوراق البردى القديمة ليس لها مكان إلا فى المتاحف » .

هذه العبارة التى كتبت باللغة العربية لم تكن تمثل عقلا عربياً ، ولا قلباً عربيا ، وإنما كانت تمثل التبعية التامة والاحتواء الكامل لجماعة التغريب الذين شكلتهم مدارس الإرساليات ومؤسسات الاستشراق ومحافل الماسونية ليكونوا كتاب العصر وقادة الفكر ، وحملة ألوية التبعية والداعين إلى إسقاط العالم الإسلامى كله فى شبكة الاحتواء العلمانية والأممية .

وإذا كان القائل يعنى بالكتب المقدسة ما عرفه الغرب فهو حر فى مقالته . أما إذا كان يعنى ما جاء به الأنبياء فهو مبطل ، لأن رسالات السماء قد استوعبت ما بعد التكنولوجيا مما يجىء به العلم ويعرفه خالق السموات حتى يرث الأرض ومن عليها . وما هو ذلك التغيير الذى أحدثته التكنولوجيا مما يتعارض مع رسالة السماء . أن ما كشفه العلم ليس إلا شيئاً قليلا من قشور العلم ، والعلماء أنفسهم اعترفوا بأنهم يدورون حول « ظواهر العلم » ولا يفهمون إلا علامات يسيرة فى كون ملىء بالأسرار ، وأنهم قد عجزوا منذ وقت بعيد عن الإجابة عن السؤال : لماذا وكيف ؟ .

إن ما كشفت عنه التكنولوجيا فى العلم الحديث فى أعلى معطياته إنما يدل على

سمة هذا الكون وعظمته وبالتالى يدل على عظمة خالقه وقدرته غير المحدودة ، ودوام نمو هذا الكون واتساعه « وإنا لموسعون » .

وهذه التلسكوبات الجبارة التى تحاول أن تصل إلى أبعاد المجرات إنما تعطى مزيداً من التعريف بعظمة الخالق ، ١٥٠ مليون مجرة ، وفى كل مجرة ٥٠ مليون شمس كشمسنا هذه ، هذا ما وصلت إليـــه البلورات وماوراءه أكثر وأكثر . وما أعطته التكنولوجيا مما تخرجه الارض من نفط وذهب وفوسفات وكوبلت دليل على عطاء الله الذى لاينفد ، والذى يكذب كل مايدعيه اتباع التلمودية من قلة الموارد ، ذلك أن الحقائق تثبت أن هناك (قانون الوفرة) مما يكشف بعد عنه من ثروات فى الجبال والبحار والصحارى .

وان ما أحصاه مندل فى أول القرن من ثروات الارض ورأى أنه لايكفى البشرية،قد تضاعف أكثر من ألف مرة ، كما تضاعف سكان الارض ، ومايزال عطاء الله واسعاً لاينفد .

وإذا كانت التكنولوجيا قد كشفت عن أعاجيب فى سرعة اتصال القارات البعيدة بوسائل الطيران وبسرعة الصوت ومضاعفاتها فذلك مما يزيد المؤمن إيماناً بعظمة الله تبارك وتعالى الذى أشار الى ذلك فى كتابه المقدس (القرآن) ، الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ان التكنولوجيا لا تتعارض مع الوحى الإلهى الذى جاء به فى كتاب الله الناطق ولا كتابه الصامت ، ولكن التعارض فى الحقيقه جاء مع الفلسفة المادية . إن العلماء التجريبيون الذين يعملون فى المعامل يقرون بخالق عظيم وقادر وراء هذا الكون يديره فى دقة واحكام ، ويمسك السموات والارض أن تزولا . ولكن الفلسفة المادية هى التى تعمى عن الحقائق ، وتحاول أن تأخذ من العلم قشوراً لتفسد بها العقل البشرى،والنفس البشرية ، وتردهما إلى حمأة الإلحاد وظلام الوثنية .

إن التكنولوجيا لن تستطيع أن تحدث تغييراً إلا فى الأشكال المادية . أما

المعنويات فإنها تعجز عن تغييرها . فالنفس الإنسانية التى برأها خالقها جامعة بين الروح والمادة والغرائز والأشواق العليا لاتستطيع التكنولوجيا أن تغيرها، ذلك لأن الأديان إنما جاءت لتجعل الإنسان قادراً على إخضاع كل معطيات العلم لوجهة الحق ليكون كل ذلك فى خدمة المجتمع الربانى القائم عـــلى الرحمة والإخاء والعدل والكرامة ، فإذا انحرفت المـــادية وغفلت عن جانبها المعنوى والروحى والإنسانى فإنها هى التى تسعى إلى تدمير نفسها .

ولما كانت التكنولوجيا هى آخر معطيات العلم فإن العلم نفسه مصدرها . إنما جاء به الإســـلام حين أعطى الناس مفاتيح نواميس الكون والحيـــاة والمجتمعات وقوانينها . هذه التى تحققت بفضل العلماء المسلمين إلى ماأطلق عليه المنهج التجريبى استمداداً من الآيات القرآنيـة : « قل انظرو ماذا فى السموات والأرض » وإذا كانت الحضارة الحـــديثة قـد التقطت الخيط من الحضارة الإسلامية وسارت به فى الطريق المعاكس أو المنحرف . فإنما هى بذلك قد عارضت الوجهة الأصيلة : وجهه الفطرة التى فطر الله الناس عليها . ومن ثم فتلك أزمتها القاسية التى تمر بها الآن وهى تجرى بعيداً فى التيه بعد أن أعلنت التطور المطلق ونسبية الأخلاق ومادية الحضارة ووثنية الفكر وإباحية المجتمعات .

لقد كانت هذه الكلمة واحدة من كلمات التغريب أريد بها أن يقال : إن العالم الإسلامى قد دخل فعلا فى « احتواء » العلمانية والأممية ، وأنه خضع تماماً للفلسفة المادية ، بين الاستعمارية الماركسية الصهيونية ، وأنه قد أصبح « لقمة » سائغة فى أيدى القوى التى صنعت بروتوكولات صهيون ، وأعلنت أنها سوف تسيطر على الفكر البشرى والأديان والأمم . ولكن لم يكن بين هذه الكلمات الملحدة الفاسدة ، وبين الصحوة إلا قليل ، فقد عرف المسلمون والعرب أخيراً أن هذا الطريق الذى سلكوه قد عجز أن يحقق لهم شيئاً ، وأن الفكرة المسمومة التى ألقيت إليهم فى أول الطريق بأن يحارب الاستعمار بأدواته لم تكن إلا خداعاً وأن السبيل الحق للتحرر والقوة وامتلاك الإرادة ليست إلا شيئا واحداً هو هـــذا « المنهج الربانى الأصيل » الذى اهتدى به المسلمون كلما ادلهمت أمامهم

الأحداث ، وأظلمت الليالى ، ذلك نورهم الوحيد . كتاب الله وطريقه ، وأن الحقيقة الوحيدة هى أن يأخذ المسلمون علوم الغرب وهى عالمية ليست ملكاً لأمة بمفردها وأن يصهروها داخل نظامهم . عندئذ يجدون أنفسهم ويجدون طريقهم.

إن الإطار الذى يجب أن يتحرك فيه المسلمون والعرب هو منهج حياتهم الأصيل ومن خــلاله يستطيعون استيعاب التكنولوجيا وعلوم العصر ، وهذا ماحدث تماماً فى منطلق طريق النصر الذى بدأه العرب فى حرب رمضان إنهاء لمرحلة قاسية عنيفة بدأت بالاحتلال وانتهت بالنكسة ، ومرت البلاد خلالها بمؤامرة خطيرة أرادت أن تفرض عليها المنهج الغربى فى العيش والفكر والثقافة احتواء لها ، وإخراجاً من دائرة فكرها الإسلامى . ومن يوم أن قبل العرب والمسلمون التبعية للفكر الغربى والأسلوب الغربى للحياة « سياسية واقتصادية واجتماعية » وقد توالت الهزائم واللطمات وسقط كثير من القلاع والحصون حتى وصل اليهود إلى القدس ، وأصبحوا قريبين جــداً من دمشق وبغداد والقاهرة ومكة . فكان لابد أن تنكشف أمام النفس العربية والعقل العربى شرارة ضوء تردهم إلى الحق وإلى الطريق، وبذلك سقطت تلك الشبهات والحرب النفسية التى أثيرت فى وجه المسلمين والعرب بهدف احتوائهم ، ويكفى أن يقول كاتب أوربى كبير « إن ماهو خطير فى تدمير خط بارليف وحصون الجولان ليس تحرير جزء من الوطن العربى المحتل ، وإنما هــو تدمير صورة ثابتة عن الإنسان العربى كانت رائجة عندنا . لقد كشفت الحرب عن بسالة العربى وقدرته على استيعاب فنون الحرب الالكترونية وإحراز التقدم التكنولوجى بأبعاده من المعارف العلمية الأساسية والقدرة الإدارية العصرية . وهكذا عبر المحارب العربى مسافة التخلف من معطيات التقدم العلمى التكنولوجى . وبين القدرة على استيعاب إبعاد هذا التقدم » .

وهكذا نجد أن التكنولوجيا قد سارت فى إطار « الله أكبر » وتحركت فى دائرة الإيمان بالله والثقة بنصره ، والاعتماد عليه ، وفسدت المقولة الزائفة . فقد خضعت التكنولوجيا لــكتاب السماء وعملت خادمة له لأنها من عطائه .

ولأنها فى وجهتها الصحيحة أداة من أدوات قيام الحق وسقوط الباطل وهزيمة المادية التى تحمل لواءها الصهيونية والاستعمار والماركسية مجتمعة. وقد اجتمعت فى مواجهة عالم الإسلام والعرب لتحتويه وتسيطر عليه وتقضى على كيانه المعنوى ووجوده الخاص وذاتيته.

إن كتاب الله هو صلة السماء بالأرض الباقية وحدها، والقائمة منذ أرسل الله رسله إلى أن يطوى هذا الوجود، أما التكنولوجيا فهى مرحلة من مراحل العلم قد تستهلك ألف عام أو ألفى عام من عمر مديد يأتى بعدها من أسباب التقدم ماقد يفوقها قوة وأثراً. ولكنه لايستطيع أن يكون شيئاً إلى جوار كلمة الله العليا بالحق، القائمة على النفس البشرية والتى يقهر الله بها عباده. ماأبعد الفرق فى المقارنة بين (كتاب الله) وبين التكنولوجيا التى هى واحدة من عشرات الألوف من معطيات الله التى ذللها لعباده ليعرفوه بها وليعبدوه ولتقام بها عليهم الحجة يوم ينصب الميزان.

لنواجه الفكر الوافد فى ضوء الاسلام

إن حقائق كثيرة ، ووثائق عديدة ، تكشفت فى السنوات الاخيرة ، لها أثر كبير على كثير من الإراء والنظريات والقضايا التى كانت تعد فى نظر الكثيرين من المسلمات فى مجال الفكر والثقافة والتاريخ ، مع أنها شبهات زائفة صيغت فى صورة لامعه براقة خادعة فبدت كأنما هى حقائق ، وأستمر خداعها زمناً طويلا وكان بعيد الأثر فى تحقيق أهداف التغريب والغزو الثقافى الراميسة إلى انتقاص قيمنا ، وزلزلة الثقة بمفاهيمنا وعقائدنا .

ومن شأن هذه الحقائق أن تدعونا إلى إعادة النظر من جديد فى آفاق الفكر الإسلامى والثقافة العربيه ، وموقفها من الفكر الوافد .

ومن أخطر ما تكشف فى سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية: تلك المخططات الاستعمارية الصهيونية السرية الرامية إلى تدمير المجتمعات الإنسانيه ، وخاصة المجتمع الإسلامى العربى عن طريق طرح عديد من النظريات والمذاهب الوثنية والمادية المتصلة بالنفس الإنسانية والاخلاق والعقائد والتاريخ واللغة ومقارنات الأديان والتربية .

وقد قصدت هذه المخططات إلى محاولة تغريب العرب والمسلمين وتفريغ الفكر الإسلامى العربى من مقوماته وقيمه وإذابته فى بوتقة الفكر العالمى الوثنى المادى والعمل على إسقاط الفكر الإسلامى والقيم الإسلامية ، وإخراج المسلمين والعرب من قيمهم ومقدراتهم وتذويبهم فى الأممية والعالمية .

وقد جرى ذلك عن طريق خلق دائرة براقة تحمل لواء ما يسمى بالحرية الفكرية والعصريه ، ثم عمدت هذه الدعوه إلى إعلان شأن الماضى الفرعونى والإغريقى والجاهلى للعربى ، وإحياء الأساطير ، وإعادة صياغة الوثنيات

والفلسفات السريانيه والمجوسيه والباطنيه وإحياء عشتروت وزيوس وباخوس الخ.

ثم عمدت هذه الخطة إلى إخراج التاريخ الإسلامى وبطولاته من مفاهيمها العربية الإسلامية وذلك بالتشكيك فيها أو إخضاعها للمفهوم الماسونى الإغريقى الذى يختلف اختلافاً واضحاً مع مفهوم التوحيد الإسلامى .

ولم يقف الأمر عند هذا ، بل إن هذه الخطة شملت طرح نظريات خطيرة فى مجال العنصرية والأجناس وفى مجال الدين المقارن ، وفى مجال تزييف الأخلاق والقيم ومفاهيم الحضارة والتاريخ والأدب . وجرى ذلك كله من خلال نقطة انطلاق واحدة هى المادة التى ترفض الأديان والنبوات والرسالات السماوية ، وتدعو إلى بعث الوثنيات وأفكار الفوضوية والإباحية والإلحاد .

وقد وضعت هذا المخطط قوى كثيرة ، هى الصهيونية والاستعمار والمادية وهى قوى كلهاتتجمع على العمل لسحق المسلمين والعرب، والسيطرة على مقدراتهم وثرواتهم ، والحيلولة بينهم وبين إمتلاك إرادتهم أو استعادة قوتهم وذاتيتهم ، وقد إنطلقت هذه القوى من نقطة واحدة هى : —

إزالة شخصية (عالم العرب والاسلام) وتفريغ ذاتيته وإذابته فى الأممية العالمية ، واحتواء مفاهيمه وقيمه ، حتى يصبح تابعاً ليس من جهة مقرراته وثرواته فحسب ، بل من خلال وجوده وكيانه وشخصيته .

ولقد جرى تنفيذ هذا المخطط منذ وقت بعيد ، وشاركت فيه القوى الاستعمارية والدولية والصهيونية ، واتخذت من التبشير ومعاهد الإرساليات والمحافل الماسونيه أداتها . فقد أثبت خريجوا هذه المعاهد والمحافل فسيطروا على على بعض وسائل الصحافة والثقافة والمدرسه وأتخذوا منها فى بعض الأقطار أداة قادرة على تغيير فكر هذه الأمة وتزييف مضامينه وبث الفلسفة الماسونيه المادية التى تستهدف تدمير القيم والأخلاق والأديان بطرح عشرات من الشبهات والأشواك والأخطاء أمام المثقفين .

وقد أستطاعت سموم هذه الشبهات أن تسرى فى النفوس والعقول — آنذاك — لأن الاستعمار قد أفسح لها الطريق حين حطم الحصانة النفسية والروحية التى كانت تحمى النفس العربية أو الإسلامية من الغزو — حين ألغى دراسة الإسلام والعربيه والقرآن من مناهج التعليم المفروضه ، والتى كانت جميعها او أغلبها تدرس بلغة المستعمر الانجليزية فى مصر والسودان وفلسطين والعراق الفرنسيه فى المغرب كله وسوريه ولبنان .

فقد أستطاعت قوى الاستعمار حين سيطرت على مناهج التعليم أن تفرغها من مفاهيم الإسلام الصحيحه ، وأن تباعد بين الشباب المتعلم ومنهج القرآن الفكرى والتربوى والاجتماعى ، ثم تحولت من مفهوم الإسلام إلى مفهوم لاهوتى قاصر لا يمثل عظمه الإسلام الجامع (ديناً ونظام مجتمع) .

ومن ثم دخلت إلى مفاهيم الإسلام زيوف كثيرة واختلطت بمفاهيم الوثنية والماديه والأديان الوضعيه غير السماويه ، التى خرجت عن التوحيد والفطرة .

لقد كان الإسلام فى ذاته يحمل من الاصالة ما يجعل فكرة متميزاً عن فكر أى أمه أخرى ، هذه الإصالة التى استمدها من وحى السماء ورسالة النبوة ، وكلمات الله المنزلة .

ولقد كانت نقطه البدء فى هذا المخطط كله كلمه واحدة هى : إخراج المسلمين والعرب عن مقومات فكرهم ، هذه المقومات التى أمدتهم فى كل أزمة ولا تزال وستظل تمدهم بالقوة والصلابة والصمود فى وجه كل غزو ، وأزاء كل قوة خارجية — وماهام المسلمون والعرب مستمسكين بمقومات فكرهم التى استمدوها من القرآن أساساً ، فأن أى قوة غازية أوسيطرة تعجز — كما عجزت مرات على طوال التاريخ الإسلامى — عن أن تقف فى وجوههم ، وأنهم إذا عادوا الى مصادرهم ومنابعهم ، فإنهم سيكونون قادرين على الصمود فى وجه أعتى قوى الأرض ، ومواجهتها وسحقها .

ولذلك فان العمل الخطير — فى تقدير حركة التغريب — هو تزييف هذه

المقومات وإشاعه الشبهات حولها ، ومسخها وضربها بمفاهيم أخرى على سبيل خلق الشكوك والريب ، وكذلك إفساد المصادر نفسها بالإسرائيليات القديمـــة والجديدة ، وإفساد القائمـــين على هذا الفكـر بالتبعية والولاء والطموح إلى المناصب والثراء ، وإفساد من تلقى إليهم بتفريغ مناهجهم المدرسية من (روح الإســـلام) .

ومن ثم يصبح ما يبقى من مظاهر الإســـلام كدين لاهوتى دون قيمة حقيقية ولا قدرة على التصحيح .

ومن ثم فهى لن تحمى هذه النفوس والعقول من أهواء المغريات التى يطرحها بريق الحضارة تحت الأضواء وحـــول النار : نار الشهوات واللذات والمتع والمغريات مع سريان مذاهب الإباحة والإلحاد ، وتشبع الثقافات بها ، وترويج القصص الجنسية لها . ومن شأن وسائل الإغراء بالصورة العادية والـــكلمة المكشوفة ، أن تقدم فى هذا المجال ما لا يدع للنفس العربية الإسلامية ولا للعقل العربى الاسلامى مجالا للبحث عن قيم الأخلاق والايمان والتوحيد ظنا منهم أنها ستذوب كلها تحت ضربات معاول الهدم الصارمة . ذلك هو لب المخطط الخطير الذى فرضته القوى الاستعمارية الصهيونية على عالم العرب والاسلام ، واستطاعت خلال خمسين عاما أن تغرقها فيه إغراقا فى الوقت الذى زحفت قوى الغزو الصهيونى واستطاعت فى غفلة مؤقته أن تسيطر على فلسطين فالقدس .

وأن أخطر ما يواجه العرب والمسلمين اليوم أنهم قد يتحركون من داخل دائرة الفكر الذى فرضه عليهم النفوذ التغريبى الخطير ، ولذلك فان أول علامات اليقظة والمقاومة هى التحرر من مقاييس التغريب ومذاهبه والمفاهيم التى حاول أن يفرضها — وهى زائفة أصلا — من أجل تدمير النفس العربية الاسلامية واحتواء العقل العربى الاسلامى .

إن أول علامات اليقظة أن نكشف هذا المخطط ، وأن نعيد النظر فى المفاهيم الخاطئة ، والمصطلحات المنحرفة والشبهات المطروحة . ذلك أن أصالة الذاتية

العربية الاسلامية الجذور الصلبة المؤمنة تتمثل فى أنها لم تستسلم أبدا ، وأن هناك ضوءاً كاشفا أخذ يدحض هذه الشبهات وهو ضوء قد أمتد مع الزمن ولم يتوقف ولم ينقطع ، استيقظ قبل الغزو الاستعمارى ، ولا تزال الأحداث توقظه وتمده بالقدرة على المقاومة ، ولقد كانت أزمة ١٩٦٧ واحتلال القدس عاملا هاماً فى التفاته إلى الحقيقة التى ليس بعدها حق، التفاته إلى المصادر الأصيلة لوجـــوده وكيانه وحياته . فقد كشفت له الأحداث والتجارب أن بلسم جراحه ، وضياء روحه ، لن يكون إلا من داخله ، لن يصل إليه من مصـدر آخر غير المصـدر الاول ، الذى تشكل منه عندما بزغ ضوء الاسلام ، وأن آية النصر مازالت هى الاستمداد من المنابع الأصيله ، وأن أمه لن تستطيع أن تعود إلى الحياة ، ولا أن تصمد فى وجه الغزاه إلا إذا التمست الضياء من اعماقها، من داخلها ،من كنزها المدخر ؛ الذى إن زهدت فيه حيناً وتطلعت الى ما فى أيدى الآخرين ، فانها قد آمنت أخيراً بعد الصدمات والتضحيات أنه لا سبيل امامها إلا التمـــاس المنابع الغنية والمصادر الثرية الى كونت الذاتية الإسلامية العربية وشكلتها أول مرة ، ووضعت لها مقومات حياتها وقوتها وانبعاثها مرة أخرى كلما ألمت بها الأحداث وادلهمت حولها الخطوب .

إن المصدر الحقيقى هو القرآن ونقطه البدء هى التوحيد . وفى هذا الضوء ننظر فى هذه الشبهات التى طرحها التغريب . ونعيد النظر فى هذه القضايا والنظريات ونحن نذكر هنا جيدا كيف قام كفاح المسلمين فلم يتوقف لتحرير الفكر الإسلامى من هيمنة الثقافه والعقلية التى سلطها عليهم الفرس واليونان والهنود ، كان إيمانهم بانبعاث شخصيتهم الإسلامية العربية ، والحيلولة دون أن تذوب وتتلاشى ؛ هو مصدر كل نصر وقوه وحياة .

هذا الخطر الذى يتشكل كل يوم فى صورة أو أخرى ، حمل لواءها الاستعمار والتبشير والاستشراق والشعوبية والتغريب والغزو الثقافى ، وحاولت انتهاز كل نكبة أو نكسة لتجد دعوتها المسمومة، التى تحاول أن تلقى أمتنا فى تيه مظلم لاضياء معه فهى تود حين تدعونا إلى أن نتحرر من كل المقدسات والقيم ، وأن نتخلص

من الماضى كله ، وأن نزدرى العقائد ومفاهيم الأديان السماوية، وتعمل على دفع النفس العربية الاسلامية إلى الخروج عن ذاتيتها ومزاجها النفسى بخروجها عن الأخلاق والإيمان والتوحيد .

ولقد جرت منذ نكبة ١٩٦٧ أقلام كثيرة بكلمات ماكرة تبعث اليأس وتدعو إلى الخروج عن القيم والأديان ؛ وتزدرى التاريخ والتراث والشريعة واللغة ، وهى دعوات باطلة ؛ لأنها تصدر ممن لايؤمنون بهذه الأمة ولايريدون لها الخير .

ولقد طرحت هذه الدعوات أفكاراً ومذاهب وآراء وأثارت الشبهات فى صدور شبابنا وعقولهم ، فحق لأداة التصحيح أن تظهر ضياء الحقيقة ، وأصبح ضروريا أن تحرر القيم وتصحح المفاهيم ، وتكشف البواعث والغايات التى تكمن وراء هذه الشبهات المسمومة .

إن الهدف هو (تغريب الفكر الاسلامى) ووضعه فى قيود الوثنية والمادية والالحاد والاباحة ولكن الفكر الاسلامى صاحب الاصالة المستمدة من جوهره الناصع القرآنى ، ومن ماضيه الطويل وجذوره العميقة الثابتة قادر على أن يدفع عن نفسه هذه الموجة الطاغية ، كما دفع الموجات المتوالية السابقة وانتصر عليها ذلك لأنه يستمد معينه من التوحيد ومن الحق ومن الفطرة ومن القرآن ، الذى يفرق بين الحق والباطل ، والذى نزل للإنسانية هادياً من حيرتها ، فقد جاء القرآن تصحيحاً لكل المفاهيم والمذاهب والدعوات التى حرفت مفهوم الرسالة السماوية الحقة ، على أيدى رسل الله فكشف عن كل عوامل التحريف ووضع لنا القواعد التى لاتبلى فى مواجهة أخطار التغريب والتزييف .

لقد أقام الاسلام عالماً من الحق والايمان فى مواجهة عالم الباطل ، فحق عليه أن يجالد أخطار الوثنية والالحاد، ولايتوقف عن المجالدة على مدى الزمن صامداً قادراً مستمداً أسانيده وحججه من ذلك المعين الصادق الفياض .

لقد جاء الاسلام بعد أن تشكلت للوثنية المادية فلسفة ومناهج ومذاهب فكشف عنها القرآن وزيفها وأبان وجه الحق فى أمرها، وماتزال موجة الوثنية تقوم فى غيبة الحق وتعلو وتنشر جناحها، ثم يجىء المصلحون الأبرار من علماء المسلمين فيكشفون الزيف ويردون الحق إلى نصابه ونحن الآن نعيش موجة ضارية من هذه الموجات استطاعت أن تلبس لباس العلم والفلسفة، وأن تقيم باطلها على أساليب براقة خادعة فى عالم اضطربت مقاييسه ونظمه؛ فحق على المسلمين وفرض عليهم أن يتقدموا يحملون مشعل التوحيد والايمان لتحرير المفاهيم وتصحيح الآراء؛ ليحق الله الحق ويبطل الباطل ويتم الله نوره ويعلى عالمه، ويذل عالم الوثنية الماديه. وإذا بدا أن الوثنية المادية مسيطرة اليوم فإنما هى جولة من جولات الباطل، ثم ينكشف الحق واضحاً، والحق ظاهراً.

(ويريد الله أن يحق الحق بكلماته)

لكى يتحرر الفكر الإسلامى من بريق الزيف

لكى نحرر الفكر الإسلامى من الدخائل الضارة ، ولكى نكون قادرين على الفهم للحقائق دون أن يحتوينا بريق الزيف الذى يغلف النظريات الوافدة يجب أن نفرق :

أولا — بين أصول الإسلام وبين التاريخ الإسلامى بوقائعه ، وأن لانتخذ هذه الوقائع حجة على الإسلام ، وإنما نتخذها حجة على المسلمين الذين إنحرفوا عن المنهج الربانى والتمسوا غيره من المناهج .

ذلك أن وقائع التاريخ الإسلامى سارت مع أصول الإسلام فى بعض الأحوال واختلفت عنه فى أحوال أخرى ،ومن هنا فإننا لانتخذ من التاريخ الإسلامى الذى هو عمل المسلمين حكما على عقيدة الإسلام .

وهذا الموقف يحررنا من كثير من الشبهات المثارة التى تحاول أن تصور ضعف المسلمين فى عصر من العصور أو تخلفهم وكأنه نتيجة للاسلام نفسه . بينما الواقع هو عكس ذلك تماماً ، وأن نؤمن بأن تجاوز المسلمين لأصول الاسلام وقواعده ضعفاً وتخلفاً ، أو التماساً لمفاهيم أخرى وافدة ، هو مصدر الهزائم والنكسات فاذا ما عاد المسلمون إلى أصالتهم والتمسوا أصولهم ، تصحح الموقف ر إليهم مكانهم الحق .

وإذا قرأت تاريخ الإسلام فى ضوء هذه الحقيقية عرفت تموجات التاريخ بين النصر والهزيمة واكتشفت مصدر الهزيمة حين يغفل المسلمون عن تطبيق شريعتهم وعند ما تملأ نفوسهم الطمأنينة الكاذبة فليلقون أسلحتهم بينما عدوهم متربص بهم .

لقد نبههم القرآن إلى هذا ودعاهم إلى الحذر الدائم : «خذوا حذركم» «ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة».

ثانياً — التفرقة بين الأخلاق والتقاليد :

فالأخلاق شطر من صميم الاسلام يجتمع مع العقيدة والشريعة فى منهج متكامل . والأخلاق ربانية المصدر من أصل الدين فهى ثابتة على الزمن لاتتغير وهى متصلة بالانسان نفسه الذى يجمع فى تكوينه بين الروح والمادة والذى هدى النجدين . الشر والخير ، فله من إرادته الحرية فى إختيار أيهما وعليه مسئوليته والتزامه ، وله جزاءه . ولقد كان الحق هو الحق والباطل هو الباطل ، ولقد كان الخير هو الخير ، والشر هو الشر منذ عرف الإنسان الحياة ، وفى أعماق الانسان «أداة» كاشفة . فالشر ماحاك فى النفس وكرهت أن يطلع عليه الناس ، وفى فطرة الانسان قدرة على التمييز بين الحق والباطل ،الخير والشر ، والحلال والحرام ولم تتغير هـــذه الاصول ابداً ولم يتحول الخير إلى شر ، أو الحق إلى باطل أو العكس .

ولذلك فالأخلاق قيم ثابتة مستقرة لأنها حقائق عامـــة ربانية المصدر أما التقاليد فهى غـــير ذلك هى استجابات زمنية وبيئية لضرورات الحركة فى المجتمعات والأمم ، وهى من صنع الناس ، وهى لذلك متغايرة ويجب أن تتغير فاذا اثبتت فسدت وأسنت . لأن الزمن يتجاوزها , ذلك بخلاف قيم الأخلاق وهى فى أحيان كثيرة تعارض الأخلاق وتحاول أن تسود عليها وتفرض وجودها وفى ظروف ضعف التدين تتغلب التقاليد وتزيح قيم الأخلاق وتبدو وكأنها أصول أصلية .

تعرف ذلك فى تقاليد الموت والزواج والولادة وغيرها مما نشاهده فى مجتمعاتنا مما يتعارض تماماً مع قيم الأخلاق الاسلامية ولقد حرص الاستعمار على إعلاء

التقاليد وانبعاث القديم منها ، وذلك حتى يجعلها أقوى من الأخلاق . ولذلك فإن من واجب المسلمين أن يحرروا مجتمعاتهم من زيف التقاليد الضاره ، وإذا ما التمس المسلمون الأخلاق وطهروا أنفسهم من التقاليد دفعهم ذلك إلى الانتصار والقوة والتمكين فى الارض .

ولقد حاولت الفلسفات المادية أن تصور الاخلاق وكأنها تقاليد ، ولذلك دعت إلى نسبية الاخلاق وارتباطها بالبيئات وهى تعنى التقاليد ، ويرجع ذلك إلى أن الفلسفات المادية لا تعترف بالأديان السماوية وبالتالى فهى لا تعترف بالأخلاق كجزء ثابت منها ، وهذا هو سر الاستشكال القائم فى المجتمعات الاسلامية نتيجة لطرح مثل هذه النظريات ولتحرر موقفنا ، يجب أن نفهم الفارق العميق الواسع بين الاخلاق وبين التقاليد ، وأن نعرف أن الاولى من صميم الدين وهى ثابتة ، وأن الآخرى من صناعة المجتمعات وهى متغـــيره ، وعلينا ان نحرر المجتمع الاسلامى من سلطان التقاليد والعادات التى تحاول ان تسيطر فتحجب الاخلاق .

ثالثاً : — لكى نحرر الفكر الاسلامى يجب أن نفرق بين الأصيل والوافد

ففى كل مسألة تعرض ، هناك للإسلام وجهة نظر ، وهى بالطبع مختلفة مع وجهة نظر الفكر الوافد . ذلك لأن الاسلام إنما يستمد وجهة نظره من معين مختلف . قوامة التوحيد ودعامته الفطرة ؛ وطابعه الوقوف عند حدود الله دون تجاوزها وشمول النظرة وتكاملها جامعة بين الروح والمادة والنفس والعقل ، والدنيا والآخرة ، وتلك النظرة تختلف عن نظرة الغرب التى تقوم على الجزئية وعلى المادة والعقل والدنيا دون اعتبار للروح أو النفس أو الآخرة . وبذلك تقصر النظرة عن الوصول إلى الآفاق الكاملة وتظل محجوبة فى حدود ضيقة ، ونحن إزاء كل نظرية وافـــدة يجب أن تستعمل حقنا فى وضعها تحت المجهر الاسلامى لنراها على حقيقتها ، ومن حقنا ان نقبل كل ما يتفق مع فطرتنا الأصيلة ونرفض ما يخالفها .

رابعاً — يجب أن نفرق بين الرواسب القديمه والروافد الجديدة .

فالقديم لايقبل إلا إذا كان صادراً عن المعين الاول ، والمنبع الأصيل ،وقد دخل على الفكر الاسلامى زيف كثير من الفلسفات والمذاهب القديمة ، ثم تحرر الفكر الاسلامى منها حين وصل إلى قاعدة مفهومه الجامع ، فن الحق أن نفرق بين الجزئيات التى تتصل بمذهب المعتزلة او الفلاسفة او الصوفية ؛ فتلك فرق ومراحل انتهت وصفيت ، كذلك يكون الأمر بالنسبة للروافد الجديدة التى تحاول أن تأخذ طابع الاسلام وهى ليست منه بل من الفرق الضالة كالبهائية والقاديانية وغيرها . وقد خدع بها بعض المستشرقين وبعض الكتاب المسلمين فاعتبروها حركات إسلامية .

خامساً — كذلك لابد من الارتباط بالجذور والانطلاق منها إيماناً بأن كل نهضة ليست متصلة بالمصادر الأولى فهى زائفة . ويمكن ان تضل طريقها ! وهذا ما تحاوله بعض الدعوات التى تقصر النهضة على الحديث سواء فى الأدب أو الفكر ، وتحاول ان تقطع بينه وبين ماضى هذه الامة وماضى هذا الفكر .

فلنحذر هذه النغمة الضالة المضلة ، وعلينا ان نظل دائماً مرتبطين بأولياتنا الاسلامية وأصولنا التاريخية ؛ ولاريب أن النهضة الحديثة فى عالم الاسلام إنما صدرت عن المنابع الاولى ، وليست عن أى مصدر آخر . ولقد كان الاسلام قادراً دائماً على التجدد من الداخل وعلى ابتعاث النهضة من أعماقه حين يقع فى ازمة التخلف ، ولاريب ان كل مظاهر التجدد فى الأدب والفكر والثقافة الآن إنما هى مرحلة جديدة لحلقات متتابعة ، وان دور الاتصال بالغرب منها لايعدو ان يكون شبيها بدور الاتصال بالفكر اليونانى فى القـــرن الثالث والرابع الهجريين .

فقد ترجم المسلمون التراث اليونانى والفارسى والهندى ، ولكنهم لم يسقطوا فى هوة التبعية لهذا التراث ، وإنما أخذوا منه ورفضوا ما أخذوه منه أعادوا

صياغته وتشكيله فى إطار عقيدتهم وقيمهم ، ثم بنوا عليه الحديد الذى بهر البشرية كلها ، فقد صاغ المسلمون المنهج العلمى التجريبى ، ومنهج المعرفة القائم على العقل والوجدان ، وكشفوا عن سنن الله فى الكون وفى الأمم والحضارات . وكل ذلك كان جديداً على الفكر البشرى ، ومايزال متفاعلا مع الفكر الإنسانى . فالمسلمون اليوم حين يواجهون التراث الغربى بشطريه ، إنما ينظرون فيه بحرص وحذر وهم قادرون على الانتفاع به دون أن يستوعبهم أو يحتويهم .

ولقد استطاع شبابنا أن يتجاوزوا سارتر وفرويد وماركس إلى آفاق أكثر سعة وأكبر عمقا وأكثر اتصالا بالعصر وبالذات الإسلامية فى نفس الوقت إن معطيات الاسلام الثروة فى الحرية والاخاء الانسانى والعدل الاجتماعى هى وحدها القادرة على أن تعطى البشرية كلها فى هذا العصر حاجتها الحقيقيه .

لقد جمع الاسلام بين الروح والمادة والفرد والجماعه وربط بين الثابت الإلهى والمتحرك البشرى فى تناسق عجيب وفى موائمه صادقة هى الفطرة الإنسانية التى تحتاج إليها النفس الانسانية لتسترد طمأنينتها وسعادتها وهو ما تعجز كل النظريات عن تحقيقه

(١٩)
الإسلام ليس فى حاجة إلى لقاح أجنبى

بالرغم من كل الخطوات التى قطعتها حركة اليقظة الإسلامية فى مواجهة التغريب والغزو الثقافى فإننا مازلنا نجد من الكتاب من يقول بالانفتاح الثقافى واللقاح الأجنبى أما إذا كرت الأمة إلى منبعها فان حضارتها لابد أن تذبل .

وهذا الكلام على اطلاقه لا يدل على وجهة الاصالة ولا على سلامة النظرة وهو أشبه بكلام المستشرقين والمبشرين ودعاة التغريب واتباع مخططات التلمودية الصهيونيه والماركسية .

والواقع أنه مما كان يقال فى الثلاثينات يوم كان الفكر الإسلامى لايزال محاصرا بقوى الاستعمار المسيطرة على الدول العربية والاسلامية المحتلة، يوم كان مفروضا عليها نظام غربى وافد ، تخضع له الامة فى مجال القانون الوضعى ونظام التعليم الغربى ويوم كان أصحاب الثقافة العربية يظنون أنهم سوف يعرضون فكرهم على العالم كله وينادون بعالمية الثقافة تحت مظلتهم ، ثم انكشف من بعد أن فكرهم هذا الذى يفرضونه على العالم ؛ عاجز أن يعطيهم هم الامن النفسى أو المجتمع النموذجى، ثم صارعت الغرب أهوال الايديولوجيات والنزعات والنظريات حتى بات ذلك المفهوم الذى مايزال يطرحه بعض الكتاب قديما باليا، ولقد برز تيار جديد يعلن أن هذا المفهوم خاطىء تماما وأن الامم لاتتجدد إلا من منابعها الأصيلة خاصة إذا كانت تملك من المنابع ماهو متجدد دائم الحياة وافر العطاء ، أن الانفتاح الثقافى له ضوابطه وحدوده ، وهو يختلف عن الانفتاح الاقتصادى فى أنه يمثل راس الامة وعقيدتها وفكرها ؛ وعندما تلتمس الامة الاسلامية منابعها القرآنية فانها تجد لديها اطاراً كاملا للحركة والقدرة على الاقتباس والموازنة بين الأصيل والوافد ، وتجد نفسها قادرة على أن تأخذ وترفض على ضوء قاعدتها الأصيلة والتى تمكنها من الاحتفاظ بذاتيتها دون أن تسيطر عليها الرياح الوافدة أو تجتاحها . ولقد أخذ العرب والمسلمون فى القديم من الحضارات والثقافات ولكنهم أخذوا بملء أرادتهم وفى ضوء التحفظ

الكامل فكانوا يصهرون ما يأخذون داخل فكرهم وثقافتهم وكانوا يرفضون كل ما يتعارض مع « الأساس » : مع قاعدة التوحيد الخالص التي أقامها فهم الاسلام ، وكذلك كل الأمم تأخذ من ثقافات الامم الأخرى ما يتفق مع طبيعتها وحاجتها .

أما أن تكون معطيات الثقافات الاخرى بمثابة لقاح مخصب فذلك أمر أنف فما كان الفكر الأجنبي مخصبا أبداً للفكر الاسلامي لأنه يقوم في الأساس على غير قاعدته ومصدره ، أن الفكر الأجنبي الان سواء أكان غربيا أو مركسيا إنما يقوم على أساس الفلسفة المادية التي تجعله لا ينظر نظرة الاسلام الجامعة المستكملة ، فكيف يستطيع هذا الفكر المادي أن يعطي الفكر الجامع اذا كان هذا العطاء في مجال العلوم التي وضع المسلمون قاعدتها حين أنشأوا « المنهج العلمي التجريبي » ويستطيعون اليوم أن يلتمسوها عند الغرب ليعيدوها مرة أخرى إلى اطار فكرهم وإلى حضانة لغتهم فيشكلوها من جديد تشكيلا إسلاميا ربانيا ويجعلوا وجهتها اسلامية من حيث تكون خاضعة للتقوى خالصة للانسانية قائمة على الرحمة والوفاء وأغاثة الملهوف .

ولكن يجب أن يكون هذا الحذر والحيطة فلا ينقل المسلمون « اسلوب العيش الغربي » لأنه متعارض مع قيمهم وعقيدتهم وأسلوبهم في الحياة ، ولأنه يقضي على ذاتيتهم الخاصة ويردهم على أدبارهم فتذهب عنهم ميزة الامه الوسطى والامة المختارة لتقديم رسالة الله إلى البشرية .

ولعلنا نتساءل ماذا يمكن أن تعطي الحضارة الغربية أو الفكر الغربي للبشرية اليوم مما يزيدها قوة ويدفعها إلى بناء الحياة ، والمجتمع الغربي نفسه « مصدر بذلك الاندفاع نحو الرغبات واللذات والشهوات والمطامع والاهواء ، وقد فقد نفسه فلم يجدها ، فهو يعيش حياة التمزق والغربة والضياع وفكره الآن وأدابه ونتاجه القصصي والعلمي كله يدور حول هذه الازمة النفسية الانسانية الهاوية

التى ماتزال تجتاح أعماقه وتصرعه ، فهو فى صراع بين الجنس والطعام وهما النظريتان اللتان تحكمانه ، فكيف يمكن أن يكون هذا هو اللقاح المخصب الذى ينتظره الفكر الاسلامى ليعطيه القدرة على بناء الحياة .

إن الامة الإسلامية لاتنطوى على نفسها ولا تستطيع فهى متفاعلة بالاحداث العالمية مؤثرة فيها لأنها تملك اليوم من أسباب القوة مالايحول بينها وبين الحركة والحياة وهى تواجه كل معطيات الفكر والثقافة من الشرق والغرب لتقايسه على أصولها الاصلية فتأخذ من أساليب العمل وطرائق التنظيم ماتراه صالحا لها فهى متجددة دائما بكل عصرى وكل جديد . ولكن عن وعى عميق ، لاتضحى من أجل هذه الفروع باصولها ولاتتنازل عن طـــوابعها التى هى مصدر قوتها وأصالتها .

أن الامة حين تلتمس منابعها لاتكون ضالة ولا متأخرة ، وانما تكون ضالة ومتأخرة حين تفقد هذه المنابع وتندفع فى الطريق الطويل الذى تذهب معه كل أسباب الاصالة ووسائل الضبط والحدود فتكون حركتها عشوائية ذاهبة فى الفضاء .

أن أخطر ما يطرح اليوم فى أفق العالم الاسلامى هو تلك الدعـــوة إلى الاستهانة بالضوابط والحدود التى تجرى فيها حركة الامة إلى غاية معروفة ومرسومة هى غاية الامة المختـــارة لقيادة الفكر الربانى لتكون منارا هادياً للبشرية مادامت البشرية .

وليس صحيحاً أن شباب الامم يتجدد بالخصبات الاجنبية ولكنه يتجدد إذا التمست القيم المعنوية التى تجعل حضارتها قادرة على الاستمرار وعلى العطاء وعلى اسباغ الرحمة والخـــير على الناس جميعاً ، أن المعطيات المادية لم تكن يوما من الايام عاملا لنهوض الامم أو إستمرارها أو تقدمها ، وما لم

يكن هناك ذلك الالتزام الاخلاقى ، فى بناء الأفراد وبناء الامم وما لم يكن هناك ذلك اليقين بالمسئولية الفردية والجزاء الاخروى فان أى نهضة أو حضارة لابد أن تنهار مهما طال بها الزمن لأنها تكون قد قامت على غـــير الأساس الصحيح لقيام الحضارات .

أن الذين يحاولون أن يقدموا لها مفهوم الحضارة والتقدم يخشوننا ويخدعوننا إذا طلبوا الينا التخلى عن قيمنا والتخلى عن اخلاقيات الحضارة ورسالتها الصحيحة التى تستهدف قيام المجتمع الربانى فى الأرض ، وهو ما عجزت عنه الحضارة الغربية اليوم عجزا شديداً ، ولا ريب أن ذلك الجمع بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة فى مفهوم الحضارة الإسلامية هو وحدة القادر على العطاء : هو الذى يستطيع أن يعطى سكينة النفس ونموذجية التكامل والتضامن بين الأفراد ومجتمعاتهم ، وهو الذى يقضى على ذلك الصراع والتمزق ويحل محلها الاخوة الحقيقية القائمة على الرحمة والسماحة .

أما معطيات الحضارة التى يطلب الينا أن ننفتح لها من خلال هـــذه الفنون الهابطة أو ذلك الأدب المكشوف أو تلك الدراسات النفسية الاجتماعية التى تدفع النفس الانسانية إلى التمزق والغربة فذلك عطاء مردود والمسلمون لا يقبلون أسلوب عيش غير أسلوبهم وهم حين يأخـــذون العلوم التكنولوجيا فانما يأخذونها ليصيروها إسلامية ربانية للعاملين جميعاً ويأخذونها فى اطار الأخلاق والتقوى والرحمة لبناء المتجمع الربانى الذى تتطلع إليه البشرية اليوم .

الشعوبيون ومؤامرات الفكر

إن أغلب النظريات طرحت على المسلمين والعرب قدمها أناس من غيرهم اناس ليست لهم صفة المواطنة الصحيحة أو الإيمان بالقيم التى تعيشها المجتمعات فنجد أن دعاة الطورانية يهود أمثال ليون كاهون الذى كتب عن تاريخ الترك المغول داعيا الاتراك المسلمين بعد أربعة عشر قرنا من الاسلام أن يعودوا إلى تاريخ قديم لطوران ومغول وغيرها، وقد اعتبر هذا الكتاب مرجعا لتلك الدعوة التى انطلقت خلال حكم السلطان عبد الحميد لتحطم الجامعة الإسلامية.

وجاء فمبرى اليهودى من أوروبا إلى الدولة العثمانية، وأقام بها وتحبب إلى قادتها من أجل أن يكسب ثقتهم فيقنعهم بنظرية مسمومة تقوم على أساس اعلاء فكرة العرق عل فكرة العقيدة، وقد دعى فمبرى الاتراك إلى الخروج من الوحدة الاسلامية والعودة إلى طوران، ومن أجل دعوته قام برحلة إلى آسيا لتجديد هذه الاراء القديمه التى حاربها الإسلام ومن ثم بدأت حملة عنيفة تصور الجامعة الاسلامية بأنها خطر على الغرب، واثارة الحفائظ بين الدولة العثمانية وأوروبا، وقد كشف السلطان عبد الحميد عن هذه المؤامرات فقال أن الدول الغربية تحاربنا حربا صليبية بشكل سياسى.

وفى هذه الفترة ظهرت المحافل الماسونية تستوعب حركة الاتحاديين، وظهر عباس باشا زعيم البهائية، وفتح الطريق إلى دخول سماسرة الفساد فى البلاد العربية وصدر الجزء الأول من فلسفة النشوء والارتقاء لشبل شميل، وأثير الغبار حول اللغة العربية.

ثم جاءت الدعوة إلى الشيوعية فحملها اليهود وكانوا هم دعاتها فى كل مكان فكشفو بذلك عن العـــلاقة الجذرية بين الصهيونية والشيوعية ، ثم جاء دعاة الاقليميات والقوميات الضيقة أمثال ساطع الحصرى ، انطون سعادة ..

أما ساطع الحصرى فقد كان ثمرة الفكرة الطورانية التى حملها دعاة الاتحاديين أما انطون سعادة فقد كان داعية تمزيق الوحدة القائمة بين العرب والمسلمين خدمة للتعصب والاستعمار ، فركز انطون سعادة عـــلى تأثير الأرض وركز ساطع الحصرى على تأثير اللغة ، وكلاهما اقتبس أراءه من النظرية الغربية ، واستغل التاريخ الاوروبى الحديث واعتمد انطون سعادة على نظريات أجنبية وعلى أفكار غربية ، كذلك سار ميشيل غفاق فى نفس الطريق وجرى التلفيق بين عشرات النظريات الوافدة .. وغاب عن هؤلاء جميعاً إصالة الاسلام وثرائه فى مجال الوحدة والتضامن والجامعة التى تجمع أهله ، ومن أجـــل ذلك سقطت هذه النظريات بعد أن حاولت أن تسيطر على هذه الأمة وبعد أن بذلت جهود كثيرة فى سبيل اقناع الناس بها ، لقد كانت الصيحة صيحة الاصالة : اننا نريد مفهوما عربيا إسلاميا أصيلامستمدا من تراثنا وواقعنا فالاسلام يرى أن العقيدة هى العامل الحقيقى للتجمع والوحدة . أن الاصوات التى كانت تدعو إلى العروبة فى لبنان لم تكن مخلصة فى حمل لواء الاصالة وإنما كانت تستهدف الفصل بين العرب والترك ، وإثارة الصدام بينهما ولذلك فانه سرعان ما تغير الإتجاه بعد سقوط الدولة العثمانية .

وسرت دعوة الاقليمية فى كل بلد عربى حتى لا يتفق العرب على وحدة جامعة فدعى التغريبيون فى مصر إلى التمصير وسوريا إلى السورية وفى لبنان إلى اللبنانية وأثيرت دعوات الفرعونية والفنيقية والبابلية انتزاعا للمسلمين والعرب من أربعة عشر قرنا وردهم إلى تاريخ قديم ليس له من له حدود أو مقومات تمكنه من الحياة مرة أخرى وقد قضى عليه بقانون « الانقطاع الحضارى » الذى وقع فى العالم الاسلامى بعد الاسلام حيث سقطت العقائد الفاسدة ، واللغات ،

اليونانية الرومانيه التى استمرت فى أجزاء كبيرة من البلاد العربيه ألف عام تقريباً .

ولقد تعالت الصيحات بالدعوة القومية مستمدة من الفكر الغربى ومن نظريات القوميات الغربية ، واستمرت أكثر من عشرين عاما ، ثم فشلت فشلا ذريعا ولم تستطع أن تحقق شيئا ، ذلك لأنها كانت مجافية للفطرة وللاصالة وللاستمرار التاريخى والعقائدى الاسلامى عميق الجذور ، عجزت فكرة القومية عن أن تحقق شيئا إلا الخلاف والصراع لأنها جانبت الفطرة وتعقدت واستسلمت لمحاذير الفكر الوافد ، لقد عرف قادة حركه اليقظة تلك الرابطة العميقه بين العروبة والاسلام وكانوا يعملون فى ضوئها يرون العروبة ثمرة الإسلام ،وإن العرب مادة الاسلام ولكن محاولات ساطع الحصرى وميشيل عفلق وأنطون سعادة حاولت أن تخرج العروبة من مفهومها الاصيل إلى مفاهيم القومية الغربية التى تختلف تماما عن المفهوم الاصيل ومن ثم فقد عجزت أن تؤدى إلى نتائج أصيلة ، وتبين أن هذه المحاولة كانت تستهدف مقاومة الاستعمار بالتجمع تحت لواء العروبة ولكن اهدار هذا الاتجاه بفصل العروبة عن تراثها وعقيدتها وقيمها ، واقامتها على قيم أخرى وافدة كالاشتراكية وغيرها ، وهنا فسدت الفكرة وعجزت عن العطاء ، واليوم وقد انتهت مرحلة الاستعمار ، فان الدعوة إلى العروبةأو القومية أصبحت قاصرة وعاجزة عن أن تستوعب تحديات المرحله الجديدة ، أن المواجهة الآن فى هذه المرحلة ، يتطلب العمل داخل اطار منهج الاسلام .

لقد تعودت حركات التغريب أن تحتوى الدعوات التى يتخذها المسلمون والعرب أسلوبا للعمل ، ولقد استطاعوا احتواء فكرة العروبه حين فرغوها من مفهومها الاسلامى وجعلوا مضمونها غربيا وافدا وبذلك حطموا هدفها وحالوا بينها وبين تحقيق الغاية . لقد قامت القوميه فى الغرب معارضة للوحدة المسيحية الحاجة فى أوروبا ولتزيقها .

أما العروبةفى العالم الاسلامى فإنها قامت لتخلف الوحدة الإسلامية والحلول

عملها حين سقطت الدولة العثمانية للتجمع تحت لوائها ولذلك فإن اصطناع مفهوم القومية الغربى جاء بنتائج افسدت الهدف وحاولت دون الوصول إلى الغاية وفى الغرب ارتبطت فكرة القومية بالعنصرية واعلاء الجنس ، ولكن المسلمون لايرون العنصرية فى علاقتهم ، بل ينكرنها ويؤمنون بالاخاء الذى جمع بينهم الاسلام . لقد كان من أقوى أهداف النفوذ الغربى وضع المسلمين والعرب فى قوالب الفكر الغربى وأخراجهم من قيمهم ومفاهيمهم ولقد استطاعت أن تفرض ذلك عليهم عن طريق سيطرتها على الثقافة والتعليم التى خرجت مجاميع من القادة والمفكرين ، كذلك فان الفكر الاسلامى باصالته واستمداده من القرآن قادر على صهر كل مذهب ودعوة وفكرة والانتفاع بما فيها من إيجابيات دون أن تسيطر عليهم هذه التيارات .

لقد أذهب الله عن المسلمين عصبية الجاهلية وفخرها بالاباء ، فالناس بنو آدم وآدم من تراب ، ولا فضل لعربى على عجمى ، ولا الأبيض على أسود إلا بالتقوى .

هامش اليوميات .

عرف الراغب الاصفهانى الظلم بأنه وضع الشىء فى غير موضعه المختص به اما بنقصان أو بزيادة، أو بعدول عن وقته ومكانه .. فاستعمال القدرة بالطريقة العادلة وفى المكان اللائق فضيلة واستعمالها بالطريقة الظالمة فى الوقت الغير واجب والمكان الغير لائق رذيلة .

إنكشاف فساد النظريات

ظلت نظرية (دارون) فى أصل الأنواع قاعدة أساسية للعلم الحديث والفكر المادى حتى خيل إلى البعض أنها من مسلمات العلم التى لاسبيل إلى نقضها، ولكن الأيام كشفت زيف النظرية وأثبت تقدم العلم والحفريات والكهوف الأثرية إن هذه ـ الفرضية ـ التى فرضها دارون ولامارك وغيرهما كانت قابلة للخطأ . وإن كل ماترتب عليها وأسس عليها من فكر عامى هو وهم باطل وكانت النظرية المادية التى قامت خلال هذه العصور الطويلة على نظرية دارون ترى أن الخليقة كلها من أصل واحد ، وأن الإنسان فرع من فصيلة الحيوان فى أرقى درجاته وهو القرد ، وقد عارض الباحثون من العلماء البيلوجيين هذا الافتراض ، ولكن قوى كبرى كانت وراء الانتفاع بالنظرية وتحويلها إلى نظرية التطور الإجماعى المطلق التى اشتقها ـ هربرت سبنسر من نظرية التطور البيلوجى الذى وضعها دارون ، كان لها أبعد الأثر فى معارضة الحقائق الأساسية الجامعة الرابطة بين نظام الثوابت والمتغيرات من حيث حاولت ان تلقى ظلالا باطلة على أنه لاتوجد ثوابت مطلقاً وأن الحياة كلها تغير دائم وتطور مطلق ، وهذا ماذاع وشاع وسيطر بعد ذلك على مفاهيم النفس والأخلاق والاجتماع. والآن وبعد مرور أكثر من تسعين عاماً يجىء العلماء ليعلنوا بطلان هذا كله حيث يعلن الدكتور جان بيفتر رئيس المجمع العلمى الفرنسى بصراحه تامة : أنه لاعلاقه للإنسان بالقردة ولاتجانس بينهما .

يقول البحث . لقد وقف هذا العالم من عمره نصف قرن تقريباً على دراسة أصل الإنسان واستطاع أن يؤكد أخيراً أن الإنسان ليست له علاقة تجانس بالقرد ، وهو يثبت بالادلة أن النظرية القائلة بوجود جذع مشترك انشعبت منه

فصيلة من الجنس البشرى وجنس القردة الكبيرة لم تزل مفتقرة إلى البرهان الحاسم، وأن هذه المشابهات بين القرد والإنسان غير كافية للجزم بوجود أصل مشترك بين الانسان والقرد، وليس من المعقول أن الانسان الحاضر ربما انحط عن منزلته غضون ملايين السنين القادمة ليترك المجال لحيوان من الحيوانات ليحل محله ويسيطر على الكون، وهذا الافتراض مرفوض. لأن الانسان لم يظهر على الأرض بمجرد صدفة، بل إنما كان الهدف الأخير من تنظيم الكون ولذلك جاء مركباً فى أحسن تقويم.

ويجىء عالم آخر هو الدكتور رونالدجونسون أستاذ علم الأجناس البشرية ليملن ويقول: إن العلماء يستطيعون الآن أن يقولوا بنسبة ٩٩٫٩ فى المائه من الدقه أن الإنسان صار منتصباً على قدميه منذ بدايه تاريخيه الإنسانى منذ أكثر من ثلاثة ملايين سنه. أعلن هذا فى مؤتمر صحفى — مارس ١٩٧٤ — وهو يمسك فى يديه بخمس قطع من العظام يرجع تاريخها إلى ثلاثة ملايين سنه عثر عليها فى أن اخر عام ١٩٧٣ فى أثيوبيا، وتعتبر الآن واحداً من أعظم الاكتشافات فى التاريخ الطبيعى للاجناس البشريه. فقد ظهر الإنسان كائنا فريداً فى نوعه وسط دنيا من الوحوش الضخمة المفترسة كالخنازير والتماسيح والأفيال والوحوش الكاسرة، وأن هذه العظام قدسدت الثغرة التى ظل العلماء يتحدثون عنها تحت اسم الحلقة المفقودة — وأن ماوصل إليه الدكتور رونالدجونسون كان خاتمة حفريات كثيرة تمت خلال سنوات ١٩٦٩ وما بعدها فى كينيا ووادى الفار فى الحبشة، ومن أهم ماتقرر أن الجماجم فريده فى نوعها تتميز بسعة محيط الدماغ مما جعل العلماء يخرجون بانطباع عام وهو أن الانسان لم ينحدر من سلالة مشتركة تطورت مع الوقت، وإنما كان له سلالته الخاصة المستقلة. ويقول الدكتور جونسون أن المعلومات التى أمكن التوصل إليها عن طريق عظام الساق والفخذ دلت على تكوين الحوض والبناء العظمى العام وهما مما يقرران انتصاب الانسان وأقول أننا نملك أدلة واضحة وجليه. على أن الإنسان القديم كان يسير منتصب القامة منذ أكثر من ثلاثة ملايين سنة.

وأكد الدكتور بيربيرسون الاخصائى فى علم الوراثة فى جامعة اكسفورد بالاستناد إلى المقارنات الطويلة التى أجـــراها بين عناصر الخلايات التى تحدد أصول الوراثة أن الانسان لاينحدر من القرد . وأنه لم تعد هناك حاجة تدعو لدراسة ظهور القرد وتطوره على سطح الأرض بغية التأكد من طبيعة الانسان الحقيقية . وقدأصدر بيربيرسون مع ثلاثة من زملائه قانوناً اشتهر باسم قانون القرد حظروا بموجبه على المدارس والجامعات أن يدرس المذهب الداروينى — مذهب النشوء والارتقاء — وذلك لبطلان النظرية التى كانت تقول أن الانسان هو الحلقة الأخيرة من تطور انطلق من أول أنواع القرود مروراً بالشمبانزى والغوريلا حتى الأوران أوتان الذى تشبه الانسان إلى حد كبير . وقد تبين أن فرضية الدكتور بيربيرسون قد أيدتها الاكتشافات الأخيرة فى إفريقيا .

وبالجملة فقد أصبح العلماء الآن عن طريق الكشوف الأثرية وتقديرات العلم الحقيقى — لا الفلسفة — متأكدون مما جاء به الدين الحق وجاء به الاسلام من أن الانسان خلق مستقل وأنه سيد المخلوقات وصدق الله العظيم (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) .

(٢٢)

البحث عن الحق

هل الفكر الغربي جاد حقاً فى البحث عن الحقائق . هل إذا وجدها فهل هو مستعد لقبولها . ذلك ما نشك فيه ونستبعده ، وإن كنا نعتقد أن فى الغرب « تيار » يحاول أن يفهم أن المسلمات الموجودة بين يديه فى حاجة كثيرة إلى اعادة النظر ، وأنها لابد أن تكون مدخولة . وآية ذلك أنها لا تحقق الإنسان الغربى الطمأنينة النفسية ولا السعادة الاجتماعية ، وذلك بالرغم من كل معطيات العالم المادى .

ومن يقرأ كتاب ابل جونز (البحث عن الحق) يجد هذا التساؤل واضحاً وصريحا فهو يقول :

أن العصر الحاضر هو عصر الأكاذيب . وأنه لم يحدث قط فى تاريخ العالم ان قرأ الرجال والنساء والاطفال وسمعوا أكاذيب كثيرة من أكاذيب العشرين سنة الاخيرة، فى الأجيال السابقة كانت الاكاذيب المروية تنتقل فى بطء من انسان إلى انسان آخر ، أما اليوم فإن أكذب الكذابين يمكن أن يسمعوا فورا من جمع أنحاء الارض وأن الذين اتخموا بالاكاذيب المفتريات يتوقون إلى معرفه الحق . ذلك أن كثرة شيوع الأكاذيب وانتشار المفتريات والاباطيل لا يقعد الناس عن محاولة تحرى الحقائق ودحض الاكاذيب المصنوعه والاباطيل الملفقة ويدمغ المؤلف الفكر الغربى كله والحضارة الغربية بأنها معرضة عن الحق . فيردد قول هـــو سمان (ان أضعف الميول البشرية حب الحق) ويقول ان الكثرة الكاثرة من العلماء لم يخلصوا الاخلاص التام فى طلب الحقائق الخاصة فكثيراً ماسيطرت عليهم أوهامهم وأهوائهم وأغرتهم بالتشبث بوجهات نظرهم دون أن يستطيعوا التجرد فى البحث عن الحق ويتخلصوا من رق النزعات والميول

الأهواء فكم من عالم متمكن جعلته أهواؤه ينخدع فى أشياء كان يمكن أن يتبين حقيقتها لو لم يغلبه هواه وتضله أوهامه . وكم من مؤرخ جليل القدر راسخ القدم قد أرداه تعصبه المذهبى ، كذلك فقد أنكر العلماء كل معرفة غير المعرفة التى تأتى عن طريق الحواس أو عن طريق التفكير الذى يعتمد معلوماته مما تزود به الحواس . كذلك فقد تأثر العلماء والفلاسفه بنشأتهم وأحوال عصرهم وبيئتهم بينما البحث عن الحقائق يستلزم التخلص من آثار البيئة والنشأة واختبار النفس قبل الإقدام على التماس الحقائق . كذلك فإن الباحث يربط بين التبريز العلمى والكرامة الأخلاقية ، ويرى أنه إذا فقد العالم أخلاقياته فإنه جدير بأن يكون مطعوناً فى عمله ، ويقول أنه بالرغم من أن فرنسيس بيكون هو موجد الطريقة الاستقرائية فى البحث عن الحقائق ، فقد عرف من مجمل سيرته أن أخلاقه لم ترتفع إلى مستوى كفايته العقلية ، وأن له سقطات وعيوب أخــذت عليه فى كتابه القــانون الجديد الذى ألفه ليعارض طريقة أرسطو فى البحث عن الحقائق وتصحيح الأوهام الفكرية فى مذاهب البحث . ويخلص المؤلف إلى القول بأن هناك عقبات أربع تحــول دون سلامة المنهج الغربى فى الفكر والبحث وتضل عن الحقائق ، وهى عنده أربعة أوثان .

الأول : أوثان القبيلة : وهو تصور الطبيعة على صورة لابرهان لها من التجربة والمشاهدة .

الثانى : أوثان الكهف ، وهى أوثان الفرد نفسه وأوهام بيئته .

الثالث : أوثان السوق : وهى التى تنتشر من اختــلاطه بغيره من الناس .

الرابع : أوثان المسرح وهى النظريات المضلة والمبادىء الزائفة والأخطار الخاصة التى تسرى إلى عقول الناس .

يقول: هذه الطوائف من الأوثان تحجب الإنسان عن رؤية الحق وإن الاقتراب من الحقـــائق يتطلب أن يتخلص الإنسان من رق أفـكاره السابقة ومعتقداته القديمة ، وأن أوجه كثيرة من الأكاذيب تعترض طريق الباحث عن الحق تقوم على الإخفاء الانتقاص ، أو المبالغة والتهول وعدم توفر الأمانة والإخلاص . أو قصور فى التفـكير البشرى ذاته . فضلا عن دعايات السياسة وأكاذيب الحروب ، وأكاذيب الصحافة ، وتعصب أصحاب المــذاهب والعقائد .

وإن هناك كثير من الناس يعتقدون أنهم يدافعون عن الحق ، وهم فى الواقع يدافعون عن مذهب راقهم أو قصة اجتذبتهم ، أو اتجاه امتلك عليهم عواطفهم

وأن الولاء للمذاهب هو من الأشياء الخطيرة التى تقيم العقبات فى سبيل البحث عن الحق . وقد يكون للمذهب قيمته وشأنه . ولكنه فى الوقت نفسه لايمكن من رؤية جميع أوجه الحق .

هذا موجز ما قصد إليه الـكاتب الغربى (ابل جونز) على نحو يمثل (مع بعض كتابات أخرى سبقت فى هذا الطريق) شهادة صادقة تصك وجه الزيف الذى يقدمه المنهج الغربى فى الفكر ، والذى يوحى بأنه علمى بينما هو خلاصة الأهواء وعصارة الغرض القائم على تأكيد طابع الاستعمار والاستغلال والسيطرة التى عرفت عن الفـكر الغربى فى مراوغته ومغالطاته وتصوير نفسه بصورة الممدن للشعوب المبرر لمواقفه الإجرامية فى السيطرة على الأمم والثراوت بأنها عمـــل من أعمال التعمير وما يتصل بذلك من حلف الاستعلاء باللون والعنصر .

ولقد ظل الغرب مئات السنين لايعترف بفضل الإسلام والحضارة الإسلامية منكراً ذلك مسرفاً فى الإنـكار ، بينما دور المسلمين فى بناء الحضارة أمر واضح فى ثنايا مختلف أوجه النهضة من علوم وطب وفلك ودراسات إنسانية واجتماعية

ولكن الفكر الغربي بأهوائه وتعصبه وحقده لا يعترف لأهل الفضل بفضلهم .

وهو لا يكتفي بهذا ، بل إنه ينكر نسبة الحضارة الأولى لمعطيات العلم ومنجزاته إلى الحق تبارك وتعالى الذي هدى انسان إلى قوانين البحث ومفاتيح السنن ؛ وهو بصلفه وغروره ينسب ذلك إلى ما يسميه (الطبيعة) معرضا عن المصدر الصحيح وبالرغم من كل هذه الآيات الباهرة التي يكشف عنها العلم كل يوم سواء في مجال الكشف عن دقائق تكوين جسم الإنسان ، أو ما يتصل بأجواز الفضاء ؛ فإنه يصر على أن ينسب هذه المنجزات إلى قدرته وعقله وإلى العلم ويصل في ذلك إلى حد تقديس العقل والعلم ، ويتجاهل العامل الأصيل : مصدر العوامل كلها ، وهو الله تبارك وتعالى .

كذلك فإنه في سبيل إعلاء العنصر الأبيض حرف حقائق العلم وتقام دعوى عريضة حول الأجناس والعناصر والدماء ترمي إلى التفرقة العنصرية . مع أن ذلك كله معارض الحقيقة ، صادر عن الهوى كما أشار الباحث الغربي الذي اكتشف قومه . ومايزال الفكر الغربي غارق في الأكاذيب والمفتريات والاباطيل منذ جانب الحق ، وجاوز الحقيقة التي ليس لها إلا مصدر واحد هو : رسالة السماء وكلمة الوحي الصادقة التي أهدت إلى البشرية أسلوب فهم الحق والاعتصام به مع مجموعة الحقائق الاساسية التي لا تتبدل .

لقد عجز الفكر الغربي عن أن يعرف مصدر الحقائق ، لأنه اعتمد على تفسيرات الدين الغربي لم تكن صحيحة المصدر ، ومن ثم فقد أنكر الدين ظنا منه أن هذا الذي أنكره هو الدين بصفة عامة ، وكان عليه ان يبحث عن الدين الحق الموثق المصدر ، الثابت المنبع .

ولاريب ان الفكر الغربي سيظل يدور في حلقة الباطل المفرغة لأنه لم يؤصل الأصول ، التي يقوم عليها البحث عن الحق ، هذه الأصول انما تلتمس من

المصادر الربانية أولا . فإن الحق إنما أنزله الله من السماء (أنزل الكتاب بالحق والميزان ليقوم الناس بالقسط) فاذا لم تكن مصادر البحث عن الحق ثابتة لاتقبل التغير أو التحول أو التطور فانها ان تؤدى إلى مقايسة أمور الحياة المتغيرة المتطورة المتحولة . ومن ثم فان الأهـــواء هى التى تحكم وتسود ، فلا يبقى للحق وجه . والانسان بطبيعته عبد أهوائه ورغباته وغاياته ، فاذا أقام منهج البحث عن الحق فانه سوف يخدع نفسه ، لانه لن يصل إلى الحـــق أبداً ، وإنما يقيم منهج البحث عن الحق ؛ من هو أكبر من الإنسان نفسه ، إنما يقيمه خالق الإنسان . ولذلك فان المتاهة التى كشف عنها (ابل جونز) فى كتابه (البحث عن الحق) لاحل لها الا التماس منهج الدين الحق ويكفى انها وثيقة دامغة فى وجه الفكر الغربى بزيفه وأهوائه التى ماتزال تخدع الكثيرين الذين يعميهم البريق الخاطف عن رؤية الحقائق .

ولاريب أن كل هذه المذاهب والدعوات والمناهج التى توضع لها عناوين براقة انما تستمد مصادرها من الأهواء لامن الحقائق ، ولذلك فهى أعجز من أن تحقق للإنسان أى مطمح من سكينة النفس أو سعادة الحياة . لأنها انما تدعو الإنسان الى مزيد من السير وراء خطط اعلاء الشهوات والغرائز وانكار طوابع الروح والمعنويات .

(٢٣)

خطر الانهزامية

يطرح الفكر الوافد وهو فكر « تلمودى » محاذير كثيرة فى افق الفكر الفكر الإسلامى تحتاج إلى إعادة النظر اليها فى ضوء الاصالة الاسلاميه والتفسير الإسلامى للتاريخ وفى ضوء الإيجابية وبناء الإرادة والعزيمة التى يشكل بها الإسلام أهله فى مواجهة التحديات والأخطار والغزو الخارجى .

أولا : محاذير الانهزامية

اعترف مفكرو الغرب بالاثار الخطيرة التى أثرت على حضارتهم نتيجة سيطرة المدرسة الاجتماعية والفكر التلمودى فيقول كارل باسبرز فى كتابه مستقبل الانسانية :

هناك بدعتان طاغيتان من بدع العصر هما الماركسية والفرويدية . انه فى عالم محروم من الله ظهر كارل ماركس نبيا واتخذ القوالب التى يستطيع هذا العالم أن يقنع بها أو يهلل لها . وكان طبيعيا أن تسيطر على النفوس أساليب فرويد ومدرسته فى منهج مهزوز مكدود ، ففى عالمنا المقلوب هذا قد أحس الناس بحاجة شديدة إلى التحرر ، وجاء التحليل النفسى فزودهم بذلك الوهم ، اننا هنا بصدد عملية جبارة من عمليات الاستهواء الذاتى الذى هو نتاج صادق لهذا العصر المفتون والذى يسير جنبا إلى جنب مع أساليب السحر والتعاويذ التى استولت على عقول الناس . »

وليس من شك أن الرأى مستقر الآن تماما ومجمع على الانهزامية الواضحة فى

فى الفكر الفرويدى والفكر الاجتماعى الذى ينشر مظلته على المجتمع الغربى كله ويزحف رويدا إلى المجتمعات البشرية كلها .

ذلك أن الغرب إنشغل طويلا بالعلم التجريبى حتى علت الصيحة التى قالت أن عقل الغرب أصبح أكبر من قلبـــه وانه لابد من دراسة النفس الإنسانية ، هنالك تقدمت هذه المدارس التى استمدت مفاهيمها من الفلسفه المادية ومن الفكر التلمودى فسيطرت على دراسات الاخلاق والنفس والاجتماع وبرز فرويد ودركايم بعد ماركس يحاولون أن يرسموا للبشرية مفاهيمها التى انطلقت من فكرة آثمة خطيرة هى قولهم إن الإنسان حيوان ، ولا ريب أن منطلق هذه الدعوة كان يستهدف « تحقير البشرية » واذ حمل اليهود لواء هذه الدعوة فقد استغلوا لها كثيرا من الفلاسفة وخاصة ما كتبه دارون الذى قال أن الكائنات الحية جميعاً نشأت من أصل واحد وأن الكائنات المعاصرة تسللت من كائنات أبسط منها : هذه الفكرة استغلها الفكر اليهود التلمودى أسوأ استغلال وحاول أن يبسط عن طريق الفلسفة محاولة كاملة التدمير . فنها تفرع القول بأن الإنسان حيوان ومنهـا تفرع بأن التطـــور ليس بيلوجيا فحسب ولكنه تطور اجتماعى ومطلق ومنه القول بأن الجديد أفضل من القديم ويعنون بالقـــديم هنا مقررات الاديان التى هى مصدر الضوء الكاشف للبشرية كلها وتقررت فى ضوء المحاولة إلى تدمير البشرية نظرية تقول بتفسير التاريخ بالطعام (ماركس) ونظرية تقول بتفسير التاريخ بالجنس (فرويد) وعمل اليهود كل ما فى وسعهم لبث مبادىء دارون وماركس وفرويد ونيتشة وباكونين وسارتر وكلهـــا تهدم الأديان وتدمر النفس الإنسانية وبذلك استطاعوا احتواء الفكر الغربى الذى يعد فى نظر الناس هو الفكر العالمى فنجحت خطتهم فى افساد العالم وبعثرة وتفتت مقوماته وتشكيكه فى خصائصه وإشاعة الاضطراب فيه ودفعة فى احضان الرزيلة وقذفه فى ثورة الانحلال واللؤم والحقد .

والخلفية لهذه الانهزامية التى فرضتها الفلسفات المادية والوجوديه والفرويديه والماركسية كلها قد صدرت عن مخطط واحد هو البروتوكلات . وقد اعترف

الحاخام هنرى كاين فى صحيفة صـــوت المرأة التى تصدر فى شيكاغو فى كلمة نشرت له عام ١٩٤٥ جاء فيها أن البروتوكولات وهى الخطة التى وضعته السيطرة على العالم أمر حقيقى وأن زعماء الصهيونية يكونون مجلس (سانهدرين الأعلى) الذى يرمى إلى السيطرة على حكومات العالم وقد طردنى اليهود من صفوفهم لأنى انكرت عليهم خططهم الشريرة .

وإذا كانت الفرويدية انهزامية فإن الهيبية معرفة كاذبة .

وإذا كان الدافع الجنسى موجود فى أساس اجتماع الرجل والمرأة وتوليدهما وفى تخليد جنسهما البشرى غير أنه ليس أساسا صالحا ليكون مصدراً واحداً للتصرفات الإنسانيه كذلك فان الاقتصـــاد عنصر من عناصر المجتمعات ويفسر بعض التاريخ ولكنه ليس أساساً ليكون مصدراً واحداً لتفسيره .

وقد تبين لهذا الفكر البشرى اليوم وعلم أن هذه المحـــاولات كانت مضللة وأنها ساقت القشرية سوقا لأزمان امتدت أكثر من قرن وشملت عدداً من الأمم إلى الضلال والهدم وأنها حطمت الطريق الأصيل الذى رسمه الدين الحق للبشرية حين هداها إلى مفهوم ربانى أصيل قائم على التوحيد والرحمة والعدل والأخاء البشرى .

وتبين أن نبوءات ماركس قد فشلت وبطـــل سحرها ، كما أن مفاهيم فرويد كانت تنطلق من تحليل المرضى ولم تكن تستمد من الاسوياء ولم يكن فرويد كما حاول أن يصفه المخدوعون الخادعون بأنه خلال العقد النفسيه . ، ولقد اختلف رفقاء فرويد معـــه وانكروا غلوه فى أمر (الجنس) وقدموا تفسيرات أكثر سلامة وصحة ولكن القوى التى كانت تدفع الفكر البشرى إلى الفساد اذاعت هـــذه السموم ونشرتها وفرضتها على مناهج الجامعات مع نظرية التطور ومع مفهوم دوركايم عن المجتمعات وإنكار فطرة الدين وفطرة الاسرة . وتبين من بعدما كشفت عنه الوثائق أن العملية كانت تجرى بمخطط

موسوم من أجل هدم الإنسان وافساد البشرية وإعدادها للسقوط بين ايدى أصحاب مخططات صهيون .

وعندما دعا سارتر إلى الوجودية كان يحقق هدفاً أصيلا للتلمودية وهو دفع الإنسان إلى كسر جميع الضوابط والحدود والقيود التى رسمتها له الأديان من أجل حمايته من أخطار التمزق والإنحراف والسقوط فى هاوية الشهوات وعن الوجودية جاءت ظاهرة الامتثالية أى الهيبية التى بحثت عن السعادة فى المخدرات والمارجوانا والإنفصال عن اعراف المجتمع ورفض الحياة المنظمة واحتقار القيم الإجتماعية وإذا كان الهيبيون رافضون فانه جـــدير بهم أن يبحثوا عن البديل الصحيح والإيجابى لما يرفضونه ولكنهم حين ينسحبون من المجتمع ويحطمون وجودهم النفسى والإجتماعى فإنهم لايعملون شيئا ، ولكن هكذا تعمل التلمودية وبروتوكلات صهيون لتدمير المجتمعات البشرية .

ثانياً : محاذير الشعوبية

هناك دعوى باطلة تتردد بشدة فى افق الفكر الإسلامى تحاول أن تطرح مفهوم « الشعوبية » بديلا لمفهوم الإصالة . أن أبسط مفاهيم الشعوبية هو التنازل عن الهوية والطابع الخاص والذى صاغها الإسلام لأهله ، فيهم يدعـــون إلى الانصهار فى الحضارة العالمية والفكر الأممى وكان طه حسين فى مصر ، وأحمد غايف فى تركيا ، يدعوان إلى أن يسير المسلمون سيرة الأوروبيين ويسلكون طريقهم ويأخذون من الحضارة خيرها وشرها ، وحلوها ومرها وما يجب منها وما يكره وما يحمدمنها وما يعاب وتلك دعوى باطلة وصيحة زائفة يجب أن تقابل بالإنكار والنبذ على سواء ، وماتزال هذه الدعوى تتكرر بين آن وآن بأقلام الشعوبيين الجدد تستهدف إذابة الأمة الإسلامية المتميزة بين الأمم بطابعها القائم على التوحـــيد فى اتون الأممية الضخم الذى تنصهر فيه المشخصات . وماتزال هناك محاولات سعيد عقل فى الدعوى إلى العامية اللبنانية بالحروف اللاتينية ، ومن ذلك محاولات يوسف الخال وإدخال

المصطلحات النصرانية والكنسية إلى الشعر العربي ومحاولات كتاب كثيرون فى الكتابة بالاسلوب التوراتى الذى حاوله من قبل جبران خليـــل جبران ونعيمه والريحانى والذى لا يجد قبولا لدى أهل الثقافة العربية .

ثالثاً : محاذير تفسير التاريخ

منذ وقت بعيد تنبه علماء المسلمين إلى محاذير تفسير التاريخ واخطـــاره .
قال العلامة أبو بكر بن العربى فى كتاب « العواصم من القواصم » :

« لتحذروا من المفسرين والمؤرخين وأهل الآدب فانهم أهل جهالة بحرمات الدين وعلى بدعة مصرين ، فلا تبالوا بما رددوا ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث ولا تسمعوا لمؤرخ كلاماً إلا الطبرى »

ولقد تنبه النفوذ الغربى منذ وقت بعيد إلى أهمية التاريخ فى تكوين الأمم والشعوب فحرص على إفساده وتسميم منابعه ورسم صورة مظلمة له ومقبضه ، يعرضها على أهله حتى يكرهوا تاريخهم ويحتقروا أمتهم وينفروا منها .

ولقد كان المجـــوس واليهود فى القديم هم حملة رسالة تزييف التاريخ ثم جاء الرواة فزيفوا تاريخاً كثيراً وعمدوا إلى غريب من الاخبار فأثاروا الشبهات ثم جمعت أحاديث الرواة وعدها المستشرقون مراجع وجهوا اليها أتباعهم فاعتمدوا عليها فى تزييف الحقائق .

وكان من أخطر ما دعوا اليه اعتبار كتاب الأغانى وألف ليلة وكتب المحاضرات مراجع يعتمدون عليها وقد اعتمد مؤلف كتاب (الإسلام وأصول الحكم كتب الإدب والمحاضرات كما اعتمد مؤلف كتاب (أضـــواء على السنة المحمدية) على مثل هذه المراجع وكلها زيف لايرجع إليه فى علوم السنة أو الفقه وفى العصر الحديث عمدت الجامعات الكبرى التى أقامتها الإرساليات إلى تلقين التاريخ على أنه علم من العلوم التجريبية بينما لايمكن محاكمة العلوم الإنسانية وفق مقاييس العلوم التجريبية لأن التاريخ قائم على حركات البشر ونوازعهم ومشاعرهم

وكلها لاتخضع لقواعد الرياضيات والتجريب . ولكن الهدف من وراء هذه المحاولات معروف وهو انتقاص التاريخ الإسلامى والبحث عن ثغرات فيه ومحاكمته إلى مفهوم مادى بينما يستمد التاريخ الإسلامى قوته من روح الإيمان والجهاد ، الاستبسال فى سبيل هدف واضح وغاية واضحة تبذل فى سبيلها الأرواح وتكون الغلبة فيها للقوى المؤمنة القليلة العدد أمام الكثرة الكاثرة من أصحاب الاهواء ، ولا ريب تختلف وجهة نظر الإسلام لتفسير التاريخ عن وجهة نظر الامم الاخرى وقد أشار إلى ذلك (اليان وايدغراى) حين قال « إما وجهة نظر المسلمين للتاريخ فانها نظرة بناءة ، فهم يرون أن البشرية إذا اعتنقت تعاليم القرآن فإن ارادتها حينذاك تتطابق وإرادة الله ولا يعود يوجد من يعصى أوامره ويعم الإخاء بين البشر ، ومن صفات المؤمن أنه صابر ويعلم أن لامرد لإرادة الله »

(٢٤)

لن تسقط الذاتية الإسلامية فى الاحتواء العالمى أو الاممية

ان « ذاتية العرب الاسلامية » : التى تواجه اليوم أخطر تحدياتها من حيث تهب عليها عواطف التيارات الاستشراقية ، ومن حيث تهب عليها تحديات الصهيونية العالمية فى الإرض المحتلة ، ومن وراء ذلك كله : ايدلوجيات متعدده شرقية وغربية ، ماركسية ولبيرالية ، هذه الذاتية يجب أن تكون قد عرفت نفسها وحددت موقفها من كل هذه الاخطار .

ولا نكون مبالغين إذا قلنا أن هدف التحالف الاستعمارى الصهيونى المادى المركز هو ازاحة هذه الذاتية والقضاء عليها وابادتها لانها هى وحدها — وليس اى شىء آخر — الخطر الماثل أمام القوى الراغبة فى احتواء عالم الاسلام والسيطرة عليه سيطرة فعلية ، متصلة .

وما زال هذا الهدف قائما منذ بدأت حركة الاستعمار وحركة الاستشراق والتبشير والتغريب ، وهى تمضى حثيثا إلى غايتها عن طريق الارساليات والمعاهد والجامعات والثقافة والصحافة ، ولكن حركة اليقظة الإسلامية التى كانت قد سبقت على الطريق والتى تنبهت تماما لكل هذه التحديات بالرغم من عزلها عن مجال النفوذ السياسى القادر المسيطر ، وامتياز التغريب بالسيطرة على كل مجالات النفوذ ، وبالرغم من هذا ولانها تستمد قوتها من الفطرة ومن الاصالة ومن الحق ، ولانها تدعو إلى التماس المنابع والعودة إلى الأصول ، والتماس المفهوم الصحيح للنيم ، لانها كذلك فقد استطاعت أن تشق طريقها وأن تحطم قوى الغزو واحدة بعد أخرى ، وما تزال تشرع أسنه أقلامها فى الميدان لا تتوقف عن المقاومة . وهى بحق فى رباط دائم إلى يوم القيامة شأنها شأن أهل الجهاد بالسيف .

أنهم يلحون على هذه الفكرة بالرغم من عدم صلاحيتها ، أساسا ، وبالرغم من عدم قدرة الفكر الاسلامى على تقبلها ، وبالرغم من انها ليست حتمية بوجه واحد من الوجوه . لماذا يريدون من العالم الإسلامى والمجتمع الإسلامى أن يفقد شخصيته وذاتيته حتى يستطيع أن يصل إلى مكان الامم الغربية فى الحضارة والعلم والتكنولوجيا .

وأمامنا عشرات الأمثلة على فساد هذا الترابط بين المدنية المادية والحضارة كعقيدة وقيم فكرية ، ولماذا لم تفعل ذلك أوروبا حين نقلت المنهج العلمى التجريبى من المسلمين دون أن تنقل مفاهيم الشريعة الإسلامية ، بل وحين نقلت بعض قوانين هذه الشريعة دون البعض الآخر ، ولم يقل أحد يوما أن الغرب عجز دون التقدم .

أن هناك حقيقة قائمة ، وهى واقع تاريخى متكرر ، أن الامم من شأنها أن تقتبس من شؤون المعرفة والعلم ما تشاء ولكنها لا تستطيع أن تعتنق عقيدة الحضارة الأخرى ولا ثقافتها الروحية والفكرية والتقنية والاجتماعية .

وان المسلمين لا ينقصهم شىء فى طريق التقدم إلا هذا الجانب من العلم التجريبي الذى انشأوا شجرته ، ثم أهملوها حتى نماها الغرب ، وهم لا يحتاجون إلى شىء سواه ليصوغوه فى إطار لغتهم وفكرهم وينموه ليصلوا به إلى ما وصل إليه الغرب من تقدم مادى ولكنهم ان يخضعوا وان يذلوا وان يستعبدوا لعقيدة الحضارة الغربية وهى عقيدة أصابها الفساد الكثير وتعيش الآن محنتها وأزمتها ، وأن أصدقاء العرب والمسلمين الذين يظنون أنهم يصدقونهم القول حين يدعونهم إلى الانخلاع عن عقائدهم الروحية والقومية والثقافية ليندمجوا فى أتون الحضارة العالمية أو ينصهروا فى الأممية أو يذوبوا فى الدولية أو تحتويهم هذه الدعوات ، هؤلاء ليسوا صادقين وليسوا مخلصين للعرب والمسلمين ، لأن النصيحة التى يمكن أن توجه للمسلمين والعرب هى أن يحتفظوا بذاتيتهم وان يتمسكوا بمقدراتهم وان يعيشوا عقيدتهم وقيمهم ولو تأخر بهم أمر هذا التقدم المادى وسنوات

على أن يفقدوا ذاتيتهم ويصبحوا شيئا لا قيمه له فى الإطــــار الواسع : إطار الأقوياء الذين يترنحون الآن تحت ضربات المادية والصيهونية العالمية التى تحتويهم وتحاول أن تحطم مجتمعاتهم .

أن « الأصالة » فى مفهوم العرب والمسلمين تختلف كثيراً عن مفهوم جاك بيرك وأرنولد توينبي ، وهى ليس دخولا فى مرحلة الاحتواء الغربى بأى شكل كان ، وأن الذين يذعنون إلى هذه الوجهة أو يحـاولون تحقيقها سوف يجرفهم سنن الحضارات ، وسوف تستعيد الحضارة الإسلامية عقيدتها كاملة ، لتحرر البشرية ، وسوف لاتستطيع الدعوة العالمية ومن وراءها وقد انكشفت أهدافها ، ان تخدع المسلمين والعرب بعد نكسة ١٩٦٧ — فقد ذهب الكثيرون خلال هذه السنوات يجرون وراء بريق الدعوة الغربية ظنا منهم أنها صادقة مخلصة ثم انكشفت لهم الحقائق ولم يجـدوا أمامهم إلا ذلك الخطر الصهيونى المـدمر الذى ورث النفوذ الاستعمارى الغربى ويحاول الآن أن يستوعب كل ما كان له من نفوذ .

وكذلك فإن الفكر الإسلامى لا يؤمن بما يدعيه بعض المفكرين من أن الاستشراق قد أنتهى دوره وأن المحـاولات المحصورة الآن تدخل تحت اسم التحليل الاجتماعى ، ونحن نعرف أن الاستشراق قـد دخل مرحلة جديده أكثر خداعا وأكثر تمويها وأنها تحاول الآن أن تستقطب مجموعة جديدة من الكتاب يدعون انهم كانوا غافلين عن جوهر الفكر الإسلامى وانهم لم يتلفتوا إليه إلا اليوم ، ثم هم يعيـدون النظر فيه من جـديد وقـد يصفق لذلك بعض السذج كما صفقوا من قبل عند ما كتب طه حسين هامش السيرة ، ولقد يحاول هؤلاء الكتاب ان يخدعوا قراءهم ، كما فعل مرجليوث وجولد زيهر وبرنارد لويس وغيرهم بمحاولات الاغراء الكاذب بالاحتفال بالاسلام ثمة ، ثم هم يثيرون حوله أشد الشبهات وأكثرها ضلالا .

وإذا جاء أبناء العربية اليوم من أتباع المدارس الغربية وقد كان بعضهم على

مذهب أوجست كونت أو ماركس أو نيتشه أو غيره ليتحدثوا عن الاسلام فنحن لانقبل منهم مايقولون إلا تحت شرط واضح وقاعدة أساسية تتمثل في سؤال واحد هو : هل يؤمنون بالوحي ؟

ذلك أن الظاهرة الخطيرة التي تتمثل الآن في كتابات الاستشراق، هي محاولة تكريم سيدنا محمد صلى عليه وسلم ولكن لا على أنه نبي مرسل من عند الله وأن القرآن كتاب الله الموحى به إليه ، ولكن على أنه « مصلح عظيم » أو « نبي الحرية » أو عبقري أو بطل الأبطال أو ما إلى ذلك من صفات تطلق على المصلحين الأرضيين لا على أنبياء الله المرسلين بالحق .

ولقد يذهب بعض هؤلاء إلى الادعاء بأن الوحي ما هو إلا صورة العقل الباطن ، أو ينسبون إلى النبي أنه رجل إستوعب ثقافات عصره ، وهو الأمي الذي لم يخط حرفا ولم يقرأ كتابا ، أو يقولون أنه مصلح عظيم وجد أمة مستعدة للنهضة فنهض بها بينما أمضى الرسول ثلاثة عشر عاما يدعو إلى الله فلم يجد غير المقارمة والظلم والاصرار على الجاهلية في رباها وفحشها ومساءتها ، كل هذه النظريات الباطلة يحاولها بعض أهل الاستشراق أن يغير الحقائق وأن يقول غير ماوقع فعلا، نحن نعلم أن هذا هو طابع الاستشراق الجديد الذي غذته الصهيونية والذي يصفه جال بيرك وغيره بأنه تحليل اجتماعي .

إن هذه الإمة تعرف طريقها . وتعرف الأسلوب الوحيد الذي يردها إلى مكانها الذي أقام حضارتها وان تختلف بها الطريق أبداً مادامت تستمد ضوءها من القرآن .

ولقد كان توينبي يعرف كما يعرف اليوم بيرك أن هذه الامة لاتصر على شيء قدر أصرارها على المحافظة على ذاتيتها والرفض بالصياح لشخصية الإسلام والحضارة أن تتلاشى أو تذوب في شخصية حضارة أخرى وتعرف أن ذلك هو « السر » في كل

انتصاراتها فى معاركها مع الصليبيين والتتار والفرنجة والاستعمار والصهيونية وفى الجزائر والهند ومصر والباكستان وسوريا وفلسطين ، ...

إن الشخصية العالمية مهما لمعت فهى قائمة على الظلم والاستغلال والاستعمار ولذلك فهى زائلة ان تستطيع الحضارة الغربية أن تعطى الإنسانية أملها وروحها وإيمانها ، وستظل الشخصية الإسلامية قائمة وقادرة على الثبات حتى تنتصر ولن تذوب أو تحتوى مهما تجمعت عليها كل قوى الفكر الصهيونى التلمودى أو الفكر الغربى المسيحى .

(٢٥)

عقبات على طريق النهضة الإسلامية

لاريب أن حركة اليقظة الإسلامية التى بدأت من قلب الجـــزيره العربية وامتدت إلى مختلف أجزاء العالم الإسلامى وحمل لواءها دعاة التوحيد الخالص قد مرت منذ فجرها بمراحل متعددة كانت خلالها تعمل فى ميدانين متكاملين هما :

١ ـــ تحرير العقيدة الإسلامية من زيف مفاهيم الوثنية والشرك والتقاليد والجمود .

٢ ـــ مقاومة النفوذ الأجنبي الزاحف الذى سيطر على عالم الإسلام تحت أسماء الاستعمار والاحتلال والانتداب وغيرها .

وهى أسماء كانت تعنى السيطرة السياسية والعسكرية التى كانت ترمى إلى ترسيخ الاحتواء الفكرى وصهر الأمة الاسلامية فى بوتقة التغريب واخراجها من مقومات ذاتيتها لتذوب فى الأممية التى تفقدها وجودها الحقيقى . ولقد ذهبت السيطرة السياسية والعسكرية عن الأجـــزاء التى وقع عليها الاحتلال ولكن النفوذ الفكرى والثقافى كون ركيزة خطيرة دارت فى ثلاث حلقات متوالية هى :

١ ـــ الفكر الوافد ككل بمفاهيمه المعارضة للفكر الإسلامى والمختلفة معه فى ابحاث السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية .

٢ ـــ الفكر الصهيونى التلمودى الذى تسرب عن طريق النظريات والمفاهيم

والأيدلوجيات التى طرحها الفكر الغربى والتى سيطرت على عديد من القادة والمفكرين عن طريق مدارس الإرساليات من ناحية والمحافل الماسونية من ناحية أخرى، وعن كليهما صدرت تلك المعتقدات التى تبلورت من بعد فى صورة العصرية والتقدم والتجديد وحرية الفكر وهى تعنى العلمانية والتنكر لقيم الأديان وأخلاقياتها وللوحدة الاسلامية وللتكامل الجامع الذى قام عليه منهج الإسلام.

٣ — ومن خلال مدارس الأرساليات ومحافل الماسونية قامت الدعوة إلى الماركسية واستطاعت أن تجد لها خلايا فى قلب فلسطين وكشفت منذ ذلك الوقت الباكر تلك العلاقة الجذرية بين الشيوعية والصهيونية فإن اليهود هم طلائع الماركسية وحملتها إلى المشرق العربى وإن هذه الجامعات اليهودية الماركسية قد ارتبطت بجماعات الانحلال واشدها انحطاطا وأن الأموال الصهيونية هى التى غذت هذه المحاولات كلها بالفكر والمال وحركتها من وراء ستار لتبث سمومها الفكريه وكان الصهيونيون قد اشتهروا بهذا النوع من التسميم والتضليل وقد اعترف بهذه الحقيقة أخيراً بعض الذين اتصلوا بهذه الجماعات وسجلوا اعترافاتهم فى وثائق جديرة بأن تكون موضع عناية الدارسين لحركة اليقظة الإسلامية.

كذلك فقد كشفت الوثائق عن الصلة العميقة بين المحافل الماسونية وبين حركات مقاومة الاستعمار، وقد حمل لواءها اليهود وجندوا لها ضعاف الإيمان والعقيدة حتى قال ولسلى القائد البريطانى الذى فتح مصر وقضى على ثورة عرابى ١٨٨٢ : «انى اينما توجهت لقيت إخوانا من الماسون يرحبون بى ويساعدوننى على ما أريد ولست ارتاب فى أن نجاحى كان لأنى استاذ فى الماسونية» ...

وقد تبين للكثيرين أن الماسونية حركة يهودية عالمية تستهدف إعادة اليهود إلى أرض الميعاد مستظلة بشعارات خلابة مستندة أحيانا إلى مادسه اليهود وما كتبوه بأيديهم فى التوراة والمزامير. وإن كلمة البناء الحر لاتعنى إلا إعادة بناء هيكل سليمان.

ومن العجيب أن المحافل الماسونية هى التى وجهت إلى أهـــل فلسطين عام ١٩٢٢ بيانا يحمل وجهة نظر الصهيونية يدعى أنها جاءت لتعمير فلسطين والعمل على تحضيرها ونشر الرفاهية فيها ؛ وحث أهل فلسطين على التسليم بالواقـــع والاستسلام له .

وقد آزر الماســـونية طريقا إلى الصهيونية : أصحاب المقطم والمقتطف وصاحب الهلال (صروف ونمر ومكاريوس وزيدان) ولكن خداع الدعوة المسمومة لم يلبث أن كشفه الذين وصلوا فيها إلى أعلى الدرجات (أحمد غلوس وعلى الزغبى) وغيرهم ، لقد كشفوا عن ان كلمة السر فى أعلى الدرجات كانت تفسير الماسونية بأنها أعادة بناء هيكل سليمان،لقد كشف كثير بعد ذلك حقائق أبعد مدى منهم الاديرال ، ولميام جاى كار بكتابه (أحجار على رقعة الشطرنج والجنرال جواد رفعت .

هذا الخيط الدقيق من شأنه أن يغير كتابة تاريخ الشرق الحديث من جديد فى ضوء هذه الجوانب الخفية البعيدة التأثير فيه وفى تطوراته سواء من حيث مخططات مدارس الارساليات التى كانت على ولاء مزدوج للصهيونية والاستعمار ومحافل الماسونية وسيطرة اليهود على أنشاء خلايا الماركسية الشيوعية ودعم الاتجاه المريب الذى يدعو الى تقبل وجود إسرائيل فى جسم الامة الاسلامية :

وسرعان ماتبينت أثار ذلك من قيام اسرائيل حين أعلن بن جوريون أن السوفيت هم الذين ساندوا اسرائيل فى الحاق الهزيمة بالعرب خلال ١٩٤٨ - ١٩٤٩ وقال أن الروس كانوا يرسلون الاسلحة إلى تشكوسلوفاكيا لتصل إلى اليهود الذين قاتلوا العرب وطردوا الفلسطينيين من وطنهم وهذا أحد ابعاد القضية ، وان موقف (ولسون) وقـــد حمل لواء مساعدة اليهود لقيام دولة اسرائيل فى مؤتمر الصلح بعد الحرب العالمية الاولى وفرض قيام الوطن القومى بالاشتراك مع بلفور وغيره ، هو بعد آخر .

ولقد أشارت الوثائق إلى أن الاتحاد السوفيتي قدم وحده أربعين فى المائة من الاموال الضخمة التى تدفقت على اليهود قبل احتلال فلسطين لشراء الاراضى من العرب بينما قدمت دول الشرقية ٢٨ فى نسبة هذه الاموال ، كذلك فقد أشار هتلر إلى موقفه من الايدلوجية التى طرحها إذ ذاك فى أوربا « فقد انكببت على دراسة نظريات قادة هذه الحركة فوجدت نفسى أمام عقيدة مبنية علـــى الحقد والانانية، عقيدة يعنى انتصارها هزيمة البشرية وما لبثت أن اكتشفت الصلات الوثيقة بين هذه العقيدة الخطيرة والمبادىء التى يدعو اليها اليهود وأدركت مع الايام أن أهداف الحركة هى نفسها أهـــداف اليهود كشعب واليهودية كدين والصهيونية كحركة سياسية قومية ، ومما زاد نقمتى على اليهود تكالبهم على جمع المال بجميع السبل الملتوية وقد لمست الحقائق التى لا تخطر ببال للدور يمثله اليهود فى ترويج سوق الدعارة والاتجار بالرقيق الابيض ، هـــذا الدور الذى يؤديه اليهود بمهارة لم يتنبه إلى خطورته الشعب الالمانى الا فى الحرب العالمية الكبرى ، أما أنا فقد شعرت بالاسف حين اكتشفت أن اليهود : هذا المخلوق الوديع هو الذى يستثمر البغاء السرى ويحوله الى تجارة رابحة » .

وحين تتكشف هذه الحقائق على طريق حركة اليقظة الاسلامية يتبين مدى العقبات التى تقف أمام انتقالها من اليقظة إلى النهضه، ذلك أن الماسونية إذا كانت قد إختفت بعد أن انكشفت أهدافها، فانها تترك مكانها لبديل خطير هو أندية الروتارى والليونز . .

ولقد تأكد للباحثين تلك العـــلاقة العضوية بين الروتارى وبين الصهيونية فالهدف الأساسى هو نفس هدف الماسونية وصولا إلى الصهيونية : وهو تحطيم العقائد الدينية العالمية جميعا لخدمة اليهودية وهى تركز على عـــدم اعتبار الدين مسألة ذات أهمية فى الحياة العامة ، وبذلك يخلع اتباعه من رقابهم كل توجيه من جانب أديانهم وبذلك يتحقق هدف الصهيونية وهو توفير الحماية للاقلية اليهودية ، ومن سموم الروتارى أنه يسمى الاســـلام باسم المحمدية ويضعه فى قائمة الاديان

المختلطة سماوية ووضعية ويعد نحلة (التاديزم) وهى العقيدة البشرية الصينية التى ظهرت قبل الميلاد بخمسمائة عام دينا ، وهى نحلة تدعو إلى تحقيق السعادة بالاستجابة لمطالب الغرائز البشرية وتسهيل العلاقات الاجتماعية والسياسية بين جميع البشر . والجنس سلاح من أسلحة الروتارى وحفلات الرقص الاسبوعية التى انظمها فى نوادى الطلبة . كما يعمل فى المدن الجامعية لتسهيل الفساد على ساكنيها من الطلاب .

ولا ريب أن ظاهرة انتشار أندية الروتارى والليونز والكيوانى الاكستشانج فى الوطن الاسلامى هى من أخطر التحـــديات التى تؤخر خروج المسلمين من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة ، وتحول دون بلوغهم دائرة الارادة القادرة على التغيير والتماس المنابع الأصلية وتحقيق مجتمعهم الربانى الذى يطبق شريعة الاسلام ويلتمس مناهجه فى السياسة والاقتصاد والتربية والاجتماع وهناك حركات الماسونية والخاق واخوان الحرية وشهود يهوه .

ومن الظواهر الجديرة باليقظة استغلال حركة الغزو التبشيرى والثقافى لحركة محاربة الشيوعية والماركسية لكسب أراض جديدة والمسلمون يجب ان يكونوا من اليقظة بحيث لا يستعينون بعدو لمحاربة عدو آخر ، إذ أن القوى كلها من تبشيرية تغريبية ومن صهيونية ومن ماركسية شيوعية هى قوى معادية يجب أن تواجه جميعها بحزم واصرار .

وفى مجال الغزو التغريبى والتبشيرى تنمو دعوة جامعات الارساليات إلى أن تحل العاميات والحرف اللاتينى محل الحرف العربى وهم يبذلون جهدهم فى دراسة اللهجات ومحاولة اعلائها لتكون ذات تراث ونحو وغيره بهدف اقامتها كلغات اقليمية ، هذا العمل يستهدف تدمير وحدة الفصحى القرآنية والقضاء على الثقافة الاسلامية التى قدمها الاسلام ونماها القرآن ، كذلك الدعوة إلى العلمانية هى من أخطر هذه الدعوات وكذلك تفسير التاريخ الاسلامى تفسيراً ماديا واقتصاديا وجنسيا

وكذلك حركة الترجمة التى تستهدف ترجمة القصص المكشوفة والمذاهب الهدامة وأيدلوجيات الاباحية والالحاد ومذاهب المدرسة الإجتماعية وغيرها مما صنعه التلموديون اليهود ، كل هذا يرمى الى « تغريب » العقـــل والنفس المسلمة والعربية وتدمير التاريخ واللغة والتراث والعقيدة ، وهو لا يتوقف عند هذا الحد بل أن هناك تلك المحاولات التى تستهدف تطويق العالم الاسلامى بطوق تبشيرى مسيحى غربى .

وتقول الانباء أنه قد تم إنجاز جانب كبير من هذا الحزام عــبر آسيا وأفريقيا ويجرى حاليا استكمال حلقاته بنشاط واسع مكثف ، وكذلك ماتزال دعوات القوميات اللادينية والاقليميات ترفع لواء العنصرية وتركز جهودها وتقيم الحواجز الضخمه لتفتيت العالم الإسلامى والحيلولة دون قدرته على اعلان وحدة الفكر الإسلامية .

كل هذا من شأنه أن يكون موضع دراسة خبراء الدعـــوة الإسلامية وحماة الفكرة الإسلامية والعاملين فى محيط حركة اليقظة الإسلامية .

وما يزال الشباب المسلم رافعا تحت تأثير التيارات الهدامة والمذاهب الفكرية المعادية للاسلام، وما تزال هذه التيارات تغزو أقطارهم وتعطيهم صورة مشوهة عن واقع الإسلام ، هذه التيارات الوافدة والمؤثرات الأجنبية تعمل فى مجالين خطيرين .تدمير الاسرة والمجتمع الاسلامى بنشر الاباحة وافساد العقل الإسلامى والنفس الاسلامية باذاعة الالحاد .

وهناك الدعوة الخطيرة المسمومة إلى إضعاف الامة الإسلامية حتى تعجز عن المواجهة والجهاد وحتى تسقط ازاء نمو الصهيونية فى اسرائيل ونمو بعض النحل الاخـــرى لضرب الإسلام فى اعز مواقعه ، وهى تحمل اسم (تحديد النسل) وترفع راية زائفة كريهة هى (الانفجار السكانى) وقد كشفت الأبحاث الاقتصاديه عن (قانون الوفرة) وكذب ادعاءات القائلين بنضوب الثروات

وتبين أن فساد التوزيع هو الأمر الخطير السائد الذى يجب أن يواجـــه بحزم .

وهكذا نجد أن العالم الإسلامى بالرغم من خطوه الواسع نحـو الأصالة والمواجهة مع التحديات مازال يلقى مزيدا من عوامل التعويق عن الخروج من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة .

فالمسلمون الآن على وعى كامل بأبعاد المخططات التى تحاول أن تحصرهم فى دائرة مغلقة وأن تستنفد أقواتهم وثرواتهم فى مواجهة تيارات لاتتوقف عن الصراع والمحاورة . ولو أنهم عزموا الأمر ليأخذوا منهجهم الربانى طريقا كاملا بعد أن تبين لهم فساد ماسواه وبعد أن قطعوا بالتجربه أكثر من سبعين عاما بين منهج وافد ومنهج مضلل وكانت خسارتهم ضخمة خلال هذه المرحلة الطويلة وما تزال ، لكان خيرا لهم ولكنهم لما يزالوا بعد دون القدرة على الحركه الى الاصاله بالتغيير «أن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» ، فلعلهم يعزمون أمر التغيير النفسى والاجتماعى على مشارف القرن الخامس عشر الهجرى لتتحقق لهم هذه الخطوة الواثقة على طريقهم إلى تبليغ رسالة الله للعالمين .

وعد الله لابراهيم

تقيم الصهيونية العالمية دعواها بالسيطرة على فلسطين من خلال القول بأن هناك (وعدا) لإبراهيم عليه السلام وذريته بالسيطرة على الرقعة الممتدة من النيل إلى الفرات وهذه حقيقة ولكن التزييف يقوم على أنهم يقصرون هذا الوعد على بنى إسرائيل من دون ذرية إبراهيم جميعاً فيحجبون إسماعيل عليه السلام وذريته. والواقع أن وعد الله تبارك وتعالى لإبراهيم قد تحقق فعلا بسيطرة المسلمين والعرب على هذه المنطقة وأن الله تبارك وتعالى اسقط بنى إسرائيل ونحاهم عن الملك بعد أن عجزوا عن تحقيق إرادة الله واقامة المجتمع الربانى وأحل محلهم أبناء إسماعيل الذين تحقق على أيديهم وعد الله لإبراهيم عليه السلام وامتد ملكهم من النيل إلى الفرات .

وعد الله : هو لإبراهيم عليـــه السلام وذريته الصالحة وليس لليهود الذين خرجوا عن طريق الله وزيفوا التوراة .

ومن يراجع التوراة التى بين الأيدى الآن والتى كتبها (عزرا) فى منفى ابل يجدها قد حرفت حقائق التاريخ وأنكرت حق آل إبراهيم فى الوعد الالهى وقصرته على بنى إسرائيل وتجاهلت رحلة إبراهيم وإسماعيل إلى الحجاز وبناء الكعبة فقد صمتت التوراة صمتا شديدا عن كل ما يتصل بعلاقة إبراهيم واسماعيل عليه السلام بالجزيرة العربية ومكة وبناء الكعبة ، والهدف الذى هدف إليه كهان اليهود هو اخراج أبناء إسماعيل من حقوق الوعد الذى تلقاه إبراهيم عن ربه وجعله فى الصالحين من ذرية إبراهيم عـــلى النحو الذى سجلته الآية القرآنية الكريمة .

« وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال أنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين » .

والظروف التى كتبت فيها التـــوراة فى منفى بابل من شأنها أن تـكشف عن الهدف الذى قصدت إليه بهذا التزييف الخطير فقد جاء ذلك بعد أن دمر بختنصر الـكلدانى المعبد اليهودى وقتل وسحق ونفى مئات الألوف عام ٥٧٦ قبل الميلاد وهناك فى المنفى البابلى وقد تجمعت الأحقاد اليهودية وضعت خطط التوراة التى زيفت ما زيفت من تاريخ إبراهيم ولوط وداود وسليمان من أجل وضع مخطط يعلى من شأن إسرائيل ويهوذا ويحجب من حقائق التاريخ اليهودى ما تراه العنصرية اليهودية مطابقا لأهوائها وأحقادها فى الثـــأر لمأساة تدميرهم وهنا برزت دعـــوى (شعب الله المختار) ومن أجلها زيفت حقائق كثيرة ورفعت نصوص كثيرة من التوراة الأصلية ، وكان اليهود ينفسون على العرب أن صار لهم بيتهم المحرم منذ أيام ابراهيم بينما لم يصبح لهم هيكل فى بيت المقدس الا فى أيام سليمان ابن داود ولم يقف أمر اليهود عند حرمان أبناء اسماعيل من حقوق الوعد الذى تلقاه ابراهيم من ربه فادعوا أن الذبيح هو أسحق وليس اسماعيل مـــع أن التقاليد كانت تقضى بتقديم الابن البكر قربانا لله .

وقد كشف القرآن عن هذه الحقيقة وربط بين ابراهيم عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه وسلم على أساس أن ابراهيم هو صاحب الأمامة الـكبرى فى الدين ومنه تفرعت الأديان السماوية الثلاث المنزلة : الدين الذى أنزل على موسى والدين الذى نزل على عيسى والدين الذى أنزل على محمد ، ويرجع التاريخ عهد ابراهيم الى عام ١٧٠٠ قبل الميلاد وقد هاجر ابراهيم بابنه اسماعيل وزوجته هاجر أذعانا لأمر الله سبحانه وتعالى واستجابة له إلى جزيرة العـــرب حيث ترك اسماعيل وأمه هاجر فى مكة ، وكان البيت مرتفعا فى الأرض كالرابية تأتيه السيول ثم عاد بعد ان كبر ابنه اسماعيل وأقاما معا القواعد من البيت وكان اسماعيل قد

شب وأصهر إلى جرهم وقد انتشر أبناء اسماعيل الاثنى عشر فى المنطقة الممتدة مابين الشام ومصر وأعلنت الواح الطين التى كتبت بالخط المسمارى والتى وجدت فى أطلال بابل ونينوى وبلاد مابين النهرين أن قوم إسماعيل كانوا حقيقة واقعة وأن أبنائه الاثنى عشر صاروا قبائل قوية تناوىء بابل واشور ومصر والاغريق والرومان .

كـــذلك زيف اليهود دور الحنيفية الابراهيمية كله من إبراهيم إلى محمد ووقفوا موقفا مضللا من الهجرات المتوالية التى امتدت منذ ١٧٥٠ قبل الميلاد إلى ظهور الاسلام ٦٥٠ ميلادية (أى خلال قرنين ونصف قرن تقريباً) وهى الهجرات التى أنشأت حضارات بابل والعموريين والكنعانيين وسنيا فقد نسبوا ذلك إلى جد أعلى حتى لا يثبت الفضل لاهله العرب والمعروف أن الهجرات التى تمت منذ جاء ابراهيم وإسماعيل إلى الحجاز قد قذفت بموجات متوالية من العرب أهل الجزيرة إلى مختلف أجزاء المنطقة العربيه الممتدة مابين النهرين إلى الشام الى مصر إلى المغرب وأن هذه الموجات العربية هى التى وسدت الإسلام الهجرة الكبرى وهى التى استقبلت الفتوح الاسلامية وقد كانت حضارات هذه لامم الصادرة من الجزيرة العربية عربية وقد اكتشفت هذه الحضارات واثبتت الاحافير والكشوف الاثرية أنها عربية خالصة ولكن اليهود التلموديون فى سبيل الغض من قدرة العرب والاسلام قد نسبوها الى جد ليس هناك مصدر لاثباته الا التوراة ، نسبوها الى سام حتى يطمسوا أمجاد الحنيفية الابراهمية الممتدة من ابراهيم الى محمد والتى حرفها اليهود حـــين حولوا دين موسى الى عنصرية شعب الله المختار .

وقـــد أشار القرآن الى أبوة ابراهيم للعرب : « ماجعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا » .

كما أشار القرآن إلى أبوة ابراهيم للانبياء الذين جاءوا من بعده : « ووهبنا له اسحق ويعقوب وكلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته دواد وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهـــارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحي

وعيسى والياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ».

وقد بين هذا النص القرآني أن إبراهيم عليه السلام هو جد اليهود والنصارى والمسلمين، ويؤكد الباحثون أن القائمين على دين موسى ودين عيسى لم يستطيعوا أن يواصلوا رسالتهم على النحو الذى اراده الله تبارك وتعالى فالعبرانيون جعلوا من أنفسهم طائفه قائمة بذاتها متميزة وأعلوا شأن العنصر والعنصرية بادعاء أنهم شعب الله المختار، أما المسيحية فانها مالت إلى الانحصار فى الذات فجاء الاسلام ليحقق رسالة التوحيد الحق لله تبارك وتعالى وهكذا بدأت الرسالة الحنيفية بالعرب وانتهت بهم وأن كانت قد انحرفت فى منتصف الطريق فان الاسلام أعادها مرة أخرى إلى الجادة.

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ».

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا ».

وهكذا تتأكد لنا حقيقة لاريب فيها هي: أن وعد الله لابراهيم والصالحين من ذريته قد تحقق بالاسلام، فقد استطاع أن يوسع رقعته وينشر كلمة الله إلى البعد المحدود كما تأكد فساد دعوى اليهودية وباطلها بالانحراف إلى العنصرية التى اسقطتها من وعد الله « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ».

والتاريخ يؤكد هذا، فان التحريف الذى قام به (غزرا) للتوراه بقصر الوعد الالهى لابرهم على شعب الله المختار كان تحريفا فاسدا وهو الذى فتح الباب لقول فيلون عام ٢٠ أو ٣٠ قبل الميلاد، أن العنصر اليهودى يجب أن يستوطن الأرض المقدسة. أرض الميعاد والزحف منها إلى العالم والسيطرة عليه وفى ضوء هذه الغاية صيغت العناصر الجوهرية للكتب المقدسة عند اليهود ثم وضع التلمود محققا

الخطوات التى تلت، مصوراً هذه المطامع بعد اعادة كتابة التوراه، وكان ماصوره نيلون هو حجر الأساس للفكرة الصهيونية :

لقد تبين بما لايدع مجالا للشك أنه تحت تأثير الحقد اليهودى الذى ألم بهم بعد ضربة السبي البابلى أن حرف اليهود التوراه ووضعوا هذه الفكرة العنصرية التى تتفق مع دعوتهم الباطلة (شعب الله المختار) وأقاموها على أساس أن وعد الله لإبراهيم عليه السلام فى أبنائه بامتلاك هذه الأرض ، أقاموها على أن هذا الوعد قاصر على ابنه أسحق وذريته وحـــدهم ومن هنا يجىء الإدعاء التاريخى الباطل بما يسمونه العودة إلى أرض الميعاد ،

ولقد أذاعت اليهودية العالمية هذه الفريه المبطلة فى كل كتب التاريخ بالاضافة إلى دراسة الأديان عموما فى دوائر المعارف العالمية وزيفوا تاريخ الكلمات المتصلة بذلك من أمثال عرب فلسطين وإبراهيم واسماعيل (ويبدو هذا الزيف واضحا فى دائرة المعارف الإســلامية والموسوعه العربيـــة) مما ترجم إلى اللغة العربية ولقد أمتد هذا العمل الضخم إلى مختلف مجالات التعليم والثقافة والجامعات الغربية وخاصة فى البلاد التى تتبع المذهب البروتستانتى الانجيـــلى: أمريكا ، وبريطانيا وبعض بلاد شمال أوربا وقد كانت المؤامره الضخمة التى قامت بها اليهودية العاملة هى طبع العهد القديم مع الانجيل على أنه مقـــدمة له وبذلك فرضوا على المسيحيين الغربيين وخاصة البروتستانت الاقتناع بما زيفوه فى التوراه حول وعد ابراهيم الذى جعلوه لنبى اسرائيل وحجبوه عن ابن ابراهيم الأكبر: (اسماعيل) كما حجبوا بناء الكعبة ورحلته إلى الجزيرة العربيه وهذه هى المؤامره التى تحاول اليوم أن تبرز على ألسنة الصيهونيون الذين قالوا أنهم يحملون التوراة ليطلعوا الرئيس الأمريكى كارتر على هذ النص .

الباب الخامس

أمة القرآن على ابواب القرن الخامس عشر

(١) مدخل

(٢) أمة القرآن

(٣) التحدى الخطير

(٤) الأصالة الإسلامية

(٥) بل الإسلام لقيادة العصر

(٦) الإسلام والعروبة

(٧) البدائل الوائفة

(٨) على طريق الحق

(٩) أسلمة الإعلام

(١٠) الإسلام : ربيع البشرية

(١١) العودة إلى المنابع

(١٢ أصالة التراث الإسلامى

(١٣) الاسلام لا يقر نظرية الاستسلام

(١)

مدخل

على أبواب قرن جديد .

فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى كانت حركات الاستعمار الكبرى للعالم الإسلامى تركز قواعدها فى الهند ومصر والجزائر وتونس والسودان كحلقة أخيرة من حلقات تطويق العالم الاسلامى التى بدأت قبل ذلك بوقت طويل .

وفى هذا القرن تمزقت الوحدة الاسلامية الجامعة بالدول العثمانية والخلافة الاسلامية، وقد تنازعت الدول الكبرى ميراث العرب والإسلام ، وسيطرت على أضخم قواعده ، ومقدراته ومعطياته ، واندفعت الصهيونية العالمية من خلال مخططات الاستعمار لتسيطر على فلسطين ، ، وتجعل من احتلال بريطانيا للقدس مقدمة لسيطرتها عليها بعد خمسين عاما فقط .

ولقد قاوم العرب والمسلمون مقاومة لم تتوقف من أجل الحفاظ على الكيان ولم يستسلموا وقدموا أنفسهم فى سبيل الله والحق والأرض فى معارك حاسمة فى أجزاء مختلفة من العالم الاسلامى : فى أفغانستان والقرم ومصر وسوريا والجزائر والعراق وباكستان دون أن يترفقوا وقد حققوا كثيرا من الانتصار وفى هذا القرن قامت دولتان كبريان للاسلام هما أندونيسيا والباكستان ، وتحررت العروبة من نفوذ الاستعمار وانبعثت من قلبها أضخم حركة لليقظة واستعادة مكانة العرب فى قلب الاسلام .

غير أن حركة التحرر لم تلبث أن واجهت امتحانات قاسية فى العقود الأخيرة من هذا القرن . هى ترابط الاستعمار والصهيونية من أجل ضرب حركة اليقظة ، ودفعها عن طريقها الصحيح ومن ثم فإن أخطر التحديات فى هذه السنوات الخمس الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجرى إنما تتجمع كلها حول بؤرة واحدة : هى الحفاظ على الذاتية العربية الاسلامية ، وحماية الأصالة ، وتحرير النفس العربية الاسلامية والعقل العربى الاسلامى من زيوف الشبهات والتحديات والأخطار الفكرية والثقافية التى تلقى اليوم عن طريق التبشير والاستشراق وحركات التغريب والشعوبية والغزو الثقافى من أجل إذابة الذاتية العربية الاسلامية فى بوتقة العالمية أو الأممية وإخراج المسلمين من إسلامهم والعرب من عروبتهم المرتبطة بالاسلام وإخراج المسلمين والعرب جميعا من تصورهم المستمد من قيمهم ، ومن مفاهيمهم القائمة منذ أربعة عشر قرنا على أساس التوحيد والأخلاق والايمان مستمدة من القرآن متمثلة فى منهج الاسلام الجامع بين الدين والدولة ، وبين العبادة والشريعة ، والقائم على فهم الحياة ونظام المجتمع ، هذه الصورة التى كان الرسول محمد صلى الله عليه وسلم نموذجها الأعلى وتطبيقها الأصيل وكان المجتمع الاسلامى الأول منطلقها الصحيح .

هذه هى الأزمة وتلك هى القضية : هذا هو التحدى الكبير الذى يواجه المسلمين والعرب اليوم إزاء تلك الصيحات التى تكشف فى وضوح عن هدفها فى القضاء على أصالة هذه الأمة وشخصيتها وكيانها النفسى والروحى والعقلى كمقدمة لتحقيق الأهداف الخطيرة التى كشفت عنها بروتوكولات صهيون وعشرات من الوثائق فى السنوات الأخيرة ، وكلها تستهدف دحر (الحضارة العربية الاسلامية) ذات الطابع القرآنى الربانى القائم على التوحيد والأخلاق والايمان الله والايمان بالغيب والبعث والنشور .

وتتمثل هذه التحديات فى عشرات الجوانب والفروع وتتجمع كلها فى كلمة واحدة : الاذابة والاحتواء ، غير أن هذه التحديات لم تلبث حين وصلت

ذروتها باحتلال بيت المقدس وحرق المسجد الأقصى عام ١٣٨٧ هجرية فى نفس العام الذى أحتفل فيه المسلمون بمرور ألف عام على نزول القرآن ، كان علامة على الانتقال من مرحلة التبعية إلى مرحلة الرشد الفكرى واستكشاف الذات وإقرار الطابع الأصيل لشخصية العربية الإسلامية التى تستمد وجودها وكيانها من قيمها الأصيلة ومن تاريخها الحافل بالأمجاد .

إن أبرز التحديات التى واجهت المسلمين لإخراجهم من فكرهم ومقومات كيانهم إنما أستهدفت تحريف مفهوم الإسلام وإخراجه من طابعه المتكامل الجامع بين الدين والدنيا ، والقلب والعقـــل والروح والمادة ، ومحاولة تصويره دينا لاهوتيا تعبديا ، وذلك بانتقاص أبرز معالمه : الجهـــاد والشريعة الإسلامية ، والإمعان فى القضاء عليهما بالحملة والتزييف وطرح دعوات لها طابع الخروج عن ضوابط النفس والمجتمع بالتحلل من الحـــدود التى أقامتها الشريعة حماية للنفس الإنسانية والكيان الإنسانى من الانهيار والسقوط تحت سنابك الخيل الغازية المغيرة ، ثم أمتدت دعوة التغريب لتزييف مفاهيم الترابط الجذرى الوثيق بين العروبة والإسلام بطـــرح مفاهيم القومية العربية التى تختلف إختلافاً واضحاً فى منطلقها ومفاهيمها عن العروبة فى جذورها الأصيلة المرتبطة بالتوحيد منذ دعوة إبراهيم ، وممتدة فى إسماعيل جـــد العرب . وقد كانت العروبة دائماً هى وعاء الإسلام ، وكان العرب حملة لوائه إلى أقصى الأرض ومازالوا يرجون لجولة جديدة يحملون فيها الإسلام إلى العالم كله ويعيدون بناء الحضارة الموحدة فى مواجهة الحضارة الوثنية التى تصدعت وأنهارت قوائمها حين خرجت على قوائم التوحيد والعدل والأخلاق والإيمان بالغيب والبعث .

وقد كشفت مخططات الغزو الاستعمارى والغزو الصهيونى عن وثائق كثيرة تلقى الضوء على تلك الدعوات التى تطرح نفسها فى العالم الإسلامى وبين جوانب الأمة العربية وأهمها :

أولا : الدعوة إلى هدم الأديان عن طريق نظريات زائفة ، يقوم عليها اليهود الصهيونيون ورجال الاستعمار بقولهم بأن الأمم بدأت وثنية ، ثم تطورت حتى

عرفت التوحيد . وهو قول معارض للحقيقة التى أثبتتها كل الدلائل التاريخية والحفريات الأثرية التى تؤكد أن البشر بدأوا موحدين ، ثم انحرفوا ، ثم عادوا إلى التوحيد وكان الإسلام خاتم الرسالات السماوية .

ثانياً : الدعوة إلى هدم الأخلاق عن طريق مناهج الفرويدية والوجودية والنظريات التى تحاول أن تقول: إن الأخلاق نسبية وإنها مرتبطة بالبيئات والعصور، وإنها تختلف باختلاف الحضارات.وهو زيف وباطل يستهدف تدمير المجتمعات. ولقد كانت الأخلاق مرتبطة بالعقائد لا تنفك عنها ، وظلت وستظل مرتبطة بالإنسان نفسه ، هذا الكيان الذى لا يتغير .

ثالثاً : الدعوة إلى هـــدم الأسرة عن طريق مناهج « دوركايم » ، « وليفى بريل » ، وغيرهم من أتباع الصهيونية ، ودعاة التلمود ، وبروتوكولات صهيون ، وذلك بالقول : إن الأسرة ليست من الفطرة وإنما الفطرة هى الإنحـــلال ، وهى محاولة زائفة لمعارضة مقررات الأديان وحقائق الاجتماع .

رابعاً : الدعوة إلى التماس مفهوم واحد للتاريخ هو التفسير المادى عن طريق انجلز وماركس ، وهو تفسير مضلل بشهادات العلماء المنصفين ، ذلك أن التاريخ هو نتاج الحياة البشرية بكل جوانبها :جوانب الجو والجغرافيا والروح والاجتماع والمادة : والاقتصاد جزء منها ، وهو عامل واحد من عدة عوامل هى التى تشكل التفسير الحقيقى والأصيل .

خامساً : الدعوة إلى إثارة العصبية والعرق والعنصرية عن طريق دعوات متعددة، ونظريات متضاربة تحاول أن تفرض صراع الأجناس وإيجاد الفوارق بين العروق، وضرب الأمم بعضها ببعض، وإعلاء جنس بعينه أخيراً ، وإعطائه وعداً أسطورياً بأنه شعب الله المختار .

سادساً : محاولة إخراج اللغة العربية عن مفهومها الخاص الذى تنفرد به بين جميع اللغات كلغة للقرآن ، وفرض مناهج فى علم اللغات للتحكم فيها وهى مناهج

لا تنطبق عليها أصلا من حيث إنها ليست لغة قومية خالصة بحسبانها ، لغة أمة ، هى الأمة العربية ذلك أنها إلى ذلك لغة فكر وثقافة ودين لآلاف مليون من المسلمين .

سابعاً : إدخـــال مناهج من التربية مفرغة من مفهـــوم العقيدة كنظريات ديوى وغيره . بينما تقوم التربية الإسلامية أساساً على الترابط الأكيد بين العلم والعقيدة ، وتجعل من الإيمان بالله حامياً للعلم وموجها له إلى الخير .

ثامناً : محاولة القول بأن هناك حضارة واحدة ، هى الحضارة التى قامت فى حوض البحر الأبيض المتوسط والحق أن هناك حضارتين متمايزتين لكل منهما طابعه الخالص وأنه منذ بزغ ضوء الإسلام قامت على شواطئه الجنوبية حضارة جديدة تختلف إختلافاً واضحاً مع حضارة شمال البحر المتوسط التى قامت فى العصر الحديث على أساس جذورها اليونانية الوثنية — تلك هى حضارة الإسلام ذات الجذور الأصيلة من التوحيد والأخلاق والإيمان بالغيب ، وهى الحضارة التى أنشأت المنهج العلمى التجريبى الذى كان مصدر الاختراع والعلم الحديث كله .

وأنه منذ قامت حضارة الإسلام فقد تأكدت ركائزها وثبتت جذورها وأصبح من الاستحالة أجتثاثها أو القضاء عليها ، وإن ظلت تواجه الأزمات والتحديات كلها وإن تخلف أهلها عن مفاهيمهم الأصيلة : (اليوم يئس الذين كفروا من دينكم) . المائدة / ٣ .

تاسعاً : محاولة خلق هوة بين الأجيال ، وإعطاء هذا التحدى طابع الإثارة تحت أسم صراع الأجيال . والحق أن ما بين الأجيال إلتقاء لا صراع ، وأن علاقة الشباب بالأجيال المتقدمة عنها هى علاقة الريادة والتوجيه والتجربة ، وليست علاقة الخصومة أو الكراهية أو التسلط ، وهى علاقة طبيعية تقتضيها حركة المجتمعات ودورات الأمم وطبيعة الوجود البشرى نفسه . وقد وضعت

فى إطار الإسلام فى صورة أمينة تقدمية ، غير أن مخططات الصهيونية العالمية والغزو الفكرى تحاول أن تخلق هذا الصراع تحت أمم تحرير الشباب الجديد من سيطرة الأجيال السابقة تحريراً لا يدفعه إلى البناء والتقدم ، وإنما يحمله على الانهيار والتمزق فى ظل فراغ نفسى وثقافى ووراء مذاهب ونظريات براقة تتهافت أمام التحقيق العلمى وأمام الواقع نفسه .

عاشراً : محاولة طرح قضية النمو السكانى كأسلوب من أساليب دفع المجتمعات الإسلامية إلى التقاص أمام الهجرة اليهودية المكثفة ، وزيادة الأقليات كمحاولة لضرب النمو الإسلامى العربى القادر على بناء الجيوش وعمارة الأرض الواسعة التى لم تستصلح بعد ، والتى تحتاج إلى الأيدى العاملة .

ومن الحق أن هـــذه ليست كل التحديات ولا بعضها ، وإنما هى صورة منها نضعها أمام الأنظار فى ظل لمحة يقظة جديدة تسود الفكر العربى الإسلامى والمجتمعات بعد عام ١٩٦٧ كمحـــاولة للدخول فى مرحلة جديدة من تأكيد الذات . والتحرر من زيف التبعية الفكرية وبناء الأمة من داخل قيمها ومفاهيمها التى كانت دائمـــاً مصدر قوتها وانتصارها .

ولا ريب أن تأكيد هذه الخطوة الجديدة إنما يلقى الضوء على الطريق الصحيح الذى سلكه العرب والمسلمون دائماً من أجل المواجهة لكل التحديات التى تحاول أن تضعهم على رأس طريق المتاهة والذوبان والاحتواء فى الفكر الأممى العالمى، وهو فكر يعارض الفكر الإسلامى أساساً فى جوهره الأصيل ولا ينفع المسلمين إلا إذا كان مصهوراً فى داخل قيمهم ، وعلى رأسها التوحيد والأخلاق والإيمان بالله والغيب .

ولا ريب أن الخطوة التالية على هذا الطريق هى :

أولا : بناء مناهج التربية والتعليم والثقافة على قاعدة القـــرآن وخططه الإنسانية ، والتحرر من نفوذ مناهج الإرساليات والتبشير والاستشراق والفكر

الماسونى الذى أباح نظريات التحلل والإباحة كأسلوب لغزو المسلمين والعرب وتدمير كيانهم .

ثانياً : ترجمة العلوم والتكنولوجيا إلى اللغة العربية وإدخالها فى إطار الذات العربية هى فكر قبل أن تكون لغة خالصة ، واللغات أداة الأفكار وعليها بناء الشخصية ، فإذا ما ترجمت العلوم والتكنولوجيا إلى العربية وأقصد جميع علوم الطب والكيمياء والفلك والطبيعيات وغيرها فإن ذلك يخلق بيئة أكاديمية عربية ذات جذر إسلامى أصيل يمتد إلى أعرق أصوله التى أنشأت المنهج العلمى التجريبى قبل ألف عام ومنها يدخل المسلمون والعرب عصر التحرر الكامل وعصر بناء الأسلحة والقوى والصناعات ، والخروج من السيطرة العالمية التى تحد حركتهم إلى إقامة وجودهم الذاتى .

ثالثاً : إقامة وحدة الفكر العربية الإسلامية المستمدة من الشريعة الإسلامية أساساً ومن قيم الفكر الاسلامى والثقـــافة العربية الأصيلة الدافعة إلى الحركة والبناء ،والقائمة على أن مفهوم التقدم الأصيل ليس تقدماً مادياً خالصاً ولكنه تقدم انسانى جامع بين الفكر والنفس والمادة .

رابعاً : تأكيد الأصالة العـــربية الإسلامية ، والذاتية الشخصية ، والمزاج النفسى والاجتماعى الأصيل المنبعث من أعماق العقل والنفس العربية ، والذى أقامه القرآن الكريم كقـــوة أساسية حامية من غزوات الشبهات واخطار الأعاصير التغريبية القائمة على الشكوك والريب وبذلك يتشكل المنهج الفكرى العربى الناصع المتحرر من سيطرة فلسفات اليونان والهلينية والمخلفات الوثنية العربية والفرعونية والمجوسية ، وفلسفات وحدة الوجود والاتحاد والجبرية ، وتقديس العقل أو عبادة الأبطـــال أو اعلاء الجنس ، والإباحية أو المادية المنكرة لله والأديان والرسل والكتب أو المعطلة المنكرة للبعث والجزاء والمسئولية الأخلاقية .

وأن اتجاها جديداً بدأ فى عالمنا الإسلامى والعربى ، أقترنت به أنتصارات

حاسمة على أساس « الجهاد والشريعة الإسلامية ، وقد دفع موجة التحديات الفكرية وكشف عن الشبهات والأخطاء ومكن الأمة من أمتلاك ارادة الأصالة وتصحيح المفاهيم كل هذا يؤكد أن هناك خطوة على الطريق الصحيح الى المواجهة القادرة بالإيمان العميق لإستكمال النظرة وشمـــول الرؤية وتحرير النفس والعقل العربيين من دائرة التغريب التى تحاول أن تقصره على التفكير بمقاييس زائفة . ذلك أن الخروج من هذه الدائرة المغلقة هو أول علامات النصر الحقيقية وهى تعنى التماس المنابع والأصول ، والخروج من الحنايا والأزقة التى حبست الفكر الإسلامى ما يزيد عن نصف قرن من الزمان غير أن ذلك يستلزم الدخول فى دائرة الأصالة والثبات وتأكيدها وبناء قلاعها وحصونها ، التى تدافع بها عن نفسها ، ضد تجدد الغزو وإثارة الشبهات ومن حملات ضارية من دعاة التغريب والتبشير والاستشراق والشعوبية .

فإذا مضى الخط فى طريقه الصحيح خلال السنوات الباقية من هذا القرن ، أشرق القرن الخامس عشر الهجرى والمسلمون والعرب على الجادة : مع صباح جديد مشرق بضوء القرآن .

أمـة القرآن

على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى

يستشرف المسلمون اليوم مرحلة جديدة من حياتهم على طريق النهضة والقوة وهم يدخلون إلى القرن الخامس عشر الهجرى بعد سنوات قليلة معدودة ويجىء القرن الخامس عشر الهجرى والمسلمون قائمون على أمر الله فى مواجهة الأخطار العديدة التى تتحدى وجودهم وكيانهم كله وأشدها قـــوة سيطرة الصهيونية على القدس واجزاء من بلاد العرب . ومنواشات المذاهب والدعوات من أستعمارية وصهيونية وماركسية التى تحاول أن تعارج فى الفكر الاسلامى سمومها لتدفع المسلمين إلى الدخول فى دائرة التبعية والاحتواء والعلمانية والأممية الخطيرة التى تفقدها كيانها الخاص المتميز ، ولعل أعظم ما يستقبل به القرن الخامس عشر الهجرى هو الايمان الصادق بأن المسلمين أمة لها طابعها وذاتيتها وكيانها الخاص ، وقد أقام الله تبارك وتعالى هذه « الامة » فى هذه المنطقة الحساسة من العالم واعطاها مقادير الثروة والقوة والتفوق البشرى لتحمل رسالته إلى العالمين وليظل أهلها قادرين على أن يكونوا جندالله الغالب المجاهدين المرابطين المثقفين الواعين ، الذين يأخذون حذرهم دائماً ، فإذا غلبهم متسلط أو غاز استداروا إلى منهجهم الأصيل فعرفوا أنه هو المصدر الوحيد القادر على أعطائهم النصر وأن أى منهج آخر يعجز عن مثل هذا العطاء .

وأن على المسلمين فى هذه المرحلة الدقيقة التى يدخلون فيها إلى القرن الخامس عشر الهجرى وقد قطعوا مرحلة طويلة فى مواجهة الاستعمار والغزو الصهيونى ومحاولات القوى المتحالفة لاحتوائهم وضربهم ، عليهم أن يثبتوا إزاء قيمهم وعقيدتهم وأن لاتحول المقدرات المادية دون ذلك الحفاظ والتشبث بوجودهم الذاتى وكيانهم الخاص وطابعهم الإسلامى فلا تستهلكهم المعطيات المادية

الحضارية وتقضى على اصالتهم وصلابتهم التى ورثوها عن آبائهم وأجدادهم وأن يكونوا قادرين على نقل احدث مستحدثات العلم والتقدم والحضارة المادية لتكون مواد خاما ، يضعونها داخل اطار فكرهم ويحركونها فى داخل قيمهم ، وبذلك يصنعون الحضارة الإسلامية الجديدة : حضارة القرن الخامس عشر الهجرى الذى أوشك أن يهل هلاله والذى يتطلع اليه المسلمون كعلامة على عصر جديد تعود الكرة فيه مرة أخرى إلى ايدى العرب والمسلمون .

وعلى المسلمين أن يتعلموا من تجربة الحضارة الغربية : أن اخطر ماواجه هذه الحضارة وأسلمها فى وقت قريب إلى الازمة الخانقة والصراع بين القوى مع ما امتلكته من اسباب التقدم المادى هو انها ، كسرت ، الاطار الدينى والاخلاقى الذى هو الحائط الحامى لكل نهضة من التمزق والتصدع ومضت تواجه الحياة بغير سناد يحمى ظهورها ، أو نور يضىء طريقها ، وبذلك صرعتها المادية وانحرف بها الطريق إلى تأكيد اهواء النفس وتغليب الترف والملذات والشهوات [illegible] بها إلى تلك الازمة الحادة التى يتحدثون عنها ويبحثون لها عن علاج .

وهى « أزمة الانسان الحديث » وصراعه وتمزقه وغربته وضياعه ، هذا الذى قاساه ويقاسيه من اهوال « غيبة » المعنويات وتجاهل اشواق الروح ، وتصدع النفس وتمزق الكيان الانسانى وفقدان الهوية والهدف والعجز عن فهم رسالة الانسان وامانته وغايته ومصيره : هذا الانسان المستخلف فى الارض لاقامة المنهج الربانى الاصيل .

وقد آن الاوان أن يحمل المسلمون رسالتهم إلى كل اطراف الارض وأن يذيعوا كلمة الله الواحد الحق فى كل مكان ، وليحذر المسلمون اليوم وهم على الطريق إلى امتلاك ادوات الحضارة الحديثة وعطائها التكنولوجى والعلمى والميكانيكى ، أن تستوعبهم هذه الحضارة أو تحتويهم ، هذا الفهم القاصر المدمر وعليهم أن يبدأوا من نقطة التوحيد فى الفكر فيجعلوا كل معطيات الحضارة

والعلم والفن خاضعة لحق الله وحدوده وان يقبلوا منها ما يتفق مع هذه الضوابط والحدود ويرفضوا ماسواها ، وان يجعلوا اللغة العربية هى وعاء العلم والتكنلوجيا فينقلوا إليها كل معطيات العلم ومصطلحاته وقوانينه ، وأن يقيموا من الإيمان بالله وحده ، ايمانا بوحدة البشرية والاخاء الانسانى والعدل والرحمة باعتبارها هى معطيات الإسلام للإنسانية ودعائم كل حضارة نامية وليجعلوا من كل ذلك اطارا يتحركرن فيه فيخضعون العلم والأدب والفن والقانون والاجتماع والتربية والاقتصاد للتقوى ويجعلون مقدرات البشرية ، ليست لفئة ولا طائفة ولا جماعة ولكن للناس جميعاً ، وبذلك يحققون ارادة الله تبارك وتعالى فى بناء المجتمع الانسانى الحق الذى تتطلع إليه الدنيا جميعاً بعد أن عاشت فى الظلم والاستعباد عصرا طويلا شقيت به وليطلع المسلمون الدنيا جميعاً على انهم يمتلكون منهجا خصباً قادرا على اسعاد البشرية حقاً ، وودها إلى طريق الحق والعدل وتحريرها من الجوع والخوف وتأمين النفس الانسانية من القلق والتمرد .

فإذا فعلوا ذلك بحق كان القرن الخامس عشر الهجرى هـــو بداية الطريق إلى خير الإنسانية وضيائها والتماسها طريق الله تبارك وتعالى .

ولا ريب أن الصهيونية التلمودية تقوم على برنامج تتطلع إلى عبودية البشرية كلها وهدم قيمها ومعنوياتها ولكن نور الإسلام سوف يكشف زيف هذه المحاولة وينتصر عليها ويدمرها تدميرا .

ولقد استطاع الإسلام منذ اليوم الاول لظهورة أن يشكل لونه المميز ، على خريطة العالم ، وأن يمتد فى سنوات قليلة ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وبذلك اقام عالمه المستقل المفرد ، ومنهجه الكامل المتجدد بالتوحيد والايمان بالله والالتزام الاخلاق فى تفسير الكون والحياة ، للمسلمين قبلتهم الواحدة التى يتجمعون حولها والتى ان يحيدوا عنها ، تهوى إليها قلوبهم بالايمان وعقولهم بالفكر ، ومنذ ذلك اليوم لم تكن لهم قبلة أخرى ومازال الكعبة البيت الحرام مثابة للناس وأمنا وستظل مركز الدائرة فى أرض الإسلام .

ومنذ اليوم الأول لظهور الإسلام حاولت القوى المختلفة ضربه والإدالة منه ثم لما عجزت عن ذلك حاولت احتواءه وإذابته وصهره فى بوتقة الأممية، ومازال الاسلام وسيظل قادرا بتركيبة الربانى وتشكيله الإنسانى القائم على الفطرة والحق والعدل، على أن يقاوم كل محاولة لضربه، سواء عن طريق الحروب الصليبية أو الغزو الاستعمارى أو الاحتلال أم محاولات الماركسية والمادية والوجودية والفرويدية غيرها.

والواقع أن هناك حقيقة كبرى على شبابنا واجيالنا الجديدة والمتجددة أن تكون موضع نظرها وتقديرها دائماً، لاتغيب عن مفرق رأسها، تلك هى اننا «نحن المسلمين» نعيش فى ظل «تحد» قائم كبير، فى منطقة زاخرة بالطاقة والثروة والتفوق البشرى — كانت ولا تزال وستظل — مصدر مطامع القوى المختلفة وتطلعاتها إلى الغزو والسيطرة ورغبتها فى استنزاف الثروات وامتصاص المواد — وان هذه المطامع جاءت فى ثوب الحروب الصليبيه بدعوى استنقاذ قبر السيد المسيح مرة ثم عادت فى ثوب تمدين البشرية باسم الاستعمار الغربى ثم عادت ثالثة باسم ارض الميعاد. عاشت هذه الامة موضع الطامعين والغزاة قرونا طويلة تنتهز فرصة ضعفها لتنقض عليها ولقد هزمت موجات الغزو واحدة بعد اخرى وما تزال القدس هى خط الدفاع عن القبلة ولقد قاوم العرب وقاوم المسلمون هذا الغزو فى حطين وفى عين جالوت وفى الزلاقة وفى الارك واستجاشت ارض الإسلام بالقوى الإسلامية المتجددة الظافرة التى حملت اللواء واستشهدت فى سبيل تثبيت الحق وتحرير الأرض وحماية بيضة الدين.

• • •

واليوم يواجه عالم الاسلام ثلاث قوى تحاول أن تنال منه: «الاستعمار والصهيونية والشيوعية».

والمسلمون فى موقف الدفاع، ثابتون دائما فى مواقعهم، يستمدون قوتهم من عقيدتهم التى كانت مصدر النصر لهم فى كل أزمة وموقف، وسوف لاتستطيع

القوى الغازية أن تنزعهم من حصنهم هـــذا الحصين، وهم لايعادون الامم ولايطمعون فى السيطرة أو الاستعلاء بين العالمين ولكنهم طلاب سماحة ورحمة وخـــير .

إنهم يريدون أن يمتلكوا ارادتهم فى أوطانهم متعاونين مع كل الامم القوى العالمية على خير الحضارة البشرية .

والإسلام منذ بزوغ فجره لم يتوقف عن الانتشار ويبلغ عدد الذين يعتنقونه إلى مفتتح القرن الخامس عشر الهجرى ما لايقـــل عن ألف مليون مسلم دخل اغلبها إلى ساحته بالاقتناع والايمان وبقوة الإسلام الذاتية وبفضل مبادئه التى تحمل التوحيد والعدل والكرامة والايمان ، وقد وجد الإسلام من الملونين والمستعبدين قبولا حررهم من كل عوامل الظلم والعبودية ومازال الإسلام يقتحم آفاق العالم ويصل إلى كل ركن ، وقد أعلن فى مؤتمر لندن الإسلامى « مايو ١٩٧٦ » أن عدد المسلمين فى اوربا يبلغ الان ٢٥ مليونا و ٢١٧ ألف نسمة تقريباً وأن عدد المسلمين بالدول الاوربية غير الشيوعية يبلغ نحو ثلاثة ملايين و٩٣٠ ألفا أى بنسبة ١٫٧٥ فى المائة من عدد السكان أما عدد المسلمين بالدول الاوربية الشيوعية فيقدر بنحو ١٩ مليونا و ٢٧٧ ألف نسمة أى بنسبة ١٨٪ من مجموع السكان ولا يدخل فى هـــذا العدد مسلمو الجمهوريات الاسيوية التابعة للاتحاد السوفيتى .

وهكذا نجد أن الإسلام بعد أن طورد من أوربا مرتين : من الاندلس ومن البلقان يعود سلما ويصل إلى كل مكان، ليس فى أوربا وحدها ولكن فى الغرب كله ،وفى آمريكا لايطلع الصبح يوما الا على مسلم جديد !

ويقيم المسلمون فى أوربا كقوة فكرية وقوة حضارية وكنظام اجتماعى لايقاربه نظام فالمسلمون هناك يقيمون فاصلا بين الحياة فى ظل الإسلام وبين الحضارة الغربية فإذا اضفنا إلى هذا أن الفكر الغربى قد انبجس عن تيار جديد

يريد أن يتفهم الإسلام ويرى أنه السبيل الوحيد لصلاح البشرية ، عرفنا إلى أى مدى تكون قدره الدعاة المسلمين فى القرن الخامس عشر على توصيل الإسلام « علما وقدوة » إلى العالمين .

وتلك هى المهمة الأخرى : الأولى دفع خطر الغزاة، والثانية تبليغ الاسلام، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتماس مفهوم الاسلام الأصيل والمرابطة فى سبيل كلمة الله وحماية هذا الكيان الذى تشكل باسم الله على الحق ليكون قادرا على حمل رسالة الله إلى العالمين وسوف ينتصر المسلمون على كل الاخطار التى تواجههم ما أستمسكوا بكتاب الله نبراسا وضياء وتطبيقا فى حياتهم الاجتماعية وسوف يخرجـــون من الازمة كما يخرج الذهب من النار أشد نصاعة وصقلا . ويكونون بذلك فى القرن الخامس عشر الهجرى أهلا لاقتعاد مكانهم الحق على هذه البسيطة شريطة أن يكون القرآن منطلق حياتهم وقانون مجتمعهم وأطار وجودهم كله .

(٣)

الإسلام و التحدى الخطير

على أبواب القرن الخامس عشر

على مشارف القرن الخامس الهجرى وعلى بعد خطوات منه تتكاثف الحملات التى تشنها القوى الغازية والمادية والطامعة على هذا الدين وهذه الأمة بهدف النيل منها واحتوائها والسيطرة عليها بعد أن لم يعد يقف فى مواجهة الوثنية والمادية والاباحية التى استشرت فى العالم كله غير الاسلام .

وبعد أن استطاعت القوى التلمودية حاملة الفكر البشرى والوثنى السيطرة على الحضارة الغربية وتوجيهها وجهة مادية خالصة بحيث أصبحت وشيكة التدمير والانهيار ، وقد وضعت الانسان فى مواجهة الازمــة الخطيرة : أزمة الفرقة والتمزق والتحلل ؛ على نحو بلغ غايته فى الانحراف ، حيث تتعالى صيحات المفكرين والفلاسفة باحثة عن الحل والعلاج والمخرج من تلك الازمة المتجهمة السوداء ، وحيث لا سبيل للبشرية إلا أن تجد ذلك فى الإسلام وحيث يجب أن يكون اهله مؤهلين ليقدموا للبشرية الضوء الكاشف والترياق الشافى ؛ فى هذه اللحظات الحاسمة الخطيرة تزداد عملية الضغط على هذه الأمة حتى لا تستطيع أن تمتلك ارادتها ، أو تطبق شريعتها ، أو تكون قادرة على اداء رسالتها البشرية متطلعة إلى الضوء ، ويواجه المسلمون ذلك كله وهم عاجزون ، مكبلون بالقيود غير قادرين على الاستجابة لصيحة البشرية فى أشد ساعات الحرج ، ومن العجيب أن تتشكل هذه الازمة والمسلمون على أبواب القرن الخامس عشر والسؤال متى يستطيع المسلمون الخروج من الدائرة المظلمة الضيقة التى حبسهم فيها النفوذ الأجنبى مسيطراً على فكرهم وتعليمهم ومجتمعهم وقانونهم ، لقد عرف المسلمون فى السنوات الاخيرة ابعاد هذا الخطر ، وآفاق هذا التحدى وهم يدرسون الآن هذه المحاذير ، ولكن متى تبدأ خطوة التحرر وكسر القيود والتماس الاصالة والعودة إلى المنابع .

هذه هى الساعة الحاسمة التى تتطلع اليها البشرية حين يستطيع المسلمون أمتلاك اردتهم بالعـــودة إلى منابعهم ، وتطبيق شريعتهم وتنظيم مجتمعهم وفق عقيدة الاسلام واتخاذ أساليب التربية الاسلامية طريقا لهم ليخرجوا ذلك الجيل الرائد الذى يجب أن ينبعث فى آفاق الأرض يدعو الى الله ويرد عن البشرية عادية ذلك الخطر المادى والوثنى المدمر الذى يتهددها اليوم .

أول هذه التحديات · غلبة الفكر البشرى المجدد من الفكر البابلى والمجوسى والهيلينى القديم بمفاهيمه الوثنية والمادية والاباحية التى تشكلت على العصور تحديا لدين الله وحدوده وضوابطه وخروجا على شرعة الله حين أعطى الانسان حق التشريع لنفسه وتحويل أهوائه ومطامعه إلى نظم فاسدة

وقد ثبت أن التجربة الغربية والتجربة الشيوعية مرفوضتين تماما فى افق المجتمع الاسلامى وانهما كانتا لمجتمع يختلف عن مجتمعنا وان الماركسية ما هى إلا جزء من نظام غربى وانها رد فعل لواقع الرأسمالية والماركسية وكلاهما من منبع واحد ، وهو امبراطورية الربا وعبادة العجل التى اقامتها اليهودية العالمية لتسيطر بها على الاقتصاد العالمى .

(ثانيا) طرح ركام كبير من السموم والزيوف عن طريق الصحافة والاذاعة والمؤلفات المترجمة وغيرها لازهاق القليل المطروح من الفكر الاصيل وقد وجهنا الاسلام إلى أن نقف من المعرفة موقف التعرف الصحيح لمصادرها ، وان نعرضها على قيمنا الاسلامية ، ولاريب أن هذه المفاهيم المغلوطة والاراء المسمومة هى وسيلة السيطرة عـــلى الامم التى تستهدف تغيير نظرة المسلمين الاصيلة القائمة على جماع المعنويات والماديات وعلى الحركة فى اطار الثبات إلى نظرة الغرب الجزئية الانشطارية المادية التى تقوم على التطور المطلق ومجتمع الترف والاستهلاك . ومن اهدافها تحويل الثقافة من غاية عليا هى المعرفة إلى هدف التسلية والتفاهات وفهم الحياة على انها لعبة ومتعة واندفاع نحو تحقيق الرغبات والاهواء .

والمسلمون ينظرون إلى الحضارة المعاصرة نظرة واقعية ويبحثون تجربتها فى الغرب ليعتبروا منها فى اقتباس ما يرونه صالحا مع احتفاظهم بقيمهم الاساسية وعقائدهم فنحن لانختار أسلوب العيش الغربى ولكنا نختار العلم ، ونفرق بين التكنولوجيا وبين تحلل الحضارات ، ونربط بين التقدم الجامع (ماديا ومعنويا) وبين الأخلاقيات دون الانحراف إلى الأهواء والفساد الذى هو علة دمار الحضارات والأمم والمجتمعات .

(ثالثا) لايقر الفكر الاسلامى ذلك « الصراع الفكرى » فى الفكر الغربى ولا « الصراع الطبقى » فى الفكر الماركسى ويرى أن الحياة تقوم على التكامل والتعاون والرحمة والالتقاء بين عناصرها وأن الصراع الفكرى مصدره التجزئة والانشطارية — طابع الفكر الغربى — التى تعتمد على مصدر واحد فى فهم الحياة والتعامل معها ، وهو أما العقل وأما الحواس وأما الحدس ، وميزة الاسلام أنه لايواجه صراعا فكريا فى ساحته لأنه يقيم منهج المعرفة الجامع المتكامل .

كذلك فان الفكر الاسلامى لايقر طابع القسوة البارز فى الفكر الغربى والماركسى على السواء . هذا الطابع الذى يمثل جفاف ينابيع السخاء البشرى ، وقد أنشأ هذا الطابع فى السياسة ميكافيلى وفى الاجتماع نيتشه ، ويقوم على قتل العاجز وأبادة الضعيف . وقد ثبت فساد مفهوم الفلسفة الغربية القائم على تنازع البقاء والصراع وخطأ دارون فى القول بذلك وتبين أن التعاون فى الطبيعة أبرز وأقوى وأعم من التنازع .

ولقد ماتت أفكار نيتشة التى قضى نحو عشرين سنة وهو فى جنون يكاد يكون مطبقا إذ كان فى الدور الأخير من مرض السافس ومات مغمورا ثم بعثته اليهودية العالمية مع من بعثت وقد مات فرويد بالسرطان وكانت مفاهيم زميليه « أدلر ويونج ، أصح من مفاهيمه ، ومفاهيم لامارك أصح من مفاهيم دارون ولكن اليهودية العالمية أيدت الآراء الفاسدة المسمومة وقالت البروتوكولات :

نحن رتبنا نجاح دارون وفرويد ونيتشه ويرفض الفكر الإسلامى طابع القسوة الذى يتميز به الفكر الغربى والذى هو عصارة الفكر الماركسى والصهيونى .

ولقد كان جميع أبطال ديستوفسكى شواذ وجميع أبطال فرويد مرضى وكان اعتماد علم النفس والاجتماع على الاساطير القديمة وليست على الواقع ، كمركب أوديب ومركب الكترا .

ولقد ثبت فساد عديد من النظريات والايدولوجيات الغربية لانها من صنع البشر واليوم يتبين أن الإنسان (نوع) مستقل لا صلة له بالحيوان وفساد نظرية دارون ، وأن نتاج الأرض يكفى أهلها مهما تضاعف عددهم وفساد قواعد مندل فى الوراثة ، كما يتبين خطأ التفسير المادى للتاريخ الذى قدمه (ماركس) وأخذت به الشيوعية ، وخط للتاريخ الذى قدمه (توينبى) لأنه يقوم على استعلاء الحضارة الغربية بوصفها حضارة مسيحية ، وتفسير الأحداث وسير الامم والأجيال فى ضوء هذه التبعية ، ولذلك فهو يقف من الإسلام موقفا ظالما حين يرى أن المجتمع هو حصيلة اندماج مجتمعين متمايزين فى الأصل هم الإيرانى والعربى ، ولو أنه قال ان الإسلام صهر كل من آمن به فى مجتمع جديد قام على أساس التوحيد ، لكان ذلك صحيحا ، ولكنه أقام مفهومه على أساس العناصر والدماء والتفاخر بها .

ولا ريب أن النظرة الجديدة الوافدة فى التفرقة بين الدين والعنصر ، إنما هى نظرة مبطلة لم يكن يعرفها العرب والمسلمون فى حضارتهم ومنطلقهم التاريخى وإنما هى من نتاج الصراع الغربى الحديث فى التفرقة بين الأديان والإجناس .

(رابعا) لا يقر الإسلام طابع النظرة الجزئية والانشطارية التى يقوم عليها الفكر الغربى، ولا تلك الفواصل العميقة التى اقامتها الحضارة الغربية بين الروح والمادة، وبين العقل والروح ، وحين وصلت البشرية من ناحية العقل والعلم إلى القمة فى العطاء قصرت فى مجال الوجدان والمعنويات وتضاءلت وعجزت عن فهم عطاء الله وما ألهم البشرية من قدرة فى مجال العلم .

ولا ريب كان لليهودية التلمودية أثرها فى دفع البشرية عن التكامل والرشد وكان للماركسية اثرها فى تغليب الاباحيات والوثنيات حين قال ماركس أن المسرح هو البديل عن الدين، فضلا عن إشاعة افكار الانحلال والجنس والفساد، وكل ما يصرف عن الدين والمثل العليا والاخلاق ، وكان اخطر هذه التحديات افساد العلاقة بين المرأة والرجل وبين الزوج والزوجة وبين الابناء والاب واخراج المرأة إلى ساحات الفساد والرقص والانحراف وذلك بهدف تحطيم الاسرة والمجتمع .

وكذلك قدم الغربيون (ماركسيون وليبراليون) مفاهيم فاسدة لأسلوب العيش والحياة ولمفهوم الترفيه وذلك بالتمرد على القيم الخلقية ومحاولة تفرقة الاجماع العام الى مفاهيم فردية تحت اسم حرية الأبناء ورفع وصاية الاباء بما يدفع الأجيال الجديدة إلى طرق شتى ويحول بينها وبين الالتقاء على الفكرة الجامعة ، وكذلك مؤامرة الدعوة إلى الصراع بين الاجيال حيث لا يوجد صراع ولكن يوجد تلاق وتكامل ، كل جيل يتناول ميراث الجيل الذى سبقه فيكمله ويتمه ويصحح ما فيه من خطأ ، يضف إليه لبنة جديدة ، ولا ريب أن فى محاولة القاء روح التمرد على الابناء من ابائهم وعلى الزوجات من أزواجهم ودعوة الشباب إلى التنكر للاجيال السابقة هى كلها محاولات هدم وتدمير .

وهنا الدعوة إلى الفكر المفتوح ، وهى دعوة اسلامية أصيلة ولكن لها ضوابطها ومقوماتها فاذ كان الفكر الإسلامى يأخذ ويعطى فأن له الحق فى أن يرفض ما يراه معارضا لقيمه

(خامسا) يجب الاحتراز من الأسس التى يقوم عليها المنهج الغربى تحت اسم العلم أو العلمانية فأن هذه النظريات فى أغلبها تقوم على قاعدتين خطيرتين : أحداهما التمويه بالأسلوب العلمى من وراء الهوى والغرض ومن وراء الاستعلاء ، ولا يصلح المنهج العلمى إلا اذا قام على ضبط النفس وانكار الذات والاخاء البشرى ، ومن اجل الهوى بالرغبات والمطامع ومن جراء الاستعلاء بالعنصر الابيض صانع

الحضارة والوصى على الأمم المتخلفة يتكشف فساد كثير من المناهج ويواجه الفكر الغربي بشقيه هزائم متوالية في التطبيق في أرضه ، فا بالك بالفشل الذريع الذى واجهته هذه المذاهب والايدلوجيات فى أرض الإسلام ذات الجذور العميقة والمنبع الأصيل .لقد واجهت المناهج الوافدة والايدلوجيات اللبيرالية والماركسية هزائمها لأنها (١) عارضت الفطرة . (٢) لأنها قامت على الأهواء . (٣)لأنها لبشريتها عجزت عن الثبات أمام تحولات الزمن واختلاف البيئات فاحتاجت إلى الترميم والتغيير والتطوير .

أن الفكر البشرى الغربي الآن محاصر بنظريات ثلاث :

هى النظرية المادية والدوافع الاقتصادية والدوافع النفسية وأهواء الوجودية وكلها تنظر إلى الانسان الذى كرمته الاديان على أنه حيوان : حيوان جوع أو حيوان جنس وهى تفسيره على هذا النحو ، وهناك الجبرية التى تريدان تخلى الانسانية من المسئولية الفردية لتلقى هذه المسئولية على المجتمعات .

وتطرح هذه النظريات على المجتمعات الغربية طوابع خطيرة :

طوابع المتعة الحسية ، وطوابع القهم والقسوة وطوابع الحقد والبغض وطوابع الاهتمام بالكم وتضحية النوع والكيف .

ولا ريب أن غلبة فكرة جديدة على فكرة قديمة ليس مصدره فساد الفكرة القديمة بقدر ما يكون سببه أن هناك قوى ذات نفوذ لها أهداف عالمية خطيرة هى التى تفرض الأفكار وتلح عليها .

ولقد اتيحت للأفكار المسمومة فى العصر الحديث فرص الظهور والاستعلاء وفرضت على مناهج الدراسات فى الجامعات وفى الصحافة والثقافة والاذاعة والسينما وغيرها لأنها تستهدف تحقيق غاية مرصودة ، ولو اتيحت الفرصة للفكرة الاصيلة البروز لقضت على الفكرة البشرية الفاسدة ، ولا ريب أن الدعوة إلى

ترك القيم ومحاربة التراث ومهاجمة الاصالة والسلفية وغيرها انما هى كلها دعوات ترمى إلى مهاجمة الاديان ، ولا ريب أن هناك نظريات فاسدة هى دعوة التطور المطلق ودعوة نسبية الأخلاق . والإسلام له إزاء ذلك ضوابط أهمها أن يكون أخلاقيا وفى سبيل الرحمة وأن يكون التغيير مستهدفا الانتقال من التبعية إلى الأصالة .

والزمن هو الحكم وهو جدير بأن ينصر القوى الاصيلة على القوى المفرضة، ويحطم تيار المادية ، وينكسر حدة الوثنية وقد عمدت اليهودية التلمودية دوما إلى ستر هويتها وهدفها ولكن القرآن كشف أهدافها وأبان عنها وحذر منها .

وبعد : فإن انطلاق المسلمين والعرب اليوم على كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية لا يمكن أن يكون سليما وايجابيا الا إذ ارتكز على قاعدة اساسية تكون هى المصدر والمنطلق ونقطة البدأ ونقطة النهاية : وهذه القاعدة ليست سوى « المنهج الاصيل » الذى قدمه الاسلام لبناء المجتمع الربانى وعلى هـــذه القاعدة وحدها تقوم الثقافة ويقوم النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى وتشاد دعائم التربية والتعليم: ذلك هو التحدى الخطير الذى يواجه الإسلام والمسلمين على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى .

(٤)

الاصاله الإسلامية

هى مفتاح العمل الاسلامى فى القرن الخامس عشر الهجرى

ان كل العلامات والدلائل تدل على أن « دورة جديدة » على وشك أن تبدأ لتأخذ مدارها تحت الشمس لحضارة اسلامية من المتوقع أن تكون هذه المنطقة هى التى تحمل هذه الامانة، لقد استعاد الإسلام من جهة العمق ما فقده من جهة الامتداد. إن بدايات النصر ومطالع الفجر يجب أن لا تخدع المثقفين المسلمين وتخلق فيهم طمأنينة زائفة مستسلمة أو تشغلهم عن المثابرة والاصرار على تأكيد الخط الربانى الصحيح وتوسيد الطريق القرآنى الاصيل وتثبيت الخطى على الطريق إلى الغاية الكبرى.

أنه ليس هناك مكان للعلمانية فى المجتمعات الإسلامية لأنه ليس هناك ازدواج السلطة يترتب على نظرة الإسلام إلى الدنيا أو الحياة المادية على نحو ما للكنيسة من نظرة معينة خاصة إلى المادة. وليس هناك حكومة الهية فى الاسلام معصومة من الخطأ كما هو الشأن فى الغرب تختلف عن الحكومة المدنية أو السياسية فى المجتمع الاسلامى.

ولا ريب أن مفتاح العمل كله فى المرحلة الجديدة: مرحلة القرن الخامس عشر الهجرى: هى الاصالة الإسلامية: القادرة على التمييز بين ما هو من المنابع الاولى وما هو دخيل لايتلاءم مع جوهر التراث، ثم القدرة على الاخذ والانفتاح على الفكر الاسلامى فى حدود مقاصد القيم الإسلامية التى قررها الإسلام.

والوسط فى الإسلام ليس التوفيق بين اليمين واليسار أو بين الشرق والغرب، ولكن بمعنى أدارك العدل الذى نتجنب به — فى الاعتقاد والعمل — مخاطر الظلم فى ممارسة الحياة ومخاطر السلبية فى رفض الحياة.

كذلك فان تحكيم العقول فى حسن الافعال وقبحها هو مقالة أهل الاعتزال أما أهل السنه فلا يرون للافعال فى نفسها حسنا ولا قبحا ، وانما الحسن ما أمر به الشرع والقبيح ما نهى عنه الشرع .

أن ميزة الإســـلام أنه يجمع بين الزمنى والروحى ، والمطلق والنسبى واللانهائى والمحدود ، وهو الجامع بين الأرض والسماء .

ولا تتم الدائرة ويحدث التكامل الجامع الذى هو ميزة الاسلام ، الا بالتقاء القوتين : الروح والمادة ، الفرد والجماعة ، العقل والقلب ، تماماً كما تتم الدائرة الكهربائية بالسالب والموجب معا فى وقت واحد . فهما وأن كانا متضادان من حيث الضوء والطاقة فان التضاد من السالب والموجب لا يستلزم حدوث الصراع بينهما ، كذلك فإن التضاد لا يستلزم حدوث الصراع أو التصادم بين المتضادين، بل أن لقاء المتضادين يرسم دائرة التكامل .

لقد امتاز الإسلام على غيره من النحل والديانات بكونه : مذهبا وعقيدة ومن شأن هذا التكامل أن يمنح القدرة على مواجهة التحديات واعطاء الحلول الفعالة والصالحة ، وتقوم قاعدة الإسلام على الحركة فى اطار الثبات ، والثبات الذى هو اطار الإسلام انما يقوم على ثبات خلق الله للإنسان : الذى مازال كما هو منذ خلقه الله تبارك وتعالى لم تتغير عواطفه أو حاجاته، أو أهوائه ومطامعه، أو تحالفه وتخاصمه ، أو حربه وعداوته ، ومع أن التاريخ لا يعيد نفسه فى وقائعه ولكنه يتشابه فى مصدره القائم على (ثبات الطبيعة البشرية) .

وفى الاسلام يتمثل الثبات فى أن الحق واحد لا يتعدد ، وأن الأهداف ثابتة والوسائل متغيره ومهما تغيرت الفروع فان القوائم ثابتة .

وعلى المسلم أن يكون فى سباق دائم مع الزمن الذى هو الموت إلى عمل الصالحات ، وعلى كل أصلاح أن يبدأ من نقطة الواقع الحى القائم ولا يبدأ من الصور المتخيلة أو المثالية وأن يكون القرآن هو ضوء الطريق إلى حدود الله .

ويجب أن تكون مختلف وسائل التطور بمثابة (مواد خام) تجرى عليها عملية سبك اسلامية وتحويل وانصهار فى القالب الاصيل. ولا يقر الاسلام الفرار من الدنيا ولا تقديس الدنيا ولكنه يقرر التوافق معها والسيطرة عليها لتكون على طريق الله .

وقد جعل الاسلام التكوين الفردى هو أساس التقدم ولا يقر نظرية التقدم العلمى المادى وحده .

وقد حاول التغريب والغزو الثقافى خلق مذاهب هدامة داخل دائرة الاسلام الاصيل توصف بالتجديد : كالاحمدية والقاديانية ، تستهدف تأويل فريضة الجهاد وتزييف طبيعتها القائمة بالحق إلى يوم القيامة ، والقول بأنها فكرة مؤقتة وتدعو إلى سلوك الطرق السلبية مع التعامل مع الغاصبين وعدم مقاومة الأجنبى والهدف هو اخضاع المسلمين عن طريق الاعتقاد والقضاء على أقوى دعامة على مدى تاريخ الاسلام للدفاع والمواجهة والمقاومة فى وجه الغزاة .

القيم الاسلامية

كذلك جرت المحاولة إلى تمزيق وحدة الامة الاسلامية إلى قوميات واقليميات ولا تزال القيم الاسلامية الاساسية تحول دون ذوبان الشخصية الاساسية ، لقد نقل الاسلام الناس من اختلاف الاجناس إلى اتحاد المشاعر ، ومن العنصرية إلى الانسانية وتحاول دعوات الغزو الفكرى الدعوة إلى العنصرية والاجناس لتدمير وحدته القائمة على وحدة الفكر أساساً ، وفى الاسلام تفوق رابطة الفكر والعقيدة رابطة العنصر والدم ، ولقد اشتركت كل العناصر الاسلامية فى بناء الفكر وفى مواجهة الغزو وقدموا دماءهم كما قدموا مادة عقولهم فى سبيل رفع شأن كلمة الحق .

ولكن دعوة الاقليميات والقوميات الطبقية لم تحقق نجاحا مما كان يرجى لها لأنها لم تبدأ على طريق الاصالة ولم تتحرك من خلال مفهوم المسلمين للوحدة

الجامعة وظن كثيرون أن الوحدة العربية غاية كبرى بينما هى فى الحقيقة مرحلة على طريق الوحدة الإسلامية وقد كان غياب هـذا المفهوم سببا فى تعويقها وانحرافها .

كذلك فان من أخطر ما يواجه ثقافتنا : تلك الازدواجية فى اللغة والتعليم والقانون ، لقد جاء هذا التحدى نتيجة غلبة المناهج الغربية على مدارسنا وجامعاتنا ومجتمعاتنا ، وعلينا أن نتخلص من هـذا الخطر ، وأن نهضم الوافد متى كان صالحا ونصهره فى فكرنا الاصيل ونبقى الاطر الإسلامية ثابتة قائمة لاتزلزلها الرياح التى تحمل السموم الوافدة . لقد صاغ الغربيون مناهج فى التعليم والتربية وفق معتقداتهم واخلاقهم وآدابهم فهى لاتصلح لنا اصلا ، لذلك لابد أن تقيم الأمة الإسلامية منهجها التربوى الاصيل مستمدة أصوله من كتابها وتراثها وتجعل ولاءها للاسلام : عقيدة وشريعة وسلوكاً .

وعلينا أن نذكر أن المسلمين اعطوا أوربا المنهج التجريبى الذى أحياها ، فلما عادت أوربا إلى الشرق أعطت المسلمين المنهج الارسطى لتميتهم . فأخـذ المسلمون منهج ارسطو فعزلهم عن حقيقة الإسلام ، التى أقامها بالمنهج التجريبى الذى صنعه المسلمون أساسا بعد أن رفضوا منهج أرسطو ثم رفضه الاوربيون ونقدوه بما نقده به المسلمون ، ولـكن الغربيين هم الذين اقتبسوا العلم الاستدلالى من المسلمين فكان سبب ارتقائهم ردوا إلى المسلمين المنهج الأرسطى ليستعيدوا به على كل ما يريدون بثه فيهم من سموم من حيث لا يشعرون .

ولقد ظل العقل الغربى بالرغم من استيعابه للمنهج التجريبى (عقلا انشطاريا) لانه لم يستطع أن ينظر نظرة كاملة للابعاد المختلفة للامور ، وقصر نفسه على ناحية واحدة ، بينما يؤمن العقل الإسلامى بالتكامل والواقعية الصادقة ، ويرفض القصة الخيالية ولا يتخذها بديلا عن الواقع .

لقد انفصل الفـكر الغربى منذ وقت بعيد عن قاعـــدة الإيمان بأن مصادر نواميس الـكون وقوانينه قد ارساها الله تبارك وتعالى وبذلك وقع الانفصام

بين العلم والدين ، وبذلك الاعتقاد فتح الفكر الغربى أمام الحياة الاجتماعية والعقلية أخطار التمزق والاغتراب والقلق .

ولذلك فأن الإسلام لايقر هذا المنهج المادي ولا يتخذه أساسا لفكره ، ومن ثم فأنه يفتح للبشرية طريقا جديدا من الضياء والنور ، هو طريق الله الحق .

الحضارة الإسلامية

وفى الوقت الذى تعجز فيه الحضارة الغربية عن فهم مصدر الخطار ، وتقف فى صلف أمام سنن الله الغالبة ، لا تريد أن تصحح موقفها ، تقف الحضارة الإسلامية موقف الفهم الصحيح والاتجاه السليم نحو تصحيح موقفها وتحرير نفسها وذلك باتجاها إلى المصدر الأصيل (القرآن) مؤمنة بأنه هو المنبع الاول الذى يقدم لها طوق النجاة فى سبيل محاولة جديدة للتجدد والنماء . ولاريب أن دعوة الاقتباس والتقليد للفكر الغربى (بشقيه) التى تحاول قوى التغريب والغزو الثقافى دفعها بأقصى سرعة، لها محاذيرها وأخطارها ومن أجل ذلك لابد أن تكون القيم الإسلامية هى أساس البناء وهى القواعد والضوابط التى تحفظ للشخصية الإسلامية أصالتها ودورها الحضارى البناء .

وليس صحيحاً أن البشرية مهددة بالمجاعة ، وانما هى مهددة بالظلم بسبب احتكار الأقوياء للاقوات وحرمان الضعفاء منها ، وأن الإسلام قدم منذ زمن بعيد قانونا أصيلا هو « قانون الوفرة » لقد انحسرت الموجة الضالة التى حاولت أن تلتقط من السنة أو التراث القديم خيوط الدعم وجهة نظر الغزو الثقافى وتبين أن كثرة العيال مع قلة المال مشقة كبيرة ولكن ثوابها عند الله كبير وكان النبى صلى الله عليه وسلم فقيرا قليل الشىء وهناك احاديث أخرى تصور ثواب من كثر عياله وقل ماله ، ومن قول النبى صلى الله عليه وسلم « أن الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال » .

وأنما تريد هذه الدعوى المسمومة أن تدمر الوجود الإسلامى الذى ينمو الآن بقوة فى مختلف مجالات العلم والطاقة والتفوق البشرى ليأخذ مكانة الطبيعى والحق تحت الشمس فأنه بالرغم من كل الضربات التى وجهت للمسلمين خلال القرن الرابع عشر فأن عددهم قد تضاعف حتى بلغ الف مليون مسلم على امتداد الكرة الارضية كلها، ولقد أخرت التجربة الإسلامية لتجىء بعد أن فشلت كل التجارب البشرية ويأس المصلحون العلمانيون من كل المناهج والفلسفات التى باءت بالفشل ولم تبق الا تجربة واحدة على العالم كله أن يجربها : تلك هى تجربة التوحيد والرحمة والاخاء الانسانى التى جاء بها محمد بن عبد الله قبل أربعة عشر قرنا .

لقد طبع الإسلام حياة العرب والمسلمين فى الماضى ولا يزال يطبعها وسيظل يطبعها إلى اخر الدهر ولذلك فأن أى حركة فكرية أو اجتماعية لاتستطيع أن تثبت إذا تجاهلت هذا الدافع البديهى وهذا الأصل الفطرى ، لقد استمرت الثقافة التى صبها اليونان والرومان الف سنة قبل أن يجىء الإسلام ثم لم تلبث أن تلاشت تماما بعد أقل من قرن من دخول الإسلام ، بلغاتها ومفاهيمها وقامت على الزمن حقيقة لا تتغير هى « الانقطاع الحضارى » بين ما قبل الإســلام وما بعده .

وليحذر المسلمون اليوم وهم على الطريق إلى امتلاك أدوات الحضارة المادية وتراثها التكنولوجى والعلمى والميكانيكى أن تستوعبهم هذه الحضارة أو تحتويهم فى أطار الفكر الغربى المدمر والقاصر وعليهم أن يبدأوا من نقطة التوحيد والإيمان بالاخاء الانسانى .

أن أولى بشائر اليقظة انتقالا إلى النهضة : تطبيق الشريعة الإسلامية وأقامة المجتمع الربانى وتحرير أرض الاسراء والمعراج وسيادة العقيدة الإسلامية واقامة الوحدة الإسلامية. أن علامات هزيمة حضارة الغرب واضحة ، وعلامات طلوع فجر الحضارة الإسلامية واضحة ، وعلى المسلمين أن ينتقلوا من الإسلام إلى الايمان .

على المسلمين أن ينتقلوا من الفهم الجزئى إلى الفهم الجامع .

على المسلمين أن ينتقلوا من الفكر البشرى إلى الفكر الربانى .

على المسلمين أن يتجاوزوا سارتر وفرويد وماركس ودوركايم إلى القرآن والسنة وإلى تراث عريض أصيل فيه شفاء الصدور وسكينة النفوس وعطاء الاصلاح والتجديد البشرية كلها فى مختلف مجالاتها .

على المسلمين أن يجتازوا مرحلة التبعية إلى مرحلة الاصالة .

على المسلمين أن يتجاوزوا مرحلة الطفولة البشرية وصولا إلى الرشد الانسانى .

لا نجاة الا بتطبيق الشريعة الإسلامية فى بناء المجتمع واقامة الاقتصاد الإسلامى لدعم الجماعة الإسلامية وتطبيق التربية الإسلامية من أجل الحفاظ على الطفولة والشباب والمرأة والاسرة المسلمة وبناء الشخصية الإسلامية .

هذا هو تطلع الاصالة الإسلامية إلى القرن الخامس عشر الهجرى على المسلمين أن يأتمروا به وليجاهدوا الله عليه ويحققوه .

(٥)

بل الإسلام لقيادة العصر

من أخطر التحديات التى تواجه المنهج الإسلامى وتحول دون تطبيقه تطبيقا شاملا تلك الدعوات الباطلة التى تتعالى بالقول بتبرير الواقع الاجتماعى الفاسد ، واتخاذ « الرخص » التى هى بمثابة حلول لحالات مؤقتة وظروف طارئة ، ولا يمكن أن تكون نظاما اجتماعيا أو سياسيا ، اتخاذ هذه الرخص لمداراة العجز عن دفع الأمة نحو الاصالة ونحو التماس « العزائم » ، وتحكيم كتاب الله فى المجتمع الحديث ، ومن هنا يجرى البحث عن مخارج لاقرار الواقع الفاسد ، سواء بالنسبة إلى نظام الربا فى الاقتصاد ، أو القانون الوضعى فى الاحكام ، أو انحرافات اللباس والزينة فى شأن المرأة والرجل ، وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات الإجتماعية وعمل المرأة والاختلاط .

ولقد عقدت فى السنوات الأخيرة عدة مؤتمرات عالمية ، تحت أشراف الاستشراق والتبشير والغزو الفكرى ، ودعى لها بعض من يملكون الأسماء اللامعة للاستعانة بهم على تحقيق مثل هذا العمل الخطير : « تبرير الواقع الاجتماعى الفاسد ، ومسايرة الانحراف الحضارى المتدفق على العالم الإسلامى وصاحب الأثر العميق فى بناء الأسرة والجماعة والعمل والبيت والذى مهما تكن آثاره القائمة فأنه يمهد الأرض لانحراف خطير تواجهه الأجيال القادمة دون أن ترى فيه خطرا وتظن أنه واقع قائم أو عمل مشروع . ولقد كان حريا بقادة الفكر الإسلامى أن يوقفوا هذه المحاولة ، وأن يكشفوا زيفها وأن يردوها على اعقابها ويأخذوا بالحلول الأصيلة التى لا تخضع فيها الشريعة الإسلامية لواقع المجتمعات بل التى تصلح من شأن هذه المجتمعات حتى تكون على طريق الحق .

أن حق الله على المسلمين أن يطبقوا شريعته ويقيموا المجتمع الربانى فى

الأرض ، وأن يأخذوا بالعزائم فى « كل » الشريعة لا جزئيتها : حتى يكونوا ربانيين ثم عليهم أن يدعوا البشرية كلها إلى هذا الحق الذى هداهم الله وجعلهم شهداء فيه على العالمين وعلى المسلمين أن يحرروا الإسلام من التبعية فقد جاء « نموذجا خاصا » متميزا وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فى العصر الأول على التميز والاحتفاظ بالذاتية الخاصة ملبسا ونظام حياة وعادات وعبادات .

وعلينا اليوم أن نحرر الإسلام من كلمات الغرب ومصطلحات : الديمقراطية والاشتراكية فليس الإسلام اشتراكية ولا ديمقراطية وليس الإسلام ثورة كما يحلو للبعض أن يصفه ، ولقد يلتقى الإسلام مع بعض الايدلوجيات والنظم والدعوات فى أطراف معينة ، ولكنه يظل هو الإسلام الكامل الجامع ، ويبقى النظام الخاص المفرد الذى لايقبل الاندماج ، والذى لايبرر واقع المجتمعات ويكذب الذين يقولون أن الإسلام يلتقى بالديمقراطية الغربية أو الاشتراكية الشرقية ، أو يقبل أحداهما ليكون بمثابة وجوده أومنطقه ، ولا يصلح للمسلم هذا الركام المجمع من قوانين الامم وانظمتها (هذا الثوب الذى ضم خمسين رقعة) وانما يصلح لهم أمرا واحدا ، أن يعودوا إلى النموذج الإسلامى فى نصاعته واصالته ليقيموا عليه وجودهم كله . اقوياء به اعزاء بانتسابهم إليه ، مؤمنون بأنهم يمثلون اصدق النظم اتصالا بالفطرة وأقربها إلى الحق واسلمها عاقبة فى كل معاملات الحياة .

وليس الاسلام ثورة بالمعنى اللغوى ولا هو ثورة بالمفهوم العصرى ، وليس هو بمثابة انقلاب عنيف أو دموى وأنما هو العودة إلى الاصالة « العودة إلى المنابع » العودة إلى الحق الذى انزله رب السموات والارض إلى هذه الأرض ليصلحها ويدفعها على الطريق المستقيم ولقد جاءت دعوة الإسلام تجديدا لدعوة الدين الحق التى سبقت على لسان كل نبى ، وقامت فى صورتها الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، قامت هذه الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة . أن الذين يصفون الإسلام بالثورة لايعرفون خصائص العقيدة الربانية

الجامعة ، أن الثورة تنتهى وتستنفد أغراضها ولكن الإسلام لا يستنفد اغراضه أبدا ، وليس هو عرض قائم ، أو مرحلة من مراحل التطور ، وانما هو رسالة السماء بالحق إلى البشرية منذ كانت البشرية والقائم عليها إلى يوم القيامة ..

ويتميز الإسلام بالفطرة الكاملة فى ابعاده الروحية والمادية والعقلية وترابط الخلق مع العقيدة والعلم مع الدين ، حيث يقرر الإسلام أن الدائرة لاتتم إلا بالتقاء القوسين : الروح والمادة، والفرد والجماعة، والعقل والقلب ، كما تتم الدائرة الكهربائية بالسالب والموجب معا فى وقت واحد وأن بدأ فى الظاهر أنهما متضادان ،هذا شأن الإسلام تقوم فيه النظرة على التكامل الجامع بينما تتمثل النظرة البشرية فى ايدلوجياتها ومناهجها محدودة جزئية انشطارية تقوم فى حدود المحسوس والمادة فتفقدهم خصائصها ، وتحجب حاجة الروح والنفس من غذاء، ومن ثم يقوم ذلك الصراع الخفى الذى يتمثل الآن فى أزمة الانسان المعاصر ، وفى عوامل التمزق والغربة والضياع التى يواجهها الانسان فى عالم الحضارة المادية .

ولقد حاول بعض التغريبيين تزييف هذه المفاهيم لينقلوا المسلمين من أصالتهم إلى العصرية والحداثة وتدمير مفهومهم الجامع وايمانهم الصادق الذى امدهم الإسلام ، فواجهوا ذلك التاريخ المظلم من الهزيمة والنكبة والنكسة خلال أكثر من خمسين عاما عندما خدعوا فى المناهج الوافدة فظنوا أنها تستطيع أن تعطيهم القوة أو تفتح لهم افاق النهوض فما زادت عن أن دمرت قيمهم وذاتيتهم وجعلتهم كما هم اليوم نهبا للصراع مع ايدلوجيات غربية وماركسية وصهيونية، نحن فى حاجة إلى مواجهتها والانتصار عليها بالتماس المفهوم الأصيل الربانى الذى جاء به الإسلام والذى يعطى المجتمع الإسلامى نموذجا عاليا من منهج الحياة ونظام العيش على نحو لم تعرفه البشرية من قبل ولن تستطيع أن تصل إليه .

هذه أمانة الدعوة الإسلامية فى مطالع فجر القرن الخامس عشر من تاريخ الإسلام . والعالم يتطلع منذ سنوات إلى نور

جديد يهديه إلى الحق والخير والعدل والاخاء الانسانى ، فلعله يستطيع فى هذه السنوات الحاسمة أن يتخلى على اهوائه ومطامعه وخصوماته واحقاده ويهتدى إلى ضياء البشرية .

أن الحقائق التاريخية تكشف عن زيف تلك الايدلوجيات التى لم تحقق للبشرية شيئا بالرغم من قيام أهلها بتطبيقها وتعديلها وتحويرها أجيالا بعد أجيال، وتكذب هذه الحقائق التاريخية تلك الدعوى الباطلة التى ساقها الغرب حين أعلن أن البشرية قد ارتقت وانها لم تعد فى حاجة إلى توجيه الله ورعاية السماء وقد جربت البشرية عقوقها واستطالتها على قوانين الله فهل أغناها ذلك شيئا وهل حقق الأمن الذى كانت ترجوه ، أن شيئا من ذلك لم يقع .. قال تعالى (ومايزال الذين كفروا تصيبهم قارعة بما صنعوا أو تحل قريبا من دارهم) ولقد تبين للباحثين خطأ هذا الانحراف الذى اتجهت إليه البشرية حين حاولت أن تصنع لها قوانين أو شرائع معرضة عن شريعة الله الحقة ولقـــد حفلت مناهجها وايدلوجياتها بالاهواء والمطامع وعجزت عن أن تقدم ما يملأ النفس البشرية بالسكينة أو السلام أو الأمن النفسى والاجتماعى، أن على البشرية أن تعرف أنها تعيد الانسان الان إلى عبودية النفس والبـــدن على النحو الذى كانت الامبراطوريات الفارسية والفرعونية والرومانية تقوم به قبل أن يشرق ضوء الأخاء الانسانى الذى جاء به الإسلام فازاح هذه القيود والظلمات .

لقد حرر الإسلام الانسان من اغلال النظم الزائفة الصادرة من غير الله ، اعطاه روح الأمن والسكينة فى رحاب النظام الربانى الرحيم ، حيث قدم النظام الإسلامى استجابة صحيحة لطبيعة الإنسان التى لاتتغير وخصائصه التى تميزه عن سائر الموجودات وقد سماها الإسلام (الشريعة) واكد على أن سعادة الإنسان تتحقق فى ظل هذه الاحكام :

قال تعالى :

(فاقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها : لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) .

ولقد حاولت الحضارة الغربية حين استسلمت للفكر البشرى الوثنى تدمير الإنسان وهدم قيمه الروحية والاجتماعية ، وبينما دعا الإسلام الإنسان إلى الترقى من البشرية إلى الربانية ومن الذاتية إلى الغيرية ومن النفس الامارة إلى النفس اللوامة ، فأن الحضارة الغربية المتصدعة قد أعادت الإنسان مرة أخرى إلى الوثنية والاستعلاء بالجنس والاستطالة على الامم ، أى أنها أعادته إلى الجاهلية القبلية التى سحقها الإسلام وقضى عليها وان تستطيع الإنسانية أن تمضى فى طريقها هذا المحفوف بالاشواك والعقبات ، وأن عليها أن تعود مرة أخرى إلى الله وإلى منهجه الاصيل .

تلك هى أمانة الإسلام إلى المسلمين فى هذه المرحلة الدقيقة من حياة البشرية وعلى مطالع القرن الخامس عشر الهجرى .

(٦)

الإسلام العروبة

ما بين الإسلام والعروبة : ترابط وليس بين العروبة والإسلام صراع

حاول التغريب والغزو الثقافى أن يثير التناقض والصراع فى عديد من قضايا أساسية فى الفكر الإسلامى : فى مقدمتها قضية العروبة والاســــلام التى حاول إحتضانها كتاب ليسوا من صميم هذه الأمة ولامن أصالتها أو الإيمان بها .

ولقد آن للفكر الإسلامى أن يصدر عن نظرة أصيلة فى ترابط العروبة والإسلام يستمدها من فهم عميق وأصيل للجذور الحقيقية والقيم الأساسية لمفاهيم العقيدة والتاريخ واللغة ، وفهم أصيل للعلاقات الجامعة بين الأمة الإسلامية فى مختلف أوطانها وأقطارها . وقد كان من الضرورى أن يجرى هذا بعد أن هدأت تلك الضجة الشديدة التى أثارها دعاة الإقليمية ، ودعاة القوميات الوافـــدة وأصحاب المفاهيم التى تستهدف تدمير ما بين الأقطار الإسلامية وبين العرب من ناحية وبين الإسلام والمسلمين والعرب من روابط فكرية ونفسية واجتماعية لها جذورها العميقة الممتدة عبر أربعة عشر قرناً ، والتى شكلها أساساً منذ ظهرت دعوة الإسلام فى قلب الجزيرة العربية ، وامتدت منها إلى الآفاق . شكلها على مفهوم جامع ، وقد كان لابد من القيام بمراجعة كاملة للنظرة الغربيه الوافدة فى القوميات والإقليميات ومعرفة مدى اتفاقها واختلافها مع واقعنا .

وكيف يمكن أن نلتقى مع كياننا هذا الذى شكله القرآن منذ نزل بالحق . وقامت على أساسه أصول نفسية اجتماعية تمثل الذاتية والمزاج والروح العربية الاسلامية التى تختلف اختلافاً واضحاً وعميقاً وجذريا عن مثيلها فى الغرب .قوام هذه النظرة أن (وحدة الفكر والقيم والعقيدة) هى أساس الحنيفية ذات الجذور

والعميقة التى تشكلت منذ تأهلت هذه الارض لرسالات السماء ومضت تصحح نفسها مرحلة بعد مرحلة ، وقد انطلقت من قلب الجزيرة العربية تلك الموجات التى إنداحت من العراق حتى إفريقيا فكانت بمثابة التوسيد العميق لرسالة الاسلام حين جاءت لتلتقى مع أمة عربية تحمل لواءها إلى العالمين . فهى عروبة حنيفية منذ انطلاقها تحمل جذور التوحيد والعدل والرحمه . فلما جاء الاسلام صقلها ونقاها وبرأها مما ألم بها على مدى العصور من وثنية أو شرك أو انحراف وأعادها حنيفية إسلامية وهى عروبة مفتوحه ثقافيا على التاريخ والتراث ، ومفتوحة جغرافيا على العالم الاسلامى والأمة الاسلامية . ولقد انصهرت هذه العروبة فى الاسلام انصهاراً فلم تعد تتمثل إلا فى ذلك الدور الذى أذن الله لها أن تقوم به وفى حمايتها للمقدسات واللغة دوماً . هذا الاسلام الذى شاد الأمة العربية وجودها وأعطاها تلك الكرامة والمجد حين شرفها بحمل رسالته وقرآنه. هذا هو الفارق العميق بين مفهوم العروبة القائمة بالاسلام وبين مفهوم القومية الوافد . ذلك أن الدين فى اللغة العربية ليس لاهوتاً خالصاً كمفهوم الغرب ، ولكنه نظام جامع بين العقيدة ومنهج الحياة.

ولا ريب أن « التغريب » كان حفياً بأن يفصل بين العروبة والاسلام ، وأن يطرح البديل الغربى ، وقد بدأت هذه النظريات فى معاهد الارساليات ومحافل الماسونية . وقد ركزت الاضواء على الذين حملوا هذه الدعوات ليصبحوا أعلاماً ومنارات تغرى الشباب الغض الذى لم يكن قادراً على أن يفهم حقيقة فكره الاسلامى وصلته بالعروبة . وكان الهدف هو الحيلولة دون وضع (حركة اليقظة الاسلامية) على طريقها الصحيح والعمل دون وصول العرب حملة الرسالة الاسلامية إلى مكانهم الحق وقد تبين أن فكرة العروبة جاءت فى مواجهة التحدى بفكرة الطورانية التى فرضها النفوذ الاستعمارى التلمودى على الدولة العثمانية فى مرحلة الاحتواء ، ولم تكن العروبة فى مفهوم العرب أول الأمر إلا ذات مضمون إسلامى واستجابة للمقاومة ضد الاستعمار بعد سقوط الدولة العثمانية فى محاولة لاقامة تجمع اصغر ، تجمع فى دائرة الأمة بديلا عن الوحدة السياسية التى

سقطت . هذه العروبة لم تمكن فى صدور الداعين لهــا لا استجابة لمفهوم القوميات الغربية الوافد ، وإنما كان منطلقاً إلى الوحدة الإسلامية مرة أخرى عندما تزول غمة الاحتلال والسيطرة الأجنبية عوداً إلى الأصالة والمنابع . وقد جاءت كمرحلة اضطرارية فرضتها الأحداث حين اضطرت حركة اليقظة إلى التحرك تحت ظروف الاستعمار فى دائرة الوطن أو الأمة كمقدمة لبلوغها مرحلة الوحدة الكبرى . غير أن النفوذ الاستعمارى كان حريصاً على أن يدمر الروابط بين العرب وبين الجامعة الإسلامية التى تربطهم : فكرياً وجغرافياً وتاريخياً . ومن هنا فقد حرص على دفع دعوات ومفاهيم ونظريات معوقة فى محاولة إخراج العرب عن طبيعتهم وإفساد هذا الواقع وإثارة البلبلة والصراع . فقــد حاول الاستعمار وضع كلمة القومية بديلا لكلمة العروبة عملا على خلق الصراع حتى لا تستطيــع كلمة العروبة أن تستكمل وجودها أو تحقق ارتباطها الطبيعى ، ولقد كانت هذه المناهج الغربيـــة التى طرحت نظرية القومية الوافدة إنما تحاول أن تجهض العلاقة بين العروبة والإسلام . فقد رأى الاستعمار أن الدعوة إلى العروبة قد أخـــذت تتشكل فى أصالة لتأخذ أسلوب الفكرة الإسلامية وترتبط بها فسرعان ما غزاها بمفاهيم غريبة عنها حاول بها أبعادها عن الإسلام فكراً وفصلها عن العالم الإسلامى جغرافياً . .

غير أن المحاولة فشلت وبان عوارها . لأنها مناقضـة لطبائع الأشياء وللفطرة التى فطر الله عليها الكائنات والناس . وتعرف الناس بعد السنوات الطويلة التى انقضت فى المراجعة والمواجهة عن حقيقة واقعة فى أن طبائع الأشياء وأصولها الأصيلة لا بد أن تحل محل الزيف الذى يبدو حين يطرح وله بريق ساطع . ثم ينكشف جوهره عن غثاء كغثاء السيل فاذاً به معارض للذاتية الأصيلة والمزاج النفسى للأمم فلا تلبث الأمة الإسلامية أن تلفظ ذلك كله وترفضه وتعود إلى جوهرها الأصيل بالرغم من القيود التى تحاول أن تحجزها فى أرضاع محددة .

ولا ريب أن النظريات الإقليمية والقومية الغربية قد صاغتها أحقاد الصهيونية

والاستعمار وهى تحس بقوة الترابط بين العروبة والإسلام ، وأن غلفت بطابع زائف من العلم أو بريق من الصناعة . وكان لكذب المقايسات مقايسة الإسلام على الاديان الأخرى . دون النظر إلى طبيعة الإسلام المختلفة عن طبيعة الدين بمعنى العبادة ودون التفرقة بين كلمة دين وكلمة إسلام ، وبين كلمة قومية وكلمة عروبة ، ودون بيان الفارق بين صلة القومية بالدين فى الغرب ، وبين صلة الإسلام بالعروبة فى عالم الإسلام . وكان الخطأ الكبير هو افتراض أن النظريات الاوربية فى القومية أو فى غيرها صالحة للتطبيق ، أو صالحة لمقايسة واقع العرب والمسلمين . ومن السذاجة أن يظن البعض أن يتخذ العرب من مبدأ القوميات ديناً يضعون له قداسة الإسلام والذين قالوا بذلك أدعوا إليه كانوا جد غافلين عن مفهوم الإسلام وجوهر فكره ولكنهم اعتمدوا على أن الإرساليات والمدارس الوطنية قد علمت الدين للعرب على أنه عبادة وليس على مفهومه الحقيق بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع .

والواقع يؤكد أن القومية لن تصبح عقيدة للعرب والمسلمين أبداً وان تكون لها قداسة الدين كما حاول أن يعطيها هذا المفهوم بعض المضللين ، ذلك أن العرب والمسلمين إنما يشكلون أنفسهم فى ضوء التحديات وظروف الازمات من خلال فكر واسع عميق قادر على العطاء فى كل الاحوال مفتوح على التلق قادر على الاخذ والرد ، ولا ينصهر ولا يذوب ولا يحتوى ، لذلك فقد سقطت محاولات بث القومية على أنها عقيدة روحية تستطيع أن تخلف الإسلام أو تحل محلة وتكشف بعد قليل أن القومية بمفهومها الغربى محاولة لصدام العروبة بمحتواها الاصيل . ذلك أن ميزة العروبة بمفهومها الحق أنها تقوم فى نطاق أخلاق معترفة بمكانها من الإســـلام مفتوحة على الاخوة الإسلامية التركية والفارسية والهندية والملاوية متكاملة بها ومعها وما تزال الثقافات العربية والفارسية والتركية تصدر عن إطار الإسلام ولا تستطيع الإقليميات والقوميات الوافدة أن تبلغ منها مبلغ التعصب الذى عرفته القوميات الغربية ، ولن تستطيع العروبة أن تخرج عن مفهوم الإسلام مهما أوقد لها

التغريب النار فى الاستعلاء بالماضى الوثنى أو بالانغلاق عن الأمة الإسلامية . إن أقوى أهداف النفوذ الأجنبى (كانت وما تزال) وضع المسلمين فى قوالب الفكر الغربى ، إخراجهم من مناهج فكرهم ومفاهيمهم الأصيلة . وقد استطاع التغريب ذلك عن طريق فرض سيطرته على التعليم والثقافة والصحافة بواسطة معاهد الإرساليات وغيرها التى خرجت مجاميع من القادة والكبراء . ولكن هذه المحاولة قد انكشفت اليوم تماماً وتبين مدى آثارها على الأخطار والتحديات التى واجهت المسلمين فى ربع القرن الأخير .

كذلك فقد فشلت (العلمانية) ولم تستطع أن تحقق شيئاً كما فشلت (الديمقراطية) ومن بعدها (الماركسية) ذلك لأنها لم تكن من طبيعة هذه الأمة : بل فرضتها ظروف وتحديات ، ولم تنبثق من داخل الكيان الإسلامى . وقد وقفت العلمانية والمادية والليبرالية والماركسية فى وجه المفهوم العقائدى الإسلامى الجامع وثبت أن يقظة العرب والمسلمين وصولا إلى نهضتهم لا تتم أبدا من خلال الثقافات الوافدة أو النظريات الأجنبية ، كما تبين مدى ترابط الفكر الإسلامى فى قيمه ومفاهيمه إلى الحد الذى لا يمكن الفصل فيه بين اللغة والتاريخ والعقيدة والتراث .

إن الذين طرحوا نظريات القومية الاقليمية والعلمانية (ساطع الحصرى ميشيل عفلق — أنطون سعادة — فيليب حتى) لم يكونوا من نتاج هذا الفكر الاسلامى الأصيل . ولذلك جاءت نظرياتهم معارضة للمفهوم التلقائى الذاتى الأصيل المنبعث من الفطرة الصافية ، وكانت دعوتهم تستهدف تمزيق وحدة هذه الأمة الإسلامية تحت نظريات اللغة والأرض والمشيئة والعلمانية . وتبين بوضوح أن الهدف هو إبقاء المسلمين فى انفصال وصراع فى داخلهم ، فضلا عن ذلك الجسم الغريب المغروس فى قلب الوطن العربى وليكون ذلك كله حائلا دون الانتقال من مرحلة اليقظة إلى مرحلة النهضة والتجمع والتشكيل الحقيقى المستمد من القيم الأساسية . وقد جاءت الحقيقة واضحة بعد تلك المعركة الواسعة الضخمة بين أهل الأصالة وبين أصحاب الفكر الوافد لتقول أن

الفكر الإسلامى لا يقر صراع الأديان أو الأجناس وأنه من أكبر الخطأ وضع الإسلام فى مواجهة القومية أو القومية فى مواجهة الإسلام ، وأن حركة العروبة هى موجة من موجات اليقظة العربية فهى ولبدتها وبها متصلة وإليها ممتدة لتحقيق هدف الوحدة الكبرى . وتبين أن العروبة بالإسلام وأن الإسلام هو الذى أعطى العرب وجودهم وكيانهم ، وأن مذاهب العلمانية أو القومية لن يستطيع إخراج الفكر الإسلامى عن ترابط العروبة والإسلام وستشتط النظريات الوافدة فى القومية والإقليمية والعلمانية والمادية والماركسية ، وأن نظرية القومية الغربية هى دعوة عنصرية تستهدف قطع الروابط والصلات بين جامعة المسلمين ، وقد عجز مبدأ القوميات فى أوروبا أن يحقق لها شيئاً إلا التمزق والتضارب والصراع .

لقد كان هدف الاستعمار والتغريب والغزو الأجنبى تفريق الأمة الإسلامية إلى كيانات ، ولذلك فقد أبعد التربية الإسلامية عن برامج الدراسة والتعليم لهدم الأجيال الناشئة وأبعد القيم الإسلامية عن الحياة الاجتماعية وأهمها الإيمان بالله ، وأبعد الشريعة الإسلامية ، وفرض قانوناً أجنبياً وافداً ، وأبعد فكرة وحدة الفكر الجامعة وأبدلها بالإقليميات والقوميات المتصارعة ، وحاول التشكيك فى اللغة العربية واتهمها بالعجز عن ترجمة العلوم ودفع العاميات واللغات الأجنبية للحلول محلها ، كما عزلها عن التاريخ الإسلامى ببطولاته ومواقفه وحصرها فى التاريخ الإقليمى ، كما عمل على عزل الأدب العربى الحديث عن الأدب العربى الإسلامى ، وفرض مناهج النقد الغربى . وهذه كلها محاولات تستهدف القضاء على وحدة الإسلام وتمزيق جبهته ، ولكن المسلمون قد تنبهوا اليوم إلى هذه المحاذير والتحديات والأخطار وهم يواجهونها بقوة ويكشفون كل يوم عن زيفها وخطرها ويلتمسون طريق الأصالة والمنابع الأولى ، ولقد كانت قضية التفرقة والصراع والتناقض بين العروبة والإسلام من أخطر هذه القضايا والتحديات ، وكان لا بد أن تقال فيها كلمة واضحة صريحة تكشف الزيوف المتراكمة والأخطار القائمة .

(٧)

البدائل الزائفه

البـدائل الزائفة للقضـاء على الأصـالة
هى أخطر ما يواجـه المسلمون اليوم

يقول المستشرق هاملتون جب فى « وجهة الاسلام »

إن « مستقبل « التغريب » : والدور الذى سيلعبه فى العالم الاسلامى لا يتوقف على هذه المظاهر الخارجية للتأثر والاقتباس . لأن الصورة الظاهرية ثانوية ، وكلما كان التقليد فى المظاهر أكمل كان امتزاج الشىء المنقول بنفس المقلدين أقل، لأن فهم الروح والأصول التى تنطوى عليها المظاهر الخارجية فهما كاملا لابد أن يصحبه إدراك التعديلات التى تتطلبها الظروف المحلية ، ويمكن أن تزول من العالم الاسلامى كثير من النظم الغربية التى نراها فيه الآن ، ولن يكون بعدذلك أقل حظا من « الاستغراب » . بل ربما كان أوفر حظا ، وإذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح للنفوذ الغربى ولمدى تغلغل الثقافة الغربية فى الاسلام كان علينا أن ننظر إلى ما وراء المظاهر السطحية ، علينا أن نبحث عن الآراء الجـــديده والحركات المستحدثة التى ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية بعد أن تهضم وتصبح جزءا حقيقيا من كيان الدول الاسلامية فتتخذ شكلا يلائم ظروفها.

والفهم هـذا النص ومداه علينا أن نعرف أن حركة الاستشراق وعلى رأسها هاملتون جب وأربعة آخرون قد تصدوا فى كتابهم هـذا لدراسة مستقبـل التغريب فى العالم الاسلامى ، والتغريب مصطلح مستحدث يصور مدى ما وصل إليه عالم الاسلام تحت تأثير سيطرة الفـكر الغربى والحضارة الغربية من تحول عن طبيعته وذاتيته وخصائصه وانصهاره فى بوتقة الفـكر الغربى والأممى والمادى والعلمانى وإلى أى حد وصل العالم الاسلامى فى هذا التغريب ، وما هى العوامل

التى تمكن من إتمام صهره وتغريبه كاملا. ذلك هو ما عمد المستشرقون الخمسة إلى البحث عنه فى كتابهم الذى أصدروه فى الثلاثينات . وما تزال الخطة التى رسموها فيه موضع بحث مفكرى الاسلام وحذرهم ومنطلق البحث عن الوسائل للقضاء عليها وتزييف هدفها . والواقع أن حركة التغريب تعمل بجد وقوة وحركة اليقظة الاسلامية تعمل لترد عنها ذلك الخطر .

أما « جب » فيرى أن ميادين العمل هى : القانون الوضعى والتعليم الغربى والثقافة الوافدة التى تنظم فروع التفسير الأدبى والتاريخى والاجتماعى والسياسى. وهو فى هذه الكلمة التى نقلناها عنه يؤكد على معنى من أخطر المعانى . وهو أن هناك آراء جديدة وحركات مستحدثة تحت اسم النهضة والتقدم والعصرية قد يظن أنها ليست غربية تماماً ، ولكنها سوف تخرج المسلمين عن قيمهم الاساسية وتفقدهم الصلة بتاريخهم وماضيهم وخططهم الذى ساروا عليه منذ أربعة عشر قرناً. ويظهر معنى ما يقول « جب » حين تجىء مرحلة تغيير الواقع الذى خلفه النفوذ الأجنبى وهذه هى المرحلة التى يمر بها العالم الاسلامى اليوم وهو يتجاوز أسلوب الاقتصاد الغربى إلى اقتصاد إسلامى بغير ربا ، وحين يتجاوز القانون الوضعى إلى قوانين إسلامية جنائية ومدنية ، وحين يتجاوز أساليب التعليم الذى فرضته الارساليات ومناهج الاستعمار إلى أسلوب عربى إسلامى للتربية والتعليم ، فى هذه المرحلة الدقيقة يمكن أن تبدو الصورة وكأنها تتغير ولكنها تكون فى نفس الوقت قد هضمت الروح الغربية وأصبحت جزءا حقيقيا من كيان الدول الاسلامية .

ومن هنا فإن التحول إلى الطابع الاسلامى يصبح مشكوكا فيه لأنه لم يتجرد تماما من الغريب الذى دخل إليه . وهذا ما تنبه إليه بعض رجال حركة اليقظة الاسلامية فى العصر الحديث حين رفضوا تعديل القوانين المدنية الغربية المطبقة فى بعض البلاد العربية بتعديل المواد الخاصة بالحدود الاسلامية ، وأصروا على ضرورة إلغاء القانون الوضعى كلية ، وإقامة قانون إسلامى خالص منبعث من

روح الاسلام نفسه ومن واقعه ومن مفاهيمه ووفق أهدافه وغاياته التى تختلف عن روح وأهداف وواقع القانون الغربى .

وكذلك الامر فى أمر الاقتصاد الإسلامى يجب أن تكون الحيطة بالغة دون الوقوع فى هذه المحاذير التى أشار إليها هاملتون جب ، والتى ظن أن المسلمين سوف ينخدعون لأنهم تعلموا فى معاهد الإرساليات وتحتويهم المناهج الغربية ، ولكن الامر اختلف كثيراً عما قدر هاملتون جب وجماعة المستشرقين ، وبرز فى العالم الإسلامى قادة عرفوا هذه التحديات ، وأعدوا لها عدتها من الحذر واليقظة واستطاعوا وسوف يكونون بفضل ايمانهم بامتهم وعقيدتهم قادرين على تجاوز هذا الخطر .

ولعل جماعة الاستشراق تعرف أن التجربة التى قدمها النفوذ الاجنبى لعالم الإسلام فى نظام الحكم والتعليم والقانون والسياسة والاقتصاد قد فشلت فشلا ذريعاً ، وأنها ردت المسلمين عنها إلى البحث عن ذاتها وعن قانونها ونظ مها كله الذى صدقها حياتها كلها الوعد بالقوة والنصر والتقدم . ونحن نرى اليوم هذه المؤسسات التى تقوم وفق شريعة الإسلام فى مجال الاقتصاد تكشف بوضوح عن أصالة الروح الإسلامى وصدقه وسلامته فى بناء الأمة مما يؤكد ضرورة المضى فى هذا الطريق الذى تقوم عليه دولة قائدة تطبق الشريعة الإسلامية فى نظام مجتمعها وتتقدم به إلى المسلمين جميعاً نبراساً لصدقه وسلامته . وفى مصر نرى الآن حركة دائبة لتقنين الشريعة الإسلامية ولإعداد قانون العقوبات الإسلامى ، وفى الاوردن صدر فعلا قانون إسلامى مدنى ، وفى ليبيا خطوات على طريق الشريعة الإسلامية فى عدد من القوانين . وكل ذلك يكشف عن الطريق ويوحى بالاتجاه الذى يجب أن يعمقه المسلمون وصولا إلى اكتمال تطبيق شريعة الإسلام فى مجتمعاتهم بعد الاقتناع الكامل إنه لا سبيل إلى تحقيق الامن الاجتماعى والسلام النفسى إلا عن هذا الطريق وحده . إن أخطر ما يواجه المسلمون فى هذه الفترة

هو هذا الخطر الذى أشار إليه « جب » والذى هو من مخططات النفوذ الأجنبى فى وجه محاولة المسلمين والعرب الخروج من دائرة التبعية والغزو الفكرى إلى « الأصالة » فهم يدعونه إلى تلك « البدائل » التى يرسمون لها صورة مظهرية شبيهة بالصورة الاصيلة . ثم يجعلون مضمونها من الفكر الوافد ومن المفاهيم التى تخرج المسلمين عن جوهر عقيدتهم وفكرهم أملا فى أن يصبح الإسلام بعد ذلك غلافاً مظهريا تتحرك من داخله قيم الغرب التى تؤدى إلى التبعيـــة والاستسلام والقبول بوجهة نظره فى أمور التعليم والقانون والنظام الاجتماعى. وبذلك تتم السيطرة الفكرية والروحية على هـذا الـكيان الذى كونه القرآن وبناه الإسلام فينصهر انصهاراً شديداً فى أتون العالمية والأممية التى تقوم الآن على المادية الخالصة ، بينما يدعو الإســلام إلى عالمية الإيمان بالله والتوحيد والرحمة والإخاء الإنسانى والعــدل الربانى المستمدة من شريعة الله والدين الحق .

ومن هنا نجد تلك المحاولات التى ترمى تسمية الماركسية عدلا اجتماعيا ، والديمقراطية شورى ، والقومية رابطة أمم . وتلك المذاهب والايدلوجيات التى هى فى أعماقها معطيات التلمود علوماً فى النفس والاجتماع والأخلاق ، وإذا صح فإنها علوم صهيونية يهودية بعيدة عن مفهوم الدين الحق تحاول أن تخضع الأمم والشعوب إلى ما تحويه من مفاهيم العنصرية والاستعلاء بالعرق والصراع الطبقى ، وإثارة القلق والتمزق والغربة فى نفوس البشر ، يريدون أن يبدلوا كلام الله ويردوا البشرية إلى عصور الطفولة البشرية بعد أن جاء الإسلام معلنا بأن البشرية أصبحت أهلا للدخول فى مرحلة الرشد الإنسانى والانتقال من الأنانية والإباحية والوثنية والمادية إلى عبادة الله الواحد القهار وإسلام الوجه له فى بناء المجتمع الربانى القائم على التوحيد والإخاء البشرى والعدل ، وهو ما قام عليه الإسلام ليكون أمة وسطاً هى خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحمل شعلة الضياء وتمضى بها إلى أنحاء

العالمين بعد أن تطبقها على مجتمعها أولا لتكون شارة الحق والمثل إزاء البشرية كلها . ولذلك فما أجدر المسلمين اليوم أن يحذروا البدائل التي لها مظهر براق قد يشابه مظهر الإسلام . ثم هي في أعماقها فارغة من مضمونه . وقد كشف الاستشراق هذا الأمر فما أحرانا أن ننتبه له وأن نكون دائماً على حذر « خذوا حذركم » « ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة » .

على طريق الحق

وأنتم عل طريق الحق اليوم
إحذروا أن يخدعكم خصوم الإسلام

إن اليقظة الإسلامية التى يعيشها المسلمون اليوم اتجاهاً إلى النهضة هى حركة أصيلة صادقة لأنها مرتبطة بحركة الفكر الإسلامى منذ فجره إلى اليوم فى مراحل نموه وامتدادة وفى كلتا مرحلتيه المتتابعتين : قوة وضعفاً ، ثم قوة بعد ذلك تلتمس طريقها من العودة إلى المنابع والمصادر والموارد الثرة التى قدمها الدين المنزل بالحق للبشرية كلها ، والتى قدمها الإسلام فى ختام رسالة الدين السماوى للإنسانية .

ولذلك فإن من أخطر ما تدعو إليه حركة التغريب وتحارله حركة الإستشراق والتبشير وكلها حركات تتعاون على هدف واحد ، وغاية واحدة هى تمزيق وحدة الفكر الإسلامى والحيلولة دون صدوره عن الأصالة : هى القول بأن الفكر الحديث هو فكر عربى لا صلة له بالماضى ، وأنه يستمد وجوده من الفكر الغربى وهو ما عبر عنه أحدهم بقوله : هناك إتجاه خاطىء وشائع بسجن الثقافة العربية فى عمامة الشريعة الإسلامية ، وتبدو من صياغة العبارة روح اللؤم والحقد والخطأ جميعاً . فإن الثقافة العربية بهذا التعبير الذى شاع أخيراً إنما هى وليدة الفكر الإسلامى ، وأن إنتماءها للغة العربية والقرآن والشريعة الإسلامية والأخلاق الإسلامية أمر لا سبيل إلى إنكاره ، وهو ليس سجناً لها ، بل هو منطلق الأصالة إلى الفطرة والحق ، وضياء نور السماء وهدى النبوات . أما كلمة عمامة وهذه السخرية فلا تخدع أحداً عن زيف المضمون وعن سوء الهدف وفساد الغاية .

ومن محاولات التغريب المضللة القول بأنه ليس هناك فارق بين الشرق والغرب . ولا بين الامم والشعوب . ولا ريب أن بين الامم قدراً مشتركا من

العلاقات والمشاعر ولكن لا سبيل إلى تجاهل الخصائص المميزة لكل أمة . هذه الخصائص التى كونتها العقائد والأخلاق .

وهناك محاولات القول بأن بعض الحركات الضالة هى حركات إسلامية مجددة كالقاديانية والبهائية ، كما أن هناك محاولات لمنع قيام الامتزاج الفكرى الشامل الذى يستهدف تذويب الخلافات الفرعية وصهرها لتقريب أمد الالتقاء الواحد .

وهناك محاولات صرف الأم عن وجهتها التى سارت فيها منذ أربعة عشر قرناً والقضاء على خصائصها ومحو مآثرها وتحقير ماضيها وإفساد حاضرها .

ويستهدف التغريب تقويض المجتمع والأسرة بنشر الإباحية وهزيمة العقل الإسلامى بإذاعة الإلحاد ، وذلك بطرح هذه النظريات والأيدلوجيات المتضاربة التى نشأت فى بيئات خاصة بها . ومن خلال تحديات مختلفة فى هذه البيئات تتعلق بعضها بالدين وبعضها بالعصر . وقد ظهرت أغلب هذه الدعوات حين عجز الدين عن العطاء وحين انفصلت الأخلاق عن الدين . وهى تمثل أهواء النفس البشرية مصوغة فى أسلوب له بريقه العلمى ليخفى ما وراءه من هدف غير أن هذه النظريات لم تلبث أن أصابها الاضطراب والفساد . فقد تصدعت الفرويدوية والماركسية والوجودية واحتاج أصحابها إلى إعادة صياغتها . وذلك شأن الفكر البشرى الذى يعجز أن يقدم لكل الناس فى كل العصور وفى كل البيئات ما يحتاجون إليه ، أو ما يعطيهم أشواقهم ومطامحهم ، وهذا مالا يستطيعه إلا الدين الحق المنزل من لدن خالق الإنسان :

ونحن نعرف أن البشرية قد جربت عشرات من الأنظم والأيدلوجيات والنظريات التى وضعها البشر لأنفسهم : الفردية والجماعية والرأسمالية والشيوعية ، ولم تجد فى ذلك كلها ما يرضيها ويحقق لها الأمن والسكينة ، وما تزال تتطلع إلى مزيد من نظريات البوذية والحلول والتناسخ ولن يعطيها ذلك شيئاً ذا بال .

ونحن نختلف مع الغرب فى هذا الاتجاه ، وما يراه صالحاً له لا يصلح لنا ، فإن لنا منهجاً متكاملاً جامعاً ثرا يستطيع أن يعطينا «حضارة الإيمان» ويستطيع أن يعطى البشرية كلها حاجتها إلى الضياء والنور .

وقد قامت أصول الفلسفة والعقيدة والاتجاه الغربى على نحو خاص : فهى تؤمن بالقوة أكثر من إيمانها بالحق ، ويتجلى ذلك فى اتجاهها للسيطرة على الشعوب وتسخير جنس من البشر لجنس آخر ، وعدم إيمانها بالقانون الأخلاق فى معاملة غير أبناء جنسها ، وكذلك تجاهلها القيم الروحية والحقوق الطبيعية الإنسانية والعقيدة الحقيقية أن الغربى كما يقول ليوبولدفايس — سواء أكان ديمقراطياً رأسماليا أو اشتراكيا شيوعيا فهذه ليست هى المسيحية ، بل هى وثنية جديدة . لها معابدها وأصنامها وكهنتها وهى الحضارة المادية .

ولا ريب أن هذا المنطلق يختلف مع منطلقنا اختلافاً عميقاً ، ويكذب القول بأنه ليست هناك فوارق بين الشرق والغرب ، وبهذه المفاهيم الغربية المادية الوثنية يحاول الغزو الثقافى أن يصهر الإسلام والمسلمين فى أتونه . وأن يحتوى النفس الإسلامية والمزاج والروح الإسلامية بإخراجها من مفاهيمها ومواريثها وفرض أعراف جديدة عليها فى مجال العلاقات بين المرأة والرجل ، وبين الناس والمجتمع والاقتصاد والسياسة مخالفة لروح الإسلام الذى يقوم على التوحيد والعدل والرحمة والإخاء البشرى .

ولا ريب أن هذه المحاولة قد حققت بعض النجاح باستيلاء الاستعمار على معاهد التعليم ومناهج التربية ، فخرجت هذه الأجيال الهشة المضللة التابعة الضعيفة الرخوة التى لا يشغلها سوى أهواء المتاع الزائف والشهوات والأهواء . هذا الجيل الذى رباه الإستعمار هو الجيل المهزوم الذى هزمت الأمة فى ظله هزائمها المتوالية حين استدرجت إلى دائرة الفكر الغربى بالأضواء فأصابتها النكسة ، وأوشكت أن تفقد وجودها ذاته .

ولكن ميزان الأمور قد عاد إلى اعتداله ، واستطاعت الأمة أن ترى أن الطريق الصحيح ليس إلا هو طريق قرآنها ومنهجها ، وعرفت أن تبعيتها هى التى حققت له الهزائم . وأن أول خطوات الأصالة والتماس منابع الإسلام قد حققت لها النصر . ومن ثم فقد وجب عليها أن تواصل السعى على الطريق الجديد ولا تخاف شيئاً وسوف تجد فى هذه الفترة دعوات وإغراءات وأكاذيب ، وعليها ألا تلتفت

إليها فإنها تصدر عن حقد المهزومين الذين فشلوا فى القضاء على الأمة ذات المصدر القرآنى الأصيل .

ولذلك فإن مهمة المفكرين المسلمين فى هـذه المرحلة الجديدة أشد خطراً وأكثر مسئولية، فقد أصبح لزاما عليهم كشف الزيوف والسموم ، وضربها حتى لا تعشش مرة أخرى ، ولا تتخذ لها أساليب جديدة خادعة .

ونحن نعرف أن حركة التغريب يقظة فهى سرعان ما تضرب الانتفاضات الجادة وتحولها عن أهدافها بالاسراع بها ، أو تغيير مفاهيمها ، أو وضع مفاهيم جديدة بدلا عن مفاهيمها الأساسية ، أو التعجيل بالثمرات قبل نضجها لتنتج مخلوقاً ممسوخاً .

إن التغريب قد اتخذ أشكالا مختلفة منها الانتقاص والتشكيك وخلق روح اليأس والانطواء والانقياد للروح الأوربى .

وهو قد فرض مفاهيم الإقليمية والقومية الضيقة ، وحاول أن يجعلها تحل محل الوحدة الإسلامية ، وفرض مناهج فى الاقتصاد والسياسة معارضة لمنهج الإسلام وقد خلق ذلك تناقضاً شديداً . وازدواجية خطيرة ، حال دون وحدة الفكر ووضوح الرؤيا وسلامة النظرة .

وكل هذا من أسباب تعويق هذه الأمة عن الوصول إلى إرادتها الحرة ومكانها الحق . وليس غير الإسلام منهج : قادر على عطاء المسلمين ، الذين عليهم أن يكونوا على أهبة العمل لإبلاغ رسالة الإسلام إلى كل مكان .

ولقد كشفت التجربة التى جرت نحو الغرب حيناً ونحو الشرق حيناً أن الروح الإسلامية العربية لم تقبلها ولم تجد فيها ما يسعدها أو يهديها إلى ضياء ، أو يفسح أمامها سبيل نهضة، فحققت بذلك فشل التماس مناهج الغير وأساليب عيشه ، وأصبح على المسلمين والعرب أن يطرقوا باب أصالتهم ومنهجهم وعقيدتهم ، فهو الباب الوحيد الذى سينفتح لهم ويهديهم إلى أنفسهم ومكانتهم وحقهم فى الحياة ويحفظ لهم وجودهم وكيانهم . ونحن حين نرى هذه المؤتمرات المتعددة حول الشريعة

الإسلامية والاقتصاد الإسلامى وتجديد رسالة المسجد ودراسة مناهج التعليم والتربية والتى تقودها مكة وتنعقد حول بيت الله الحرام . نحس بأننا أصبحنا على الطريق الصحيح الذى عاش المجاهدون يحلمون به ، والذى استشهد فى سبيله الأبرار الذين حملوا الراية فى وجه الزوابع الاستعمارية ، والأعاصير التغريبية ، واستطاعوا أن يكونوا هذا الجيل الرائد الذى يعمل اليوم بقوة وعلى طريق الله الحق .

وخير ما يقال : إنكم على طريق الله الحق فعضوا عليه بالنواجذ ، واحذروا أن يخدعكم عنه خصوم الإسلام .

أسلمة الإعلام

هل يمكن « أسلمة » الإعلام العربي ؟

استطرد هذا المصطلح على ألسنة المتكلمين والباحثين فى الإذاعات العربية بمناسبة عقد مؤتمر الإذاعات العربية الذى يهدف إلى تطبيع الإعلام فى الوطن العربى بطابع الإسلام ، ومهما يكن من أمر سلامة نحت هذا المصطلح فإننا نستعمله لنسجل هذه الظاهرة ونحاول مناقشتها وتحليلها . .

ولا ريب أن المملكة العربية السعودية الريادة فى هذا المجال خاصة بعد أن تعددت مبادراتها فى مجال بناء اقتصاد إسلامى وتكنولوجيا إسلامية ومنهج تربية إسلامية للتعليم العربى ، ولا ريب أن الإعلام بفنونه المختلفة :

إذاعة — تليفزيون — سينما — مسرح — صحافة .

فى حاجة إلى أن يصب فى القوالب الإسلامية بعد أن أبعد عنها فترة طويلة إلى الحد الذى أصبح غريباً عنها .

ونحن نرى أن الإذاعات العربية (فيما عدا القليل منها) تستعمل العاميات فى الأكثر الكثير ، ولا تستعمل الفصحى إلا فى إذاعة نشرات الأخبار . وبذلك تعطى العامية مجالا واسعاً فى مجال الحوار والمسرحية والتمثيل والأغنية ، حتى تكاد تصبح العامية ولها وجود شرعى فى مجال الثقافة والفكر ، بينما كان المفروض أن ترقى أساليب الحوار والأغنية لتأخذ طريقها إلى الفصاحة فى فترة محدودة لا تزيد عن خمس سنوات بحيث تستطيع إذا عادت البلاد العربية كلها أن تلتقى على اللغة الأم . وبذلك ترتقى النفسية العربية والعقلية العربية

بحيث تزداد قوة الوحدة والترابط وتتجدد الآمال فى سبيل ارتقاء اللغة الفصحى لتقترب حثيثاً من بيان القرآن الكريم الذى نحن مطالبون أن نجرى فى مجراه ولا نبتعد عنه ، وذلك بعد هذه السنوات الطويلة من محاولات قطع الرابطة بين أسلوب الكتابة العربية وبين القرآن بخلق ما أطلق عليه اللغة الصحفية واللغة العامة واللغة الوسطى ، وكلها محاولات لعزل مناهج الكتابة العربية عن ارتباطها الأصيل بالقرآن الكريم وأسلوب الرسول الكريم وأسلوب البيان العربى الأصيل الذى لا سبيل إلى الانفصال عنه فى أى نهضة يراد أن تتخذ طريقها إلى الأمة العربية مقدمة لوحدة الفكر الإسلامى .

ومن اللغة إلى المضمون فماذا تحمل المسرحيات والأغنيات من أفكار وحوار يستمد مسلماته وعباراته ومضامينه من مفاهيم قليل منها فيه الأصالة ، وكثير من الوافد الزائف الذى لا يمثل قيم هذه الأمة ولا ذاتيتها . إن هذه الأمة لا تستطيع أن تبنى نفسها بوصفها الأمة القائمة بالحق والشاهدة على الخلق إلا بمقاييس الإسلام فى أمر المجتمع والشباب والمرأة والزواج والحب والعاطفة والعلاقات المختلفة ، فإذا خالفت ذلك أو اتخذت مفاهيم وافدة فإنها تكون بذلك قد قضت على المزية الوحيدة التى تميزها والعروة الواحدة التى تميزها . تلك هى أنها حاملة لواء التوحيد وطابع الالتزام الأخلاقى ورداء المسئولية الفردية والجزاء الأخروى والمتدبة لإقامة المجتمع الربانى فى الأرض ، فإذا جرت وراء أهواء البشرية المتمثلة فى عبارات الهوى والإباحة . والاغتصاب والمراوغة فإنها بذلك أخرجت نفسها عن رسالتها وهدفها وغايتها التى انتدبت لها .

كذلك فان أسلمة الإعلام لا بد أن تصدر من إيمان بأن العروبة تتحرك فى إطار الإسلام ولا تنفك عنه لأنه هو الذى صنعها وأقامها وأعطاها مفهومها . فالإسلام هو منهج الحياة الذى تقوم عليه المجتمعات الإسلامية ، والعروبة هى القوة التى انتدبت لحمل لوائه إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وأن لا تجعل الإقليميات والعنصريات سبيلا للاستعلاء . فقد قضى الإسلام على الفوارق والعنصرية والقومية والوثنية . وأعلن أن الناس جميعاً لآدم وآدم من تراب ،

وأنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى . تلك الوحدة الإسلامية التي أقامها القرآن بالفكر ، والإسلام بالعقيدة هي المنطلق الجامع للعرب والترك والفرس والهنود ومختلف الأمم التي تدين بالتوحيد وتؤمن بلا إله إلا الله ، تلتقي كليا في أفق الوحدة الفكرية مقدمة للوحـــدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية الجامعية .

وفي إطار منهج القرآن الاجتماعي السياسي الاقتصادي . ومن منطلق الوحدة الجامعة الذي تلتقي فيه حلقات الوطن والعروبة والعقيدة الإسلامية تتحرك كل آفاق الفكر والعمل الإعلامي إلى بناء الإنسان المسلم العربي ليكون سيد الكون والمستخلف في الأرض بالحق ولتكون كلمة الله هي العليا .

وعلى الداعين إلى أسلمة الإعلام أن يحرروا (المؤسسات الخمس) مما دخل عليها في السنوات الأخيرة من رياح الماركسية والفرويدية والوجودية تحت تأثير غيبة المفهوم الإسلامي خلال سنوات الظلام التي سيطرت فيها محاولة تغريب العرب واحتوائهم وتغيير منابعهم ودفعهم إلى (العلمانية) و (الأممية) بقوة من أجل أن يفقد المسلمون والعرب ذاتيتهم وكيانهم الأصيل . . ولم يكن الاندفاع نحو التبعية الغربية بشقيها بمثابة إحساس بالنقص أو رغبة في الاستعلاء، ولكنه كان قصوراً ذاتياً عن التعرف على منابع الإصالة والضياء والنور الكاشف الرباني المصدر ، ولم يكن الاندفاع بالاسلوب الطبيعي للأمم حتى تستعرض ثقافات الأمم في ضوء أصولها وقيمها فتأخذ منها وتدع . وذلك أسلوب الأمم لاستكشاف فكر غيرها . ولكن التوجه إلى الفكر الغربي بنوعيه كان قائماً على نوع من القسر الشديد والتبعية الشديدة التي سدت الطريق أمام المفهوم الإسلامي ، وحال بينه وبين العطاء في نفس الوقت الذي أعطيت فيه إشارة المرور للفكر الوافد ليندفع بأقصى قوة لاحتلال منطقة الفراغ في النفس الإسلامية والعقل الإسلامي . فلا يدع للفهم الحقيقي لجوهر الأمور والأساسية سبيلا .

وكان الذين يحملون لواء التغريب يخدعون الناس أنهم يقدمون لهم مناهج

براقة لامعة كاذبة لم تستطع أن تحقق العدل أو الحرية أو السعادة لمجتمعاتهم وهى المنبعثة منها .. وما كان لها أن تعطى الغير وهى عاجزة أشد العجز عن تعطى أهلها . وما تزال بقايا الماركسية والفرويدية والوجودية قائمة فى زوايا النظم والبرامج والمسرحيات ، وفى أساليب الحوار والعرض وهى بتعارضها واضطرابها وصراعها قد أوجدت فى أفق الفكر الإسلامى : « سحابة سوداء » جديرة بأن تبدد أولا حتى يعود الطريق صالحا إلى الإصالة التى يطلقون عليها « أسلمة الإعلام » .

ولقد جددت الضربات الاستعمارية المتوالية فكرة الالتباس بالإقليمية الضيقة ، وإعلاء شأن النزعة الوطنية بامتدادها التاريخى — سواء بالفينيقية أو الفرعونية . فكان ذلك حجباً جديداً للطريق الأصيل ولقد كانت هذه أساساً من دعوى الدفاع عن الكيان أبان الاحتلال فاستغلها التغريب ليجعلها هدفا أساسياً ، وأدخل عليها دعوى الإقليم الضيقة بتعصبها وعزلتها عن التكامل الفكرى والاجتماعى التى تتمثل فى الترابط بين الوطن العربى الجزء وبين الأم الكلية : العالم الإسلامى وهو ترابط الفكر والاقتصاد والتراث والشريعة الإسلامية .

إن النقطة الخطيرة فى أسلمة الاعلام هى حماية شباب هذه الأمة من أن تدمره القوى الغازية التى تنفذ الآن إليه عن طريق الماركسية والوجودية والفرويدية فى صورة مناهج جامعيه وثقافية .. وفى صورة مسرحيات وأغانى وتمثيليات تريد أن تهدم القيم الاساسية لهذه الأمة فى نفوس هؤلاء وعقولهم وبناء مفاهيم أمتنا قائمة على التحرر من الالتزام الأخلاقى وقدسية الأسرة وكرامة الأبوة ورحمة الأخوة وتدمير المفاهيم التى أقامها الاسلام بالنسبة لعلاقات الرجل والمرأة زوجاً وأماً وأختاً وجيهة وزمالة فى إطار الكرامة والطهارة وأعزاز الامومة وإعلاء المرأة عن أن تكون أداة أو رغبة هوى . فإذا استطاع الاعلام فى طريقه إلى الاصاله أن يحقق ذلك أو بعضه فإنه يكون بذلك قد قدم للأمة الاسلامية قوة جديدة فى سبيل إعزاز مكانتها وحماية مقدراتها من ذلك

الإحتواء الخطير الذى تستهدفه اليوم أو غداً فى إطار الحركة الصهيونية التلمودية الخطيرة التى كشفت فى «بروتوكولات صهيون» عن أهدافها وغاياتها وعن الدور الذى تقوم به عن طريق وسائل الإعلام . أننا نتطلع إلى اختفاء الصورة العارية والـكلمة الجارحة والأغنية الفاجرة من أفق الإذاعات العربية والإسلامية جميعاً عودة إلى الإصالة والـكرامة والأخلاق التى بثها الإسلام فى هذه الأمة والتى مازالت هى المصدر الوحيد لنهضته .

الإسلام : ربيع البشرية

إذا كانت الحياة على وجه الأرض تتقلب بين ربيع وخريف . فإن البشرية نفسها تمر بمثل هذه المراحل ، وتتحول من مرحلة إلى مرحلة . وكذلك الأمم العربية والإسلامية تنتقل اليوم من شتاء الضعف وخريف التخلف إلى ربيع اليقظة ونضارة النهضة وشباب التقدم ، وقد واتتها أسباب القوة والنماء . ولا ريب أن البشرية كلها اليوم تتحرك إلى عصر جديد من التقدم الروحى والنفسى ، وتتطلع إلى أفق جديد تتمكن فيه من تحقيق الإخاء البشرى والعدل والرحمة : يمكن أن يطلق عليه « ربيع البشرية » ، ولا ريب أن عالمنا العربى والإسلامى يشارك فى هذا التقدم مشاركة فعلية اليوم ، بما يمتلك من وسائل القوة : من طاقة وتفوق بشرى (وقوة تكنولوجية هى فى أولى مراحل تكوينها ونموها) وقد فتح لها العاشر من رمضان الطريق واسعاً إلى هذا العصر الجديد : الذى هو بمثابة الربيع بعد خريف طويل ، وشتاء قاس منذ أن سيطر الاستعمار والنفوذ الأجنبى على بلادنا ومقدراتنا . ومنذ وقفنا والفلك الحير دائر ، ومنذ عجزنا عن أداء رسالتنا وتحمل مسئوليتنا كقوة أساسية ضخمة فى بناء هذا العالم ، ولقد قاوم العرب والمسلمون وجاهدوا وجالدوا قوى الاستعمار حتى استطاعوا أن يخرجوا إلى النور ، ويتقدموا لاقتعاد مكانهم مرة أخرى تحت الشمس ، وكانوا من قبل سادة العالم ، وهم الذين قدموا للبشرية « المنهج العلمى التجريبى » الذى تسلمته أوربا من المسلمين فى الأندلس ودفعت به الحضارة إلى الأمام . واليوم يتقدم العرب والمسلمون وهم يؤمنون بأن المبادىء والعقائد التى يملكونها قادرة على العطاء بما يؤهل البشرية لاستقبال ربيعها المونق والمزهر الذى يملأ الحياة الحياة بالعطر والدفء .

• يقول الاستاذ « ابل جونز » فى كتابه « البحث عن الحق » أن العصر

الحاضر بدأ ببحث عن الحق . بعد أن أثيرت فى السنوات الاخيرة أكاذيب كثيرة حول مستقبل البشرية وحول دور المسلمين والغرب فى الماضى ودورهم فى المستقبل . ويردد المؤلف قول هوسمان: أن أضعف الميول البشريه هو حب الحق ، ويقول أن الكثرة الكاثرة من العلماء لم يخلصوا الإخلاص التام فى طلب الحقائق الخاصة فكثيراً ما سيطرت عليهم أوهامهم وأهواؤهم ، وأعزتهم بالتشبث بوجهات نظرهم دون أن يستطيعوا التجرد فى البحث عن الحق ويتخلصوا من رق النزعات والميول والأهواء .

ويقول : إن العالم إذا فقد أخلاقياته فانه جدير بأن يكون مطعوناً فى علمه ، ويقول أنه بالرغم من أن فرنسيس بيكون هو موجد الطريقة الاستقرائية فى البحث عن الحقائق ، فقد عرف عن مجمل سيرته أن أخلاقه لم ترتفع إلى مستوى كفايته العقلية وأن له سقطات وعيوب أخذت عليه فى كتابه القانون الجديد الذى ألفه ليعارض طريقة أرسطو فى البحث عن الحقائق وتصحيح الاوهام الفكرية فى مذاهب البحث .

ويخلص المؤلف إلى القول بأن هناك عقبات أربع تحول دون سلامة المنهج الغربى فى الفكر والبحث ، وتضل عن الحقائق ، وهى عنده أربعة أوثان أولها : (أوثان القبيلة) وهو تصور الطبيعة على صورة لا برهان لها من التجربة والمشاهدة .

والثانى : (أوثان الكهف) وهى تمثل أوثان الفرد نفسه وأوهام بيئته .

والثالث : (أوثان السوق) وهى التى تنتشر باختلاطه بغيره من الناس .

والرابع : (أوثان المسرح) وهى النظريات المضللة والمبادىء الزائفة ، والافكار الخاصة التى تسرى إلى عقول الناس .

ويقول : هذه الطوائف من الاوثان تحجب الإنسان عن رؤية الحق وأن الاقتراب من الحقائق يتطلب أن يتخلص الإنسان من رق أفكاره السابقة ومعتقداته القديمة ، وأن أوجه كثيرة من الاكاذيب تعترض طريق الباحث

عن الحق ، تقوم على الإخفاء والانتقاص والمبالغة والتهويل وعدم الأمانة والإخلاص أو قصور فى التفكير البشرى ذاته ، فضلا عن دعايات السياسة وأكاذيب الحروب وأكاذيب الإعلام ، وتعصب أصحاب المذاهب والعقائد وأن هناك كثيراً من الناس يعتقدون أنهم يدافعون عن الحق وهم فى الواقع يدافعون عن مذهب راقهم أو قصة اجتذبتهم ، أو اتجاه إمتلك عليهم عواطفهم وأن الولاء للمذاهب هو من الأشياء الخطيرة التى تقيم العقبات فى سبيل البحث عن الحق ، وقد يكون للمذهب قيمته وشأنه ، ولكنه فى الوقت نفسه لا يتمكن من رؤية جميع أوجه الحق . . .

هذا موجز ما قصد إليه الكاتب الغربى « ابل جونز » ، على نحو يمثل مع كتابات بعض كتاب آخرين سبقت فى هذا الطريق شهادة صادقة للعصر والحضارة والعالم فى هذه المرحلة من حياته ، ويرجع ذلك إلى مدى الرأى من سلامة المنهج الغربى فى الفكر وموقفه من البشرية ومن غير الغربيين تحت لواء دعوات سيادة الرجل الأبيض والأمم الملونة التى يرى النفوذ الأجنبى أنه له حق السيطرة عليها واعتصار ثرواتها . وقد أصبح ذلك كله اليوم موضع النقد الشديد .

وقد صدر كتاب جديد فى أوربا تحت عنوان « أوربا ودورها فى شقاء العالم » بقلم الكاتب السويدى « جان ميردال » ، والكتاب يكشف فى صراحة ووضوح الواقع الاستعمارى الأليم الذى قامت به أوربا حين بسطت نفوذها على البلاد ذات الموارد ، وكيف اعتصرت هذه الثروات وسبحت فى النعيم . بينما تركت أهل تلك الموارد فى فقر شديد ، ويشير المؤلف إلى اتهامات أوربا لهذه البلاد بأنها متأخرة ، وبأنها من شعوب ملونة ، وبأنها لا تستحق الحرية ويشيد بدور الغرب الكاذب فى تمدين البشرية حيث لم يعمل على تمدين هذه الشعوب . وإنما قدم لها فتات موائده وإنتاجه الاستهلاكى ، بينما حجب عنها عناصر التقدم الحقيقية وفى مقدمتها التكنولوجيا .

ونحن حين نقرأ مثل هذه المؤلفات نذكر أن صوت الحق لا بد أن يدوى ،

وأنه لا بد أن يأتى اليوم الذى يعرف الغرب لعالم الإسلام والعرب والشرق مكانه ودوره ، وإن يتأخر ذلك الأمر كثيراً .

* * *

ولقد ظهرت فى السنوات الأخيرة بحوث كثيرة منصفة لحضارة الإسلام منها كتاب الدكتورة سجريد هونكه « شمس الله تشرق على الغرب » الذى أحدث ضجة كبرى وكشف عن مدى قيمة المعطيات التى قدمها المسلمون للحضارة البشرية ، ومن قبل ذلك كشف علماء التكنولوجيا والطبيعة من أمثال : درابر وبريفولت وسارطون عن دور المسلمين فى بناء الحضارة . واليوم يصدر كتاب جديد للكاتب الألمانى « هاينزجوليكر » تحت عنوان مثير هو : « أوربا ولدت فى آسيا » . . يتحدث فيه عن المعطيات الإسلامية العربية التى كانت مصدر الحضارة الحديثة على النحو الذى يؤكده المؤلف بأنه لولا آسيا العربية الإسلامية لما كانت لأوربا الحضارة الغربية الحديثة التى تزدهى بها على العالم كله ، والتى ما زالت تتعالى على العالم بدورها فى هذه الحضارة .

ومما يقول المؤلف : إن إنجازات العلماء العرب فى العصور الوسطى ربما تكون قد أنقذت أوربا من الأوبئة خلال الجزء الأكبر من تلك العصور . وأشار المؤلف إلى أن العلماء العرب هم الذين اكتشفوا البذور الأولى من المضادات الحيوية . فضلا عن عدسات الرؤية وأدخلوها إلى أوربا لأول مرة فى نهاية القرن الثالث عشر (السابع الهجرى) على شكل مسطح ومحدب ، وأثبتت فائدتها فيما تحقق لعدد من كشوف الفضاء . وقد تردد فى الأسبوع الثقافى الألمانى الذى عقد فى أوربا فى العام الماضى مثل — ما أشارت إليه « الهلال » فى وقته .

ومعنى هذا أن هناك ظاهرتين واضحتين اليوم فى أفق الفكر البشرى العالمى .
الأولى — تحاول أن تصحح وضع الحضارة الغربية فى الاستعلاء على الأمم

الأخرى ذات الحضارات القديمة . وفى مقدمتها العرب والمسلمون الذين قدموا للبشرية المنهج العلمي التجريبي . الذى هو بمثابة الطابق الأول للحضارة العالمية الحديثة .

الثانية — الاعتراف بالدور الذى قام به العرب والمسلمون فى بناء البشرية والدور الذى هم الآن مؤهلون لأدائه : وقد توالى البحث حول هذا الدور ومداه وأثره بعد انتصارات العاشر من رمضان التى غيرت النظرة الغربية والبشرية كلها إزاء المسلمين والعرب .

ومن هنا نرى ذلك السيل من المؤلفات الغربية التى تحاول أن تستكشف ما يسمونه العقلية العربية ، وما يحمل المستقبل لهم من دور فى الحضارة .

ومن ذلك ما كتبه أحد الباحثين الغربيين تحت عنوان : العرب قوة جديدة واعتزاز بالنفس . ويقول : إن الزمن قد تغير فجأة ، وعلى غير انتظار تبدلت نظرة العالم إلى العرب بعد طول معاملة لهم على أنهم دول متخلفة . فلأول مرة منذ زحفت جيوش الإسلام من الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى لنشر رسالة محمد فى العالم : قد تمكن العرب من تحقيق سلسلة من الاعمال الناجحة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً .

وقد استعاد الكبرياء العربى ثقله القديم وتفجرت قدرات الخلق الفنى والادبى فى كل بلاد العرب : ولقد رسم الاوربى صورة مشوهة للإنسان العربى تعطيه صفات البدائى الهمجى غير المتحضر . هذه النظرية ترجع أساساً إلى العصور القديمة عندما وصلت الجيوش العربية إلى أوربا . وفتح الاوربيون أعينهم على جندى غريب أثار الخوف فى نفوسهم وشعروا مع قدومه بما يمثله من خطر على تقاليدهم . إن هذا الجندى نفسه هو الذى حمل معه إلى أوربا « العلم » الذى كان العرب سباقين إلى كشف أسراره . العربى يتسم بصفتين : تأكيد الذات والانتماء للجماعة (الاسرة والدين والامة) والكرم ضارب بجذوره فى طبيعة العربى وجاءت حرب أكتوبر تضيف إلى العربى سمات جديدة بما أحدثه من تأثيرات على شخصياته .

والسؤال المطروح فى الغرب الآن : هو كيف سيستخدم العرب قوتهم الهائلة الجديدة ؟ ولا ريب أن اقتحام جيوش مصر حصون إسرائيل عبر الجيش الإسرائيلى الذى تجاوزت غطرسته كل حد ، واستطاعت أن تضرب تفوق الصهيونية السابق ، وكذلك فقد وضع أقدام العرب على عتبات الطريق نحو مستقبل مشرق ، والعرب ملتزمون بمواصلة نضالهم فى سبيل التحرر الكامل .

هذا ما أشار إليه الباحث الغربى . وهناك عشرات من الكتب فى هذا المعنى وحوله تعترف بمكان العرب والمسلمين فى عالم اليوم وهم يملكون القوى الثلاث : « الطاقة والتفوق البشرى ، والتكنولوجيا .

• • •

لقد خرج العرب والمسلمون من مرحلة الاستعمار إلى مرحلة الرشد الفكرى والإجتماعى واستعادة مكانتهم فى العالم على طريقتهم الاصيلة : القائمة على السلام والرحمة والإخاء البشرى . فهم ليسوا طلاب سيطرة ، ولا يرغبون فى تفوق عنصرى أو استعلاء بالقدرة المالية أو غيرها . وإنما هم يؤمنون بأن يعطوا ويأخذوا فى معادلة سليمة بعيداً عن كل مفاهيم الفكر الاستعمارى أو العنصرى ، وهم يواجهون الآن تحديات خطيرة تتمثل فى الصهيونية العالمية التى مازالت تسيطر على أجزاء من بلادهم ، والتى تعمل عن طريق المذاهب والايدلوجيات المختلفة لتدمير شخصيتهم التى كانت العاصم لهم خـــلال معركتهم الطويلة مع الاستعمار والنفوذ الاجنبى .

واليوم والعرب يستشرفون هـذه المرحلة الجديدة من حياتهم على طريق القوة والنهضة فإنهم يعلمون أن القدرات المادية التى فى أيديهم لن تحولهم عن وجودهم الذاتى وكيانهم الخاص ، وطابعهم الذى صنعته لهم مواريثهم وعقائدهم وقيمهم الاساسية ، وخاصة إلتزامهم الاخلاقى الذى يصبغ كل برامج حياتهم السياسية والاجتماعية والقانونية والاقتصادية والتربوية ، وهم بفضل هذا المفهوم

الحكيم السليم قادرون على نقل مستحدثات العلم والتقدم والحضارة المادية لتكون مواداً خاماً يصوغونها داخل إطار فكرهم وقيمهم. وبذلك يستعيدون مكانهم بين الامم ، مقدمين للحضارة إضافات جديدة أهمها أخلاقية الحضارة وطابعها القائم على الرحمة والإخاء .

إن أخطر ما واجه الحضارة الغربية الحديثة وأسلمها إلى الأزمة الخانقة والصراع بين القوى مع ما امتلكته من أسباب التقدم المادى . هو أنها كسرت الإطار الدينى الأخلاقى الذى هو الحاجز الحامى لكل نهضة من التعثر والتصدع . ثم مضت تواجه الحياة بغير سناد يحمى ظهرها ، أو نور يضىء طريقها ، وبذلك وقعت فى أسر ذلك التناقض الذى أشار إليه مؤلف كتاب البحث عن الحق كما أشرنا فى مقدمة هذا البحث ، لقد حال ذلك الفصل بين الروح والمادة والعلم والدين والعقل والنفس إلى تلك الأزمة الخانقة التى أكدت أهواء النفس وتغليب الترف والملذات والشهوات فانتهت بها إلى ما يسمى الآن «أزمة الإنسان الحديث» وصراعه وتمزقه وغربته وضياعه . كل هذا الذى قاساه ويقاسيه من أهوال نفسية بالرغم من وفرة العطاء المادى والحضارى على أعلى مستويات الرفاهية والترف . ويرجع هذا كله إلى غيبة المعنويات وتجاهل أشواق الروح بما أدى إلى تصدع النفس وتمزق الكيان الإنسان وفقدان الهوية والهدف وفهم أمانة الإنسان فى هذه الحياة ورسالته وغايته والمصير الذى ينتظر البشرية كلها .

والعرب والمسلمون حين يأخذون دورهم فى استعادة مكانهم وهم يمتلكون اليوم أدوات الحضارة الحديثة ، ومعطيات التكنولوجيا العلمية والميكانيكية ، يبدءون من نقطة الأخلاق والقيم ، فيضعون هـــذه المعطيات كلها فى داخلها فى سبيل إلى العمل للبشرية كلها ولرفع شعار الإخاء الإنسانى والعدل والرحمة باعتبارها من معطيات الأديان الإنسانيـة وليجعلوا من هذا كله إطاراً يتحركون فيه .

فيخضعون العلم الأخلاق والتقوى : وبذلك يحققون إرادة الله فى بناء

المجتمع الإنسانى الحق الذى تتطلع إليه الانسانية وترى فيه ربيعها المونق . بعد ذلك الخريف والشتاء الطويلين ، وبعد عصور الظلم والاستعباد التى عاشتها الشعوب العربية الاسلامية تحت سلطان النفوذ الاستعمارى والصهيونى . ولاريب فى أن العرب والمسلمين مؤهلون لتقديم هذا الزاد المعنوى والروحى والأخلاقى للبشرية اليوم . وهذا هو أملها الوحيد والأخير .

فهل البشرية اليوم فى طريقها إلى ربيعها المونق المزهر الذى يملأ الحياة بالعطر والدفء والنور . ؟ . . نرجو

العوده إلى المنابع

العودة إلى المنابع : هى صيحة المسلمين فى كل أزمة وكلما ادلهمت الأحداث وأحاطت بهم الأزمات . لقد كانت دعوة الغزالى وابن حنبل وابن حزم وابن القيم وابن عبد الوهاب وما تزال ، دعوة كل المصلحين .

لا بد من حضانة من فكر إسلامى يحول دون سيطرة أى فكر غريب كما يحول دون الانبهار بأى فكر وافد يهز ببريقه بعض النفوس البسيطة ولا بد من إعتماد منهج المدرسة القرآنية التى تعتمد على القرآن والسنة : والقائمة على التربية وبناء الفرد المسلم ، لقد كانت مدرسة اليقظة الإسلامية تعتمد المنطق والفلسفة وأسلوب الكلام فى بعض مراحلها ولما لم يحقق ذلك شيئاً ذا بال ، فقد برزت المدرسة القرآنية القائمة على الأصالة ، تماماً كما حدث فى عصر الترجمة الأول . ولقد أثبتت المدرسة القرآنية أنها أكثر عمقاً وأصالة ، فقد حمل لوائها دعاة أبرار ألتمسوا منهج الفكر وأسلوب الرد والجدل من القرآن نفسه وقالوا : أن القرآن هو الأصل الأصيل للفكر الإسلامى فإنه يستطيع أن يقدم الإجابة الحاسمة ويدحض الشبهة الزائفة .

ولقد هزمت النظريات الفلسفية والأفكار المتحدة والوثنية كثيراً من الديانات والملل والنحل بعد أن غزتها فى عقر دارها ولكنها وقفت حائرة أمام الإسلام ، فلم تستطيع صرف أبنائه عنه رغم أساليب القهر والعنف ، فبقى فى معاقله كالطود الشامخ ذلك لانه إستعصم بالاصالة والمنابع الاولى .

كذلك رفض الإسلام « التطور » على حساب « الاصالة » ورفض « التقدم » على حساب الجذور والقيم الإسلامية ، كما رفض تضحية القيم العليا فى سبيل التقدم المادى ولم يخضع الاسلام مفاهيمه للحضارات وأهواء الامم .

ذلك أنه ليس فى المناهج والدعوات أو الايدلوجيات المطروحة من شيء إلا وعند المسلمين فى ميراثهم وتراثهم مثله أو خير منه ، وهو فى الغرب مقطوع الصلة بالله ولكنه فى الاسلام متصل الحلقات . هو فى الغرب انشطارى ولكنه فى الاسلام جامع متكامل ،

أن المحاولات التى ترمى إلى استقطاب المسلمين واحتوائهم فى إطار الحضارة الغربية — التى تمر بمرحلة الازمة والتمزق — والتى يصرخ أهلها طالبين التحرر منها محاولات باطلة غاشمة زائفة . لقد كان موقف الاسلام على مدى تاريخه وحياته واضحاً أنه لا يحتوى ولا ينصهر ولا يبرر الواقع الفاسد ولا يؤول لخدمة الحضارة الزائفة .

أن الاسلام برىء مما وصل إليه المسلمون فى عصورهم المتأخرة من تخلف وإنما يرجع التخلف إلى تدهور أخلاق المسلمين وبناء حياتهم على هامش العقيدة التى هى عصمة الامر كله ، وبعيداً عن تحذيراته التى هى صمام أمن المجتمعات ومن هذا استطاع خصومهم أن يلجوا عليهم ديارهم ويستعمروا أرضهم ويسلبوهم أعز ما يملكون .

أن الحركات المناهضة للإسلام لم تنل من المسلمين إلا حين تراخت قبضة قاده المسلمين عن تطبيق شريعتهم والتهاون فى حماية الثغور والمرابطة فيها والحذر من العدو والاعداد العدة لمواجهته .

أن القيم الاسلامية الاساسية ثابتة راسخة ربانية رسمها خالق الكون العليم بطبائع الناس لان مفاهيمها الحضارية والفكرية تلتمس الفطرة ودورة الافلاك فهى منزهة عن التناقض والالتباس قادرة على مواجهة مختلف العصور والبيئات . وهى فى ثبات أصولها قادرة على التفتح على مجالات الحركة والتطور وقابلة التقدم والنهوض . وهى فى غايتها ربانية خالصة تقصد وجه الله وتستهدف تحقيق المجتمع الربانى فى الارض ومن هنا فهى لا تقر مفهوم العلم للعلم أو البطولة للبطولة أو الكرم للكرم ولكنها تجعل العلم والبطولة والكرم ، السنة الجامعه ، هى

البوتقة الناصعة التى انصهرت فيها كل الثقافات والنحل والدعوات موجهة إلى الله تبارك وتعالى ولقد واجهت مفاهم الفكر الوافد التى طرحت فى فلك الفكر الاسلامى فاستصفتها وحررتها من شبهاتها وأخذت عصارتها الطيبة فضمتها إلى كيانها ، فالسنة هى النهر الكبير ، والمذاهب والفرق روافد ، والتقت « السنة » بالكلام كما التقت بالتصوف والتشيع ، ولكنها صهرت خير ما فى ذلك كله فى مضمونها الجامع الاصيل الذى يستمد حقيقته ووجوده من الفهم النبوى للقرآن ولا يزال مفهوم الاسلام الاصيل (وسيظل) عائقاً خطيراً أو حاجزاً هاماً ضد نشر ضلالات التقدميين الذين يريدون أن يخدعوا الناس بالاقتناع بزيف قولهم عن الاسلام من أن وظيفته ليست حياتية أو أن أحكامه وتشريعاته لم تبق صالحة للعصر ولا منسجمة مع التطور الذى حدث فى العالم وأنها نزلت فى مجتمع بدائى وأدت مهمتها ، فإن ما يدحض هذا القول أن منهج الاسلام هو منهج ربانى صالح للبشرية فى جميع مراحلها وليس كمناهجهم ونظرياتهم البشرية التى لا تستطيـــع أن تجاوز عصرها أو بيئتها والتى سرعان ما تفسد وتحتاج إلى الترميم بالاضافة والحذف ، ذلك أنه من صنع العلى الخبير المحيط بالامم والعصور والازمان .

إن أبرز مفاهيم الاسلام : هو التكامل بين أعماق القلب ومجرى الفكر وإقامة مبدأ التعاون الذى هو أبرز وأكثر أصالة من مبدأ الصراع وذلك بناء على ما قرره الاسلام وكشفت عنه الابحاث العملية من أنه ليس بين الانسان والطبيعة صراع ولكنها بينهما تكامل ، ولذلك فنحن لا نقر عبارة صراع الاجيال ونؤمن بلقاء الاجيال .

لقد دعا الاسلام إلى ثلاث مقررات أساسية عالمية .

الاخاء الانسانى ووحدة البشرية ووحدة الدين .

كما حطم الاسلام عبودية الانسان للإنسان وعبودية الاوثان .

لقد كان من الخطأ وصف الاسلام بأنه ثورة ضمن الثورات الجديدة التى قام

بها الانسان على مدى التاريخ فهل الاسلام ثورة تمر بمراحل عديدة إلى أن تستقر ثم تتجدد وتتبدل ، وهل الاسلام ظاهرة مرتبطة بعصر أو بيئة أو أنه جاء رداً على ظروف اجتماعية فى القرن السابع الميلادى كما يقول بعض الباحثين .

الحق أن الاسلام ليس مذهباً ولا نظرية ولا أيدلوجية بشرية ولا دين أمة ، ومن ثم فإن صفة « الثورة » لا تنطبق عليه ، وإنما هو « ظاهرة » ربانية جاءت فى وقتها الذى حددته إرادة الله لنقل البشرية من الطفولة إلى رشد الانسانية ولذلك فهو ليس خاضعاً لمفهوم التفسير المادى للتاريخ أو مفاهيم الشهوات أو الجبرية الاجتماعية التى وصفت بها الأيدلوجيات التى صنعها البشر والتى عجزت عن الاستمرار ما لم يدخل إليها تعديل بعد تعديل كما عجزت عن العطاء الروحى أو النفسى للبشرية .

وتركتها تسقط فى صراع الطبقات أو أزمة الغربة والتمزق النفسى .

ما تزال تواجه « المجتمع الاسلامى » تحديات كبيرة نتيجة حركات التغريب والتبشير والاستشراق ، وحركات الماسونية والروتارى وهذه المنظمات المشبوهة التى قامت لأحداث الانشقاق والانحلال بين الشعوب الاسلامية ، وهى من أتباع الاستعمار وقد قامت على المدى الطويل بإفساد التعاليم الاسلامية والمصادر الاسلامية وإثارة الشبهات حولها .

ولا ريب أن هناك ثلاث تحديات خطيرة تواجه المجتمع الاسلامى على طول أرض الاسلام من المعتقد أنها جوهر المسؤولية التى يحملها المثقفون المسلمون فى مطالع القرن الخامس عشر ، وعليهم أن يفرغوا لها الجهد والوقت والعزيمة .

- تطبيق الشريعة الاسلامية فى المجتمعات الاسلامية التى يقوم العمل فيها على أساس القانون الوضعى والتى تطبق جزئيات من الشريعة الاسلامية .

- بناء الاقتصاد الاسلامى بديلا للإقتصاد الوافد الذى يقوم على مفاهيم امبراطورية الربا اليهودية صانعة نظام المصارف والفوائد والاقتصاد السياسى .

• بناء الشباب الجديد على أساس التربية الإسلامية الجامعة بين الروح والعقل والجسم من أجل دعم الأسرة وتأكيد ذاتية الشخصية الإسلامية وبناء روح الأخلاق والعقيدة وسلامة السلوك الاجتماعى . ولا ريب أن التيارات الوافدة والمؤثرات الأجنبية تعمل فى ميدانين :

١ — تدمير الأسرة والمجتمع الإسلامى بإذاعة الفساد والإهمال والتحلل والترف والإباحية ،

٢ — إفساد العقل الإسلامى والنفس الإسلامية بإذاعة المفاهيم الباطنية والشعوبية والمادية والوطنية القديمة ونشر الالحاد ، ولقد دفع الاستعمار الفكر الشيوعى والمادى والوثنى والإباحى والتلمودى إلى أرض الاسلام تحت أسماء كثيرة . تحت اسم الفكر الحر وتحت اسم البهائية وتحت اسم الماسونية (الروتارى) وتحت اسم العلمانية .

وقد وقف الاسلام موقف المعارضة والمقاومة والمواجهة أمام كل هذه التيارات الأجنبية غنوص الشرق فارسياً وهندياً وغنوص الغرب (الأفلاطونية المحدثة) وكذلك مذاهب الشيوعية والليبرالية والقومية الضيقة والوجودية) بجالدها أشد مجالدة ويجاهدها أعنف جهاد .

ولا ريب أن إلتماس مفهوم الاسلام فى مجال الأدب والتاريخ والحضارة والمجتمع يغير النظرة إلى أشياء كثيرة ويكشف زيوفاً كثيرة ويحطم مسلمات قائمة جذرية (قامت بالباطل والزيف) ليست لها حقيقة أساسية أو أصالة لقد استطاع التغريبيون والشعوبيون ودعاة الغزو الفكرى خلال أكثر من خمسين سنة طرح كثير من المفاهيم المسمومة عن طريق الصحافة فهى فى حاجة إلى تصحيحها . خاصة ما اتصل منها بالدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد وأتاتورك وغاندى والفرعونية والقصة والمسرح واللغة العربية والقانون الوضعى . أن

« الحداثة » وحدها لا تستطيع أن تقدم شيئاً ذا بال أو إضافة بنائه صحيحة إذا لم تكن مرتبطة « بالأصالة » وبوجود الأمة وحقيقة رسالتها وهدفها وأن التطلع إلى التقدم العلمى والتكنولوجى لن يكون له فائدة إيجابية إذا لم تصدر عن إيمان ببناء الأمة وأن تتحرك داخل إطار فكرها وقيمها ، كذلك فإن الحوار مع الفكر العالمى يجب أن يتم فى داخل إطار « الأمانة » التى تحمل لواءها (الأمة الاسلامية) للبشرية كلها دفعاً إياها إلى الحق وحجزاً لها عن الشر :

أن مهمة الكاتب المسلم تتلخص فى إضاءة الطريق أمام الانسانية لتعرف ربها ولتعرف طريق الخلق إلى الحق وفقاً لتوجيه الرسول صلوات الله عليه « اللهم اجعلنا هادين مهتدين ، لا ضالين ولا مضلين . عوناً لأوليائك حرباً لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ونعادى بعدوانك من خالفك » وألا يكون الكاتب المسلم ممن ينطبق عليه صفة الضالين : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً » وقد رأينا هؤلاء الكتاب وقد حلت بهم سنة الله وهم أحياء ، فأخزاهم الله فى الدنيا ولهم فى الآخرة لواء غدر ، يوم ينصب لكل غادر لواء .

على الكاتب المسلم أن يعطى قراءه ما يحتاجون إليه وليس قصاراه أن يعطيهم ما يرغبون فيه ، عليه أن يرفعهم لا أن يهبط بهم ، وعلى الذى ارتفع أن لا يهبط وعلى الذى هبط أن يرتفع ويعاب عليه أن يبقى حيث كان . وعلى دعاة الفكر الاسلامى ألا يبقوا بمعزل عن التيارات والايديولوجيات وإدراك حقائقها وما ترمى إليه ، ذلك لأن دعاة الفكر المادى يبذلون أقصى ما يستطيعون لتركيز سمومهم فى طلائع الشباب المسلم المثقف موهمين إياهم أن طريقهم ومبادئهم هى وحدها الكفيلة بتحقيق ما تطمح إليه الشعوب ، وعلى المثقفين المسلمين أن يحذروا من « الالتباس » الذى يثيره التفريق بين القوى المتقابلة أو المتكاملة أو المتماثلة : كالروح والمادة والدنيا والآخرة ، والعروبة والاسلام .

على الكاتب المسلم أن يوجه المثقف المسلم إلى النظر إلى ما وراء النصوص

والكلمات ، إلى أبعاد القضايا وخلفياتها ، وإلى ترابطها ، وإن لم يكن ذلك ظاهراً على سطح الأحداث .

وعلى الكاتب المسلم أن لا يعكس قيم عصره فيكون مبرراً للواقع الفاسد ، وإنما عليه أن ينقل مجتمعه من الشر إلى الخير ومن الباطل إلى الحق ومن الظلم إلى العدل وأن يفتح الطريق أمام أهل عصره إلى القيم ، وأن يربط بين واقعهم وبين المثل الأعلى ، وأن ينقلهم من الصورة القائمة فى المجتمعات المعاصرة إلى المفهوم الاسمى الذى يحقق إرادة الله تبارك وتعالى فى الأرض ببناء المجتمع الربانى . على الكاتب المسلم أن ينقل البشرية إلى الانسانية ، وإلى قيم الأصالة التى حجبتها المادية والوثنية والتقاليد وانحرافات الأجيال .

أن كثيراً من الكتاب يفخرون بأنهم يعكسون قيم عصرهم وهؤلاء ليسوا فى الحقيقة إلا اتباع وأولياء وعبيد ، أما المفكر المسلم فهو القادر أن ينقل مجتمعه من الواقع إلى المثال ، ومن المادة إلى القيم ، ومن المادية والوثنية وأهواء النفس إلى التكامل الجامع ، والتوحيد والحق المبين ، أن المفكر المسلم لا يقر دعوة الأغانى الخليعة والأفلام الاباحية إلى عبادة الحياة ولكنه يدعو إلى تذليل الحياة والناس إلى عبادة الله تبارك وتعالى .

أن الأزمة النفسية التى يمر بها الشباب المسلم ، إنما ترجع إلى غياب الطابع الدينى والروحى والمعنوى وإلى غلبة المفاهيم المادية التى تجر أهواء النفس وراءها حتى تحجبها عن القيم والمثل والأخلاق وتحمل صاحبها على أن يلتمس وسيلة لتحقيق الهدف المادى وحده ، ولو على حساب القيم والمثل إن أخطر ما يحاول التغريب والغزو الثقافى إقراره فى الشعور الإسلامى هو الانعزال عن النظر فى خلفيات الأمور ، فهو يستهدف تضييق دائرة الفكر وقصر النظر دون معرفة البواعث ، وقد تبين أن من خلف المخططات التى تواجه الشباب المسلم قوى وتنظيمات يجب كشفها ودحض شبهاتها . فليحذر شبابنا المثقف كتب

الاحاجى وأحداث الاجرام والقتل وقصص العرافين والسحرة وقصص الحب والهيام مما يثير رغبة العامة ليدفعهم إلى اقترافها .

وفارق بين المسلم الربانى صاحب الرسالة وبين أى إنسان آخر لا يرى إلا ما تحت قدميه ، حيث يقنع بلقمة طيبة أو مركبا فارها ، أما المسلم الربانى فهو فى سباق مع الزمن لا يشغله شىء عن ربه ودينه ، تسمو مطامحه إلى الآمال الكبيرة ولا يتوقف عند المطامع الصغيرة ، يرى الآفاق الواسعه ويتطلع إلى الآفاق البعيدة .

وعلى الشباب المسلم أن يتبين الفارق العميق بين حكم العقل وحكم الهوى فى مواجهة أى أمر من الأمور .

لقد حاول الإسلام أن يحطم قاعدة حكم المزاج ذى الظن والهوى للإنسان تحت اسم المبررات العقلية والمنطقية ، ان الله تبارك وتعالى لم يهب الإنسان العقل ليتمكن به من تبرير الاسباب واختلاق العلل لما يريد عمله ، وإنما ليكون مهتدياً بنور الوحى يحل حلاله ويحرم حرامه ، وليحكم شرعة الله فى كل الامور ، والتماس حدود الله فى كل المواقف وإقامة ضوابط المجتمع التى تجعل المسلم : فرداً وأسرة وجماعة على طريق الاصالة . على طريق العزائم والإرادة الصلبة القادرة على المقاومة والتغيير ، على الصراط المستقيم ، على الشباب المسلم أن يعلم أن « العمر » : هو رحلة سفر الانسان إلى الله تبارك وتعالى فليحاول أن يستفيد منها لحظة لحظة ، فالوقت هو الحياة ، وان علامة أعراض الله تبارك وتعالى عن العبد هو اشتغاله بما لا يعنيه من لهو الحديث ، أو أهواء النفس ، وأن امرؤ ذهبت ساعة من عمره فى غير ما خلق له من العمل الصالح لجدير بأن تطول حسرته . وعلى الشباب المسلم أن لا يستسلم لاهواء النفس . وليجعل الايمان حاجزاً بينه وبين الشر ، ويجعل التقوى حامية له من الافراط والتفريط .

وأهم ما دعا إليه الاسلام : عزم الامور وتزكية النفس .

والضعيف فى الاسلام أمير الركب .

وعلى المسلم أن يطابق بين الكلمة والسلوك .

وأبرز معطيات الاسلام : الايجابية المتفائلة برحمة الله .

وقد جعل الاسلام ضوابطه مستهدفة عدم استهلاك الانسان لطاقاته الجسدية والمادية وذلك بالعمل على القصد لا الاسراف .

وتقوم الغاية فى الاســلام على فكرة التقوى والبذل بينما تقوم الغاية فى الفكر الوثنى على الرفاهية : هذه الرفاهية الجشعة التى تتعارض مع الرحمة والبذل والفداء .

إصالة التراث الإسلامى

تستطرد فى السنوات الأخيرة دعوات حول التراث الإسلامى تحاول أن تزيف جوانبه الإيجابية وتعلى من شأن جوانبه السلبية وتدعو إلى الانتقائية وتحاول أن تفسره تفسيراً مادياً أو تفسيراً إقتصادياً أو روحياً، وهى فى هذا كله تخضع التراث الإسلامى لمناهج غير مناهجه وتتحكم فيه تحكماً يخرجه عن حقيقته وجوهره.

١ — والواقع أن التراث الإسلامى لا يدرس ولا يحلل إلا فى إطار الإسلام نفسه ويقتضى التفرقة فيه بين الأصل للسيادى الذى جاء به الوحى وما يتصل به من السيرة والسنة التى صدرت عن الرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره المبلغ المعصوم، وبين اجتهادات العلماء والفقهاء والمفسرين فى جوانب التراث المختلفة التى يمكن أن توصف بأنها استجابات للعصور والبيئات المختلفة.

٢ — كذلك فهناك ذلك الحوار الذى جرى بعد ترجمة الفلسفة اليونانية بين مفهوم السنة الجامع وبين الاتجاهات الكلامية والاعتزالية والفلسفية والصوفية التى جرت فى سبل مختلفة وخضعت فى مراحل منها للفكر الهلينى ثم استصفاها المفهوم الجامع وتحرر من تبعة الفلسفات الوافد.

٣ — وفى مرحلتين من مراحل تاريخ الفكر الإسلامى استعلى شأن الاعتزال ثمة وثم استعلى شأن التصوف الفلسفى، ولم يكن هذا الاستعلاء بالحق، بل كان انحرافاً عن مفهوم الاسلام الجامع المتكامل بين عقلانية الاعتزال ووجدانية التصوف الفلسفى، ولقد صفى الفكر الاسلامى هذه المرحلة بكتابات الأئمة الغزالى وابن تيمية وابن القيم من بعد حتى أنه لا يمكن

استعراضها إلا فى ظل هذا الحوار الجامع وبحيث لا يمكن القول بأن أحد هذه الفروع الثلاثة يمكن أن يمثل وحده مفهوم الاسلام .

٤ — كذلك فإن تراث الأجيال المتأخرة وخاصة ما يتصل منه بالحواشى والمتون على الكتب القديمة فإنه ينظر إليه فى ضوء تحديات عصره ، وكل ما يتصل بالتجميعات التى قام بها المفكرون المسلمون بعد حمله التتار على بغداد وبعد الحروب الصليبية .

ذلك أنه من خلال هذه المراحل والمواقف يجىء طلاب الشبهات فيثيرون مسألة أو قضية أو يحاولوا تصوير الاسلام من خلال بعض هذه الآثار ، ولكن النظرة الصحيحة للتراث يجب أن تكون سليمة الاتجاه بأن التراث الاسلامى الصائب هو ما كان متصلاً بالـ[illegible]ـج الاسلامية وقريباً من عهد الرسول وكان محرراً من تلك المحاورات التى كان للفكر اليونانى أثره فيها .

وأننا لنجد اليوم من يدعو إلى (تجديد الفكر العربى) بإعلاء دور الفلسفة (الفارابى وابن سينا) أو إعلاء الفكر الباطنى (ابن الراوندى ورسائل إخوان الصفا) وهى من مفاهيم الحلول والاتحاد ووحدة الوجود وغيرها وكل هذا الفكر فى صوره المختلفة لا يمثل التراث الاسلامى الأصيل ، وإنما هو من الفكر الدخيل الوافد الذى نقلته الترجمات الفارسية والوثنية واليونانية والمجوسية والباطنية .

وقد قاوم الفكر الاسلامى فى عديد من أبحاث رجال الاعلام هذه الشبهات والسموم وكشف عن زيفها وانحرافها عن مفهوم التوحيد الخالص .

هذه الجوانب البناءة هى التى تمثل أصالة التراث الاسلامى وهى وحدها التى يجب تجديدها وأحيائها لتكون قوة متجددة للفكر الاسلامى الحديث ، أما تلك الجوانب السلبية المنحرفة التى شجبها مفكرو الاسلام من قبل فإنها ليست جديرة بالأحياء والانبعاث ، أما هؤلاء الذين يحاولون أحيائها فهم دعاة التغريب والغزو الثقافى متابعين فيها هدف الاستشراق الغربى الذى يثير شبهة ترمى إلى القول

بأن هناك أثراً للفكر الهلينى فى الفكر الاسلامى يمكن أن يكون سبيلا إلى القول بأن للفكر الغربى المعاصر أثراً فى الفكر الاسلامى الحديث .

ولقد آثار الكثيرون فكرة « التقوقع حول التراث » وينتقدون المسلمين فى هذا الأمر ، بينما يكشف هذا عن أصالة جديرة بالاعجاب . ذلك أن المسلمين قد اعتصموا حول تراثهم حين وقعوا فى أسر الهزيمة والاحتلال فقد رفضوا أن يذوبوا فى الأتون الغربى الذى حاول احتواءهم ، وحرصوا على الاعتصام بقيمهم وتراثهم باعتبارها المصدر الوحيد لقوتهم وانتصارهم ، ولا ريب أن أية أمة لها قدر من الأصالة يجب أن تعتصم بتراثها وتحافظ عليه أبان الغزو العسكرى والسياسى ، وأن تجعله جداراً يحميها من الغزو الثقافى .

وما يزال المسلمون والعرب يستلهمون تراثهم وينظرون إليه نظرة أصلية ليست منحرفة نحو التقديس أو الاحتقار ولكنها نظرة واقعية عاقلة : ترى أنه مرآة لما مر بالمسلمين والعرب فالجوانب الايجابية منه تضىء الحاضر والجوانب السلبية منه تعطى العبرة لمثيلاتها ولذلك فإن الدعوة إلى انفصال العصر الحديث فى مجال الفكر أو التراث أو الادب هى من زيف الاستشراق وإثم التغريب ، فهى محاولة قطع الصلة بين الحلقات المتتابعة للآية الواحدة . ولا ريب أن المسلمين والعرب كانوا قائماً يلتمسون أصالتهم ومنابعهم كلما كرثتهم الكوارث أو أدلهمت فى وجوههم الخطوب .

لقد جاء الاسلام بالضوء الكاشف والحق المبين عندما كشف أمر الفكر الوثنى القديم : هذا الفكر الذى جرت محاولات تجديده بعد عصر الترجمة وكان علماء الاسلام قادرين على دحض هذه المحاولات ويجىء اليوم من يعاود تجديد هذه الشبهات وإثارتها وإعلاءها وتصويرها على أنها الجوانب العقلانية أو الايجابية لأنها مما اتصلت بالفكر اليونانى والهلينى والوثنى بينما أغضت وحجبت الجوانب الأصلية التى يتمثل فيها مفهوم الاسلام والجامع ولم تكترث لها . لقد كان المسلمون والعرب يؤثرون أسلوب التفتح على فكر الامم دون أن يعطوه القدرة

على احتوائهم أو السيطرة عليهم ويضعون ضوابط لهذا التفتح تحفظ لهم ذاتيتهم وشخصيتهم وطابعهم الربانى الخالص .

ولا ريب أن التعلق بالتراث ليس هروباً من العصر ، لأن هذا التراث إنما يعطى « روح » الأصالة التى لا تحول مطلقاً دون التفتح والتقدم والعصرية ، وإنما تحول دون الاحتواء والإنصهار والسقوط فى هوة التبعية ، وما يزال التراث الإسلامى لم يكتشف . وما تزال فيه قيم نابضة بالحياة ، ولا ريب أن ما كشفه المفكرون الغربيون فى ميدان الشريعة الإسلامية من نظريات وقوانين وحلول للقضايا جدير بأن يؤكد هذا المعنى ويزيف دعوى خصوم العرب والإسلام ، الذين يخشون انبعاث المسلمين والعرب من تراثهم وقيمهم التى مازالت مدفونة فى الكتب الصفراء لأن أحداً لم يستخرجها بعد ولم يستعملها فى حل معضلات العصر .

ولا ريب أن تراثنا فى مجال الفقه والشريعة الإسلامية ، لا يزال يمثل كنزاً مخبوءاً لم يتم استكشافه تماماً ، وهذا هو ما يغضى عنه خصوم التراث بينما يجد فيه رجال القانون فى الغرب منجماً ثراً لعشرات الأقضية والحلول والإجابات الجديدة كل الجدة على عصرنا هذا . كذلك فى مجال فهم النفس الإنسانية البشرية والأخلاق والمثل فإن هناك ثروة لا تقدر . وفى الاقتصاد وعلم النفس والاجتماع والأخلاق ذخائر حية جديرة بأن تعرفها البشرية مجدداً وتنتفع بها .

أما ما يتصل بالعلوم فإن انبعاث هذا التراث هو بمثابة إقامة الحجة على الذين ينكرون الدور الضخم الذى قام به المسلمون فى مجال بناء قاعدة العلم والتكنولوجيا وخاصة فى بناء المنهج العلمى التجريبى الإسلامى . ولا ريب أن أبنائنا وشبابنا فى شديد الحاجة إلى أن نضع بين أيديهم من التراث ما يتأكدون به صدق هذا الأثر الضخم ذلك أن مناهج الدراسة لم تقدم لهم هذه الحقائق وقدمت لهم العلوم الحديثة منفصلة عن أصولها الإسلامية العربية الأولى .

كذلك فنحن فى حاجة شديدة إلى إلتماس أسلوب الأصالة فى تجديد التراث وأن يكون القائمون عليه مؤمنين بأمتهم وعقيدتهم فيجعلوا منه منطلقاً للنهوض والتجديد والبناء والتقدم ولا يكونوا عاملين على إبراز شبهات الشعوبيين والباطنيين والملاحدة ، وأخطاء الزنادقة القدامى ، أو إحياء شعر شعراء المجون ، أو ما يتصل بأهل الباطل والضلال على النحو الذى عرف عن بعض من تصدوا لإحياء التراث من دعاة التغريب ورجال الغزو الثقافى .

الإسلام لا يقر نظرية الإستسلام لروح العصر

تجرى الآن محاولات واسعة على أقلام الكتاب لدعوة العرب والمسلمين إلى (الإستسلام لروح العصر) باعتبارها قمة التقدم الحضارى أعلى مراتب التمدين العصرى. وقد أغرت هذه العبارة ذات البريق الخادع بعض كتابنا فرددوها محاولين أن يتخذوا لها من التراث العربى الإسلامى تعبيراً مجاوباً أو متشابهاً فقالوا: (الإنسان ابن عصره) ولا ريب فى ان الإنسان ابن عصره متقدماً إلى مختلف المجالات بقدراته وقيمه وعقائده وثقافته وذاتيته الخاصه، وليس متخلياً عنها مسلوب الإرادة ونحوها، مستسلماً ذليلا لما يقدمه العصر من سيطرة اقتصادية أو استعمار سياسى أو تبعية فكرية أو مظاهر ومنطلقات من التحلل والترف والاستسلام للشهوات والأهواء على اعتبار أن ذلك كله هو روح العصر يجب على الأجيال الجديدة أن تقبله وتذعن له. ولذلك كان لا بد أن نحذر من الانخداع بهذه العبارة البراقة المسمومة التى تتردد كثيراً فى هذه المرحلة بالذات وتحملها أقلام معروفة للناس بأنها من دعاة التغريب والتبعية والغزو الثقافى ذلك لأن الإسلام يدعو أهله دائماً إلى أن يسابقوا التقدم ويسايروا العصر، ولا يجمدوا فى أى مجال من مجالات التقدم العلمى أو الثقافى أو التكنولوجى ولكن. شريطة ألا يضحوا بقيمهم وحدودهم وضوابطهم فى سبيل ذلك. وليس فى تمسك المسلمين بقيمهم فى مختلف العصور ما يعارض روح العصر أو روح التقدم، وإنما يعارض الاستسلام للغواية والأهواء والشهوات.

فالإستسلام لروح العصر ليس استسلاماً مفروضاً وليس استسلام جبرية، وليس استسلام تنصل من المسئولية الفردية والالتزام الأخلاقى الذى هو لب لباب المسلم الذى يضع نصب عينيه دائماً رسالته وأمانته ومسئوليته والتزامه وجزاءه الدنيوى والأخروى.

وليس فى معارضة العصر فى جوانب الانحراف والتحلل والإباحة والشهوات ما يخشى فيه على الحضارة ، ذلك لأن الحضارة فى مفهومها الصحيح هى تقدم مادى ومعنوى . وهى عطاء للروح والنفس والحياة ولكل أشواق الإنسان ورغباته جميعاً فى عملية متوازنة متكاملة وليست عطاء مادياً قائماً على اللذات والشهوات وإرضاء الغرائز وحدها .

وهو ما يمارسه الغربيون الآن مضحين بالجزء الآخر : الحيوى المعنوى من الكيان الإنسانى سالبين إياه حاجاته وأشواقة وقاتلين فيه تلك الرغبة العليا إلى السمو والبذل والتضحية والاتصال بالله .

ولا ريب أن فى فهم المسلمين لروح العصر وجهة نظر تختلف عن فهم الفكر الغربى القائم اليوم لها ، ولذلك فإن نظرية المغرب فى الاستسلام لروح العصر تعجز عن أن تجد تقبلا صحيحاً فى أفق المجتمع الإسلامى أو الفكر الإسلامى لأنها قائمة أساساً على مفهوم مادى أساسى بفهم (الإنسان) على أنه كيان مادى ويفهم (الحضارة) على أنها عطاء مادى ويفهم (التقدم) على أنه تقدم عادى .

وليس كذلك مفهوم الإسلام الجامع بين المعنويات والماديات ، وبين الروح والجسد وبين الثوابت والمتغيرات . والذى فى صميمه لا يقر هذا الإنحراف الذى تسير فيه الحضارة أو الخال الذى يوجه حركه الإنسان العربى الذى يعترف بحقيقة مهولة قاسية هى أزمة الإنسان والحضارة المتمثلة فى ذلك الصراع القوى الذى تشهده مفاهيم الإعلاء المادى وماله من آثار تكشف عنها الوجودية والهبية وغيرها من تمزق النفس والغثيان والضياع والغربة وكلها إشارات إلى صيحة الروح الكامنة فى أعماق الإنسان والتى تتجاهلها المادية وتسرف فى قتلها وإخمادها .

أما الإسلام فهو يؤمن تماماً بأن الإنسان مرتبط بعصره ، وبيئته ولكنه ليس هذا هو رباطه الأوحد ، بل أن الإنسان المسلم دائماً مرتبط بالثابت والمتغير ، بالزمنى والروحى ، بالمطلق والنسبى ، باللانهائى والمحدود ، بالدنيا

والآخرة ، بالأرض والسماء . وله فى ذلك مفهومه الواضح العميق الجامع الذى يختلف عن مفهوم الغرب الذى نشأ منذ جاء « هيجل » بنظرية الحركة ، « ودارون » بنظرية التطور ، « وسبنسر » بالتطور الاجتماعى وكلها تجمع على الحركة التى تجرى فى نطاق حر ، ليس لها ضوابط أو ثوابت أو إطار تعمل فيه والتى كانت انقلاباً على مفهوم اليونان القديم الذى كان يقول بالثبات المطلق الذى لا حركة معه .

أما الإسلام فإن له مفهومه الذى تقبله الفطرة ويقبله العلم ويقبله العقل جميعاً . مفهوم التكامل الجامع : بين الإطار الثابت وبين التحركات التى تتحرك فى داخل هذا الإطار المرن الواسع ، ومن ثم فهو لا يجمد ولا يتخلف ، بل يمضى قدماً إلى التقدم ولكنه لا يستسلم للعصر بل يصلحه ويغـــيره فى ضوء القيم الثوابت الربانية ،

وقد أشار الكثيرون من الباحثين المسلمين إلى خطر دعو (الاستسلام للعصر) وفسادها ، وإلى السم الناقع الذى تحمله فكرة (مسايرة الزمن) فما يطلق عليه المواءمة ، وإنما تكون المواءمة بين القيم الأساسية وبين المجتمعات خضوعاً من المجتمعات للقيم ، وليس تنازلا من القيم لما تصل إليه المجتمعات وفى مفهوم الإسلام لابد أن ترَدد إلى الثوابت حيناً بعد حين بالإصلاح والتغيير والإقامة على الحق ، هذا الحق الثابت الذى لا يعرف نسبية الأخلاق ، ولا التطور المطلق ولا النظرة المادية القاصرة بل على معرفة الأبعاد الكاملة والواسعة للحياة والكون ، أهدافها وغايتها ووسائلها ، وما يتصل بها من معالم الغيب ومن حقائق الآخرة .

يقول الدكتور حسين نصر : لو فعل المسلمون ذلك (أى الاستسلام لروح العصر) لأصبحوا منذ وقت بعيد غير مسلمين ، لأن الزمان يفرض عليهم أن يكونوا أمعة . وإنما نحن المسلمين نعرف كيف نصنع زماننا وظرفنا وننسجم مع أصولنا وأحكامنا .

ويقول : نستطيع أن نستعمل وسائل العصر ولكننا لا ننسى أن لنا عقيدتنا

وأدبنا وفننا ، إذ كنا نحن أصحاب حضارة مؤهلة فإننا نستطيع أن نحملها إلى سائر الامم كما فعلت ذلك دول أخرى : أن ما يتحدث به عن ضرورة تقليد الغرب بحجة مسايرة الزمن ليس إلا ضعفاً فى المعنويات وإحساساً بعقدة الحضارة التى تواجهها الاكثرية إزاء الغرب . أننا إذا عرفنا الغرب لادركنا ما يواجهه من مشكلات معنوية وفقر فلسفى وأخلاق . ولقد أدرك هذه المسألة الشباب الغربيون أنفسهم حين راحوا يتوسلون بعرفان كاذب ليصبحوا « هيبيين » ولو أدركنا نحن هذا الضعف والفقر الذى يعانيه الغرب لما تلقينا فكره وكأنه وحى منزل ينبغى أن يسود ويفرض نفسه بحجة « مسايرة الزمن » .

وفى هذا المعنى يقول المنصفون : أن روح الأمة الإسلامية أعظم من روح العصر لانها روح متكاملة جامعة بين الخيط الممتد بين الارض والسماء من ناحية وبين الخيط الممتد بين الزمن والبيئة من ناحية أخرى توازن بينهما وتوائم ولكنها موازنة ليست على حساب القيم الاساسية الثابتة .

لان روح الأمة : توجيه ربانى كريم أثبت على مدى العصور حياطته النفس الإنسانية من الزالل والامم من السقوط والحضارة من الهزيمة ، بينما روح العصر ما هى إلا طائفة من الاهواء والاغراض والمطامع مختلطة من بعض الفروض التى قد تصلح وقد لا تصلح وهى جميعها من الفكر البشرى الذى قدمه أناس مصلحون أو مفسدون .

أن المسلم ليس أمعة ولا يجرى مع التيار ولا يتقبل كل ما يعرض عليه وهو ليس موالياً لغير كلمة التوحيد ولا يرضى عملية التبرير أو التأويل أو التبعية وقد عليه قرآنه ورسوله أن يكون قادراً على أن يقول (لا) وأن يكون قادراً على المحافظة على ذاتيته الخاصة وكيانه المتفرد ، يضحى بكل شىء فى سبيل حمايته ولا يتردد أن يختار (المحافظة على الكيان) ولا يكون يوماً ما منصهراً فى بوتقة الأممية أو ضائعاً تحت عناوين العالمية الكاذبة المضللة التى تستهدف سحق وجوده الخاص الذى جاء ليكون نبراساً لكلمة الحق على العالمين ما قامت السموات والارض .

